إقليم كوردستان – العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صلاح الدّين – أربيل

تحليل الخطاب القرآني
في ضوء الاتجاه النصي

تطبيقات على آيات الوعد والوعيد في السور المكية

رسالة

مقدَّمة إلى مجلس كلية اللغات - جامعة صلاح الدين - أربيل
وهي جزء من متطلّبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية - اللغة

من قبل

سعد صهيب خضر (بكالوريوس اللغات – اللغة العربية - جامعة صلاح الدين - ٢٠٠٥)

بإشراف

د.نشأت علي محمود - مدرس

جوّزەردان ٢٧١٠ الكوردية جمادى الآخرة ١٤٣٢ الهجرية أيار ٢٠١١ الميلادية

الموضوع	الصفحة
❑ **المقدمة**	١ - ٤
❑ **التمهيد**/ مفهوم النص والخطاب وعلاقتهما بالتداوليَّة	٥ - ٢٩
❑ **الفصل الأول/ الاتساق التركيبي وأثره في تماسك النص**	٣٠ - ٦٣
❑ المبحث الأول/ الإحالة وأثرها في تماسك النص	٣٠ - ٣١
❑ ١ – الإحالة الداخليَّة (النصيَّة)	٣١
❑ أ/ الإحالة القبليَّة	٣١ - ٣٢
❑ ب/ الإحالة البعديَّة	٣٢
❑ ٢ – الإحالة الخارجيَّة (المقامية)	٣٢ - ٣٣
❑ **أنماط الربط الإحالي**	٣٢
١ – الإحالة باسم الإشارة	٣٣ - ٤٢
٢ – الإحالة بالضمير	٤٢ - ٥٢
٣ – الإحالة بالاسم الموصول	٥٢ - ٥٥
٤ – الإحالة بأل التعريف	٥٥ - ٥٩
٥ – الإحالة بإعادة اللفظ	٥٩ – ٦١
٦ – الإحالة بتنوين العوض	٦١ – ٦٣
❑ المبحث الثاني/ الحذف وأثره في تماسك النص	٦٤ – ٧٦
❑ الحذف في الخطاب القرآني	٦٨ – ٧٦
❑ المبحث الثالث/ الفصل والوصل وأثرهما في تماسك النص	٧٧ – ٨٩
❑ الفصل والوصل في الخطاب القرآني	٨٣ – ٨٩
❑ **الفصل الثاني/ الاتساق المعجمي وأثرهُ في تماسُكِ النص**	٩٠ – ١١٤
❑ المبحث الأول/ التضام وأثرهُ في تماسُكِ النصّ	٩٠ – ٩١
❑ الطباق وأثرهُ في تماسُكِ النصّ	٩١ – ٩٣
❑ الطِبَاق في الخطابِ القرآني	٩٣ – ٩٦

الموضوع	الصفحة
❑ المقابلة وأثرها في تماسُكِ النص	٩٦ - ٩٧
❑ المقابلة في الخطابِ القرآني	٩٧ - ١٠٢
❑ المشاكلة وأثرها في تماسُكِ النص	١٠٣ – ١٠٤
❑ المشاكلةِ في الخطابِ القرآني	١٠٤ – ١٠٥
❑ الجناس وأثره في تماسك النص	١٠٦ – ١٠٧
❑ الجناس في الخطابِ القرآني	١٠٧ - ١٠٨
❑ التصديرُ وأثره في تماسُكِ النص	١٠٨ – ١١٠
❑ التصدير في الخطابِ القرآني.....	١١٠ - ١١١
❑ الموازنة وأثرها في تماسُكِ النص	١١١ – ١١٣
❑ الموازنة في الخطابِ القرآني	١١٣ – ١١٤
❑ المبحث الثاني/ التكرار وأثره في تماسك النص	١١٥ – ١٢٥
❑ التكرار في الخطابِ القرآني	١١٩ – ١٢٥
❑ المبحث الثالث/ التناسب وأثره في تماسك النص	١٢٦ – ١٣٨
❑ التناسب في الخطابِ القرآني	١٢٧ – ١٢٩
❑ مراعاة النظير في الخطابِ القرآني	١٢٩ – ١٣٠
❑ الائتلاف المعنوي في الخطابِ القرآني	١٣٥ - ١٣٨
❑ نتائج البحث	١٣٩ – ١٤٢
❑ ثبت المصادر والمراجع	١٤٣ – ١٦٠
❑ ملخص الرسالة باللغة الكردية	II - I
❑ ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	B - A

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

✍ الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلّى الله على النبيِّ الأكرم الذي بلّغ الرِّسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأُمم، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمِمَّا لا شكّ فيه أن الخِطَابَ القُرْآنيِّ ظَلَّ مُنْذُ عُهُودِهِ الْمُبَكِّرَةِ مَيْدَاناً خَصْباً لدِرَاسَاتِ اللُّغَوِيِّيْنَ ومُعَالَجَاتِهِمْ الّتِي مَثَّلَتْ نُوَاةً تَأْسِيْسِيَّةً لتَحْلِيلِ الخِطَابِ ذلكَ التَّحليلُ الّذِي تَزَامَنَ مَعَ نزُولِ الوَحيِ القُرْآنِيِّ، اقْتِضَاءً للظرُوفِ التَّاريخيَّة الّتي أكّدَتْ ضَرُورةَ تفسيرِ الخِطَابِ الربَّانِي تَفْسِيراً مَقَاصِدِيَّاً مُتَكَامِلاً، وهَذا مَا تَجَلّى وَاضِحَاً في المدوَّناتِ التفسيريَّةِ الأُولى، الّتِي رَافَقَتِ الخِطَابَ القُرْآني تَحْلِيلاً وتَأْوِيلاً، ومِنْ ثَمَّ تَعَاقَبَتْ هذِهِ المدوَّناتُ جِيْلاً بَعْدَ جِيْل، وهِيَ لا زَالَتْ تَتَوَالَى عَلَى مَأْدُبة الله، وَكَيْفَ لا، وهُوَ الخِطَابُ الّذِي لا تَنْقَضِي عَجَائِبُه، ولا تَنْفَدُ غَرَائِبُهُ، ولا تَزِيْغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، ولا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، فَهَذا هُوَ السِفْرُ الّذِي عَكَفَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُون نحويُّون ولُغَوِيُّون ومُفسِّرون، مُنْذُ عهودٍ مُبَكِّرةٍ، مِمَّن كانت لَهُمْ لَمَحَاتٌ دالّةٌ نافِذَة في تَحْلِيلِ النُصُوص، ولَكِنْ بِمُسَمَّيَاتٍ كَانُوا قَدْ تَوَاضَعُوا على إطلاقها آنِئذٍ، بِصَرْفِ النَظَرِ – أحياناً – عَنْ مَدَى تَنَاظُرِها أو تشاكُلِهَا مع المصطلحِ المعاصِر، ولكن الملحوظَ فيها أن المفاهيمَ والأفكارَ الّتي عَرَضُوا لَهَا وَطَرَحُوهَا في مُعَالَجَاتِهِمْ اللّسَانِيَّةِ تَلْتَقِي بَلْ تتواءَم مَعَ الدَّرْسِ النَّصيِّ الْمُعَاصِر، حتَّى إنَّ الدِّرَاسَاتِ العَرَبيَّةَ قَدْ سَبَقَتْ غيرَها في مُعَالجةِ الكثيرِ مِنَ المظاهِرِ اللغويَّة على أُسسٍ علميَّة دقيقة. فَمَا يَهُمُّ البَاحِثَ اليَوْمَ في الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ، هُوَ مَعْرِفَةُ المَفْهُومَاتِ واستكناهُها، وَلَيْسَ بالضَّرُورةِ مَعْرِفَةُ المَحْمُولاتِ، لأَنَّ المصطلحاتِ هِيَ بمثابةِ القَوَالِبِ السَّطحيَّةِ للمفاهيم، وربما تتفاوت القوالِبُ ولكنَّ المفاهيمَ تَبْقَى واحِدَةً، ومِنْ هُنَا وَجَدْنَا المفهوماتِ اللغويَّةَ – الّتي وَفَدَتْنَا مِنْ خارجِ تُخُومِنَا الحَضَارِيَّة – مُتَنَاظِرَة مَعَ مَنْشَأها العَرَبِيِّ والإسلاميِّ الأَوَّل، وإنْ تُرْجِمَتْ إلى العَرَبيَّة بِمُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَة، وَعَلَيْهِ فَإنَّ نَظْرَةً فَاحِصَةً في تراثنَا التفسيريِّ الزَّاخِر تَجْعَلُنَا نَتَلَمَّسُ هذِهِ الحقيقةَ بِأُمِّ أَعْيُنِنَا، كَمَا أَنَّ نِتَاجَنَا الْمَعْرِفِيِّ الثَرّ – في اللسانيَّاتِ وعلومِ القُرْآن – يَشْهَدُ أَيْضَاً عَلَى هذا السَّبْقِ الْمَعْرِفِيِّ الْمُتَمَيِّز، وَعَلَيْهِ فَإنَّ مُفَسِّرِيْنَا ولُغوِيِّيْنَا إنَّمَا يُمَثِّلُون مدرسةً لِسَانيَّةً رَائِدَة لَوْ أحْسَنَّا التَّعَامُل مع تراثِهِمْ. فَهَؤُلاءِ كَانُوا عَلَى وَعي تامّ بهذِهِ الْمَفَاهيم الّتِي أَحيطَ بِمُصْطَلَحَاتِهَا اليَوْمَ الكثير من التضارُب المعرفيِّ، فَكَانُوا يُدْرِكُون جَيِّداً أَنَّ فَهْمَ الخِطَابِ عَلَى الْوَجْهِ الأَمْثَل لن يَتَأَتّى دون استحضارِ جَمِيْعِ الملابَسَاتِ الّتِي تحيطُ بِهِ لَحْظَةَ إنْجَازِهِ، كالسِّيَاق الحَالِي، أَو الْمَقَامِ الخَارِجيِّ، وَمِنْ هُنَا فَإنَّ الاهتمامَ بأَسْبَابِ النزُول، وَمَكَانِهِ، وَمُلابَسَاتِهِ – الّتِي أَحَاطَتْ بِهِ لَحْظَةَ انْبِثَاقِهِ – إنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مَدَى اهْتِمَامِ الْمُسْلِمِيْنَ بِالْمُحِيْطِ الْخَارِجيِّ الّذِي يَحْتَوِي النَّصَّ، وَيُحَدِّدُ دَلالَتَهُ الكُلِيَّة الدقيقة، وَمَا يَدُلُّ عَلَى نضُوجِ التَّفْكِيرِ اللِّسَانِيِّ العَرَبِيِّ أيضاً هُوَ توجيهِ العِنَايَةِ بالْمُخَاطَب، لِكَوْنِهِ يُمَثِّلُ القُطْبَ الثَّانِي مِنْ أقْطَابِ العَمَلِيَّة التَّخَاطُبِيَّة، فَالْخِطَابُ أَصْلاً إنَّمَا يُتَوَجّهُ بِهِ إلى الْمُخَاطَبِ الّذِي يقومُ بتَأْوِيلِ الخِطَابِ وفَهْمِهِ بِنَاءً عَلَى كَفَاءَتِهِ اللّغويَّة، وهذا الفَهْمُ والإدْرَاكُ، بَلْ هذا التَّوَاصُلُ والتَّفَاعُلُ، لَنْ يَتَأَتّى بِوَسَاطَةِ جُمَلٍ مَفْصُولَةٍ، أَوْ عِبَارَاتٍ مَعْزُولَةٍ، وَإنَّمَا يَحْصُلُ عَنْ طَرِيْقِ الإنْجَازِ الكلاميِّ ككُلّ، وَمِنْ هُنَا فَإنَّ لِسَانيَّاتِ النَّصِّ تَنْهَضُ لتحليلِ الْحَدَثِ الخِطَابِيِّ تَحْلِيلاً كُلِيَّاً شَامِلاً، وَهُوَ مَا يُؤَكِّد ضَرُورَةَ تَجَاوُزِ الأُطُرِ اللغويَّةِ الضيِّقَة – الّتِي انْحَصَرَتْ فِيْهَا لِسَانيَّاتُ الْجُمْلَةِ – نَحْوَ فَضَاءَاتٍ خِطَابِيَّةٍ وَاسِعَة، لا تَحْصُرُ نَفْسَهَا في أَبْنِيَةٍ لُغويَّةٍ مُغْلَقَةٍ، بَلْ تَمْتَدُّ شَرَايِينُهَا إلى الوَاقِعِ الخارجيِّ ذلِكَ الوَاقِعُ الّذِي يَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ، وَيَتَدَفّقُ بالحَرَكَة، وهذا يَعْنِي أَنَّهُ لا بُدَّ للبَاحِثِ أَنْ يُحِيطَ بالظرُوفِ الذاتيَّةِ والموضوعيَّةِ الحافّةِ بالنَّصِّ.

والبَاحِثُ في هذِهِ الدِّرَاسَةِ سيُحَاوِلُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ – بِفَضَائِهِ الوَاسِع – مَوْضُوعاً لِلتَّحْلِيل، يَتَوَسَّلُ فيهِ بِأَدَوَاتٍ مَنْهَجِيَّة لِمُعَايَنَةِ تِلْكَ الشَبَكَة الْمَفْهُومِيَّة الّتِي تقُومُ فِيْمَا بَيْنَ عَنَاصِرِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ، ذلِكَ الخِطَابُ الّذِي تَمَاسَكَتْ أَجْزَاؤُه، وتَضَامَّتْ وَحْدَاتُهُ، بصورةٍ أدهشتِ الْمُتَلَقِّي، سواء بالوَسَائِلِ الشَّكْلِيَّة للرَّبْطِ بَيْنَ الجُمَلِ والفَقَرَاتِ داخِلَ الْمَنْظُومَةِ النَّصِيَّة، أَم بالرَّوابِطِ الدَّلاليَّة الّتِي تُؤَلِّفُ بَيْنَ مُكَوِّنَاتِ الْخِطَاب، وَتَتَضافَرُ كُلُّ هذِهِ الْمُعْطَيَاتِ لتحقيقِ مَبْدَأ (النَّصِيَّة) في الخِطَاب القُرْآنِيِّ. وَلا جَرَمَ أَنَّ دِرَاسَةَ الخِطَابِ القُرْآني بآليَّاتٍ ومقارباتٍ مَنْهَجِيَّة مُعَاصِرَة، أَضْحَت بُؤْرَةً تَسْتَقْطِبُ اهْتِمَامَ اللِّسَانِيين الْمُتَخَصِّصِيْنَ، وإنَّ البَاحِثَ في هذِهِ الدِّرَاسَةِ سَيَتَحَرَّكُ في دائرةِ اللسانيَّاتِ النَّصيَّة كَجِهَازٍ وَاصِف، في مُحَاوَلةٍ مِنْهُ لتحليلِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ الّذِي يَكْتَنِزُ

بِحُمُولاتٍ دَلاليَّة مُكثَّفَة، كَمَا سَيَعْرِضُ البَاحِثُ فيما يأتي ما رَجُحَ لَدَيْهِ مِنْ تَعْلِيلاتٍ وَتَحْليلاتٍ لا تحيدُ عَنِ النَّسَقِ الكُلِيِّ الّذِي تَسْتَهْدِفُهُ السُّورَة، تحاشياً مِنْ تأويلِ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة، وَتَحْمِيلِهَا مِنَ الدَّلالاتِ مَا لا تَحْتَمِلُ، وَإِنَّمَا يَسْتَهْدِي في تَوْجِيهِ تَحْلِيلاتِهِ النصيَّة بالمُدَوَّنات التفسيرية الّتِي تُسهم في إضاءةِ جوانِبَ خافية لا يَسَعُ البَاحِثُ مَعْرِفَتَهَا والوقُوفَ عِنْدَهَا، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إلى استقصاءِ كُلِّ الدَّلالات القارَّة فيها، كَمَا يَتَحَاكَمُ إليها في التمييز بَيْنَ السُّوَرِ والآيَاتِ، لأَنَّها كفيلةٌ لاستجلاءِ دلالاتٍ لطيفة، واسكتناهِ غاياتٍ دقيقة، والتماسِ عَلاقاتٍ مفهوميَّة تَقِفُ وراءَ ظاهِرِ الخِطَابِ القُرْآني.

وجدير بيانه في هذا السياق أن التصدِّي لِمثلِ هذهِ المهمة لَيُعَدُّ عَمَلاً مَحْفُوفاً بالمخاطِر، لأننا بذلك نكون عُرضةً للوقوعِ في شَرَكِ التأويل، وتحكيم الذائقةِ أحياناً، هذا، إذا لَمْ تُسْعِفْنَا مُعْطَيَاتٌ نقليةٌ موروثةٌ نتوكّأ عليها في التَّحليل، وهذا ما يُمَثِّل – في المُحَصِّلةِ النهائية – عَائِقَاً يُعَقِّد مُهِمَّةَ البَاحِثِ. فالمأثور النقليِّ – إذن – هو بمثابة المِعيار الضابط لكلِّ توجيهٍ دَلالي في التحليل النصيّ. وإننا نعتمد – ما أمكن – في بحثنا هذا – في رصد الآيات القرآنية – على آليَّاتٍ منهجية، واستثمار الإمكانات التقابلية المُتاحة من أجل تلمُّسِ الدلالات الثاوية في فضاء السور القرآنية، وتحسُّس الاتساق والانسجام في آياته، ولكننا نجد أمامنا – رغم هذه المعطياتِ التي تُقدِّمها لنا هذه التحليلات – تلك المُعْضِلة المنهجية، التي تتمثلُ أيضاً في مدى حجيَّةِ هذهِ التحليلات وسلامتها، فلو كان تحليلنا النصيّ على نصوص شعريَّة لكان بإمكاننا – دون مُشَاحَّةٍ أو مجادَلةٍ – بناءً على الفِطْرة اللغوية، والذائقة الفنية، تحليلَها والوقوفَ عندها، وذلك لأن تحليلَ النصِّ الشِّعْري – عادةً – ما يكون منوطاً بمدى انفعال المتلقّي وتفاعُلهِ معه، وإن لم يكن مُنضبطاً – في غالب الأحيان – بمعيارٍ منهجي صارِم ودقيق. ولكن القرآن الكريم بوصفه خطاباً مُعْجِزاً مفارقاً للطبيعة، له خصائص مائزة لا تُحْصَى، وله من الثراء المعرفي ما لا يُمكن الإحاطةُ به، وهو باختصار نظمٌ مُغاير كل التغايُر مع الأساليب الوضعيَّة مهما كانت راقية أو مُحْكَمَة، ومِنْ هُنَا فإننا نعترف بأنه لا بُدَّ مِنْ تضافُرِ الجهودِ العِلْمِيَّة في الدِّراساتِ النَّصيَّة عمُوماً والدراسة اللغويَّة خصوصاً، لمعرفة دلالاته ورصدِ تجلِّياتهِ، وذلك من خلال سَبْرِ العلاقات العميقة لِلْبُنَى النصيَّة التي تنسبك عناصِرُها في نَسْجٍ مُتآلف مُتجانس. وفضلاً عَنْ هذا وذاك، فقد كانت هناك رغبةٌ صادقة تحرَّكت في كياني مُذ كُنْتُ طَالِبَاً في مَرْحَلَةِ (البكالوريوس)، تِلْكَ الرَّغْبَةُ الّتِي مَا بَرِحَتْ عَنْ ذاتِ نَفْسِي بَلْ تَنَامَتْ شَيْئَاً فَشَيْئَاً حَتَّى اسْتَوَت عَلَى سُوقِها، ومِنْ هُنَا فَقَدْ آثَرْتُ أن يكونُ مَوْضُوع رِسَالتي لـ(الماجستير) مُتَّصِلاً بكِتَاب الله عزَّ وَجَلّ، تأويلاً وتحليلاً، وَمِنْ هُنَا فَقَد وَجَدْتُ نَفْسِي مَدْفُوعاً بشغفٍ وَلَهْفة في أَثناءِ دِراستي العُلْيَا إلى إيثارِ الاتِّجَاهِ النَّصيِّ – في تحليلِ النصُوص – مِنَ بَيْنِ جَمِيْعِ المناهِجِ اللُغَويَّة الّتِي كُنَّا نقومُ بدراسَتِهَا آنذاك، إذ وَجَدْتُهُ مَيْدَاناً عِلْمِيَّاً واسِعَاً بَلْ حَقْلاً خَصْبَاً للبَحْثِ والدِّرَاسَةِ، ومِنَ الأَسْبَابِ الّتِي تَوَافَقَتْ مَعَ هذِهِ الرَّغْبَةِ – الّتِي تَدْفَعُ الإنسانَ إلى العَمَلِ والإبداعِ – هِيَ حِدَّةُ الْمَنْهَجِ وحداثَتُهُ، ذلِكَ الْمَنْهَجُ الّذِي يَقُومُ على دِرَاسَةِ النَّصِّ دراسةً كُلِيَّة شَامِلَة، يُؤَدِّي بِكَامِلِ عَنَاصِرِهِ غَرَضَاً كُلِيَّاً وَاحِدَاً، وهُوَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ النِّصُّ القُرْآنِيِّ الّذِي يَتَعَدَّى في خطَابِهِ نطاقَ الْجُمْلَةِ الوَاحِدَة إلى ما بَعْدَها مِنْ جُمَلٍ، وبِمَجْمُوعِهَا يَتَحَصَّلُ التَّأْوِيلُ والفَهْمُ والإدراك، وهُوَ ما يعينُ الباحِثَ على التَّدبُرِ في كِتَابِ الله، والتَّأَمُّلِ في آياتِهِ ودلالاتِهِ.

أَمَّا مَنْهَج البَحْثِ الّذِي سَارَ عَلَيْهِ الباحث في هذهِ الدِّراسة فَهُوَ مَنْهَجٌ تَحْلِيليٌ استقرائيٌ استدلاليٌ – ينتقلُ فيهِ البَاحِثُ مِنَ الخاصِّ إلى العامّ، أو مِنَ الجزء إلى الكُلّ – ويَعْتَمِدُ فيهِ عَلَى مَبْدَأ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ ذلِكَ التَّمَاسُكُ الّذِي يَتَحَقّقُ مِنْ خِلالِ وَسَائِل لُغَوِيَّة تَرْبُطُ بَيْنَ العَنَاصِرِ الشَّكْلِيَّة والدَّلالِيَّة عَلَى الْمُسْتَوَى العَامّ مِنَ الخِطَاب. ومَنْ هذِهِ الْمَنْهَجِيَّةِ انْبَرَتْ أَهَمِيَّةُ الْبَحْثِ إذ إنَّهُ يَقُوم بِتَحْلِيلِ النَّصِّ بِنَاءً عَلَى النَّظْرَةِ الكُلِيَّة الشَّامِلَة، ويسعى إلى تقديمِ أنموذجٍ تحليليٍّ لِلْمَلْفُوظِ الخِطَابِيِّ مَنْ حَيْثُ مَدَى تَمَاسُكِهِ الداخليِّ والخارجيِّ، اتِّسَاقاً وانْسِجَاماً، انطلاقاً مِنْ تحليلِ الخِطَابِ بوصفهِ منظومة نصيَّة متواشجة ذات أنساق داخليَّة تقومُ فيما بينها عَلاقاتٌ نحويَّة ودلاليَّة في الآنِ نفسهِ، الأَمْرُ الّذِي يُسَهِّلُ أَمَام الْمُتَلَقِّي عَمَلِيَّةَ الْفَهْمِ وَالإِدْرَاكِ في حِيْن أَنَّ النَّظْرَةَ التَّجْزِيئِيَّة لِلْخِطَابِ تَحُول دُونَ فَهْمِهِ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى الْوَجْهِ الأَمْثَل.

أَمَّا فِيْمَا يَتَعَلّق بِالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ، فَقَدْ وُجِدَتْ دِرَاسَاتٌ في هذا الْمَجَالِ عمُومَاً، مِثل: عِلْمُ اللّغةِ النَّصِيِّ بَيْنَ النَّظرية والتَّطبيق، للدكتور صُبْحِي الفقي، والإِحَالَة وأَثَرُهَا في تَمَاسُكِ النَّصِّ في القَصَصِ القُرْآنِيِّ، للدكتور أَنَس فجال، والخطاب القرآني

دراسة في العلاقة بين النص والسياق، للدكتورة خلود العموش، وغَيْرُهَا مِنَ الدِّرَاسَاتِ الوَاصِفَةِ فِي عِلْمِ لُغةِ النَّصِّ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الدِّرَاسَةَ هذِهِ لا تَسْتَهْدِفُ الوُقُوفَ عَلَى مُسْتَوَيَاتٍ نَحْوِيَّة أَوْ صَرْفِيَّة أَوْ دَلالِيَّة مُعَيَّنَة كَمَا كَانَتْ حَالُ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَة، وَلَكِنَّهَا سَتُعْنَى بِالْكَشْفِ عَنْ عَالَمِ النَّصِّ ككُلّ، فالاتِّجَاهُ النَّصِيُّ يُقَدِّمُ تَحْلِيلاً وَافِيَاً لِمُجْمَلِ جَوَانِبِ النَّصِّ، لِذا فَإِنَّ أَحدَ أهدافِنا الْمَرْكَزِيَّة فِي هذِهِ الدِّرَاسَةِ هُوَ تقديمُ تَحْلِيلٍ دقيقٍ لِلْخِطَابِ القُرْآنِيِّ الأَسْمَى، وإِنَّنَا نَعُدُّ هذا العَمَلَ الّذِي نقومُ بِهِ – إِنْ شَاءَ الله – تَطْبِيقاً لِلْمَنْهَجِ النَّصِيِّ، وَأَمَلُنَا أَنْ لا نَقَعَ فِي شَرَكِ الانْتِقَاءِ الّذِي نَجِدُهُ مِنْ لَدُن العَدِيدِ مِنَ البَاحِثِيْنَ الّذِين يُوَظِّفُون إِنْجَازَاتِ الْمَعْرِفَةِ اللِّسَانِيَّة دون انْسِجَامٍ أَوْ مُوَاءَمَة.

أمَّا فيما يَخُصُّ خِطَّةَ الْبَحْثِ، أَوِ الهَيْكَلِ العامِّ للرِّسَالَةِ، فَقَدِ اقْتَضَتْ أن تَتَوَزَّع عَلَى فَصْلَيْنِ تَحْوِيْهِمَا سِتَّةُ مَبَاحِثَ، وتَتَصَدَّرُهُمَا الْمُقَدَّمَةُ ثُمَّ التَّمْهِيْدُ، وتَقْفُوهُمَا نتائجُ البحث التي دُوِّنَتْ فِيْهَا أَهَمُّ ما تَوَصَّلَت إِلَيْهِ الرِّسالة مِنْ نتائج، مَعَ قَائِمَةِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِع التي اسْترفدَ البحثُ مِنْهَا، فَأَمَّا التَّمْهيد فَقَدْ عَالَجَ مَفْهُومَ النَّصِّ والْخِطَابِ وَعَلاقَتَهُمَا بالتَّدَاوُلِيَّةِ، إذ إنَّ هذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ الثَّلاثة تَلْتَقِي عِنْدَ نُقْطَةٍ مَرْكَزِيَّة، وَتَخْتَلِفُ بالاعْتِبَارِ واللَّوَازِم، فَلَوْ نَظَرْنَا إِلى النَّصِّ بِاعْتِبَارِ صدُورِهِ مِنْ مُخَاطِب سُمِّيَ (خِطَابَاً)، وَإِنْ نَظَرْنَا إِلى النَّصِّ بِاعْتِبَارِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ سُمِيَّ (مُتَدَاوَلاً)، وَإِنْ نَظَرْنَا إِلى النَّصِّ بِاعْتِبَارِهِ كُلاً سُمِّيَ (نَصَّاً) بوصفِهِ مُصْطَلَحاً يُمَثِّلُ اتِّجَاهَاً لِسَانِيَّاً مُعَاصِرَاً، فهذِهِ وغَيْرُهَا أُمُورٌ عَالَجْنَاهَا فِي التَّمْهِيد، أَمَّا الفَصْلُ الأَوَّل الاتساق التركيبيّ وأثرهُ فِي تماسُكِ النصِّ، فَيَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعَةِ مَبَاحِثَ، فَفِي الْمَبْحَثِ الأَوَّل عَالَجَ الْبَحْثُ مَفْهُومَ الإِحَالَةِ، لِكَوْنِهَا مِنْ أَكْثَرِ الْوَسَائِلِ الاتِّسَاقِيَّةِ أَهَمِيَّةً فِي الرَّبْطِ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ، إذ قَلَّمَا يَجِدُ الْمُتَلَقِّي نَصَّاً خَالِيَاً مِنْهَا، كَمَا عَالَجَ البَحْثُ فِيْهِ كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ بالإِحَالَةِ مِنْ مَوْضُوعَاتٍ فَرْعِيَّة، كالإِحَالَةِ باسْمِ الإِشَارَةِ، وَالإِحَالَةِ بالضَّمِيْر، والإِحَالَةِ بالاسْمِ الْمَوْصُول، والإِحَالةِ بـ(ال) التَّعْرِيف، والإِحَالَةِ بِإِعَادَةِ اللَّفْظِ، والإِحَالَةِ بِتَنْوِينِ الْعِوَضِ، أَمَّا فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي فَقَدْ دَرَسَ الْبَحْثُ الْحَذْفَ إذ يُعَدُّ وَسِيْلَةً مِنْ وَسَائِلِ التَّرَابُطِ بَيْنَ عَنَاصِرِ النَّصِّ الْوَاحِدِ، ويُؤَدِّي فِيْهِ الْمُتَلَقِّي دَوْرَاً كَبِيْرَاً فِي مَلءِ الفَرَاغَاتِ الّتِي يَتْرُكُها النَّصُّ لِذَكائِهِ، إِيْثَارَاً لْمَبْدَأ الاخْتِزَال، وَتَحْقِيقَاً لِغَرَضِ التَّمَاسُكِ، أَمَّا فِي مَبْحَثِ الفَصْلِ وَالْوَصْلِ فَقَدْ أَكّدَ البَحْثُ أنَّ الوَحَداتِ التَّركيبيَّةِ تُشَكِّلُ بِمَجْموعِهَا – وَصْلاً أَوْ فَصْلاً – بنيةً كُلِّيَّةً شَامِلَة، وهِيَ تُؤَدِّي بِكَامِلِ عَنَاصِرِهَا غَرَضَاً كُلِّيَّاً وَاحِدَاً، أَمَّا فِي الْمَبْحَثِ الأَخير مِنَ الْفَصْلِ الأَوَّل، فَقَدْ دَرَسَ البَحْثُ التطابُقَ النسقيَّ، لِكَوْنِهِ يُمَثِّلُ التوافُقَ النَّحْوِيِّ بَيْنَ الوَحَداتِ اللّغويَّة الْمُتَتَابِعة، وَهُوَ مَا يُؤْذن بتحقيق التَّرَابُطِ النَّصِيِّ. ثُمَّ جَاءَ الفَصْلُ الثَّانِي الاتساق المعجمي وأثره في تماسُك النصِّ، فَقَامَ عَلَى ثلاثةِ مَبَاحِث، ففي الْمَبْحَثِ الأَوَّل أَلْقَى البحثُ الضَّوْءَ على نظريَّةِ الاتِّساق الْمُعْجَمِيِّ، نَظَرَاً لِكَوْنِهِ مَظْهَرَاً مِنْ مَظَاهِرِ اتِّساقِ النصِّ، إذ يَرْبطُ بَيْنَ جُمَلِهِ بِدُون وَصْلٍ أَوْ إِحَالَة، وإِنَّما عَبْرَ العَلاقَاتِ وَالرَّوَابِطِ الْمُعْجَمِيَّةِ القَائِمَةِ بَيْنَ مُفْرَدَاتِ النَّصِّ ووحداتٍ مِنْ جُمَلِهِ، كما تَناول أيضاً التَّضام الّذِي يَتَضَمَّنُ عَدَدَاً مِنَ المداخِلِ وَالأَبْوَابِ البَدِيعِيَّةِ الّتِي تُسْهِمُ مُعْجَمِيَّاً فِي رَبْطِ النَّصِّ وَتَلاحُمِهِ، وَتَتَمَثَّلُ هذِهِ الأَبْوَابُ والمداخِلِ فِي الطِبَاق، وَالْمُقَابَلَةِ، وَالْمُشَاكَلَة، والتَّصْدِير، وَالْمُوَازَنَةِ، أَمَّا الْمَبْحَثِ الثَّانِي فَقَدْ عَالَجَ التَّكْرار لِكَوْنَهُ شَكْلاً مِنْ أَشْكَالِ الاتِّسَاق الْمُعْجَمِيِّ الّذِي يُؤْتَى بِهِ لتأكيدِ القَوْلِ وتَثْبِيتِهِ، فَضْلاً عَنْ تحقيقِ سِمَةِ التَّرَابُطِ بَيْنَ العَلامَاتِ اللِّسَانِيَّة، أَمَّا الْمَبْحَث الثالث وهُوَ الأخيرُ فَقَدْ خَصَّهُ لِمُعَالجَةِ التَّنَاسُبِ وهُوَ مِنَ الْمَدَاخِلِ البديعيَّة أيضاً، والّذِي يُؤَدِّي دَوْرَاً فَاعِلاً فِي تَمَاسُكِ النَّصِّ وتَرَابُطِهِ، كَمَا يَكْشِفُ عَنْ مَدَى إِحْكَامِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ مَعْنَوِيَّاً، وَتَلاحُمِ أَجْزَائِهِ لَفْظِيَّاً.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ مَصَادِرِ البَحْثِ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْمُعَاصِر، فَمِنْهَا مَا كَانَ لَهُ عَلاقَةٌ بِالْقُرْآن الكَرِيم، إذ هُوَ مَوْضِعُ الْبَحْثِ وَمَوْطِنُ النَّظَرِ وَالتَّحْلِيل، فَكَانَ لِلتَّفَاسِيرِ الْمُتَنَوعَةِ الاتِّجَاهَاتِ الأَثَرُ الكَبِير فِي فَهْمِ النَّصِّ وَتَوْجِيهِهِ، فَضْلاً عَنْ كُتُبِ عُلُومِ الْقُرْآن، وَالْكُتُبِ الْبَلاغِيَّة وَلا سيَّمَا عِلْمِ البديعِ الّذِي كَانَ لَهُ الْحَظّ الْوَافِر فِي هذِهِ الدِّرَاسَة، أَمَّا الْمَرَاجِعُ فَكَانَ لِكُتُبِ عِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ وَلا سيَّمَا تِلْكَ الْكُتُبِ الّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ دَفَتَيْهَا المنحى الشكلي والدلاليِّ، وَمِنْهَا لِسَانيات النصِّ.. مَدْخَل إلى انْسِجَامِ الْخِطَاب، للدكتور محمَّد خطابي، وعِلْمُ لُغَةِ النَّصِّ بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيق، للدكتور صبحي الفقي، ومَدْخَل إلى عِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ.. تطبيقات لنظريَّة روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، للدكتورة إلهام أبو غزالة، وَغَيْرُهَا مِنَ الْكُتُبِ الّتِي سَاهَمَتْ فِي إِضَاءَةِ الْكَثِيْرِ مِنْ جَوَانِبِ الْبَحْثِ وَإِثْرَائِهَا. وَأَمَلُنَا أَنْ تَكُون هذِهِ الدِّرَاسَةُ توصيفيَّةً تَأْصيليَّة لِعِلْمِ اللّغَةِ النَّصِيِّ، جَامِعَةً بَيْنَ الإِطَارِ التَّنْظِيرِيِّ والبُعْدِ الإِجْرَائِيِّ، عَلَّهَا تَكونُ خَطْوَةً مُهِمَّةً عَلَى الْمَسَارِ الصَّحِيحِ نَحْوَ تَأْصيلِ لِسَانِيَّاتِ الْخِطَابِ الْقُرْآنِيِّ.

وَمِنَ الصعوبَاتِ الّتِي وَاجَهَتْنِي في طريقِ هذا البَحْثِ، ولا سيَّمَا في بِدَايَاتِ العَمَلِ شُحّةُ المظانِ التَّأْسِيْسِيَّةِ الْمُحَكَمة، وَذلِكَ لأَنَّ جُلَّ مَا وَقَعَ منها تَحْتَ ناظِري كَانَ لا يَتَعَدَّى عَنْ كَوْنِهَا دِرَاساتٍ نظريَّة – بَلْ مَعْرِضاً للتَّنْظِيرَاتِ النَّصِيَّةِ – لا تتوفّر عَلَى تطبِيقَاتٍ شافيةٍ وافية تُشْفِي غَلِيْلَ البَاحِثِ، وتُرْضِي سليقتَهُ، وَمِنْ الْمُعَوِّقَاتِ الّتِي أَبْطَأَتْ مَسِيْرَ الْبَحْثِ أَيْضاً، سَعَةَ عِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ وشُمُولِيَتَهُ، كَمَا أَنَّ فُوضَى الْمُصْطَلَحَاتِ كَانَتْ مِنَ الإِشْكَالِيَّاتِ اللّغويَّةِ الّتِي لازَمَتْ مَسِيْرَ الْبَاحِثِ، فَكُلُّ بَاحِثٍ يَقُومُ بِتَرْجَمَةِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْوَافِدَةِ بِنَاءً عَلَى ذائِقَتِهِ الأَدَبِيَّةِ، وسَلِيْقَتِهِ اللّغويَّة، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَمَّا إِذا كَانَ هذا الْمُصْطَلَحُ قَدْ تَوَاضَعَ الدَّارِسُون عَلَيْهِ أَمْ رَفَضُوه، كَمَا أَنَّ الْخَلْفِيَّةَ الثَّقَافِيَّةَ هِيَ الّتِي تُحَدِّدُ الْمُنْطَلَقَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ الّتِي يَنْطَلِقُ مِنْهَا البَاحِثُ. فَالْمُتَشَبِّعُ بِالثَّقَافَةِ الإِنكلِيزيَّة يَلْتَزِمُ بِالأُطُرِ الثَّقَافِيَّةِ الْمَعْهُودَةِ في اللّسَانِيَّاتِ الإِنكلِيزيَّةِ، أَمَّا صَاحِبُ الثَّقَافَةِ الأَلْمَانِيَّة فَإِنَّهُ كَذلِكَ لا يَخْرُجُ عَنِ اللّغويَّاتِ الأَلْمَانِيَّة، حَتَّى في مُقْتَبَسَاتِهِ وشَوَاهِدِهِ.. ومِنْ هُنَا فَقَدْ آلَ الْبَحْثُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَفْزَع، لَدَى تَرْجَمَتِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ إِلى أُصُولِهَا الإِنكلِيزيَّة أَوِ الفِرنسيَّة، ومِنْ ثَمَّ يُتَرْجِمَ الْمُصْطَلَحَاتِ بِنَاءً عَلَى الْمُصْطَلَحَاتِ الْمُسْتَقِرَّةِ عِنْدَنَا..! وَقَدْ لاحَظَ البَاحِثُ في رِحْلَتِهِ البَحْثِيَّةِ في عَالَمِ لُغةِ النَّصِّ ذلِكَ الاخْتِلافَ الكَبِيْرِ بَيْنَ البَاحِثِيْنَ في الطَّرْحِ وَالْمُعَالَجَةِ، وَلَكَأَنَّ لِكُلِّ بَاحِثٍ مَنْظُورَهُ الْخَاصّ، وَلُغَتَهُ النَّصِيَّة الخَاصَّة، إِلى دَرَجَةِ أَنَّكَ أَحْيَانَاً لا تَجِدُ بَيْنَهَا خُيُوطاً مُشْتَرَكَة، تَمُتُّ إِلى بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِصِلَةِ الْقَرَابَةِ..! وَقَدْ فَضَّلَ البَاحِثُ اخْتِيَارَ الْخِطَابِ بِوَصْفِهِ مُصْطَلَحاً لَهُ مَوْقِعٌ مُتَمَيِّزٌ في جُغْرَافِيَّةِ اللّسَانِيَّاتِ الْمُعَاصِرَة عَلَى مُصْطَلَحِ النَّصِّ، وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذا التَّفْضِيل فَإِنَّ الْبَحْثَ لا يَتَحَاشَى اسْتِعمَالَ النَّصِّ ومُلْحَقَاتِهِ، ومِنْ هُنَا جَاءَ العُنْوَانُ (تحليل الخطاب القرآني في ضوء الاتجاه النصي.. تطبيقاتٌ على آياتِ الوَعْدِ والوَعيد في السُّورِ المكيَّة)، وقَمِيْنٌ بِالْبَاحِثِ هُنَا أَنْ يُؤَكِّدَ أَنَّ اخْتِيَارَهُ لِعُنْوَانِهِ قَدْ جَاءَ نَتِيجَةَ مُدَاوَلاتٍ مُكَثَّفَة بَيْنَ الأَسَاتِذَةِ والْمُتَخَصِّصِيْنَ في مَجَالِ اللّسَانِيَاتِ الدَّلاليَّةِ والنَّصِيَّة.

وأَخيراً فإِنِّي أَتَقَدَّمُ بالشُكْرِ الوَافِرِ بَعْدَ ثنَاءِ الله عزَّ وَجَلّ إلى أُسْتَاذِي الْمُشْرِف (د.نشأت علي محمود) الّذِي أَعْطَانِي مِنْ وَقْتِهِ الكَثِيرَ، ولَمْ يَبْخَل عَلَيَّ بعلْمِهِ وتَوْجِيهِهِ، فَجَزَاهُ الله عَلَى كُلِّ مَا قَامَ بِهِ مِنْ توجيهٍ وتَصْوِيب، وتَنْقِيْحٍ وَتَهْذِيْب، كَمَا أُسَجِّلُ جَمِيْلَ اعْتِرَافِي وجَزِيْلَ امْتِنَانِي للدكتورة (گوليزار) الّتِي حَبَتْنِي بتَوْجِيهَاتِهَا، وشَمَلَتْنِي بتَصْوِيبَاتِهَا، والشُكْرُ مَوْصُولٌ لأَسَاتِذَتِي الكِرَام في قِسْمِ اللغَةِ العَرَبيَّةِ عَلَى تَشْجِيعِهِمْ لَنَا وَتَحْفِيزِهِمْ إِيَّانا، كَمَا أَبْسُطُ جَزِيلَ شُكْرِي وفائِقَ تَقْدِيري بَيْنَ يَدَيّ اللجنةِ العِلمِيَّة الْمَوَقّرَة الّتِي تُشْرِفُ عَلَى تقويمِ هذِهِ الرِّسَالةِ ونَقْدِهَا. كَمَا أَتَوَجَّهُ بالشُكْرِ الجزيلِ إلى جَمِيْعِ أفرَادِ أُسْرَتِي مِمَّن كانُوا حَقّاً – والْحَمْدُ لله – عِمَادِي في رِسَالَتِي، وَفِي مُقَدِّمَتِهِم أَبِي العَزِيز الّذِي مَا بَرِحَ يَمُدُّنِي بتأييدِهِ وإِرْشَادِهِ، وَنُصْحِهِ وتَوْجِيهِهِ، إِقْرَاراً بحقّه، وعِرْفاناً بفضلِهِ، كَمَا لا يَفُوتُنِي شُكْرٌ مَوْصُول بالْمَحَبَّةِ والاحْتِرَامِ لوالدتِي الغَالِيَة الّتِي آزَرَتْنِي وحَمَلَتْ عَنِّي مَا كُنْتُ أُقْوَى عَلَى حَمْلِهِ بنفسِي، اعْتِرَافاً بِكَدِّهَا، وَثَنَاءً عَلَى جُهْدِهَا، ويَبْقَى لِي أَنْ أَتَقَدَّمَ بالشُكْرِ الوَافِرِ إلى إِخْوَانِي وأَخَوَاتِي مِمَّنْ شَارَكُونِي عِبْءَ رِسَالَتِي، ولا أَنْسَى أخيراً أَنْ أَزُفَّ امْتِنَانِي إلى شَرِيكَةِ حَيَاتِي الّتِي لَمْ تدخر جُهْدَاً في إِعَانَتِي على إِتْمَامِ بَحْثِي، وتَشْجِيعِي عَلَى الْمُضِي قُدُمَاً في عَمَلِي، كُلّمَا وَهَنَ العَزْمُ مِنِّي، ودَعَتْنِي نَفْسِي إلى رَاحَةٍ أَو فتور. وبَعْدَ كُلِّ هذا أَجِدُ نَفْسِي مَدْفُوعاً برَغْبَةٍ إلى تقديمِ الشُكْرِ الجزيل، والعِرْفَانِ الأَثِيل إلى الدكتور إدريس عبدالله وإلى زملائي الأخ هوشنك، وإسماعيل، وسيروان، وريبوار، وفاضل، وعبدالله سعدالله، وإلى كُلِّ مَنْ سَاهَمَ ولَوْ بِكَلِمَةٍ في إثراءِ هذا البَحْثِ وإغنائِهِ.

وأخيراً فإني لأَرْجُو أَن أكونَ قَدْ وَفّيْتُ هذا الْمَوْضُوعَ بَعْضَ حَقِّهِ الّذِي يَسْتَحِقّهُ، وأَن أَكُونَ قَدْ أَضَفْتُ لَبِنَةً جَدِيدةً إلى لَبِنَاتِ الدَّرْسِ النَّصيِّ، وَعلَيْهِ فَمَا كان في هذا البَحْثِ مِنْ صَوَابٍ فَهُوَ مِنْ فَضْلِ الله جَلَّ وعَلا، ولَهُ الْحَمْدُ والشُّكْرُ وَالْمِنَّة، وَمَا كَانَ فِيْهِ مِنْ خَطَأٍ فَمِنْ نَفْسِي، والله سبحانه وتعالى نَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِبُحُوثٍ عِلْمِيَّة جَادَّة في قَادِمِ أَيَّامِنَا، وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْن.

الباحث

سعد صهيب خضر

التمهيد

مفهوم النص والخطاب وعلاقتهما بالتداوليَّة

لقد استأثرَ النصُّ والخطاب باهتمامِ اللغويين قُدَامى ومُحْدَثين، وأَصْبَحَا مِنَ الحقولِ اللسانيَّة الخصبة التي نالت عنايةَ البحوثِ اللغويَّة المعاصرة، ونظراً للزخم الهائل للدراساتِ والأبحاثِ التي تكفّلت بمعالجةِ النصِّ والخطاب، وإبرازِ أهمِّ الجوانبِ التي تتعلّقُ بهما، فقد اقتصرَ البحثُ بتحديدِ الخطوطِ العريضة من هذه الجوانب والمعالجات الّتي حازت اهتماماتِ اللسانيين المعاصرين، نظراً لضخامةِ الأبحاثِ اللسانيَّة الْمُنْجَزة في هذا المجال، لذا كان من المنهجي أن يُؤرِّخَ البحثُ لتلكَ الإرهاصاتِ الأوليَّة للدَّرْسِ النَّصيِّ، وأَن يكتفي بإيرادِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ التوصيفاتِ الّتِي عَمَدَتْ إلى استكناهِ النَّصِّ، واستشفافِ أهمِّ الجوانِب التي تتعلّقُ بموضوعِ الخطاب، لأننا لو وقفنا نستقصي تعريفاتِ اللسانيين القُدامى والمحدثين – الذين عرَّفوا النصَّ والخطابَ – لتكلفنا ذلك المئات من الصفحات، وما استطعنا في النهاية أن نحيطَ بها كلّها، مع طولِ البحثِ والاستقصاء، فهذا ليسَ غرضَ أيِّ بحثٍ لسانيّ كان، ولكن مِنْ شأنِ الباحثِ أن ينهضَ بذكرِ جُمْلَةٍ مِنَ التعريفاتِ الّتي تُسهم في بيانِ ما يتعلّقُ باللسانيَّاتِ النصيَّة. ولّما كان علمُ لغةِ النصِّ تتويجاً للمناهجِ اللغويَّة التي سبقته، وامتداداً لها، فقد كان من الطبيعيّ أن تكون هناك صعوبة في البحثِ النصيّ هذا، بناءً على ذلك التداخُل الثرّ في الاختصاصات، حتَّى إن "السِّمَةَ الجوهريَّةَ الفَارِقَة له عَنِ البحوثِ الأُخرى تكمُن فيما أُطلقَ عليه (التداخُل المعرفيِّ)... فقد تشعَّبتِ المنابعُ التي استقى منها مفاهيمَهُ وتصوُّراتِهِ ومناهِجَهُ، واتَّسَمَ هو نفسُه بقدرةٍ فائقةٍ على استيعابِ ذلك الخليط المتباين. فهو العِلْمُ الذي استطاعَ أن يجمعَ بين عناصِرَ لغويَّة، وعناصِر غير لغويَّة لتفسيرِ النص أو الخطاب تفسيراً إبداعيًّا"([1])، كما يتميَّز هذا الحقلُ – على صعيد المرجعيَّة المنهجيَّة – بانفتاحهِ على جُمْلَةٍ مِنَ المعارف، كَعِلْمِ النَّفْس، والاجتماع، والسيميائية، والأسلوبيَّة، والعلوم اللسانيَّة والأدبيَّة، الأمر الذي يُقَرِّر أنَّ لسانيَّاتِ النصِّ تُمَثِّلُ الأُسس المشتركة التي تجمعُ بَيْنَ كُلِّ علومِ النَّصِّ، بفضلِ توافرهِ على سِمَةِ (التداخُل المعرفي)، الذي يُعَدُّ مَلْمَحاً مُمَيَّزاً لِعُلُومِ الألفيَّةِ الجديدة([2])، تلك العلومُ التي مثلت نقلةً معرفيَّة رائدة على الصعيدِ الفكريِّ واللغويِّ.

وفضلاً عَنْ ذلِكَ فقد رَأَى عِلْمُ لُغَةِ النصِّ أو اللسانياتُ النصيَّة عدم كفايةِ لسانيَّاتِ الجملة في تحليلِ النصوص، لذا وجد مِنَ الضرورةِ تخطيها، وتوجيهِ أنظارهِ إلى النصِّ ككُل، بوصفهِ أكبر وحدةٍ قابلةٍ للتَّحليل، ومن هنا فالمنهجُ النصيِّ ينهضُ على دراسةِ النصِّ بعدِّهِ منظومةً مُتكامِلَةً مُتلاحِمَة، ووحدةً مُتماسِكة مُتشابِكة لا تتجزَّأ، أمَّا دراسةُ الْجُمَلِ وَحْدها فهي اجتزاءٌ لعمليَّةِ التَّواصُل، وقصورٌ في التحليلِ اللسانيِّ، كما هو عَزْلٌ لَهَا عَنِ السياقاتِ الّتِي أحاطَتْ بها لحظةَ إنجازِها، بَيْدَ أن التحليلَ النصيِّ يأخذُ في حُسْبَانِهِ جميعَ المعطياتِ التي تحفُّ بالنصِّ، ولا يغفلُ السياقات التي تحيطُ به، ولا ينسى المتلقي وأهميَّة دَوْرِهِ، بل يأخذُ بنظرِ الاعتبار جميعَ شركاءِ دائرةِ التواصُل، مُحَقِّقاً بذلك مَبْدَأ (التماسُك النصيِّ) الذي يُعدُّ مِنْ أهمِّ المبادئ النصيَّة، بوصفهِ الشَّرطَ الرئيس لِعَدِّ الكلامِ نصًّا، فمن خلالِ التماسُك يمكننا أن نُفَرِّقَ بين النصِّ واللانصّ. ونحنُ لِكَي نَفْهَمَ الظاهِرَةَ اللسانيَّةَ على حقيقتها وجَبَ علينا "دراسةَ اللّغةِ دِرَاسةً نصيَّة، وليسَ اجتزاءَ الجُمَل، والبحث في نماذجها، وتهميش دراسةِ المعنى، كما ظهر في اللسانيَّاتِ البلومفيلديَّة أوَّل أمرِهَا([3])، ومِنْ هُنَا فإنَّ هذهِ الرؤية اللغويَّة كانت دافعاً قويًّا لبروز اتجاهٍ لسانيٍّ مُسْتَحْدَث يهتمُّ بالْمَعْنَى اهتمامَهُ بالشكلِ، ويعنى بالمخاطَبِ عنايَتَهُ بالْمُخَاطِب، ويعتبرُ باتساق الخطاب اعتبارَهُ بانسجامه، ويضعُ لِكُلِّ ذلكَ معاييرَ نصيَّة تميِّزُ النصَّ عَنِ اللانص، كما يُركّز على مظاهر التَّمَاسُكِ الشكليِّ تركيزَهُ على التَّرابُطِ الدلاليِّ، وينظرُ إلى النصِّ نظرةً كُليَّة شاملة، بغيةَ تأويله وفهمه وإدراكهِ، وما يهُمُّ البَحْثَ هُنَا أنَّ كُلَّ هذهِ المقولاتِ النصيَّة – الّتِي عَرَضْنَا لها آنفاً – قَدْ تَجَسَّدَتْ في ثنايا الخِطَاب القُرْانِيِّ، ذلِكَ الخِطَابُ الّذِي تَتَجَلّى فيهِ بوضوح جميع ملامِحِ التَّمَاسُكِ النصيِّ، كالإحالةِ، والحذف، والفصل والوصل، والتطابُق، والتَّكْرَار، والتَّنَاسُبِ، وغَيْرِهَا، كما يَتَوَفّر عَلَى مُكوِّناتِ الخِطَاب كُلِّهَا: كالمخاطِبِ والمخاطَبِ، ومَوْضُوعِ الخِطَاب وغرضهِ، وملابساتِ الخطاب: أي مكان النزول وزمانه، وأسبابه، حَتَّى "إنَّ فَهْمَ قَصْدِ الشَّارِع في القرآن الكريم عامَّة لا يحصل على الوجهِ الأمثل إلا بمراعاةِ حال المخاطِب، والمخاطَب، وموضوع الخطاب، وغرضه، ومكان النزول وزمانه، وأسبابه، وكل ما يحيطُ بالنصِّ من ظروفٍ

---

[1] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ٩.

[2] – مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٢٧.

[3] – م.ن: ٤٢.

وملابسات"([٤]). وكلّها تُسهم في إبرازِ اتساقِ الخطابِ القرآني وانسجامه، ففي مَجَالِ التفسير وعلومه اهتم المفسِّرون بانسجامِ الخطاب على ثلاثةِ مستويات: النحو، والمعجم، والدلالة، وقد عُنِيَ في النحو بالعَطْفِ والإحَالَةِ والإشارَةِ، وفي المعجم عُنِيَ بالتكرار، وبناء السورة على حرف أو حروف، وفي الدلالة عُنِيَ بموضوع الخطاب، وتنظيمه، وترتيبه، وبالعَلاقات من حيث البيانُ والتَّفسيرُ، والإجْمَالُ والتفصيل، والعمومُ والخصوص([٥]). وإذا عُدنا إلى التراثِ اللغويّ العربيّ فإننا نجدُ العَرَبَ القُدَامَى قَدْ أَعارُوا اهتماماً مُتزايداً بدور المتكلّم وتصرفاته بحسبِ أغراضه، وبمقتضى الحال، وأحوال السَّامِعِ، وغير ذلك مِمَّا لَـهُ أَهميَّةٌ بعمليَّةِ التَّخَاطُبِ([٦])، وإنجاحهِ وإنجازِهِ، فضلاً عن تحليلهِ وتأويلهِ، ومِمَّا يجملُ ملاحظته هنا أن سيبويهِ في إصرارهِ على استعمالِ لفظةِ (كلام) بدلَ (الجملة) إصرارٌ على ترسيخِ البُعْدِ التَّداوُليِّ، وقد سلكَ البلاغيُّون مَسْلَكَهُ في هذا الأمر، فوظّفُوا (الكلامَ)، واشتغلوا عليهِ ولم يشتغِلُوا على الجملةِ التي كانت نتاجَ مُتَأخري النحاة، لأن الكلامَ لا ينحصِرُ في سلسلةٍ مِنَ الكلمات (Sequence of words) التي تستوجِبُ تحليلاً تركيبيًّاً يُصَحِّحُها أو يلحنها، ولكن على العكسِ مِنْ ذلكَ يتطلّبُ أخذ شروط إنتاجه (Conditions of production) في الحسبان([٧])، تلك الشروط التي لا تغفلُ وسائل التماسُك الشكلي والدلاليّ للمتتالياتِ الكلاميَّة المنجزة.

ومِنْ هُنَا لَمْ تكنْ هذِهِ الدِّراسةُ إلا امتداداً لجهودِ السابقين من عُلمائنا الذين تناولوا في مدوناتِهم كُلَّ ما يتعلّق بالرَّبطِ والتماسُكِ "ومِنْ أبرزِ الأمثلةِ على ذلك نظريةَ (النظم) عند عبدالقاهر الجرجاني، والدِّراسات التطبيقيَّة الوَاسِعَة لإعادةِ الصياغة عِنْدَ ابنِ الأثير، والإلحاح على أهميةِ الموقف الكلامي عند الجاحظ([٨]). فاللغةُ لا يتحدَّدُ معناها إلا في موقفها المحيط بها، وهي نسيجٌ مُتشابِك مِنَ العَلاقات السياقيَّة، ولَيْسَتْ مَجْمُوعةً مِنَ الألفاظ المعجميَّة المعزولة، وإلى ذلك أَلْمَحَ الجرجانيُّ بقولهِ: "ليس النظمُ سوى تعليقِ الكَلِم بعضها ببعض، وجعلِ بعضها بسببٍ مِنْ بعض"([٩]). فالنظامُ النحويُّ "لا يعنى بالصوت وما يرتَبِطُ بهِ مِنْ آثارٍ لغويَّة، ولا باللفظةِ الواحِدَة وما يتَّصِلُ بها، وإنَّما يهتمُّ بالكلمةِ المنسوجةِ مع الأُخرى في تركيبٍ جُمَلي"([١٠]). ويُمكننا القول "بأن علم النظم عند عبدالقاهر يُعنى بدراسةِ التبعيَّات القواعديَّة من حيثُ علاقتُها بالمفاهيم. فلم يكن عبدالقاهر مهتماً بدراسةِ معاني الكلماتِ المفردة في ذاتها، وإنما صرفَ اهتمامَهُ إلى دراسةِ العَلاقاتِ المتصلة بالمفاهيم بَيْنَ تلك الكلمات"([١١])، التي تترابط فيما بينها بعلاقاتٍ نسيجيَّة تعطي المعنى الكلي للنصّ.

وَهُنَاكَ مِنَ البَاحِثِيْنَ مَنْ يَذْهَبُ إلى القَوْل "إنَّ جُهودَ الغَربِيِّينَ الحثيثة في نَحْوِ النَّصِّ لَمْ تَخْرُجْ عَنْ أَرْبَعِ مَقُولاتٍ مُهِمَّة، وَرَدتْ عَنِ الْعَرَبِ في جهُودِهِمْ النَّصِيَّة، وَهِيَ: فاعليَّةُ أَدوات الرَّبْطِ في بِنَاءِ النصُوصِ وتَمَاسُكِهَا، ودِرَاسةُ الدَّلالَةِ وأَنواعها، ودِرَاسَةُ النَّصِّ ضِمْنَ إِطَارِ مَعْرِفَةِ العَالَم، وَجُزئيَّةِ التَّفْكِيرِ في النَّصِّ"([١٢]). وَرَغْمَ الْتِمَاسِ الكثيرِ مِنَ الْمُعْطَيَاتِ التاريخيَّةِ لِهذا الْمَنْهَجِ في إِرْثِنَا اللّغويِّ إلاّ أَنَّ "لِسَانيَّاتِ النَّصَّ كَمَا يُعْرَف في المغرب الكبير، أَوْ (عِلْمُ لُغةِ النَّصِّ) كَمَا تَصِفُهُ المشارقة – هِيَ عِلْمٌ نَاشِئ، وَحَقْلٌ مَعْرِفِيٌّ جَديد تكوَّنَ بالتَّدريج في السبعينيَّات مِنَ القَرْنِ العِشْرِين، وقَدْ نَشَأَ عَلَى أَنْقَاضِ علُومٍ سَابقة لُهُ كـ(لِسَانيَّاتِ الْجُمْلَةِ)، و(اللسانياتِ النَّسَـقية)، و(الأسلوبيَّة)"([١٣]). فعلمُ لغةِ النصِّ هو فرعٌ من فروعِ اللسانياتِ العامَّة، الذي يتخذ مِنَ النصِّ وحدته اللغويَّة الكبرى

---

[٤]– دلالة السياق في القصص القرآني:٢٥.

[٥]– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٠٠ – ١١١، ٢٠٥.

[٦]– التحليل العلمي للنصوص بين علم الدلالة وعلم الأسلوب والبلاغة العربية: ٢٨.

[٧]– الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: ٢٧٧.

[٨]– مدخل إلى علم لغة النص: ١٧.

[٩]– دلائل الإعجاز: ٧.

[١٠]– الدلالة الزمنيَّة في الجملةِ العربيَّة: ٢٩.

[١١]– مدخل إلى علم لغة النص: ١٧.

[١٢]– نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى: ٩٦، ٩٧.

[١٣]– المنهج السياقي ودوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ: ٢.

للتحليل بعكسِ الجملة الذي يعدُّ الجملةَ وحدته الكبرى للتحليل([١٤])، ويبيّن جوانِبَ عديدة فيه، منها: التَّمَاسُكُ والتَّرابطُ وأنواعه وأدواته، والإحالة وأنواعها، والسياق النَّصيِّ، ودور المشاركين في النصِّ عند إنتاجه وتلقّيه"([١٥]). وعَلَيْهِ فإنَّ "لسانيَّاتِ النَّصِّ تبحثُ في ما يكونُ به الملفوظُ نصًّا، فتنظرُ مثلاً في الروابط المختلفة بَيْنَ جُمَلِ النَّصِّ، التركيبيَّة، والزمانيَّة"([١٦])، تلك الروابط التي تحقق الفهم الكلي والشامل للمتلقّي.

وإنَّ الحَاجةَ إلى هذا المنهج اللسانيِّ إنما جاءت "لصعوبةِ تطبيقِ الكثيرِ مِنَ الدِّراساتِ الجديدة على الْجُمْلَةِ، فجعلت بعض الباحثين ينادون بضرورةِ توسيعِ مجالِ الدراسةِ مِنَ (لسانياتِ الجملة) إلى (لسانياتِ النصِّ)، فكانت نهاية الستينيَّات مرحلةً جديدة لظهورِ هذا التحوُّل الكبير – معرفيّاً وإجرائيّاً – الذي أدَّى إلى بروزِ تيارٍ جديد جعلَ من النصِّ مادَّته الأساسيَّة، اصطلح عليه في البداية بـ(نحو النص)، وكان هدفُهُ الأَسَاسُ بَلْوَرَةَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ القوانينِ والقواعِدِ تُسَهِّلُ عَلَى المتلقِّي التَّعَامُلَ مع النُّصوصِ وِفْقَ رؤيةٍ شُمُوليَّة تنظرُ إلى النُّصُوصِ عَلَى أَنَّهَا شَبَكَةٌ مِنَ العَلاقَاتِ النَّحْوِيَّة، والدَّلاليَّة، والتَّداوليّة تُسهم كلّها في إنجاز النصِّ وتحقيقه"([١٧])، فضلاً عن تفسيره وتأويلهِ على الشكل الأمثل، وعليه فإنَّ "علمَ اللغةِ ليس ممكناً إلاّ بوصفهِ علم لغةٍ للنصِّ، أي إنَّ كُلَّ بحثٍ لغويّ يجب أن ينطلِقَ مِنَ النصِّ بوصفهِ إطاراً للوصفِ"([١٨])، وإلا فإنَّ الدراسة ستكون قاصرة عن أداء وظيفتها بصورةٍ تكامُليَّة، وبناءً عليهِ فَقَدْ "لاحَظَ بَعْضُ الدَّارسِيْنَ مِنْ قصورِ مُختلَفِ الأجهزَةِ النّظريّةِ القائمَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ عَنِ احتواءِ بَعْضِ الظّوَاهِرِ اللغويَّةِ، وتفسيرِهَا، ومِنْ هذِهِ الظّواهِرِ قضيَّةُ الإِحَالَةِ(*)، وعلاقة السؤال بالجواب، وغيرها مما لا يمكن أن يُدرَكَ إلا بتجاوزِ نطاق الجملةِ الواحِدة"([١٩]). ويمكننا في نحو النصِّ أن نجدَ تفسيراً مُقنعاً لكثيرٍ مِمَّا يُوصَف بالشذوذ، أو الضَّرورة في قواعِدِ اللغة، كما أن كثيراً مِنَ الظواهِرِ التي تستعصي على الوَصْفِ في اللسانيَّات المعاصِرة يمكن أن تعالَج أو تُصَاغَ بطريقةٍ أفضل، إذا وُصِفَت مِنْ جهةِ العَلاقاتِ القائمة بينَ الجُمَل في نصٍّ يتصفُ بالتماسُك([٢٠]). ومن هنا فالنظرية النصيَّة "تُعنى بوصفِ البنية الكليَّة للنصّ، وتحليلها، وبيان علاقاتها – دون الاقتصار على دراسةِ الجملة فقط كما هو مألوف في النحو العادي – مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد والتتابع اللغويَّة النصيَّة الّتِي تُحَقِّقُ تَمَاسُكَ النَّصِّ، وتَنَاسُقَهُ"([٢١]). وهذا المفهوم قريبٌ مِنْ فِكْرَةِ "(الوَحْدَةِ العُضْوِيَّة) الّتِي يَبْدُو العَمَلُ في إِطَارِهَا كُلاً وَاحِدًا، مُتَنَاغِمَ الأَجْزَاءِ، مُؤْتَلِفَ العَنَاصِرِ، وتكون دِرَاسَتُهُ شَامِلَةً تعنى بشتَّى العَنَاصِرِ الّتِي تُنَظِّمُ وَحْدَاتِهِ، وتُؤَلِّفُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ، مِنْ أَجْلِ تكوين الْمَعْنَى الكُلِيِّ الْمُوَحَّد"([٢٢])، وهذا المعنى الكُليِّ والشامِل يُسَهِّلُ عمليَّة الفهمِ والإدراك.

وبناءً على هذه الصُوَر فإنَّ اللسانيينَ يُصِرُّون على وَحْدَةِ النصِّ وتماسُكِهِ، وهذا ما يُمْكِنُ تسميتهُ بالنظرةِ الكليَّةِ للنَّصِّ، الّذِي يقومُ على مبدأ (التَّمَاسُكِ) المتمثِّلِ في الخاصيَّةِ الدلاليَّةِ الجامِعَةِ للخطاب، بفضلِ جـُمْـلةٍ مِنَ الوسائِلِ والأدوات، التي يعنى (التحليلُ اللسانيِّ النصيِّ) – في ضوءِ نحوِ النصوص – بتحديدها وتوصيفها، مِنْ خلال نظرةٍ شمولية، تتجاوزُ نظرةَ التحليلِ النحويِّ التقليديِّ، والأسلوبيَّة، وعليه سيكون مِنْ مهام (نحوِ النصِّ) دراسةُ الخواصِّ التي تؤدِّي إلى (تماسُك النصِّ)، والمكوِّنات المنظِّمة

---

[١٤]– الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٢٥.

[١٥]– الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني: ٤٥.

[١٦]– نسيجُ النص: ١٨.

[١٧]– إرهاصات البحث النصي: ٤٢.

[١٨]– أساسيات علم لغة النص: ١٣٣.

* فالجملة التي يبحثُ فيها (نحو الجملة) هي جملةٌ تكتفي بنفسها في إبرازِ تعالُقِ عناصِرِها، وإيضاحِ المعاني النحويَّة (الوظائف)، لهـذه العناصِـر، وأن لـيس للمقامِ الخارجيِّ (أي في خارجِ الملفوظِ أو المكتوب)، الذي به تكون وظيفة النصِّ الاتصاليَّة (الوظيفة الاجتماعيَّة للغة)، أثرٌ في تفسيرِ هذه الجملـة، ولا في بيانِ وظائِفِ عناصِرِهَا. قضايا التشكيل في الدرس اللغوي – في اللسان العربي: ٣٥١–٣٥٢.

[١٩]– أصول تحليل الخطاب:٦٨.

[٢٠]– الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٣٣.

[٢١]– مدخل إلى علم اللغة النصي، لولفجانج هاينه، ص١١، وعلم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، ص٥٢.

[٢٢]– أدبية النص.. محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي:١٤٩–١٥٠.

لنماذجه النصيَّة، التي – رُبَّما – تكون مبعثرةً، وغيرُ خاضعةٍ لمنطقِ التنظيم النحويِّ المألوف، ويجبُ حينَها على المُحَلِّلِ استكشاف الخيوط الرَّابطة بَيْنَهَا، ليُشكِّل مِنْهَا نسيجاً مُتَمَيِّزاً، وهذا ما يُعطي أهميةً كُبْرى للرابط الـمُضْمَر، أَوِ المعنويِّ، في مُقابل الروابط التقليدية، الّتي تظهر على مُسْتَوى (التَّشكيلِ السطحيِّ)(٢٣)، وعليهِ فإنَّ العَلاقاتِ الرابطة بين المتتالياتِ اللغويَّة إنما تسهمُ في تحقيقِ انسجامِ النصِّ فضلاً عَنْ اتِّساقِهِ.

ومِنَ الأهميَّةِ بمكان أن نؤرِّخَ للإرْهَاصَاتِ الأَوَّلِيَّةِ الّتي بشّرت بظهورِ البَحْثِ النَّصيِّ لِكَي تكون الصُّورَةُ واضحةً لِمَنْ أَرَادَ التَّصَدِّي لِدِرَاسَةِ هذا الْمَنْهَجِ اللِّسَانيِّ، فَعِلْمُ لُغَةِ النَّصِّ كان امتداداً طبيعيًّاً لنحوِ الْجُمْلَةِ، ففي الوَقْتِ الّذِي كان اهتمامُ اللغويين ينصبُّ على الْجُمْلَةِ المفردة، وتقعيدها، وتحليلها، وتصنيفها، كتبَ (ز.هاريس/Z. Harris) بحثاً بعنوان (تحليل الخطاب/ discours analysis) وقد نشرَهُ في سنةِ ١٩٥٢م في مجلةِ Languages. وهُوَ بذلِكَ يُعَدُّ أَوَّلَ لِسَانِيّ جَعَلَ الخِطَابَ مَوْضُوعاً شرعيًّاً للدَّرْسِ اللسانيِّ، وقدَّمَ مَنْهَجاً لتَّحْلِيلِ الخِطَابِ الْمُتَرَابِطِ، واهتمَّ بتوزيعِ العَنَاصِرِ اللغويَّةِ في النُّصُوص، والرَّوابِطِ بَيْنَ النَّصِّ، وسياقِهِ الاجتماعيِّ(٢٤). وهُوَ أَوَّلُ لُغَويٍّ حَاوَلَ – في تحليلهِ الخطابَ – توسيعَ حدودِ موضوعِ البحث اللسانيِّ، بجعلهِ يتعدَّى الْجُمْلَةَ إلى الخِطَاب، والرَّبْط بَيْنَ اللغةِ والموقفِ الاجتماعيِّ(٢٥). وقَدْ مَثَّلَتْ هذهِ المحاولةُ فاصِلةً معرفيَّة مع "جُلِّ الأنحاءِ التي كانت تعدُّ الجملةَ أقصى مستوياتِ التركيب، وبالتالي أكبر الكياناتِ اللغويَّة"(٢٦). كَمَا أَسْهَمَت في بروزِ اتجاهٍ جديد يَجْعَلُ الخِطَابَ مَوْضُوعاً للتَّحليلِ اللسانيِّ، وبناءً على ذلك "تـمَّ تجاوز القاعدة الّتِي وَضَعَها بلومفيلد (Bloomfield)، بعدِّهِ (الْجُمْلَةَ) أَكْبَر وَحْدَةٍ قابلَةٍ للدِّراسة، وأَنَّهَا هِيَ الموضوعُ الشرعيِّ الوحيد للسانيَّاتِ على اعتبارِ أن الأشكالَ الأُخرى التي تفوقها لا يُمْكِنُ تحديدُها في إطارٍ يُمَكِّنُ مِنْ دِرَاسَتِهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ. ثُمَّ شَهِدَت اللسانيَّاتُ مُنْذ منتصفِ الستينيَّات في أوروبا ومناطق أُخْرَى مِنَ العالم توجهاً قويًّاً نحو الاعترافِ بنحوِ النصِّ بديلاً مَوْثُوقاً لنَحْوِ الْجُمْلَةِ، وفُتِحَتْ للدِّرْسِ اللسَانيِّ مَنَافِذُ كان لَهَا أَبعد الأَثر في دِرَاسَةِ اللغةِ ووظائِفِها(٢٧). وكانت نظريةُ النَّصِّ (Text) مِنْ أكبرِ الْمُحَفِّزَاتِ الدَّاعِيَةِ إلى إِعَادَةِ النَّظَرِ في مُعْطَيَاتِ الْمَدَارِسِ اللسَانيَّة الغربيَّة المختلفة التي وقفت بالنَّصِّ عِنْدَ عتبةِ الْجُمْلَةِ، وعجزت عَنِ الرَّبْطِ بَيْنَ أَبْعَادِ الظاهرة اللغويَّة سواء في ذلك التوجهات البنيويَّة – نتيجة اتخاذها البنية التركيبيَّة لِلْجُمْلَةِ الْمُنْجَزَةِ وَحْدَةً أساسيَّة للتَّحْلِيلِ الدَّلاليِّ، مبعدة بذلك كلاً مِنَ القُدْرَةِ الإنتاجيَّةِ للغة، وسياق النَّصِّ ومُلابَسَاتِهِ، والظواهِرِ الكلاميَّة ومَقَامَاتِهَا – أم التوجهات التوليديَّة التحويليَّة، الّتِي اتَّخَذت الْجُمْلَةَ المولّدة آلِيًّاً وَحْدَةً أَسَاسِيَّةً للتَّحْلِيلِ، وأَبعدت السِّيَاقَ التَّدَاوُلِيِّ واكتفت بالمتكلِّم المثالي والبنيةِ العميقة، وهُمَا عُنْصُرَانِ مُتحوِّلان لا وجودَ لهما سِوَى في حَدْسِ الدَّارسِيْنَ. وكان هذا القصورُ كافياً لتنتقلَ اللسانيَّاتُ الحديثةُ مِنَ النَّسَقِ إلى السِّيَاق، ومِنَ الْبُنيَةِ الْمُنجزةِ إلى التَّدَاوُل والاسْتِعمَال، ومِنَ الْجُمْلَةِ إلى النَّصِّ(٢٨). ويَشْهَدُ عَلَى ظهُورِ نَحْوِ النَّصِّ، أو لِسَانيَّاتِ النَّصِّ في بدايةِ الستينيَّاتِ نَشْرُ الأَعْمَالِ الْمُؤَسِّسَةِ لِهذا العِلْمِ بَيْنَ سنةِ ١٩٦٨م، وسنة ١٩٧٠م، قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ النَّصُّ مشغلاً تُخَصَّصُ لَهُ الْمُؤَلَّفَاتُ والأَعْمَالُ الجمَاعيَّةُ الضَّخْمَةُ في السَّبعينيَّات بالخصُوص(٢٩)، ولا زالتِ الأبحاثُ تتوالى إلى حدِّ هذهِ اللحظة.

وفضلاً عمَّا قدَّمهُ (هاريس) فهُنَاك دِرَاسَاتٌ مَنهجيَّةٌ أُخرى مُؤَسِّسَة لِعِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ، ومن أبرزِ هذهِ الدِّرَاسَات الرَّائِدَة هِيَ: (Some expects of texte grammer/ بَعْضُ وجُوهِ نَحْوِ النَّصِّ) الّذِي نَشَرَهُ (فان ديك/ Van. Dick) في سنةِ ١٩٧٢م، والّذِي اعْتَرَضَ فِيْهِ عَلَى النَّحْوِ التَّقليدِيِّ، ودَعَا إلى اتِّبَاعِ طُرُقٍ جَدِيدَةٍ في تَحْلِيلِ النَّصِّ، والتَّعَامُلِ مَعَ النَّصِّ عَلَى أَنَّهُ بنيةٌ

٢٣– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٣٣.

٢٤– علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق: ١/ ٢٣. وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٣٠. وأصول تحليل الخطاب: ٣٨، ومدخل إلى علم لغةِ النص.. مشكلات بناء النص:٥٤.

٢٥– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص": ١/ ٣٨. وتحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– التبئير):١٧.

٢٦– أصول تحليل الخطاب في النظريَّة النحويَّة العربيَّة: ٦٦/١.

٢٧– نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية:١٥٣.

٢٨– pargmatique linguistique. R. Euerd. P10- 12 نقلاً عن المناهج النقدية المعاصرة من البنوية إلى النظمية: ١٠.

٢٩– أصول تحليل الخطاب: ١/ ٧٩.

كُبْرَى، وَمُحَاوَلَةُ تَحْدِيدِ القَوَاعِدِ الّتِي تَحْكُمُ بُنْيَةَ الْمَعْنَى الكُلِّيِّ للنَّصِّ[٣٠]. والكتابُ الثَّانِي الّذِي احتَلَّ مَوْقِعَاً بَارِزَاً فِي حقُولِ اللسانيَّات النَّصيَّةِ هُو: (Cohesion in English/ الاتِّسَاق في الانجليزية) الّذِي نشرَهُ (هاليداي ورقية حسن) في سنة ١٩٧٦م، وقَدْ عالج فيهِ مُؤَلِّفَاهُ مَفَاهِيمَ: النَّصِّ، والنَّصيَّةِ، والاتِّسَاق، كَمَا بَحَثا مَظَاهِرَ الاتِّساق: كالإحالةِ، والاستبدال، والحذفِ، والوصلِ، والاتِّساقِ المعجميِّ. والثَّالِثُ كِتَابُ (Text and context/ النصُّ والسِّياقُ.. استقصاءُ البَحْثِ في الخِطَابِ الدَّلاليِّ والتَدَاوُلِيِّ)، لـ(فان ديك) أيضاً، وقَدْ نشرَهُ في سنةِ ١٩٧٧م، ويَرَى (فان دايك) في هذا الكِتابِ أَنَّهُ مِنَ الضَّرُوريِّ أَنْ نُمَيِّزَ بَيْنَ بِنيَةِ أَفْعَالِ الكَلامِ الفَرْدِي، والتَّركيبِ الخطِّيِّ المستقيم لِمُتوَالِيَاتِ فِعْلِ الكَلامِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُولَى، والبِنْيَةُ الكُلِيَّةُ الشَّامِلَة لِلْفِعْلِ الْمُشْتَرك الإِنْجَاز مِنْ ناحِيَةٍ ثانِيَة[٣١]، وفي ذلِكَ يُؤَكِّدُ بِقَوْلِهِ: ونحنُ نفهمُ مِنَ التَّداوليةِ الكُبرى دِرَاسةَ التَّنظيمِ الشَّامِلِ للفِعْلِ الْمُشْتَرك الإِنْجَاز، أَعني مُتوَالِيَة أَفْعَالِ الكَلام والسِّيَاق وعَلاقَتُهُمَا بِبِنْيَةِ الخِطاب"[٣٢]. والبحثُ عَنْ بِنْيَةٍ كُلِيَّةٍ شامِلةٍ لأَفعالِ الكَلامِ أَمْرٌ حتمِيٌّ، لأَنَّ مُتوالِيةَ أَفْعَالِ الكَلامِ الْمُتنوِّعَة تَكُونَ لَهَا وَظِيفَةٌ إِجْمَالِيَّةٌ وَاحِدَة[٣٣]. أَمَّا الكتابُ الرَّابع فَهُوَ: (النصُّ والخطابُ والإجرَاءِ) لـ(روبرت ديبوجراند) والذِي نشرَهُ في سنةِ ١٩٨٠م، وَكِتَابُهُ هذا يُمَثِّلُ مرحلةً مُتَقَدِّمَةً، وفيهِ يُوَضِّحُ القَضَايَا الأَسَاسِيَّةِ الّتِي عُولِجَتْ بِشَكْلٍ أَعمَق وَأَشْمل، وأَهَمُّ مَا امتَازَ بِهِ هذا الكِتَابُ أَنَّهُ بَيَّنَ أَنَّ الصِّفَةَ الْمُمَيِّزَةَ لِلنَّصِّ هِيَ اسْتِعْمَالُهُ في الاتِّصَال، وأَنَّ الخطابَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّصُوصِ ذاتِ العَلاقَةِ الْمُشْتَرَكَةِ، وبَيَّنَ مَعَايِيرَ النَّصِيَّةِ لأَيِّ نَصّ[٣٤]. أَمَّا الكتابُ الخَامِس، فَهُوَ: (Analyse discours/ تحليل الخطاب) لـ(براون ويول) والذي نشراهُ في سنة ١٩٨٣م، ويتمثّلُ الفَرقُ بَيْنَ دِرَاسَتِهِمَا وسَائِرِ الْمُقَارِبَاتِ الّتِي تَناولَتِ النَّصَّ أَوِ الخطابَ في أَنَّهُمَا عَدَّا الخطابَ مادَّةً وَمَوْضُوعَاً وغايةً، وقَدِ اخْتَزَلا وَظَائِفَ اللغةِ في وظيفتين، هُمَا: نَقْلُ الْمَعلوماتِ، والوَظيفةُ التَّفاعليَّةُ، فَالوَظِيفةُ النَّقليَّةُ تَتَمَثَّلُ في النَقْلِ الفَعَّالِ للمَعْلُومَاتِ، فَمَا يشغلُ ذِهْنَ الْمُتَكَلِّم (الكَاتِب)، هُوَ أَنْ يَجْعَلَ مَا يَقُولُهُ (يَكْتُبُهُ) وَاضِحَاً، بمعنى قابِلاً لأَنْ يَفْهَمَهُ الآخَرُون، دون عَنَاءٍ كَبِيْر ودون التباس، أَمَّا الوظيفَةُ التَّفَاعُلِيَّةُ، فتَتَمَثَّلُ في التَّفَاعُلِ اللُغَويِّ بَيْنَ فَرْدَين، أَوْ بَيْنَ مَجْمُوعِ أَفْرَادٍ قَبِيْلَةٍ لُغَوِيَّة، وهذِهِ الوظيفةُ تَكْتَسِي صِبْغَةً خَاصَّةً باعْتِبَارِ أَنَّهُ لا يَهْدِفُ مِنْ وَرَائِهَا إِلى نَقْلِ الْمَعْلُومَاتِ، وإِنَّمَا إِلى تَأْسِيسِ وتَعْزِيزِ العَلاقَاتِ الاجتمَاعيَّة، والحِفَاظِ عَلَيْهَا[٣٥]. كَمَا رَكّزَا اهتِمَامَهُمَا عَلَى الْمُتَلَقِّي لِلنَّصِّ أَكثرَ مِنْ مُنْشِئِهِ، وَجَعَلا تَأْوِيلَ الْمُتَلَقِّي لِلنَّصِّ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ انسِجَامِهِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ نصٌّ مُنْسَجِم في ذاتِهِ، ونصٌّ غَيْر مُنْسَجِم في ذاتِهِ، باستِقلالٍ عَنِ الْمُتَلَقِّي، بَلْ إِنَّ الْمُتَلَقِّي هُوَ الّذِي يَحْكُمُ عَلَى نَصٍّ أَنَّهُ مُنْسَجِم، وعَلَى آخَرَ أَنَّهُ غَير مُنْسَجِم، وَمِنْ هُنَا فإِنَّهُمَا يُرَكِّزان عَلَى انْسِجَامِ التَّاوِيْلِ، ولَيْسَ على انْسِجَامِ الخِطَابِ، وللبَرهنةِ عَلَى رَأْيِهِمَا يُقَدِّمَان نصُوصَاً تَفْتَقِرُ إِلى الرَّوَابِط الشكليَّة، ومع ذلِكَ يَسْتَطِيعُ القَارِئُ فَهْمَهَا وَتأوِيْلَها، وَعَلَيْهِ فَكُلُّ نَصٍّ قَابِلٍ لِلْفَهْمِ والتَّأْوِيْلِ فَهُوَ نَصٌّ مُنْسَجِم، والْعَكْسُ صَحِيْح[٣٦]. وهذِهِ الْمُحَاوَلاتُ والدِّرَاسَاتُ – الّتِي بَحثت عَنْ وَسَائِلِ التَحْلِيلِ الّتِي تَجَاوَزَتْ فِيْهَا إِطَارَ الجُملَةِ – جَاءَتْ بِمَفَاهِيْمَ وتَصَوُّرَاتٍ جَدِيْدَةٍ، ولَكِنْ مَا يَجْمَعُ بَيْنَهَا أَنَّهَا اسْتَنَدَتْ – بصُورَةٍ مُتَفَاوِتَة – إِلى أَرْبَعِ مَقُولاتٍ جَوْهَرِيّةٍ، وَهِيَ: الاستِعمَالُ، والتَّأثِيرُ، والتَّفَاعُل، والاتِّصَال[٣٧]، وهذهِ المقولاتِ كلّها إنما تؤدِّي إلى تحقيقِ الكلامِ وإنجاحِهِ.

وفي المجال العربيِّ والإسلاميِّ هُنَاكَ دِرَاسَاتٌ نَصيَّة مُهِمَّة، مثل كتاب: (ديناميَّة النصِّ.. تنظيرٌ وإنجاز) لِمُحَمَّد مِفْتاح الّذِي نَشَرَهُ في سنة ١٩٨٧م، وكتاب (لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب) لِمُحَمَّد خطابي الّذِي أصدَرَهُ في سنة ١٩٩١م، وكتاب (بلاغةُ الخطاب وعِلْمُ النَّصِّ) الّذِي نَشَرَهُ د.صلاح فضل في سنة ١٩٩٢م، وكتاب (عِلْمُ لُغَةِ النَّصِّ.. المفاهيم والاتجاهات) الّذي نَشَرَهُ د.سعيد حسن بحيري في سنة ١٩٩٣م، ويُعَدُّ مِنْ أهمِّ الدِّراساتِ العربيَّة التي عَالَجَتِ اللسانيَّاتِ النَّصيَّة، وكتابُ (ترويض

[٣٠]– الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني:٤٥.
[٣١]– فعل الكلام النصي:٧.
[٣٢]– النص والسياق.. استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٣٠٩.
[٣٣]– فعل الكلام النصي:٧.
[٣٤]– الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني:٤٥.
[٣٥]– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٤٨.
[٣٦]– م.ن:٥١–٥٢.
[٣٧]– الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني:٤٥.

النَّصِّ، دِراسة للتَّحليل النَّصيِّ في النقدِ المعاصر، إجراءاتٌ ومنهجيات)، للدكتور حاتم الصكر، الّذِي نَشَرَهُ في سنةِ ١٩٩٧م، وكتاب (عِلْمُ اللغةِ النَّصيِّ بَيْنَ النظريةِ والتطبيق)، للدكتور صبحي إبراهيم الفقي، الّذِي نشرهُ في ١٩٩٨م، وهُنَاك إضافَةً إلى هذهِ الدِّرَاسَاتِ دِرَاسَاتٌ أُخْرَى نُشِرَتْ عَلَى امتدادِ جُغْرَافيَّةِ العالَمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وكانت لَهَا إسْهَامَاتُهَا الجليَّة في إغناءِ النصيَّة وإثرائِهَا، حتَّى أَنَّهَا تَرَكَتْ بَصَمَاتٍ وَاضِحَةٍ في هذا الصَّرْحِ اللِّسَانيِّ الرَّائِد، ولَكِنَّ البَحْثَ يَكْتَفِي بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ، كَوْنَهُ يُمَثِّلُ نتاجاتٍ تأسيسيَّة مَهَّدَتِ السبيلَ لغيرها من دِرَاسَاتٍ أَوْ نِتَاجَات عُوَلِجَتْ هُنَا أَوْ هُنَاك.

وبناءً على كُلِّ ذلك "حدثَ تحوُّلٌ في الدراساتِ اللغويَّة المعاصرة بتجاوز دراسةِ الجمل المنعزلة إلى دراسةِ النصوصِ المعبِّرة عن اللغةِ في حالاتِ استعمالها في مواقف تواصليَّة محدَّدة"([٣٨])، مع الأخذِ بنظرِ الاعتبار الخواص التركيبيَّة، والدلاليَّة، والاتصاليَّة للنصِّ، أي "أنَّ البحثَ يتحقق بثلاثةِ مستوياتٍ أساسيَّة، وهي: المستوى النحويّ، والمستوى الدلاليّ، والمستوى التداوليّ، بمفهومهِ الواسع، ولا يجوز إطلاقاً الفصلُ بين هذه المستويات"([٣٩]). فـ(النحو) يُعْنَى بتوضيحِ الشروط المُحَدَّدة، والقواعِد التي تضمَنُ صياغة الأقوال جيِّداً، أمَّا (الدَّلالة) فتهتمُّ بالشروط التي تجعلُ هذه الأقوال مفهومةً، وقابلةً للتفسير، و(التداوليَّة اللغويَّة) تُعْنى بالعَلاقة بَيْنَ (النَّصِّ)، وعناصِرِ (الموقف التَّواصلُيِّ) المرتبطة بِهِ بشكلٍ منظّم، أي: العَلاقة بَيْنَ (النَّصِّ)، و(السِّيَاق)([٤٠]). والرَّبْطُ الْمُسْتَمِرُّ بَيْنَ بُنْيَةِ النَّصِّ، وعناصِرِ (الموقِف الاتِّصَالِيِّ) يشيرُ إلى البُعْدِ التَّدَاوُليِّ للنَّصِّ، بِمَا يؤكِّدُ أَنَّ الاسْتِعمَالَ اللُّغَوِيِّ ليسَ إبراز مَنْطُوقٍ لُغَوِيٍّ فقط، بَلْ إِنْجَازُ حَدَثٍ اجتماعيٍّ مُعَيَّن في آنٍ وَاحِد([٤١])، هذا وإن استدعاءَ الحدث الاجتماعيِّ إنما يُسهم في فهمِ الخطابِ بصورةٍ أفضل.

ولما كانتِ الخواصُ التركيبيَّة، والدلاليَّة، والاتصاليَّة للنصوص، تشكِّلُ صُلْبَ البحثِ النصيِّ، بمعنى أن البحثَ يتحقّق على مستوياتٍ ثلاثة أساسيَّة، وهِيَ: المستوى النَّحْوي، والمستوى الدلاليّ، والمستوى التداولي بالمفهوم الواسع له، دون الفصلِ بين هذه المستويات([٤٢])، كان لا بُدَّ لنا أن نقِفَ على المنهجِ التداوليِّ، وعلاقته مع المنهج النصيِّ، وعليهِ "فالعَلاقة التي تجمعُ بين علمِ لغةِ النصّ والتداوليَّة، هي أن كلتيهما نظريتان تواصليَّتان، فقد عُنِيَتِ "التداوليَّةُ بالسياقاتِ المختلفة، وأطرافِ الموقفِ التَّوَاصُلِيِّ عنايةً كبيرة. كما تعنى بالشروطِ والقواعِد اللازِمَة للملاءمة بين أفعالِ القول، ومقتضياتِ المواقِف الخاصَّة به، أي العَلاقة بَيْنَ النَّصِّ والسِّيَاق. ويُلاحَظ باستمرار تلك العَلاقة الوثيقة بين التداوليَّة، والدَّلالة، والنحو([٤٣]). فالنصُّ اللغويِّ في جُمْلَتِهِ إِنَّمَا هُوَ "نصٌّ في موقِف"، فكلُّ رسالةٍ لها قصدُها، وموقفها، وظروف تلقيها([٤٤]). والكلماتُ ليست لها معانٍ محدَّدة، ومقيَّدة، وإنما لها استعمالاتٌ، وأن هذهِ الاستعمالات تخرجُ بها من محيطِ اللغة الساكِن إلى محيطِ الكلامِ المتحرِّك، كما أن معنى الكلمة يكمُن في استخدامِهَا، أو كما يقولُ الفيلسوف الألماني (فتجنشتاين): "لا تبحثْ عَنْ الكلمةِ، بَلِ ابحثْ عَنِ استعمالها"([٤٥]). واللغةُ نفسُها هي أداةٌ لممارسةِ الفعلِ الكلاميِّ على المتلقي على أساسِ أن النصَّ كلامٌ في موقف([٤٦]). انطلاقاً مِنْ فكرةِ رَبْطِ اللغةِ بالمحيط، (فاللغةُ مُتضمنةٌ في محيط) حسب توصيف (بوهلر)([٤٧]). وَقَدْ ذهَبَ (ليتش) إلى أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ نَدَّعِي فَهْمَنَا لِلْكَلامِ مِنْ دون استحضارِ شروطِ إِنْتَاجِهِ المحيطةِ بِهِ([٤٨]). وَمِنْ هُنَا فلا يُتَصَوَّرُ قيامَ عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ دون مُشارَكةِ الأَطرَافِ المسَاهِمةِ فيها، وَلَنْ يَتَسَنَّى فَهْمُ الأَقْوَالِ وَتَأويلُها

---

[٣٨]– من لسانيات الجملة إلى علم النص:١٧.

[٣٩]– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٥٤ – ٥٥.

[٤٠]– التحليل اللساني للخطاب الشعري:٥٩. والمصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب:٤٧.

[٤١]– علم النص.. مدخل متداخل الاختصاصات:١١٨.

[٤٢]– علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٩.

[٤٣]– م.ن:٢٣، ٢٣٨.

[٤٤]– م.ن:٢٤.

[٤٥]– محاضرات في علم اللغة، كريم حسام الدين:٣٠٦. نقلاً عن علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٣٤–٣٥.

[٤٦]– المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب:٤٨.

[٤٧]– علم لغة النص.. المفاهيم والاتجاهات:١٩١.

[٤٨]– ٤٠ The principles of pragmatics: نقلاً عن المعطيات التداوليَّة في كتاب (دُرَّة التنزيل وغرَّة التأويل):١٣.

إلاّ بوَضْعِهَا في سياقِهَا التَّوَاصُلِيِّ زماناً ومكاناً[٤٩]. وَمِنْ هُنَا فَإنَّ التَّداوليّةَ تَنْظُرُ في قِيمَةِ القَوْلِ خَارِجَ العَالَمِ اللسَانيِّ، أَي: هِيَ تَنظرُ إلى البُعْدِ العَمَلِيِّ لِلقَولِ[٥٠]. وبناءً على هذِهِ المقولاتِ فإنَّ "النظريَّةَ التداوليَّةَ تسعى إلى إثباتِ العَلاقةِ المغيبة في المقاربات الأُخرى، وهي عَلاقةُ المتلفظِ بسياقهِ الكلاميِّ"[٥١]، وَهِيَ في ذلك تدعو إلى تعالُق البنيةِ اللغويَّةِ بمجالِ استعمالها، أو علاقة البنية اللغويَّة بظروفِ الاستعمال، ومن هنا فـ"التداوليَّةُ جديرةٌ أن تُسَمَّى بـ(علمِ الاستعمالِ اللغويِّ)، كونها (دراسة استعمال اللغة) في الطبقاتِ المقاميَّة المختلفة حسب أغراضِ المتكلمين، وأحوال المخاطبين عِوَضاً عن (دراسةِ اللغة) بمنحى تجريدي مُغلق، ذي إجراءات داخليَّة خالصة. فالتداوليَّة تعنى بدراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي: باعتبارها (كلاماً محدَّداً)، صادراً من (مُتكلِّم محدَّد)، ومُوجَّها إلى (مخاطب محدَّد)، بـ(لفظٍ محدَّد)، في (مقامٍ تواصليٍّ محدَّد)، لتحقيق (غرضٍ تواصليٍّ محدَّد)"[٥٢]. ويتقاطعُ (نحو النص) مع (التداوليَّة اللسانيَّة) في الموضوعِ المتمثِّل في عنايتهما بالبحثِ في كيفيَّةِ (تماسُكِ النصِّ)، لِيُحَقِّقَ غرضاً معيَّناً في التبليغ[٥٣]. وإذا انتقلنا إلى عناصر الربط المسهمة في اتساق النصوص، فمنها البسيط ومنها المركب، فمن الأولى حروف العطف، ومن الثانية أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر الإحاليَّة، والمركبات الحرفيَّة والظرفيَّة. وقد بات مِنَ المعلومِ أهمية هذه الروابط في تحقيقِ تداوليَّةِ البنى النصيَّة، في السياقاتِ المحيلة إليها. وعليهِ فالتحليلُ اللسانيِّ النصيِّ يجمعُ بالضرورة بين القواعِد التركيبيَّة، والدلاليَّة، والتداوليَّة[٥٤]، حتى أن (فان ديك) قَدْ ربطَ تماسُكَ النَّصِّ بضروبِ الروابط التداوليَّة والدلاليَّة معاً، وجعلَ التداوليَّة تربطُ أفعالَ الكلامِ بمستعمليهِ، وأمَّا الروابط الدلاليَّة، فتصلُ قضايا النَّصِّ بعضها ببعض[٥٥]، يُضَافُ إلى ذلِكَ "أَنَّ الأَقْوَالَ في مَقَامِ التَّركيبِ يَنْبَنِي بَعْضُها عَلَى مُقْتَضى صُوَرِها، لَكِنَّ الأَقْوَالِ في مَقَامِ الدَّلالةِ يَنْبَنِي بعضها عَلَى بَعْض عَلَى مُقْتَضى مَضْمُونِهَا، أَمَّا الأَقْوَالُ في مَقَامِ "التَّدَاوُلِ" فَيَنْبَنِي بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ أَسَاسَاً عَلَى مُقْتَضَى اسْتِعمَالِهَا"[٥٦]، وبِنَاءً عَلَيْهِ " فالنحو يقوم بتحليل العلاقات بين العلامات في المستوى الأفقي، وتحلل الدلالة صلة العلامات بالمدلولات والواقع، وتعنى التداولية بتوصيل دلالات العلامات"[٥٧]، ومِنْ هُنَا (فاللسانيَّاتُ التَّداوليّة)، تُعَدُّ رَافِداً مِنَ الرَّوَافِدِ الّتِي تسترفدها (لِسَانيَّاتُ النَّصِّ)، وهِيَ تسعى إلى ضَبْطِ العَمَلِيَّة التَّلَفُظِيَّة مِنْ حَيْثُ هِيَ فِعْلٌ تواصليٌّ يتحققُ في مَوْقِفٍ سِيَاقيٍّ في الفَضَاءِ الثقافيِّ والاجتماعيِّ[٥٨]. كما تحاول أن تصفَ وتشرحَ شروطَ الفَهْمِ اللغويِّ الاجتماعيِّ بَيْنَ شُرَكَاءِ دَائِرَةِ التَّوَاصُلِ في جَمَاعةٍ تَوَاصُلِيَّةٍ مُعَيَّنة[٥٩]. وَهِيَ تعنى أَسَاسَاً "بدِرَاسَةِ اللغة في المقام، أو دراسة علاقة العلامات بمستعمليها، أي دراسةُ اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازيَّة، والحواريَّة، والتَّوَاصُلِيَّة"[٦٠].

وَمِنْ هُنَا تتجَلّى لَنَا واضِحاً تلكَ العَلاقةُ الرَّابطَة بَيْنَ التّداوليّةِ التي تنظرُ إلى الفعلِ الإنجازيِّ كَكُلّ، وبَيْنَ النصيَّةِ، الّتِي تأخُذ النصَّ بوصفهِ بُنْيَةً كُلِيَّةً شَامِلَة، وبِنَاءً عَلَيْهِ فَإنَّ التداوليّةَ على غِرَارِ النصيَّةِ "قَد رَكّزتْ عَلَى مَا أهملَتهُ اللسانيَّاتُ، فإذا ركّزتِ اللسانيَّاتُ على علمِ التَرْكيبِ، وعلمِ المعاني، فإنَّ التّداوليَّة رَكّزَتْ عَلَى الجانبِ الاتِّصاليِّ، أَي: علاقَةُ الإشارَةِ بِمُسْتَخْدِمِيْهَا"[٦١].

---

[٤٩]– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٤٨–٤٩.

[٥٠]– الأسلوبية والتداولية: التجاور والتداخل:٣.

[٥١]– مدخل إلى التداولية:٧.

[٥٢]– قضايا في اللسانيات الحديثة:٦.

[٥٣]– مدخل إلى اللسانيات التداوليَّة، الجيلاني دلاش:٤٥. نقلاً عن مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٣٣.

[٥٤]– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٧٠.

[٥٥]– النصُّ والسياق.. استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:٢٩.

[٥٦]– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٣٥.

[٥٧]– م.ن:٣٥.

[٥٨]– السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية:١.

[٥٩]– التحليل اللغوي للنص.. مدخل إلى المفاهيم الأساسيَّة والمناهج:٢٥.

[٦٠]– التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر:٢.

[٦١]– دليل الناقد الأدبي:١٦٩.

وإذا كَانَ عِلْمُ التَّرْكيبِ يَهْتَمُّ بدِرَاسَةِ العَلاقَةِ بَيْنَ العَلامَاتِ في إِطَارِ الْجُمْلَةِ، وإذ كانَ عِلْمُ الدلالة ديدنهُ البحث في العَلاقة بين العلاماتِ والأشياء. فإن التداوليَّة أولت اهتمامها بالجانبِ التواصليِّ، فأخذت على عاتقها دراسة علاقة العلامات بمستعمليها، والتركيز على النصِّ (المتحرِّك)، أي معاينته أثناء أدائهِ وظيفتهِ التواصليَّة(٦٢)، فالتواصُل إنما يقومُ على استعمالِ اللغةِ في سياقاتٍ مُعيَّنة، وهذا الاستعمالُ إنما يمثلُ جوهر المنهج التداولي، أو الاتجاه التخاطُبي، وعليهِ فقد ذهبَ الدكتور محمد محمد يونس إلى ذلك بقوله إنَّ "ما يقصدُه الأصوليُّون وغيرهم بـ(الاستعمال)، هو ما نقصدُه بـ(التخاطُب)، إذ إنَّ استعمالَ اللغةِ هو التخاطُب بها، وهذا ما سوَّغ لنا ترجمةَ اسمِ العلمِ المعروفِ في اللسانيَّاتِ الغربيَّة الحديثة (Pragmatics) بـ(عِلْمِ التخاطُب)، لكون معناهُ الحرفي – كما يذكر اللسانيُّون – دراسةَ الاستعمال (The study of use). والغايةُ مِنْ عِلْمِ التخاطُب، هي: معرفةُ كَيفيَّة حصولِ التفاهُم بين المتخاطِبَيْنِ، وتشملُ مسائله كُلَ العناصِرِ التي تُسْهِمُ في إحداثِ التخاطُب، من وضعٍ، واستعمال، وقرائِنَ، وأنواعِ الدَّلالةِ المختلفة، والنظريَّات الدلاليَّة ذاتِ الصِلَة بالاستعمالِ والسياق"(٦٣). وأمَّا جوهرُ فلسفتهِ فتقومُ على التشديدِ عَلَى سِمَةِ (القصديَّة)، و(المراديَّة) في الخِطَاب، وهو ما يَؤولُ إلى القَوْلِ بأنَّ التفاهُمَ، أو التخاطُب الناجِح لا يحدثُ إلا إذا أدركَ المخاطَب مُرَادَ المخاطِب(٦٤). وأخيراً فالتَّداوليَّةُ – كما يؤكد التَّداوليُّون – تهتمُّ بكلِّ ما يتَّصِلُ بالعَمَلِ التَّخَاطُبِيِّ للوصولِ إلى المعنى، فمن هذا المنطلق يجب أن نسير في منهج يُراعي سيرورة العَمَلِ التَّخَاطُبِيِّ، فتنطلق مرحلة التخاطب بالمتكلم المخاطِب، الذي يصدرُ خطاباً يُعبِّر عن قصده، في سياق تخاطبي معين، مُوجَّه إلى مخاطَب ما ليفهم منه قصد المتكلم، ويحدث الأثرَ اللازم عنه(٦٥). ومِنْ هُنَا "فاللفظةُ في اللغةِ غير اللفظة في الخِطَاب الذي لا يريدُ المتكلِّم باستعمالها إلا معنىً يقصُدُه"(٦٦). وقد اهتمت التداوليَّة في بداية الأمر بوصف العلاقة بين العلامات ومَنْ يستخدمُها ثم أصبحت فيما بعد تُعنى بتحليلِ العلاقة بين النص ومن يستخدمه. وبعبارة أكثر إيجازاً تدرسُ التداولية العَلاقة بين النص وسياقه(٦٧)، ومن هنا تبدو العَلاقة واضحةً بين المنهجين.

وعليه فإن دراستنا هذه تعتمدُ "الأَنموذجَ الدَّلاليِّ للنَّصِّ، والأَنموذج التداوليِّ للملفوظ، والظروف المحيطة بعمليةِ التلفظ والوقائع التداوليَّة التي تحيطُ بالملفوظ. فهناك دلالةٌ سياقيَّة مفتوحة على مُتعدِّدِ المقامات، وهناك دلالةٌ لسانيَّة متعالية عن كُلِّ مقامٍ أو سياق(٦٨)، وعليهِ فإن جُمَلَ النحاة إذ تمتلكُ الصِحَّةَ القاعديَّة، فإنها تستمدُّ معناها من تركيبها. بينما تُسَخِّر جُمَلُ المتكلِّمِ التركيبَ لبناءِ جُمَلٍ يرتبطُ معناها ليس فقط في تركيبها – أي في قانون إنتاجها – ولكن بالمحيط اللغوي للخطاب كَكُلّ، مِنْ جِهَة، وبالمحيطِ غيرِ اللُغَويِّ، الّذِي ترد فيه، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى(٦٩). ويستدعي مِنَّا البَحْثُ في هذا الموضوع مُحَاولة تحديد بعض المفاهيم المفاتيح مثل: النص والخطاب، ومحاولة تبيين الفروق بينهما، وذلِكَ مِنْ أَجْلِ رَسْمِ الحدودِ الفَارِقَةِ بَيْنَ الْمُصْطَلَحَيْنِ.

النصُّ في الدائرة اللغويَّة والاصطلاحيَّة:

جاء في (لسان العرب) فيما يتعلّق بمادّة (نصَّ) جُملة مِنَ المعاني اللغويَّة، مِنْهَا:

– النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الـحديثَ يَنُصُّه نصًّا: رَفَعَهُ. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ.

– ونَصَّ الـمتاعَ نصًّا: جعلَ بعضَهُ علـى بعضٍ.

– والنصُّ: السيرُ الشديد حتَّى يستخرجَ أقصى ما عندها.

– نصَّ الرّجل نصًّا: إذ سألَهُ عن شيءٍ حتَّى يستقصيَ كل ما عنده.

– ونَصَصْتُ الرَّجُلَ: إذا استقْصَيْتَ مسألتَهُ عَنِ الشيءِ حتَّى تستخرجَ كُلَّ ما عِنْدَهُ.

٦٢– التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر:٢٠.

٦٣– علم التخاطُب الإسلامي.. دراسة لسانيَّة لمناهِج علماءِ الأصول في فهمِ النص:٨.

٦٤– م.ن:٩.

٦٥– التداوليَّة: دراسة في المنهج.. ومحاولة في التصنيف:٤.

٦٦– الحركيَّة التواصليَّة في الخطاب الصوفي.. من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين:١٨.

٦٧– علم اللغة، مدخل متداخل الاختصاصات:١١٤.

٦٨– ما الخطاب وكيف نحلله:٢٤.

٦٩– اللسانيات والدلالة.. الكلمة:٦٩.

– ونصُّ كُلِّ شيءٍ: منتهاهُ.
– والنصِّ أصلُهُ منتهى الأشياء وَمَبْلَغُ أَقْصَاها.
– ونصُّ القرآن ونصُّ السُنَّة أي ما دلَّ ظاهِرُ لَفْظِهِمَا عَلَيْهِ مِنَ الأَحكام([٧٠]).

ويمكن القولُ إنَّ "هذِهِ الْمَعَانِي كُلّهَا تعودُ إلى جامعٍ واحِد، هُوَ (الارتفاعُ)، أَوْ هُوَ (أظهرُ مكوِّناتِ الشيء)، أو (أقصاها)، وعليه يُطْلَقُ النصُّ على ما بهِ يَظْهَرُ المعنى، أي: الشَّكْلُ الصَّوْتيِّ المسموع مِنَ الكلام، أو الشكلُ المرئي مِنْهُ عِنْدَما يُتَرْجَمُ إلى المكتوب"([٧١]). ومِنْ استقراءِ الدَّلالات المتعدِّدة الواردة في المعاجم العربيَّة يمكن القول: إن الدَّلالةَ المركزيَّةَ الأساسيَّةَ للدَّال (نص) هِيَ الظهور والاكتمال في الغاية، وهِيَ تؤكد جُزْءَاً مِنَ المفهوم الّذِي أصبحَ مُتعارفاً عليهِ في النَّصِّ([٧٢]). ومِنْ ثم فإنَّ دَلالتَها اللغويَّة المباشِرة، هِيَ الّتِي غذَّت دلالتَها الاصطلاحيَّة في حَقْلِ الأصول([٧٣]) فصارَ مفهومُ (النصِّ) يحيلُ على ما لا يحتملُ إلا دلالةً واحِدَة، وبمعنى آخر ما لا يحتملُ التأويل([٧٤]). وأغلبُ الناس تفهمُ اليومَ من النصِّ أنه الكلامُ الحرفيّ المنسوب إلى مُنشئهِ بغضِّ النظر عن معناه، والارتفاع هو أصلٌ في معنى النصِّ اللغويّ، فيكثر في العربيَّة المعاصرة عباراتٌ مِنْ قبيل: (هذا كلامُهُ بالنِّصِّ)، و(نَصَّ عَلَى كذا)، و(هذا نَصُّ حَدِيثِهِ)، و(انتهى بالنَّصِّ)، و(هذا مَا سَمِعْتُهُ نَصَّاً)، بل إن رفع الكلام إلى مُنشئه الأصليّ، بصيغتهِ الأصليَّة، مفهومٌ مُتَرَسِّخٌ في العربيَّة([٧٥])، ومِنْ هنا يلتقي المعنى اللغويِّ مع جزءٍ مِنَ المفهومِ الذي استقرَّ عليهِ النصُّ، بوصفهِ مُصطلحاً لسانيَّاً مُعاصِراً ينظرُ إلى الإنجاز الكلاميِّ ككُلّ.

ومِنَ الْمُمْكِنِ الرَّبْطُ بَيْنَ مَعْنَى (النَّصِّ) كما تفهمهُ العرب الآن من أنه الصيغة الأصلية لكلام منشئه، والمعنى اللغوي، بأن النصَّ يُرفَعُ إلى منشئه، مما يُفسِّر العَلاقة المتينة بين النص وصاحبه ضمن الإطار التداولي. كما أن النصَّ لهُ بداية ونهاية تُفهَمان من بروزه وظهوره، ولا يمكن أن يدرس نصٌ ما إلا إذا كانت له بداية ونهاية. أما النسج وعَلاقتهُ بالترابط بين كلماتِ النص، فيتبيَّن مِنْ أن الترابُط أمر معروف في أي كلام، وفي أيِّ لغةٍ مِنَ اللغات، ولكن الأصل اللغوي لكلمة (نص) في اللغةِ العربيَّة، لا يؤيِّدُ رَبْطه بالنسج كما في اللاتينيَّة([٧٦])، إذ إنَّ لِكُلِّ مُصطلحٍ مِنْ هذين المصطلحين حَقْلَهُ الدلاليِّ الذي ينتمي إليهِ ويندرِجُ ضِمْنَهُ.

ومِنَ المعلوم أنَّ المراد بمصطلحِ (النصِّ) في المعرفة اللسانيَّة المعاصرة غير المراد به في تراثنا العربيِّ الإسلاميِّ، فالمعاصرون يُعرِّفونهُ بأنه مجموعةٌ مِنَ الأحداثِ الكلاميَّة ذات معنى وغرض تواصُليٍّ، تبدأ وجودها من مُرْسِل للحدثِ اللغويِّ، وتنتهي بمتلقٍ لهُ، وهي مؤهلةٌ لأن تكون خِطاباً، أي أن تُوَجَّهَ إلى شخصٍ بعينه([٧٧])، وهذا المفهومُ الذي نجدهُ اليوم هُوَ نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لذلِكَ التطور الّذِي حصلَ لهذا المصطلح، لأنه حتى الفكر اللسانيِّ الغربي لَمْ يَكُنْ يعرفُ مثل هذا المفهوم، إلاّ أنهُ مع تطورِ مستوى تفكيرهِ وتحليلهِ، تشكّلت لديهِ مثل هذهِ المفاهيم، وكم من المصطلحات والمفاهيم العربيَّة الّتِي حققت سبقاً معرفيَّاً على الصعيد اللسانيِّ، ولكنها مع ذلك لم تحظ بذلك الاحتفاءَ الذي حظيتهُ المصطلحات الغربيَّة على امتدادِ جغرافيَّةِ الوطنِ العربيِّ والإسلاميِّ.

ومِنْ هُنَا فإنَّ نظرةً إلى التراثِ اللغويِّ العربيِّ تُوَضِّحُ لنا ذلك الحضور المركزيِّ لمصطلحِ النصِّ، إلا أنَّ "أهمَّ المشكلاتِ التي تُعاني منها اللسانيَّاتُ النصيَّةُ، ناتِجَة عن كثرةِ المصطلحاتِ المتداولة، وتشعبها نتيجةَ تعدُّدِ مصادرها، وطرقِ وضعها، واختلافِ

---

[٧٠]– لسان العرب، ابن منظور (ت٦٣٠ – ٧١١هـ)، مادة نصص، ج١٤، ص١٦٢– ١٦٣. ويذكر الدكتور فيصل إبراهيم، إنه: من الطريفِ أن يُشارَ هنا إلى بعضِ الاستخداماتِ القديمة للفظِ (نص)، فهي تلتقي – في معنى الظهور – مع التعريفاتِ الحديثة لمصطلح (نص). من تلك الاستخدامات قولهم: (الواو) التي هي (نصٌّ في المعيَّة)، وقولهم: (المبتدأ)، إذا كان (نصَّاً في اليمين)، كما في (لَعَمْرُكَ لأَفْعَلَنَّ). ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٢٣٤–٢٣٥. وقضايا التشكيل في الدرس اللغوي – في اللسان العربي:٣٢٤.

[٧١]– نسيج النص.. بحثٌ في ما يكون به الملفوظ نصَّاً:١٢.

[٧٢]– الخطيئة والتكفير والخلاص.. الخطاب الشعري عند الشاعر محمد حسيب القاضي، دراسة نصانية:٥.

[٧٣]– الثقافة العربيَّة والمرجعيَّات المستعارة:١١٠.

[٧٤]– التعريفات، الشريف الجرجاني:٢٣٧.

[٧٥]– مفهوم النص (من النص إلى النصم):٦.

[٧٦]– م.ن:٤.

[٧٧]– النص والخطاب والإجراء:٣٦.

الباحثين والجامعيين في توظيفها"([٧٨])، وتعدُّدِ تعريفاتهِ بتعدُّدِ التخصصاتِ العلميَّة، وبتنوعِ الاتجاهات، والمدارسِ المختلفة، "فَمَا يتميَّزُ به البَحْثُ النَّصيِّ هُوَ صعوبتهُ، وتعدُّدُ مفاهيمهِ وإجراءاتهِ، وتنوّعُ مرجعياتهِ التأسيسيَّة التي يستقي منها مفاهيمَهُ وإجراءتِهِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ عُرْضةً للتداخُل المعرفيِّ، وهذا ما أفقدَهُ الاستقرارَ والاستقلال... ومما زادَ في صعوبةِ الموقف تعدُّدُ الأشكالِ النصيَّةِ مِمَّا أوقعَ في مأزقِ الضبطِ المعرفيِّ لمصطلحِ النصِّ الذي يمثلُ بؤرةَ الهمِّ المنهجيِّ في هذا الحقل"([٧٩]). ومن ثمَّ لم يكن غريباً أن "يكتنفَ مفهومُ النصِّ الكثيرَ مِنَ الغموض، لقلةِ ضبطِ شروطِهِ الاصطلاحيَّة، وعدم تحديد مكانتهِ ضمنَ شبكةٍ مِنَ المفاهيم المتداخلة معه"([٨٠])، حتَّى في داخلِ المنظومة اللسانيَّة الغربيَّة والأوروبيَّة.

لذا وجبَ على الباحث أن يكون على وعي بهذه الاختلافاتِ المنهجيَّة، حتى لا يقعَ في مزالقَ معرفيَّة تُضَبِّبُ عليه الرؤيَّة، وأمام هذا التَّرَاكُمِ النَّصيِّ، يجدُ الباحِثُ في هذا الفضاء اللسانيِّ الواسع، تنوعاً في الطرحِ والتنظير، وتبايناً في النهجِ والتصوُّر، وتعدُّداً في الممارسةِ والتطبيق، وعليهِ لم يكن غريباً أن نلحظ في هذا المجال توصيفاتٍ عديدة للنصِّ إلى درجة أنه لا يمكن للباحثِ حصرها، أو استقصاءها، ويمكن القولُ "إنَّ كُلَّ تعريفٍ مِنَ التعريفات المقدَّمة للنص تحيلنا – في اختلافها – إلى وجهة نظرٍ منهجيَّة خاصَّة بالباحث"([٨١])، وتعكسُ رؤاه اللسانيَّة، وخلفيَّاته المعرفيَّة، ومُنطلقاته المنهجيَّة التي ينطلقُ منها.

ورغم اعترافنا بهذه المشكلات المنهجيَّة – التي يجدُها الباحثُ في الدَّرْس النصيِّ – إلا أن ذلك لا يمنعنا من تعاطي التعريفات الأكثر تعبيراً عَنْ هذا الفرع اللسانيِّ الحديث نسبيًّا، محاولةً منَّا لتحديدِ مفهومهِ الصحيح، ومن هذه التعريفات التي تواضعنا عليها، تعريف الباحث اللساني، (فاينريش)، والّذِي حَدَّ النصَّ، بأنه "تكوين حَتْمِيٍّ يُحدِّد بَعْضَهُ بَعْضَاً، إذ تستلزمُ عناصِرَهُ بعضها بعضاً لِفَهْمِ الكُلّ"([٨٢]). ويشرحُ (محمد العبد) تعريف (فاينريش) للنَّصِّ إذ قَال: "هُوَ كليَّةٌ مُتَرَابِطَةُ الأجزاء، فالجُمَل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تُسْهِم كلُّ جملةٍ في فهمِ الجملة التي تليها فَهْماً معقولاً، كما تسهمُ الجملة التالية من ناحية أُخرى في فَهْمِ الجمل السابقة عليها فَهْماً أفضل"([٨٣]). وعليه فإن "تحليلَ النصِّ يقومُ على تسجيلِ ما يُلاحظه الدَّارس مِنْ حالاتِ الترابُط بين مكوناته، كما تهتمُّ بعلاقةِ الجزء المكوَّن بالكُلّ، ويشترطُ في الترابُط أن يكونَ ترابُطاً متجانساً"([٨٤]). ومِنْ هُنَا "فالتَّرابُطِ النصيِّ أو التماسُك النصيِّ يتمثّل في وجودِ عَلاقةٍ بينَ أجزاءِ النصِّ، أو جُمَلِ النصِّ أو فقراتهِ، لفظيَّة أو معنويَّة، وكِلاهُمَا يُؤدِّي دوراً تفسيريًّا"([٨٥])، يعملُ على تسهيلِ عمليَّةِ الفَهْمِ والإدراك.

ويكادُ النصيُّون يُجمعون على خاصيَّةِ التجانُس والانسجام والتماسُك، ويظهرُ لنا ذلك بوضوح من خلالِ تعريفاتهم، فاللغويُّ الألمانيّ (هارالد وينريتش) يُعَرِّفُ النَّصَّ، بأَنه "كلٌّ يشتملُ على عددٍ مِنَ العناصِرِ التي ترتبطُ فيما بينها بعَلاقةٍ تبعيَّةٍ مُتبادلة، وتأتي هذه العناصِرِ متتابِعَة في نظامٍ مُنسجم، تسهمُ كلُّ قطعةٍ نصيَّة فيهِ في توضيحِ القطعةِ التي تليها، وتسهمُ هذه الأخيرة بدورها في توضيحِ سابقتها"([٨٦]). أمَّا (ج.م.آدام) فَقَدْ عَرَّفَهُ في كتابهِ (مبادئ اللسانيَّات النصيَّة) بأنهُ "إنتاجٌ مترابِطٌ ومُتسقٌ ومُنسجم، وليسَ رَصْفاً اعتباطيًّا للكلماتِ والجملِ، وأشباهِ الجمل، والأعمالِ اللغويَّة"([٨٧]). أمَّا النصُّ عند (هلبش) فهو: "تتابعٌ مُتَمَاسِك مِنَ

---

[٧٨]– المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية:٣.

[٧٩]– المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص:٢٣. وعلم لغة النص.. المفاهيم والإجراءات:٩.

[٨٠]– مفهوم النص: من الحقيقة المجرَّدة إلى الحقيقة الممكنة:٦.

[٨١]– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٢٥.

[٨٢]– علم لغة النص.. المفاهيم والاتجاهات:١٠٨.

[٨٣]– اللغة والإبداع الأدبي:٣٦.

[٨٤]– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحويَّة العربيَّة تأسيس نحو النص: ١/ ٢٨.

[٨٥]– نحو النص.. اتجاه جديد في الدراسات النحوية:٩٨.

[٨٦]– مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه:٧٠.

[٨٧]– J.M.Adam. Element linguistic textually,P112، ونحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسيَّة:٨. ومدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:١٨.

الوحداتِ النصيَّة"([88]). أمَّا (بول ريكور) فيرى أن النصَّ "هو كُلُّ خطابٍ مثبت بواسطةِ الكتابة، وعَنْ طريقِ المظهر الكتابيِّ، يختلفُ النصُّ عَنِ الكلام، باعتبارِ أن الكتابةَ مُؤسسةٌ لاحقةٌ للكلام"([89]). وهنا تركيزٌ على "الجانب الخطيِّ أو (الگرافي) للنص، أي: كما يتجسَّدُ ماديًّا، ويُصبح قابلاً للقراءة"([90]). كما يُعَرَّف بأنه: "فعالية كتابيَّة، ينضوي تحتها كلٌّ مِنَ المؤلِف الباث، والقارئ المتلقي، وبنتيجةِ التواصُل، والمشاركة اللذين بينهما يكون (النصُّ) جزءاً من – كلامٍ مُـمَوْضَع – في منظورٍ كلاميٍّ مُعيَّن"([91]). وعليهِ فقد عرَّفه (كولنج) بأنه "موضوعٌ رمزيٌّ – علائقيٌّ، تغلبُ عليهِ السِّمة الكلاميَّة، ذو شكلٍ مكتوب يدويًّا، أو مطبوع في شكلٍ، أو هيئةٍ ماديَّة"([92])، وإذا كان النصُّ أثراً للغةِ، وشكلاً مِنْ أشكالِهَا المرتبط ببعضِ استخداماتِ الكلام، فينبغي بذلكَ أن يكونَ مفهومه الأساسيِّ أنه وسيلةٌ لنقلِ الأفكارِ بين المتخاطبين([93]). ومِنْ أبرزِ تعريفاتِ النصِّ في العربيَّة المعاصرة هو محاولةُ (د.طه عبد الرحمن) تعريفَ النصِّ على أساسٍ منطقيٍّ بأنهُ: "كُلُّ بناءٍ يَتركّبُ مِنْ عَدَدٍ مِنَ الجمل السليمة، مرتبطة فيما بينها بعددٍ مِنَ العَلاقات"([94])، وقد يقال إن النصَّ هو الكلام التَّام الفائدة للمتلقي ذو علاقاتٍ تحقق الترابط فيه، لأن النصَّ قد لا يكون متواليات من الجمل، فقد يكون جملة واحدة، أو جملتين، أو جمل متوالية، وشرطُ التعريف أن يكون جامعاً مانعاً.

وبعد أن عرضنا جملةً مِنَ التوصيفاتِ الاصطلاحيَّة التي حاولت مقاربة النص، "نرى أن أغلبَ اللسانيين يُصرُّون على وحدةِ تماسُك النص، وهو القاسمُ المشترك لكُلِّ التعريفات التي تراهِنُ على أن النصَّ وحدةٌ مُتكامِلَة تشدُّها خاصيةُ الترابُط، حيثُ يقومُ النظام الكليِّ للنصِّ على مبدأ التماسُك المتمثل في الخاصيَّةِ الدلاليَّة الجامِعَة للخطاب"([95]). والباحثون رغم اختلافِ انتماءاتِهم العلميَّة، تكادُ تعريفاتهم أن تجتمعَ حَوْلَ أهميةِ مفهوم التماسُك بجوانبهِ المتعدِّدة النحويَّة، والدلاليَّة، والتداوليَّة في تحقيقِ النصيَّة([96])، فالترابُط النصيِّ هو السِّمَة التفاعُليَّة المميِّزة للنصّ([97])، وعليه فإن التعريفاتِ السابقة قد أكّدت أهمية الترابُط النسيجي في بناءِ النصِّ، إلا أن هناك تعريفاتٌ تؤكِّدُ على البُعْدِ التواصُلي، بوصفهِ المعيارَ الأبرز لتحديدِ مفهوم النصِّ، وتجمعُ على أنه "نسيجٌ تواصليّ، إطارهُ النظمُ، وأداتهُ اللغة، وهي ظاهرةٌ اجتماعيَّة تتشابكُ فيها كلُّ القيمِ والأبعاد الحضاريَّة"([98]). ويظهرُ لنا ذلك واضحاً من خلال تعريفاتِ العديدِ مِنَ اللسانيين الذين عرَّفوا النصَّ، وحدَّدوهُ، فالباحثُ اللسانيِّ (شميت) قد حدَّ النصِّ بأنه "كلُّ تكوينٍ لُغَوي منطوق من فعل اتصالي، محدَّد من جهةِ المضمون، ويؤدِّي وظيفة اتصاليَّة يمكن إيضاحُها، أي يحقِّق قدرة إنجازيَّة جليَّة، ومن خلال وظيفة إنجازيَّة يقصدُها المتحدِّث، ويُدركها شركاؤهُ في الاتصال، وتتحقّق في موقف اتصالي ما، حيث يتحوَّل المنطوق اللغوي إلى نصٍّ مُتماسِك يؤدِّي وظيفةً اجتماعيَّة واتصاليَّة بنجاح"([99]). وعليهِ "فالنصُّ أيُّ نصٍّ – هو في الحقيقةِ – وحدةٌ إنجازيَّة، ووحدة مضمونيَّة، تُحَدَّد بعلاماتٍ تنظيميَّة سياقيَّة"([100]). والنصُّ عند الباحثة (جوليا كريستيفا)، هو: "جهازٌ عبر لساني(*) يعيدُ توزيعَ نظامِ اللسان عن طريق ربطهِ بالكلام التواصليِّ، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة

---

[88]– مدخل إلى علم لغةِ النص.. مشكلات بناء النص:٥٤.

[89]– مفهوم النص والخطاب:٨.

[90]– انفتاح النص الروائي.. النص والسياق:٢٨.

[91]– النصُّ والأسلوبيَّة بين النظرية والتطبيق:١٧ – ١٨.

[92]– الموسوعة اللغويَّة: ١/ ٢٠٧.

[93]– لسانيات النص.. النظريَّة والتطبيق.. مقامات الهمذاني أنموذجاً:٢٠.

[94]– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:٣٥.

[95]– مقاربة نحو النص في تحليل النصوص: قراءة في وسائل السبك النصيّ:٥.

[96]– مظاهر الكتابيَّة والنصيَّة في مقاماتِ الحريري:٢.

[97]– من النص إلى النص المترابط.. مدخل إلى جماليَّات الإبداع التفاعلي:١٢٧.

[98]– المناهج النقدية المعاصرة من البنوية إلى النظمية:١.

[99]– علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٧٦.

[100]– نظريَّة النصِّ بين النظريَّة والتطبيق:٥٢٥.

* إن قولها: عبر لساني أو عبر لغوي يعني يتعدَّى اللغة إلى رموز وعلاماتٍ أخرى.

والمعاصرة"([101]). ويذهبُ "هاليداي" في كتابه (اللغة كسيميوطيقا اجتماعيَّة) إلى "أن النصَّ شكلٌ لسانيٌ للتفاعُلِ الاجتماعيّ"([102]). وهو وحدةٌ دلالية تمثِّل اللغة في التواصُل، وقد يكون كلمة، أو جملة، أو عدّة جُمَل، أو قصَّة، أو عمل أدبي([103]). ويُعَدُّ (هاليداي) النصَّ بأنه "عمليةَ تفاعُلٍ في واقعهِ الاجتماعيِّ، يتمُّ بواسطتها تبادُل المعاني"([104]). فالنصُّ إذاً هُوَ نِشاطٌ لُغَويٌ قَصْدِيٌّ تَفَاعُلِيٌّ، يُستَعمَل لأغراضٍ اجتماعيَّة، لارتباطِهِ بشركاء الاتِّصَال، ويُنْجِزُهُ مُتَكَلِّمٌ لأهداف تواصُلِيَّة إقناعيَّة مُعَيَّنَة([105])، وفي سياق تاريخيّ معيَّن.

ومُحَصِّلة ما تقدَّم من كلام هي أن "علم لغة النصّ أصبح واضح الملامِح والقَسَمات، وتبنَّى لنفسهِ معاييرَ تأسيسيَّة تميِّز النصّ مِنْ غيره مِنَ المنطوقات، ومعايير تنظيميَّة تناقِش جودة النصّ، وفعاليته، وملاءمته للمقام"([106]). وقد حدَّد ديبوغراند، ودريسلر معايير النصانية (textuality) التي لم تستوفها أطروحات هاريس والتوليديين، لأنها لم تستطع أن تحدِّد موقفاً مُحَدَّداً من النصوص غير النحوية، واختلاف الأساليب داخل النصوص، وقد عرَّفا النصَّ، بأنه: "حدثٌ تواصليٌّ، يُلزم لكونهِ نصّاً أن تتوفرَ لهُ سبعةُ معايير للنصيَّة مُجتمعة، ويزولُ عنهُ هذا الوصف إذا تخلّفَ واحدٌ مِنْ هذهِ المعايير([107]). فهذه المعايير تُعَدُّ مِنَ الشروطِ العامَّة التي من خلالها يمكن أن نصفَ تكويناً لغويّاً ما بأنَّهُ نص([108]). وأهمُّ هذهِ المبادئ النصانيَّة التي لا غنى عنها لتوافُر صفةِ النصيَّةِ في تشكيلةٍ لغويَّة ما، هي([109]):

١- الاتساق (cohesion)(*): هُوَ الترابُط الرّصفي(**) القائِم على التشكيلِ النحويِّ للجُمَل والعبارات، وهو التماسُك الشديد بين الأجزاء المشكّلة للنصّ([110])، وما يتعلّقُ بهِ من حذفٍ، وإضافة، وربطٍ، وإحالة. ويمثِّلُ الطريقة التي يتمُّ بها ربط الأفكار في ظاهر النص، أو الإجراءات المستعملة في توفيرِ الترابُط بين العناصرِ السطحيَّة للنصِّ، كبناءِ العباراتِ، والجُمَلِ، واستعمالِ الضمائر([111])، ومن هنا فالاتساق يدخلُ ضمن إطارٍ أوسع يُطلق عليهِ بشكلٍ عام (الترابُط النصيِّ)، الذي أصبح مُصطلحاً محوريّاً في مجالِ دراساتِ تحليل الخطاب([112])، ويُعَدُّ الاتساق من أهمِّ العناصِرِ التي تحقِّقُ نصيَّة النص، وهو يُؤدِّي إلى ربطِ أجزاءِ النصِّ بعضها ببعض بِعَلاقاتٍ معيَّنة([113]). والاتساقُ هُوَ عَلاقةٌ لفظيَّة تشملُ الافتقار، والاختصاص، والتلازُم، والمطابقة، وعَوْدُ الضمير، وغيرها. وعليهِ فالمعيار الأوَّل إنما يشيرُ إلى الرَّبْطِ الذي يتمُّ على المستوى السطحيّ للنصِّ، بواسطةِ أدواتِ الرَّبْطِ

---

[101]- انفتاح النص الروائي.. النص والسياق:١٩. وبلاغة الخطاب وعلم النص:٢٢٩.

[102]- انفتاح النص الروائي.. النص والسياق:١٨.

[103]- مقاربة حديثة لمفهوم النص كوحدة كلاميَّة:٢.

[104]- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٢٣.

[105]- النص إنتاجه وتفسيره:١٧-١٨.

[106]- مدخل إلى علم لغة النص: ٨.

[107]- نحو أجرومية للنص الشعري دراسة فى قصيدة جاهلية:١٥٤. ومدخل إلى علم لغة النص:٢٥.

[108]- التحليل اللغوي للنص:١٦٥.

[109]- النص والخطاب والإجراء:١٠٣.

* فضل أ.ياسين سرايعية ترجمة مصطلح (Cohesion) بالسبك، ومصطلح (Coherence) بالحبك، باعتبارهما أكثر تداولاً في التراث النقدي عند العرب، فقد استعملهُ الجاحظ في البيان والتبيين:٦٧، وأبو هلال العسكريِّ في الصناعتين:١٧٥. والحبك: هو التماسُك الدلالي. وترجمها د. تمام حسان بـ(الالتحام)، ينظر: النص والخطاب والإجراء:١٠٣. وفضّل د.إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، ترجمة (Cohesion) بـ(التضام)، أمَّا (Coherence) بـ(التقارن). ينظر: مدخل إلى علم لغة النص.. تطبيقات لنظريَّة روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر:١١. ولكننا نفضِّل استخدام مصطلح (الاتساق) للمعيار الأول، و(الانسجام) للمعيار الثاني، نظراً لشيوعهما في الدرسِ النصي.

** يُقْصَد بالترابط الرصفي كل نِشَاطٍ، وكل إجراءٍ غايته رَصْفُ عناصِرِ اللغةِ في ترتيبٍ نسقيٍّ مُناسِب. ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر:٣٨.

[110]- لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:١٥.

[111]- النص والخطاب والإجراء:١٠٣.

[112]- الترابط النصي بين الشعر والنثر:٣٧.

[113]- م.ن:٣٧.

(الروابط) النحويَّة، كحروفِ العطف، وأسماءِ الإشارة، والأسماءِ الموصولة، والتعريف، وطرق الوصل والفصل، والترقيم وهو ما يُعرف بـ(المؤشراتِ اللغويَّة)([١١٤]). أضف إلى ذلكَ الأبنيةِ الدَّالةِ على الزمان والمكان، "والتكرار، والألفاظ الكنائيَّة(*)، والأدوات..."([١١٥]). ولا تكمُن أهمية وسائِل الرَّبْطِ في أنها تكفل للنصِّ ترابطه فحسب، بل تيسِّرُ أيضاً للسامِع أو القارئ متابعةَ الخطابِ وفهمه([١١٦]). وعليهِ فإنَّ "مُستهلِكَ النصِّ المنطوق أو المكتوب، يعتمدُ في تفاعُله مع الكلامِ على إدراكِ الرَّوابط، وعَلاقاتِ التضام بين أجزائه، وهذا التفاعُل يقودُ إلى مَلءِ الفجواتِ التي تتخلّلُ أجزاءَ النصِّ، وتُهَيِّيء له حضورَهُ الكُلِّيّ"([١١٧])، وعليهِ فإنَّ انتفاءَ الرَّوابطِ في النصِّ الواحِد إنَّما يُؤدِّي إلى تعسير عمليَّةِ الفهمِ والإدراك وتعويقها.

٢- الانسجام (coherence): هُوَ الترابُط المفهوميِّ، أو الطريقةُ الّتي يتمُّ بها رَبْطُ الأَفكارِ داخِلَ النصِّ رَبْطاً مَنْطِقيّاً يَعْمَلُ عَلَى تنظيمِ الأحداثِ والأَعْمَالِ والْمَوضُوعَاتِ والْمَوَاقِفِ دَاخِلِ بنيةِ الخِطَابِ([١١٨]). الأمرُ الّذِي يُمْكِنُنَا مِنْ قَبُولِ مَلْفُوظَاتٍ عَلَى أَنَّهَا نصُوصٌ دَّالة، ومُنْسَجِمَة، مِنْ حَيْثُ تتابعُ مَوْضُوعَاتِهَا، وترابُطِهَا، بفَضْلِ عَلاقةٍ دَّلاليَّة مُعَيَّنة، بالرَّغْمِ مِنْ عدم عنايتها بـ(أدوات الاتساق)([١١٩]). ومن هنا فالانسجامُ يمثلُ استراتيجيَّة منطقيَّة تجعلنا ندركُ المفاهيمَ الدلاليَّة، ونتحسَّسُ العلاقاتِ الواشجةِ بينها، دون حضورِ أدواتٍ لغويَّة مجسَّدة، وعليهِ، فالانسجامُ هو "مجموعُ الآليَّاتِ والعمليَّاتِ الظاهِرَة والخفيَّة التي تجعلُ قارئَ خطابِ ما قادِرَاً على فهمهِ وتأويله"([١٢٠]). ويتحقّقُ الانسجامُ الدّلالي بربطِ المَفاهيم والعناصر الدّالّة فيما بينَها لتحقيقِ التّنسيقِ المنطقيِّ، والتّنسيقُ المنطقيّ يتحقّقُ بترابُطِ المفاهيمِ فيما بينَها السّابق باللاّحِق واللاّحِق بالسّابِق([١٢١])، نحو: السبب والغاية، والتمييز، والتخصيص، والإضافة، والحال، والاستثناء، والعدد، أضف إلى ذلك "الزمنيَّة، والظرفيَّة، وإيجاز شيء كان قد تقدَّمَ ذكرهُ، وتفصيلُ ما كان قد تقدَّم ذكرهُ موجزاً، والمقارنة، والتضمُّن"([١٢٢]). ويلخصُ المخطط الآتي أهمَّ العَلاقاتِ الدَّلالية المحَقّقة لـ(الانسجام النصي):

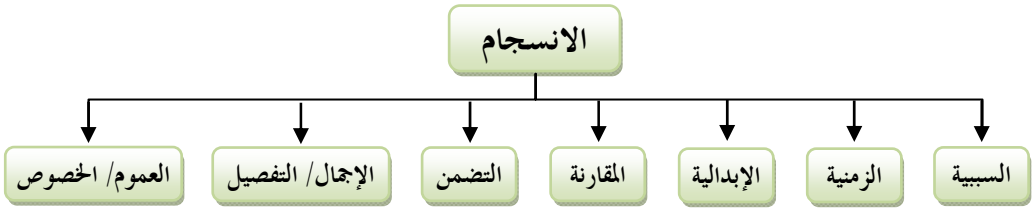

ويُمْكِنُنَا إبْرَازَ عَمَلِ هذهِ العَلاقَاتِ في مُسْتَوَى رَبْطِ الْمَعَانِي، وترتيبها ذهنياً بالأمثلة والشواهِد، ذلك أن المتكلمين والمستمعين لا يعتمدون في الفهمِ النصيِّ على مجرَّدِ ما يُقَدَّمُ لهم من معرفةٍ أوليَّة، بل يعتمدون كثيراً المخزونَ المعرفيِّ الذاكريِّ الذي تُشَكِّلُهُ الخبرة اليوميَّة، والتجارِب السابِقَة المكوِّنة لمعرفة العالم عندهم، فيكون الفهمُ حاصلَ تفاعُلٍ بين (معرفة النص)، و(معرفة العالم)([١٢٣])، الأمرُ الذي أكّدهُ (ديبوجراند) بقوله: إن الانسجامَ هو ما "يختصُّ بالاستمراريَّةِ المتحققة في عالمِ النصِّ textual world، ويعني بها الاستمراريَّة الدلاليَّة التي تتجلّى في منظومةِ المفاهيم Concepts، والعَلاقاتِ Relations الرَّابطةِ بين هذه

---

[١١٤]- المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب:٤٦.

* المقصود بالكنائيَّات الضمائر، والإشارات، والموصولات، ونحوها. ينظر: مُقَدِّمة كتاب النص والخطاب والإجراء:٣٢.

[١١٥]- النص والخطاب والإجراء:١٠٣.

[١١٦]- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه:٨٧.

[١١٧]- الأسلوبيَّة ونظريَّة النص:١٣٦.

[١١٨]- النص والخطاب والإجراء:١٠٣.

[١١٩]- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٥٠.

[١٢٠]- الاتساق والانسجام في أعمال المدرسة المغربية:٣.

[١٢١]- الاتّساق المُعجَميّ:٢.

[١٢٢]- في اللسانيَّات ونحو النص:٢١٩.

[١٢٣]- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٥١.

المفاهيم"([124])، ومن هنا فالانسجامُ – بوصفهِ معياراً نصيًّاً – إنما يبحثُ في "العَلاقةِ التصوريَّة للنصّ، أي الائتلاف الأساسي بين المفاهيم والعَلاقات"([125])، وخلاصَةُ القَوْلِ هُنَا إِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ التَّمَايُزِ الوَاضِحِ بَيْن هذين الْمُصْطَلَحَيْنِ فَإِنَّهُمَا مُتَرَابِطَانِ بَلْ وَجْهَانِ لِعُمْلَةٍ واحِدَة، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا إِنَّمَا هُوَ إِجْرَاءٌ مَنْهَجِيٌّ تَقْتَضِيْهِ شروطُ البَحْثُ والتَّنظير.

٣– القصديَّة (Intentionality): هي التعبيرُ عَنْ هدفِ النصِّ بغيةَ الوصولِ إلى غايةٍ محدَّدة([126])، وهي قَصْدُ منتجِ النصَّ نصًّاً يتمتَّعُ بالاتساق، والانسجام، وجعلهِ وسيلةً مِنْ وسائِلِ مُتابعةِ خطةٍ مُعيَّنة، لتحقيقِ هدفٍ معيَّن([127])، ويعني أن النصّ ليس بنية عشوائيَّة، وإنما هو عَمَلٌ مقصودٌ به أن يكون مُتناسِقاً ومُترابطاً، مِنْ أجلِ تحقيقِ هدفٍ معيَّن، وبمعنى آخر هو عملٌ مُخَطّط، له غايةٌ يهدفُ بلوغَها([128]). وعليهِ فإن "القَصْدَ التواصُليِّ هو ما يبتغيهِ مُتكلِّمٌ مَا بمنطوقه"([129])، ولولا القصديَّة لانقطعَ التواصُل بين المتكلِّمين، ولصارتِ اللغةُ فوضى مِنْ غيرِ نظام، ولفقدتْ نسقَها وبنيتَها، فضلاً عن ذلك فإن مدلولَ (القَصْدِ) هو جزءٌ من دلالةِ النصِّ، وليس جزءاً من دلالةِ الكلمة، ولذا، فإن أيَّ نصٍّ يخلو من (القصد) لا يَرقى إلى مرتبةِ (الخطاب)، وبالتالي لا يقوى أن يُحافظَ على انسجامهِ الداخليِّ، أو على منطقهِ الذاتيّ، وسيفقدُ في النتيجةِ توجههُ الاتصاليّ([130])، والكلامُ في اللغةِ التواصليَّة، لا يكون بجملهِ فقط، ولكن بالقَصْدِ الواصِلِ بينها، والذي يرقى بها من حالة التفكيك البنيويِّ إلى درجةِ الخطاب المتماسِك، مِمَّا يصلُح معهُ أن تكون أداةً تنقل رسالةً بين مُرسِلٍ ومتلقٍ. ومن هنا فإنَّ جُملَ النحاة إذا كانت أمثلة توضيحيَّة على الصحةِ القاعديَّة، فإنَّ جُمل المتكلِّم – في إطارِ الخطاب الذي يحتويها – هِيَ أدواتٌ تعبيريَّة بها يُفصح في استخدامهِ لها عَنْ مُراده معنىً، ومقصوده دلالةً([131])، وعليهِ فالمخاطِبُ لا يبتغي مِنْ خطابهِ – الّذِي يستعملهُ في تواصُلهِ مع متلقِّيهِ – إلاّ أن يحقِّقَ أغراضاً معيَّنة وأهدافاً محدَّدة. ولا ننسى في هذا السياق أن نذكر أن علماءَنا القُدَامى قَدْ "أَدْرَجُوا – ضِمْنَ مَفَاهِيْمِ النَّصِّ – مَفْهُومَ (القَصْدِ) وهو الغرضُ الذي يبتغيهِ المتكلِّمُ مِنَ الخطاب، و(الفائدةُ) التي يرجو إبلاغَها للمخاطَب، فلن يكون هناك (نصٌّ) ولا (خطاب) دون (قصد)، وهذا نفسهُ ما يُركِّز عليه المعاصرون حين يرفعون مِنْ شأنِ (القصديَّة/ Intentionality) في كلامِ المتكلِّم([132])، تلك القصديَّة الّتِي لم يأتِ الكلامُ إلاّ مِنْ أجلِ تحقيقها وتجسيدها.

٤– المقبولية (Acceptability)(*): ويُقصد بها مدى استجابة المتلقي للنصّ وقبوله له([133]). وهي علاقة النصِّ بالْمُتَلَقِّي، من خلال تقبله للنصِّ باعتبارهِ نصًّاً مَسْبُوكاً ومَحْبُوكاً ذا نفعٍ لهُ، وذا صلةٍ به. والمقبوليَّةُ تتضمَّن موقف مستقبِل النص إزاءَ كون صورةٍ ما مِنْ صُوَرِ اللغةِ ينبغي لها أن تكون مقبولةً مِنْ حيث هي نصٌّ ذو سَبْكٍ (اتساق) والتحام (انسجام)([134]). وهي معيارٌ مِنْ معاييرِ النصيَّة يتعلّقُ بموقفِ المتلقي الذي يُعطي انطباعاً عَنِ النص: هل النصُّ مُتماسِكٌ ومقبولٌ لديه أم لا؟([135]). والمقبوليَّة –

---

[124]– البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة:١٤١.

[125]– التحليل اللغويّ للنص.. مدخل إلى المفاهيم الأساسيَّة والمناهج:٢٨.

[126]– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٣٢.

[127]– النص والخطاب والإجراء:١٠٣.

[128]– النَّصُّ الغائب تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي:٥٠.

[129]– التحليل اللغوي للنص:١٣٣.

[130]– اللسانيات والدلالة.. الكلمة:٦٦ – ٦٧.

[131]– م.ن:٦٩.

[132]– المنهج السياقي ودوره في (فهم النص) و(تحديد دلالات الألفاظ) (٢/١) نماذج تطبيقيَّة من القرآن الكريم:٣.

* فضَّل أ. ياسين سرايعية كلمة استحسان، مقابل مصطلح Acceptability باعتبارها كلمة تراثية استعملها سيبويه عند حديثه عن الكلام المستحسن، ينظر: من لسانيات الجملة إلى علم النص:١٠٠. ومدخل إلى علم لغة النص:١١–١٢.

[133]– النص الغائب.. تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي:٥٠.

[134]– النص والخطاب والإجراء:١٠٤.

[135]– النظم وتضافر القرائن ونحو النص.. بحث في جذور النظرية وعناصر مكوناتها:٦٢.

بالمعنى الواسع – هي رغبةٌ نَشِطَة للمشاركة في الخطاب([١٣٦])، أي رغبة المتلقين في المعرفة، وصياغةِ مفاهيمَ مشتركة، وبذلكَ يُمثِّل المتلقي جانباً مُهمًّا من جوانب عمليَّة الإنتاج التي تتكوَّن مِنَ (المنتج، والنص، والمتلقي)([١٣٧]). وعَلَيْهِ فَالْمُخَاطَب (الْمُسْتَمِع / الْمُتَلَقِّي) يُعَدُّ قُطْبًا مُهِمًّا مِنْ أَقْطَابِ العمليَّةِ التَّواصُلِيَّة، فَمُرَاعَاته ومُراعَاةُ مقامِهِ، وَجَلْبُ انتباهِهِ مِمَّا يُؤثر في تركيبِ الْجُمَلِ وَحَشْرِ مُكَوناتها وِفْقَ ترتيبٍ مُعَيَّن، كما أَنَّ عَدَمَ اعْتِبَارِ الْمُخَاطَبِ قَدْ يُؤَدِّي إلى حَالَةٍ مُخَالِفَةٍ تَمَامًا لِمَا كَانَ الْمُتَكَلِّم يَروم إِلَيْهِ([١٣٨])، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ عِنَايَةَ الْمُخَاطِبِ بالْخِطَابِ هِيَ عَلَى حِسَابِ حَالِ الْمُخَاطَبِ مِنَ الإِدْرَاكِ، وَعَلَى قَدْرِ مُشَارَكَتِهِ لَهُ فِي بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ([١٣٩])، وَمِنْ هُنَا فإنَّ مَعْرِفَةَ "أَقْدَارِ الْمَنْزِلة" واجبةٌ، لأَنَّ مَدَارَ الأَمْرِ عَلَى إِفْهَامِ كُلِّ قَوْمٍ بِمِقْدَارِ طَاقَاتِهِمْ، والْحَمْلِ عَلَيْهِمْ عَلَى أَقْدَارِ مَنْـزِلَتِهِمْ([١٤٠]). وكُلُّ ذلِكَ مِنْ مَهَامِ المتكلِّم الّذِي ينبغي أَنْ يَأْخُذ بنظرِ الاعتبارِ نِشَاطَ السَّامِعِيْنَ ووجودَهُم عَلَى هيئةٍ جَسَدِيَّة وَعَقْلِيَّة تَسْمَحُ لَهُمْ بتمثّلِ مَا يُقَالُ لَهُمْ([١٤١]). وَمَا أَحْرى بِنَا أَنْ نَسْتَحْضِرَ هُنَا مَقُولَةَ الصحابيِّ عبدالله بن مَسْعُود، وَهِيَ: "حَدِّثِ النَّاسَ مَا حَدَجُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ وَأَذِنُوا لَكَ بِأَسْمَاعِهِمْ وَلَحَظُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ وإذا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فَتْرَةً فَأَمْسِكْ"([١٤٢]). وَلَعَلَّ جَلْبَ الانْتِبَاهِ هُوَ مَا جَعَلَ ابن جُنِي (ت٣٩٢هـ) يقول: "فَلَوْ كَانَ اسْتِمَاعُ الأُذْن مُغنياً عَنْ مُقَابَلَةِ العَيْنِ مُجْزِئاً عَنْهُ لَمَا تَكَلّفَ القَائِلُ ولا كَلّفَ صَاحِبَهُ الإِقْبَالَ عَلَيْهِ والإِصْغَاءَ إِلَيْهِ.. وعَلَى ذلِكَ قَالُوا: رُبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ عِبَارَةٍ، وَقَالَ لِي بَعْضُ مَشَايخنا (رَحِمَهُ الله): "أَنَا لا أُحْسِنُ أَنْ أُكَلِّمَ إِنْسَانا في الظّلْمَةِ"([١٤٣]). وفي هذهِ المقولةِ مبدأ تداوليٍّ رائد يُؤسِّسُ لقاعدةٍ تواصُلِيَّة تسبقُ عصرَها بقرونٍ مِنَ الزَّمَنْ.

٥– الموقفيَّة (Situationality): وتتعلّق بكيفيَّةِ رَبْطِ النصِّ بموقفٍ مُعيَّن([١٤٤])، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ العَوَامِل الّتِي تجعلُ النَّصَّ مُرْتبطاً بموقفٍ حاليٍّ، أو بموقفٍ يُمْكِنُ استرجاعهُ([١٤٥]). فالنَّصُّ لا يمكن فَهْمه على الوجه الأمثل بإهدار السياق الذي قيل فيه، ولهذا لم يكن غريباً أن يتجاوز النحاة العرب – في وصفِ العربيَّةِ، ورسمِ معاييرِ النظامِ النحويِّ – حدودَ (النصِّ) الذاتيَّة، ومادَّة العِبَارة (الكلاميَّة) الخالِصَة، وأن يجعلُوا (محيطَ) الحدثِ الكلاميِّ و(سياقَهُ)، و(المتغيرات الخارجيَّة) التي تكتنفُ مادَّة الكلامِ (أصلاً) في وَصْفِ الظاهرة النحويَّة وتفسيرها([١٤٦])، هذا، وإنَّ "الاهتمامَ بالموقفيَّة – لدى علماء البلاغة – إنما يتجلّى في الشعاراتِ التي لا يكادُ يخلو منها أي كتابٌ بلاغيّ، ومن بينها: (لكل مقامٍ مقال)، و(مراعاة مقتضى الحال)"([١٤٧])، "ولكلِّ كلمةٍ مع صاحبتها مقام"([١٤٨])، وأَنَّ "ارتِفَاعَ شَأْنِ الكَلامِ في الْحُسْنِ والْقَبُولِ بِمُطَابَقَتِهِ للاعْتِبَارِ الْمُنَاسِب"([١٤٩]). إذاً، فَمُطابقةُ الكلامِ لمقتضى الحال هي أساسُ البلاغة كلها، وهي التي يجب مراعاتها في الكلام حتى يُصْبِحَ بليغاً يتعدَّى مرحلة الإفهام([١٥٠]). فهناك علاقةٌ لا يمكن

---

[١٣٦] – Robet de Beaugrande & Dressler: Introduction to txet linguistics,P.132، وعلم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:٣٤.

[١٣٧] – علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:٣٤.

[١٣٨] – أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى:١١.

[١٣٩] – اللسان والميزان والتكوثر العقلي:١٥٠.

[١٤٠] – البيان والتبيين: ١/ ٩٢.

[١٤١] – التفكير البلاغي عند العرب:٢٠٩.

[١٤٢] – البيان والتبيين: ١/ ١٠٤.

[١٤٣] – الخصائص: ١/ ٢٤٧.

[١٤٤] – علم لغة النص، هاشم كاطع:٨.

[١٤٥] – النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤، والخطيئة والتكفير والخلاص.. دراسة نصانية في أعمال الشاعر محمد القاضي:١٠٢.

[١٤٦] – الصورة والصيرورة بصائر في أحوال الظاهرة النحويَّة ونظريَّة النحو العربي:١٢١.

[١٤٧] – مدخل إلى علم لغة النص:١٩.

[١٤٨] – مفتاح العلوم، للسكاكي:١٦٨–١٦٩. والإيضاح في علوم البلاغة:٢٠.

[١٤٩] – الإيضاح في علوم البلاغة:٢٠.

[١٥٠] – أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى:٨.

تجاوزها بين المقال وما يكتنفه من ظروفٍ، ومواقفَ، وسياقٍ اجتماعي([١٥١]). والعَلاقةُ بين المقام والمقال تسيرُ في اتجاهين على نحوٍ مُستمر، فكما أن (المقالَ) دليلٌ على (المقام)، فكذلك نجد المعرفة بالمقام جوهريَّة في فهمِ المقال، وتظلُّ العَلاقةُ الجدليَّة قائمةً بينهما طوال عمليَّةِ الممارسةِ اللغويَّة([١٥٢]). وبسببِ هذا الفهم الشامِل لفكرةِ (المقام) يعدُّ النصُّ (المقالَ) – منطوقاً كان أو مكتوباً – غير منبتّ عن سياقه، ومَنْ سِيْقَ له([١٥٣]). ومحصلة القولِ "إن كُلاً من المقام، والمتكلم، والمخاطب عناصر غير لغويَّة، وهي تمثلُ ضغوطاً إنجازيَّة قُصْوَى إن رُوْعِيَت، حَسُن الكلام، ونجحتِ العمليَّةُ التواصليَّة، وارتقت أعلى القمم البلاغيَّة. ولا يمكن للمعنى أن يَتَّضِحَ إلا باستحضارِ المقام الحي، والمتكلم الفَطِن، والمخاطب اليقظ"([١٥٤])، فهناك إذاً ترابطٌ جدليٌّ بَيْنَ شركاء دائرة التَّواصُلِ، فالْمُخَاطِب يَتَوَجّهُ بخطابِهِ إلى الْمُخَاطَب، الّذِي يؤوِّل بدورهِ خِطَابَهُ، بناءً على الَمَقَامِ الّذِي حَصَلَ فيهِ التَّخَاطُب.

٦- الإعلاميَّة (Informative): وهي تشتملُ على عامِلِ الجِدَّة أو اللايقين النسبي لوقائعِ النص، وهو عدمُ الجزم في الحكمِ على الوقائع النصيَّة([١٥٥]) وهي تقومُ على "مبدأ كسر معيار التوقع، الأمر الذي ركّز عليه (د.كمال أبو ديب) وسمَّاهُ "خلخلة بنية التوقعات"([١٥٦]). فالمفاجأةُ التي يُثيرها النص هي اختراق وتجاوز لما هو متوقع ومنتظر، فالمتوقع أو المنتظر لا يثير شيئاً ذا بال في وعي القارئ، بينما تثير العناصر غير المتوقعة وعي القارئ وتستنفره. وعلى هذا الأساس ارتبطت المفاجأة بعمليِّةِ التقبُّل، وهي عمليَّةٌ جعلت (ريفاتير) أن يعدَّ القارئَ مِنْ أحدِ أُسسها إلى جانب المرسل والسياق، ولذلك أصبحت المفاجأة وصفاً لردود فعل القارئ إزاء المنبهات والمثيرات الكامنة في النص، وفي ضوء هذا حدَّد (ريفاتير) السياقَ الأسلوبيِّ "على أنه نسقٌ لغويٌ يقطعهُ عنصرٌ غير متوقع"([١٥٧]). وانخفاضُ مستوى التوقع يؤدِّي إلى رفع المستوى الإعلاميّ. ولاستكمالِ الوظيفة النصيَّة لا بُدَّ أن يُشْحَنَ النصُّ بدلالاتٍ جديدة، تُلْقَى إلى المستقبل، لتحقّقِ خاصَّتهِ الإعلاميَّة، وهي مُتعلِّقة بإمكانِ توقعِ المعلومات الواردة أو عدم توقعها على سبيل الجِدَّة([١٥٨]). ويمكننا أن نلحظَ "إشاراتٍ قيِّمة إلى أهميَّةِ الإعلاميَّة – باعتبارها مقياساً لعدمِ التوقع – في كتبِ البلاغةِ والنقدِ العربيَّة، مثل فكرة (الغرابة) عند حازم القرطاجني في منهاج البلغاء، حيث يقول: "وكلما اقترنتِ الغرابة والتعجيب بالتخييل كان أبدع... والتعجيبُ يكونُ باستبداعِ ما يثيرهُ الشاعِر من لطائفِ الكلام التي يقلُّ التهدِّي إلى مثلها.."([١٥٩]).

٧- التناص (Intertextuality): مصطلحٌ مُعاصر يتألّف من جزأين: (Inter) بمعنى (داخل)، و(textual) بمعنى نصيٍّ، ويذهبُ أصحابهُ، إلى أن أيَّ نصٍّ يحتوي على نصوصٍ كثيرة تدخلُ في نسيجه([١٦٠]). وهو يتضمَّنُ العَلاقاتِ بين نصٍّ ما ونصوصٍ أُخرى مُرتبطة به، وقعت في حدودِ تجربةٍ سابقة، سواء بوساطة أم بغيرِ وساطة([١٦١]). وهو بمعنى آخر يمثلُ مجموعَ العَلاقاتِ القائمة بين نصٍّ أدبي ونصوصٍ أُخرى، أو تعالق نصوص مُتعدِّدة مع نصٍّ بكيفيَّاتٍ مُختلفة([١٦٢]). وهو يتمثلُ اختزالاً في "وجودِ عَلاقةٍ بين ملفوظين"([١٦٣])، ويدلُّ التناصُ عموماً على أن النصَّ الأدبي هُوَ عُصارةٌ مِنَ التفاعلات والتعالقات النصيَّة التي تتمُّ على المستويين: الدلاليِّ والشكليّ([١٦٤]). وعليهِ فالتناص هو التفاعُل الناشئ بين النصوص، وهو يتردد بين حدّين: أدناهما الاستدعاء الجزئي،

---

[١٥١]– أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى:٧–٨.
[١٥٢]– م.ن:٨.
[١٥٣]– اللغة العربية معناها ومبناها:٣٥١.
[١٥٤]– أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى:١٣.
[١٥٥]– النص والخطاب والإجراء:١٠٥.
[١٥٦]– جماليات المتوقع واللامتوقع: دراسة في جمالية التلقي:٧.
[١٥٧]– م.ن:٨.
[١٥٨]– النص والخطاب والإجراء:٢٤٩.
[١٥٩]– منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٩٠.
[١٦٠]– التناص ومرجعياته في نماذج من الشعر العربي المعاصر:٨.
[١٦١]– النص والخطاب والإجراء:١٠٤.
[١٦٢]– نظرية التناص في النقد العربي:٤.
[١٦٣]– التناص.. مصطلح نقدي:٤.
[١٦٤]– آليات التنـــــاص:٢.

والاستيحاء الضمني لنصّ، أو لمجموعةٍ مِنَ النصوص، وأقصاهُما التوظيف الصريح لنصٍّ بإدراجهِ في نصٍّ آخر تضميناً، أو استنساخاً، أو اقتباساً([١٦٥])، وعليهِ فإنَّ توظيفَ نصٍ سابق في بنية نصٍّ لاحق هُوَ مِمَّا يُؤذن بتحقيقِ نصيَّةِ النصِّ.

ومِمَّا يراهُ (د.سعد مصلوح) – بعد ذكرهِ هذهِ المبادئ السبعة باقتضاب – أنه بالإمكان تقسيمُ هذه المعايير إلى ثلاثةِ أصناف: صنفٌ يتَّصِلُ بالنص، ويشملُ معياري (الاتساق والانسجام)، وصنفٌ يَتَّصِلُ بمنتجِ النصِّ ومُتلقيهِ، ويشملُ معياري (المقصديَّة والمقبوليَّة)، وصنفٌ يَتَّصِلُ بظروفِ إنتاجِ النصِّ وتلقيهِ، ويندرِجُ ضمنه (الإعلاميَّة والموقفيَّة والتناص)([١٦٦]). وعليه فإن جميع معايير النصيَّة هنا هي ذاتُ سماتٍ عَلاقيَّة، تهتمُّ بكيفيَّة ارتباطِ الوقائع بعضها ببعض من خلال التبعيَّات النحويَّة في ظاهر النص (الاتساق)، ومن خلال تبعيَّاتِ المفاهيم في عالم النص (الانسجام)، ومن خلال اتجاهات المشتركين تجاه النص (القصديَّة والمقبولية)، ومن خلال استدماج الجديد وغير المتوقع فيما هو معلوم ومتوقع (الإعلاميَّة)، ومن خلال المقام (الموقفيَّة)، ومن خلال قيام صلة متبادلة للنصوص المفردة (التناص)([١٦٧]). ومن هنا يتجلّى لنا واضحاً أن هذه المعايير تُركِّز على طبيعةِ كلٍّ مِنَ النصِّ ومُستعمليهِ (المتحدث والمتلقي)، والسياق المحيط بالنصِّ والمتحدثين، وهذا التعريفُ يجمعُ في طيَّاتهِ – فيما نرى – أغلبَ مفاهيمِ النصِّ السابقة، ونميلُ إلى الأخذِ بهِ، حيث يُراعي النواحي الشكليَّة والدلاليَّة، وإن كان ينقصه مراعاة طول النص، ونحن نؤكِّد أن النصَّ ليسَ مِنَ الضروريِّ أن يكون ذا طولٍ مُعيَّن([١٦٨]). وأخيراً فإن (لسانيَّات النص) تعنى بدراسة النص، وإبراز مميزاته، والوقوف على اتساقه وانسجامه، والبحث عن محتواه الإبلاغيِّ التواصليِّ، وتحديدِ الكيفيَّات التي ينسجمُ بها الخطاب([١٦٩])، وتؤدِّي بالتالي إلى تجسيدِ نصيَّة النصِّ.

مفهوم الخطاب في الدائرة اللغويَّة واللسانيَّات النصيَّة:

محاولة منا لتأصيلِ مفهوم الخطاب، فإننا سنعودُ إلى ما أنتجَه الإرثُ اللغويّ العربيِّ من مُدوناتٍ مُعجميَّة، وفي صدارتها مُعجم (لسان العرب) الذي استوعبَ ما سبقه مِنَ معاجِمَ لغويَّة، ففي مادة (خطب) نلحظُ اشتقاقاتٍ عديدة تتمثلُ في: "... الخَطْب: الأمرُ الذي تقعُ فيه المخاطبةُ، والشأنُ والحال (...) والخِطابُ والمخاطبةُ: مراجعةُ الكلامِ، وقد خاطبَهُ بالكلامِ مُخَاطَبَةً وخِطَاباً، وهُمَا يَتَخَاطَبان. والخطبةُ اسمٌ للكلامِ الذي يتكلّمُ به الخطيب، والخطبةُ عِنْدَ العَرَب: الكلامُ المَنْثُور المُسَجَّع، والخطبةُ، مثلُ الرِّسَالةِ، التي لها أوَّلٌ وآخِر (...) والمخاطبةُ مفاعَلَةٌ مِنَ الخِطَاب والمشاورة"([١٧٠]). ومِمَّا تقدّم مِنْ كلامِ ابن منظور يُلمح أن الخطابَ أخصُّ من الكلام لا مُرادِفاً له، كما ذهب إليه بعض المعاصرين([١٧١])، فإن ابن منظور فسَّر الخطابَ بـ(مُراجعةِ الكلام)، أو (الكلام) الذي يُتَكلّم بهِ بين متخاطبين، أو متكلم ومستمع، ومن ثمَّ بَيَّنَ أنَّ المخاطبة مشاركةٌ في الخطاب، فالخطابُ عند ابن منظور هو كلامٌ مخصوص ومنطوق له أوّل وآخر يُلقى بطريقةٍ مخصوصة (مشاركة بين المتكلِّم والمتلقي عموماً).

ويظهرُ مِنَ المعنى اللغويِّ لـ(الخطاب) اقتصارُ مفهومهِ على اللغةِ المنطوقةِ في حالةِ المحاورة، ويُضاف إلى ذلكَ اللغةُ المكتوبة في حالةِ المراسلة، وكأنَّ (التواصُلَ) في مفهومِ هذهِ الكلمة أمرٌ أساسيّ في تحقّقِ مَعْناها([١٧٢]). والخطابُ عند أبي البقاء الكفوي في (كُلِيَّاتهِ): "هو الكلامُ الذي يقصدُ بهِ الإفهامُ، إفهامُ مَنْ هُوَ أهلٌ للفهمِ، والكَلامُ الذي لا يُقْصَد به إفهامُ المستمع، فإنه لا يُسَمَّى خِطَاباً"([١٧٣]). وهو المعنى نفسُه الذي نجدهُ عند التهانوي في (كشَّافِ اصطلاحاتهِ) حين عرَّف الخِطاب بأنهُ "توجيهِ الكلام نحو الغير

---

[١٦٥]– مفهوم التناص:٣.

[١٦٦]– نحو النص.. اتجاه جديد في الدَّرس النحويّ:٧٦. والمصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص:١٤٢.

[١٦٧]– مدخل إلى علم لغة النص:٦١.

[١٦٨]– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٣٤.

[١٦٩]– تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر:٤٩٥.

[١٧٠]– لسان العرب، مادة (خطب): ٤/ ١٣٤–١٣٥.

[١٧١]– حد الخطاب بين النسقية والوظيفية:٢.

[١٧٢]– إشكالات النص.. دراسة لسانيَّة نصيَّة:٣٣.

[١٧٣]– الكليَّات.. مُعجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة:٤١٩.

للإفهام"([174]). وقد يُعبَّر عنه بما يقعُ به التخاطُب([175]). فالتهانويُّ يميِّزُ في الخطاب بين فعلِ توجيهِ الكلام وبين الكلام ذاته، أي بين لحظةِ إنتاج الذات للكلام الموجَّه للآخر وبين حدثِ الكلام، مع التركيز في المعنيين معاً على ضرورةِ وجود طرف آخر يحتاج إلى الفهم. ومنه فدورُ الخطاب هو الإفهام، وبدون وجود شريكين – أو أكثر – لهما الرغبة في التواصل فلا وجود للخطاب. وحاصلُ الأمر أن كلمةَ (خطاب) في المعاجِم العربية تحملُ دلالاتٍ مُتعدِّدة، فالخطابُ قد يكون الكلام أو فعل توجيه الكلام، وهو مُحَدَّد في الحيِّز الزمنيِّ بنقطةِ بدايةٍ وبنقطةِ انتهاء، مع اشتراطِ وجود شخصين أو أكثر يتفاعلان (ون) فيما بينهما (هم) بهدف تحقيقِ الإفهام أو الإقناع أو هما معاً([176]). ومن هنا "فالخطابُ لا يتم إلا بين شخصين فما فوق، لأن الكلام لا يتم إلا به، وأن التواصل لا يتحقق إلا بوجوده، وقد أشار القاضي عبد الجبار إلى أن المخاطبة مفاعلة، ولا تستعمل إلا بين نفسين يصح لكل واحدٍ منهما أن يخاطب ابتداءً، ويجيب صاحبه عن خطابه"([177])، ومِنْ هُنَا فلا خِطَاب دون مُخاطِب، ولا مخاطَبَة دون مُخَاطَب.

من هذه التوصيفات نستنتجُ أن التراثَ العربيَّ تحسَّسَ أهميةَ الخطاب، والدور التداوليِّ الذي يعدُّ أهمَّ شروطِهِ، مثلما نجدُ أُسسَ النظريَّات اللسانيَّة كامنةً فيه([178]). فالمعاجِمُ العربيَّة أشارتْ إلى وظيفةِ الخطاب الإفهاميَّة، وتحديدِ مساحتِهِ الزمنيَّة، والإلحاحِ على أهميةِ وجودِ الغير، الضروريِّ من أجلِ تحقق التفاعُل بينهُ وبين الذات([179]). فما يُحَقِّق عمليَّة التحاوُر هو التفاعُل بين المخاطِب والمخاطَب، "والمحاورةُ في حقيقتها تتميَّزُ بالتفاعُل بين المتكلِّم والسَّامِع، من حيثُ تبادُل الأدوار بينهما"([180]). والخطابُ أصلاً يقومُ على التفاعُل والتحاور بين شُرَكاءِ التواصُل، حتى أن كلمة (Discourse) في الإنكليزيَّة إنما تحيلُ إلى التحاوُر بين طرفين، وهو لفظٌ مشتق مِنَ الأصلِ اللاتيني Discoursus، أو Discourere، ويعني الحِوَار([181])، ومِنْ هُنَا فَإِنَّ مَفْهُومَ الخِطَابِ في اللغة – سواء العربية أو الأجنبية – على التلفّظِ أو القَوْلِ بَيْن طرفين: أَحدُهُمَا مُخَاطِب، وثانيهما مُخَاطَب، وقَدْ يَتَحاوَرَان في شَكْلِ حديث حرّ، فيُقال حينئذٍ: إنَّهُمَا يَتَخَاطَبَان، فيفهم أحدهُما الآخر عَنْ طريقِ البيِّنة وفَصْلِ الخِطَاب([182]). وعَلَيْهِ فإنَّ الخِطَاب يُمَثِّلُ "دائرةً كلاميَّة مُنْجَزَة مِنْ قبل طرفين: يُدعى أحدهما المخاطِب، والثاني المخاطَب، والتفاعُل اللغويِّ بينهما آيلٌ إلى إنشاءِ (الخطاب)"([183]). وهو "تواصُلٌ لغويٌّ يُفهم بوصفهِ تعامُلاً، أو صفقةً بين المتكلِّم والسَّامِع، ونِشَاطاً بيشخصيًّا Interpersonal يُحدِّد شكلَهُ مقاصُدُه الاجتماعيَّة([184]). والخطابُ عموماً يقومُ على الإيصالِ بين طرفين: أحدُهما الباثُّ وثانيهما مُتلقي الخطاب، وبين الأوَّلِ والثاني هناك رسالةٌ هدفُها الاستقرار في ذهنِ المتلقي([185]). ولا يمكن للخطاب أن يستقرَّ في الذهن إن لم يكن مُقنعاً للمتلقي، ومن هنا فقد عُرِّف الخطاب في الفكر اليوناني بأنه: كلامٌ تمَّ إنجازهُ بهدفِ الإقناع، وهذا هو مذهبُ أرسطو في تعريفِ الأسلوب([186]). والخطاب كما جاء في معجم لاروس هو: "فِعْلُ المخاطبة (أو التخاطُب)، وهو قطعة شفويَّة هدفُها (الإقناع)، وهو متوالية مِنَ الكلمات المشكلة للغة"([187]). وهو اسمٌ لِمَا يقعُ عليهِ حدثُ التخاطُب/ التلفظ، الجامع لشروطِ الإقناعِ والتأثير([188]).

---

[174]– كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٧٤٩.

[175]– م.ن: ١/ ٧٤٩.

[176]– حد الخطاب بين النسقية والوظيفية:٣.

[177]– سيميائيات التواصل وفعاليَّة الحوار.. المفاهيم والآليات:٢٢.

[178]– في الخطاب وتحليل الخطاب:٢.

[179]– حد الخطاب بين النسقية والوظيفية:٧.

[180]– نظريَّة النصِّ بين النظريَّة والتطبيق:٥٣٩.

[181]– تحليل الخطاب، (هبة):١.

[182]– مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة:١٢٤.

[183]– استثمار اللسانيات في قراءة النص الشعري:٧.

[184]– مدخل الى الخطاب (٢/١):٥.

[185]– الخطاب الأدبي وعلاقته بالحقول المعرفية:٢.

[186]– الأسلوب والأسلوبيَّة بين العَلمانيَّة والأدب الملتزم:٧٦.

[187]– Larousse de poche, librairie Larousse. P113. وحد الخطاب بين النسقية والوظيفية:٥.

[188]– الخطاب والنص.. المفهوم، العَلاقة، السلطة:١٥.

وهو نظامُ القول المؤثر والمقنع لكلِّ الأطراف، أو هو نظامُ القول العقليِّ القائِم على الحجَّة والدليل. وهو عبارة عن فنٍّ مواجهةِ الآخرين بالكلام، أو هو نظامُ صياغة الكلام المؤثر في الآخرين، وتنظيمه، والتوجُّه به إليهم بطريقةٍ معيَّنة، تجعلهُ قادِرَاً على التأثيرِ فيهم، وإقناعهم بوجهةِ النظر التي يتبنَّاها المخاطِب([189]). وإذا كان الخطابُ هو فنُّ الإقناع، فإن الإقناعَ يقتضي الوضوحَ، وقوَّةَ الدليلِ أو البرهان، وحُسْنُ الأداءِ البلاغيِّ([190])، وذلكَ مِنْ أَجلِ إنجاحِ عمليَّةِ التخاطُبِ والتَّواصُل.

ومِنْ هُنَا فإن هدف الخطاب في جميع مكوناته، هو إقناع المستمع أو القارئ من خلال استخدام الحجة المنطقيَّة المتماسكة، ومن خلال استخدام الأفكار الطويلة المنسقة ذات العَلاقات الدلالية المتشابكة. ذلك لأن الخطاب الأدبيِّ المكتوب يستعملُ دائماً جملاً نحويَّة معقدة (جملة الصلة، جملة العطف، جملة الشرط... إلخ)، وهذا ما يجعلُ الخطابَ مُترابطاً، ومُحققاً للوحدة المضغوطة. فالتحويل الشرطي بأدواته المختلفة مثلاً يوقظ – على حد تعبير الباحث اللساني النفسي جورج ميللر – في الذاكرة عنصري الاطمئنان والتنبؤ. وإن استخدام أداة الربط (إنَّ) في الخطاب المعد يؤدي وظيفة نفسيَّة أكثر منها وظيفة دلاليَّة، كما هو الأمر في الجملة التالية: "إن تنامي دور المرأة في العصر الحديث يعني تنامي المجتمع نحو الأفضل". فاستخدام أداة الربط (إنَّ) هنا يعني أن المرسِل (الخطيب) يريد أن يزيل الحيرة والشك من ذهن المتلقي([191])، ومن هنا فإن الخطابَ رغم كونه يتوسَّلُ دائماً إلى اللغة في غايتهِ، إلا أن جوهرَهُ في حقيقة الأمر ليس لغويَّاً، إذ هو مجموعة مِنَ النوايا التي تتحقّق بوساطة اللغة([192])، ومِنْ هُنَا يتوضَّحُ لنا أهميَّةُ (القصدِ) في تسييرِ عمليَّةِ التَّخاطُبِ التي يُنجزها المخاطِبُ مِنْ أجلِ تحقيقِ غرضٍ قصديٍّ مُحدَّد.

ويُقدِّم أصحاب (معجم اللسانيات) ثلاثة تحديدات للخطاب "فهو، أولاً، يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة (...)، و هو يعني ثانياً وحدة توازي أو تفوق الجملة، ويتكوَّنُ من متتالية... لها بداية ونهاية، وهو هنا مرادف للملفوظ. أما التحديد الثالث، فيتجلّى في استعمال الخطاب لِكُلِّ ملفوظٍ يتعدَّى الجملة منظوراً إليهِ من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل"([193]). وفي النِّهَايَةِ يُمْكِنُنَا القَوْلُ إنَّ مُصطلحَ (الخِطَاب) يشيرُ إلى الطريقة الّتِي تُشَكِّلُ بِهَا الجُمَل نِظَامَاً مُتَتَابِعَاً تُسْهِمُ به في نَسَقٍ كُلِّي مُتغَاير ومُتَّحِدُ الْخَوَاص، وعَلَى نَحْوٍ يُمكن مَعَهُ أَنْ تَتَأَلّف الْجُمُلُ في نِظَامٍ بعينهِ لِتُشَكِّلَ نَصَّاً مُفْرَداً، أَوْ تَتَأَلّف النُّصُوص نفسُهَا في نِظَامٍ مُتَتَابِع لِتُشَكِّلَ خِطَابَاً أَوْسَع يَنْطَوِي عَلَى أَكْثر مِنْ نصٍّ مُفرَد([194])، وبمجموعِ هذهِ النصوص – الّتِي تشكّلت في نظامٍ تتابعيّ – يتحصَّلُ الفهمُ والإفهام.

الخطاب على مستوى المفهوم القرآني:

وقد وردت لفظة الخطاب ست مرات في القرآن الكريم، ثلاث مرات بصيغة المصدر، وثلاث مرات بصيغة الفعل، وقد وردت بصيغة المصدر في الآياتِ الآتية:

أ- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾([195]).

ب- ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾([196]).

ج- ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾([197]).

---

[189]- م.ن:١٢.

[190]- م.ن:١٤.

[191]- الاتجاهات اللسانيَّة المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبيَّة:١٧٦.

[192]- المصطلحات الأساسيَّة في لسانيَّات النص وتحليل الخطاب:١٥.

[193]- تحليل الخطاب الروائي:١٧- ١٨.

[194]- مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة:١٢٥.

[195]- (سورة ص: ٢٠).

[196]- (سورة ص: ٢٣).

[197]- (سورة النبأ:٣٧).

ووردت بصيغة الفعل في الآياتِ الآتية:

أ- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾([198]).

ب- ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾([199]).

ج- ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾([200]).

ويتبيَّنُ في ضوءِ التفاسير التي وضعها المفسِّرون القدماء والمحدثون للآياتِ القرآنيَّة التي ورد فيها لفظُ (الخطاب) أن المفهومَ القرآني للخطاب يُحيل على كَلامٍ مَخْصُوص بصفةٍ مُعَيَّنة، والملحوظ في هذا السياق أن مُصطلحَ الخِطَابِ شَأْنُهُ شأنُ الْمُصْطَلَحَاتِ الأُخْرَى، قَدْ تكوَّنت حولَهُ ضبابيَّة تعريفيَّة، كَوْنَهُ نُقِلَ من ثقافةٍ إلى أُخْرَى، دون أَيِّ مُراعَاةٍ لخصائصِهِ الّتِي اكتسبها مِنَ البنيةِ الثقافيَّة الأصليَّة الّتِي نَشَأَ وَتَشَكّلَ فيها([201]). وعلى الرَّغم مِنْ ذلكَ فَإِنَّ مَفْهُومَ (الخِطَابِ) يَحْتَلُّ مَوْقعاً مِحْوَرِيَّاً في جميعِ الأبحاثِ والدراساتِ التي تندرجُ في مجالاتِ تحليلِ النصوص، وأَصبحَ كل مؤلَف يتناولُ اللغةَ الإنسانيَّة من جانبها التواصُليِّ لا بُدَّ أن يجعلَ أُسَّه الخطاب، وهدفه تحليله، وإن اختلفَ الدَّارِسُون في زاوية البحث: بين من يُركِّز على نصِّ الخطاب، وبين من يهتمُّ بالمتخاطبين، وبين من يولي جُلَّ اهتمامه لمجال الخطاب، ومدى مطابقته لمقتضى الأحوال والمقامات([202]).

ومِنْ هُنَا كان لِزَاماً على البحثِ أن يُحدِّد المنطلقاتِ اللسانيَّة للخطاب، ومرتكزاته النظريَّة، وأطره المرجعيَّة، رَسْماً لمنهجِهِ، وتوضيحاً لمقولاتِهِ بدقّة، ومن خلال استقراءِ تعريفات الباحثين المعاصرين في الخطاب، فإننا سنلحظُ اتفاقاً واضحاً على جملةٍ مِنَ المفاهيم الأساسيَّة التي يحملها الخطاب بوصفه عمليَّة تحاور وتفاعل وتواصُل بين شركاءِ دائرةِ التواصُل من المخاطِب والمخاطَب والسياق، لتحقيق أغراض تواصليَّة معيَّنة. فالخطابُ هو تفاعُل مباشِر بين طرفي الاتصال، أو هو: نقلُ شفرةِ اللغةِ بأدواتِها الإشاريَّة والترميزيَّة لتحقيقِ الاتصالِ بين الباثِّ والمتلقي([203])، وتكتملُ الحلقة التواصُليَّة مُشكلة مِنْ باث ومُتلق، ورسالة مشحونة ببلاغ، بالإضافة إلى الشِفْرة المتعارَف عليها لفكِّ الرموز البانية للخِطَاب([204]). ومن هنا فالخطابُ هُوَ "وَحْدةٌ تواصليَّة – إبلاغيَّة، ناتجة عن (مُخَاطِب) مُعيَّن، مُوَجَّهة إلى (مُخَاطَب) مُعَيَّن، في سياق مُعَيَّن، يُدرس ضمن ما سُمِّي بـ(لسانيات الخطاب)"([205])، وَهُوَ "وسيلةُ الْمُتَخاطبين في توصيلِ الغرضِ الإبلاغيِّ مِنَ الْمُخَاطِبِ إِلَى الْمُخَاطَب، ويَتَّسِمُ بأَنَّهُ كُتْلَةٌ بنيويَّة مُتَمَاسِكَة الأجزاء"([206]). وعَلَيْهِ فَإِنَّ "ما يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْمَرْءِ مِنْ أفعالٍ كلاميَّة يُعَدُّ (خِطَاباً) يهدفُ إلى توصيلِ رِسَالةٍ إبلاغيَّة مُعَيَّنة تثيرُ الكَوَامِنِ اللغويَّة، والكِفايَة التخاطُبيَّة عِنْدَ الْمُسْتَقبِل الّذِي يربطُهُ هذا الخيط التَّفَاعُليِّ والفِكْرِيِّ بالْمُرْسِل"([207])، تِلْكَ الكِفايَةُ الّتِي تتمثَّلُ في "المقدرةِ على استخدامِ اللغةِ في سياقاتِها الفعليَّة الّتِي تتجَلى فيها"([208]). والخطابُ عند بنفنست (Bwnfisy) هو: "كلُّ ملفوظٍ يفترضُ باثاً ومُستقبلاً، ويكون لدى المتكلم مقصد (هدف) التأثير في الآخَر على نحوٍ ما"([209]). أو هو "الكشفُ عن طريقةِ التواصُل بين

---

[198]- (سورة الفرقان: ٦٣).

[199]- (سورة هود: ٣٧).

[200]- (سورة المؤمنون: ٢٧).

[201]- مفهوم الخطاب وسماته:٢.

[202]- مناهج تحليل الخطاب:١.

[203]- منهج النقد الصوتي في تحليلِ الخطاب الشعري:٤٠.

[204]- مفهوم النص والخطاب:٢.

[205]- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٢١. والمصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة مُعجميَّة:١٤-١٥.

[206]- المعنى وظلال المعنى:١٥٧.

[207]- البحث الدلالي في كتاب سيبويه:١٨٧.

[208]- المعنى وظلال المعنى:١٤٨.

[209]- ينظر: تحليل الخطاب الروائي: ٦٥. وتحليل الخطاب الروائي وأبعاده النصية:١٧.

الكاتبِ والقارئ، وما يرمي إليه الأوَّلُ من نقلِ قيمه إلى الثاني، بهدف التأثير عليه"([٢١٠]). ويعرفه تودروف (Todrouf) بأنه "أي منطوق أو فعل كلامي يفترضُ وجودَ راوٍ ومُستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقةٍ ما"([٢١١]). والخطابُ عند (جوليا كريستيفا) هو "كُلٌّ لفظٍ يحتوي داخل بنياتهِ الباثُّ والمتلقي مع رغبةِ الأوّل في التأثيرِ على الآخر"([٢١٢]). وهو عند (محمد مفتاح) رسالةٌ "مُوجَّهة من باثٍ ليتلقّاها مُتقبل، عبر التقاطع الخطابي بين المتخاطبين"([٢١٣]). أو هو الحديث والكلام الموجَّه من شخصٍ إلى آخر من أجلِ الفَهْمِ والإفهام([٢١٤])، وهو في تعريفهِ هذا لم يخرج عمَّا أصَّلَه المعجميون مِمَّنْ قَبْلَهُ. والخِطَابُ هُوَ "مُحَادَثَةٌ ذاتُ طَبيعةٍ رَسْمِيَّة، وتعبيرٌ رَسْمِيٌّ مُنظّم للأفكارِ في الكلامِ أو الكِتَابة"([٢١٥]). والخطابُ عند (الجابري) هو "مجموعةٌ مِنَ النصوص لها جانبان: ما يُقَدِّمه المرسِل، وهو (الخطاب)، وما يَصِلُ المتلقي، وهو (التأويل)"([٢١٦]). ويُعَرَّفُ الخطابُ، بأنهُ "مجموعةٌ مِنَ المنتجاتِ الفكريَّة التي يُراد إيصالَها إلى مُتَلَقٍ عَبْرَ نصوصٍ مكتوبةٍ أو مسموعةٍ أو مرئيَّةٍ، والتي تقدِّمُ مَوْقِفاً شموليًّا أو جزئيًّا مِنْ قضيَّةٍ أو مُشكلةٍ قائِمَة أو مُفْتَرَضة"([٢١٧])، والملحوظُ هنا أن هذا التعريف إنما يؤكِّدُ المضمون الفكريِّ الذي يريدُ المخاطِبُ إيصالَهُ إلى المخاطَبين في سياقٍ تخاطُبـيٍّ مُعيَّن.

وهناك توصيفاتٌ أُخرى للخطاب، تركِّز فيهِ على نظامه اللغويِّ الداخليِّ، بوصفهِ متتالية من الجمل والملفوظات المنسجمة، فالخطابُ عند اللغويَّ (هاريس) هُوَ "ملفوظ طويل، أو هو متتالية مِنَ الجُمَل تكون مجموعةً منغلقة يمكن من خلالها مُعاينة بنية سلسلة مِنَ العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعيَّة، وبشكلٍ يجعلنا نظلُّ في مجالٍ لسانيٍّ مَحض"([٢١٨]). ومصطلحُ (الخطاب) عند (ميشيل فوكو)، هو: "مجموعُ الملفوظات التي تنتمي إلى تشكيلةٍ خطابيَّة واحدة"([٢١٩]). ويُعرِّفه (جان كارون) بأنه "متتالية مُنسجمة مِنَ الملفوظات"([٢٢٠]). والخطابُ لدى (د.مانكينو) هو "الوحدة اللسانيَّة التي تتعدَّى الجملة"([٢٢١]). أمَّا (دي سوسير) فقد عرَّفه بأنه: "الملفوظ من وجهة اشتغالهِ في التواصُل"([٢٢٢]). كما عرَّفهُ (جان ديبوا) بأنّه "اللّغة في أثناء استعمالها، أو اللّسان المسند إلى الذات"([٢٢٣]). كَمَا عُرِّف أَيْضاً بأَنَّهُ: "الصيغةُ الّتِي نختارُها لتوصيلِ أفكارِنا إلى الآخرين، والصيغة التي نَتَلَقّى بها أفكارهم"([٢٢٤]). ويُلحظ في أغلب التوصيفات التي عرضناها لمفهومِ الخطاب تركيزها الواضِح على البُعْد التواصُلي، وذلك لأن الخطابَ أساساً إنما يعتمدُ على عمليَّةِ التواصُل التي تحقق أغراضاً مُعيَّنة.

وأَخيراً وبَعْدَ أن وَقَفَ الْبَحْثُ أَمَامَ كُلِّ هذِهِ الامتدادات الواسعة لمفهومِ الخِطَاب وتنوعاته وسط حقولٍ معرفيَّة، يَرى مِنْ الْمَنْهَجِيِّ أَن يخلص إلى جُمْلَةٍ من السِّمات العامَّة، وهي:

١. إنَّ الخطابَ متتالية أَو (وحدة لغويَّة) أَكبر من الجملة، وتَتَّسِمُ بالكُلِّيَّة.

٢. يخضعُ الخطاب لنسقٍ دلالي خاص به، ومقنّن له.

---

[٢١٠]– تحليل الخطاب الروائي:٢٩٢.

[٢١١]– اللغة والأدب في الخطاب الأدبي:٤٨.

[٢١٢]– تحليل الخطاب "من اللسانيات الى السيميائيات":١١.

[٢١٣]– التشابه والاختلاف.. نحو منهاجية شمولية:٣٧–٣٨.

[٢١٤]– تحليل الخطاب الشعري: استراتيجيَّة التناص:٢٦.

[٢١٥]– مدخل الى الخطاب (٢/١):٤.

[٢١٦]– الخطاب العربي المعاصر:٣٥.

[٢١٧]– الخطاب العربي المعاصِر.. تاريخيته وبنيته الموضوعيَّة، عبد أمير كاظم:٢٠٩، والأسلوبيَّة في النقد العربي الحديث:٤٢.

[٢١٨]– تحليل الخطاب الروائي:١٧.

[٢١٩]– المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب:٤٠.

[٢٢٠]– تحليل الخطاب الروائي:٢٤.

[٢٢١]– م.ن:٢٢.

[٢٢٢]– الأسلوبية وتحليل الخطاب:١٨.

[٢٢٣]– تحليل الخطاب للنصوص المرئيَّة:٣.

[٢٢٤]– اللغة وسايكولوجية الخطاب:١٥.

٣. الاتصالُ قيمة عُليا لكلِّ خِطَاب.

٤. تُمثِّلُ القصديَّة الرُّكْنَ الأبرز في تجليَّاتِ الخطابِ ومفهومه.

٥. يُمثِّلُ الأثر الاجتماعي مِحْوراً أساسياً لكلِّ خِطَاب، فهو يقصدُ التأثيرَ في السَّامعين وتغيير معتقداتِهم([٢٢٥])، وبهذا فإن (لسانيَّاتِ الخطاب) تختلفُ عن (لسانيَّاتِ الجملة) في كونها تجاوزتها، فرأت ضرورة دراسة الخطاب بكلِّ ملابساتهِ الاجتماعيَّة والثقافيَّة والنفسيَّة([٢٢٦])، لأنها الطريق الأمثل لفهمهِ وإدراكه.

تحليل الخطاب:

اللسانيَّات البنيويَّة – بِكُلِّ مدارسِها واتجاهاتِها – انصبَّ اهتمَامُها على دراسةِ الجملةِ، انطلاقاً مِنْ مجموعةٍ مِنَ المستوياتِ المنهجيَّة، حيثُ تبدأ بأصغرِ وحدةٍ، وهيَ الصوت، لتنتقلَ إلى أكبرِ وحدةٍ لغويَّة، وهيَ الجملةُ، والعكسُ صحيح أيضاً، في حين أن اللسانيَّاتِ النصيَّة تجاوزتِ الجملةَ إلى تحليلِ الخطاب([٢٢٧])، الذي يمثِّلُ "فرعاً مِنْ فروعِ اللسانيَّات التّطبيقيّة (Applied linguistics)، ويُدعى هذا الفرعُ في اللّغةِ الإنكليزيَّة بـ:(Discourse analysis)، أو (discourse studies)"([٢٢٨]).

وأوّل مَن وضعَ المصطلَح اللّساني الأمريكي (ز. هاريس/ Z.Harris)، ويدلُّ الخطابُ عنده على "مجموعةٍ مِنَ الإجراءاتِ الشكليَّة التي تمكّنُ مِنْ تحليلِ الكلامِ المكتوبِ منهُ والمنطوق، وذلكَ انطلاقاً مِنَ المنهجِ التوزيعيِّ"([٢٢٩]). ويكادُ يجمعُ الدَّارسون على ريادة (هاريس) في مجالِ (تحليلِ الخطاب)، حتى أنه يُعَدُّ "أوَّلَ لسانيٍّ حاولَ توسيعَ حدودِ موضوعِ البحثِ اللسانيِّ بجعلهِ يتعدَّى الجملةَ إلى الخطاب..."([٢٣٠]). ومن ثم فإن تحليل الخطابِ هو موضوعٌ يمكن إطلاقهُ على تلكَ المقارباتِ النقديَّة التي تتخذُ مِنَ الوحداتِ اللغويَّة التي هيَ أكبرُ مِنَ الجملةِ موضوعاً لها للوَصْفِ والتحليل([٢٣١]). رغم أن الجملةَ في هذا التحليل تمثِّلُ الوحدةَ الصُغْرى التي يُحلّلُ من خلالها الخطابُ بكامله([٢٣٢]). وإلى ذلك ذهَبَ الباحِثَ الفرنسيِّ (بنفنست) بقولِهِ إلى "أنَّ الجملةَ هي أَصغرُ وحدةٍ في الخِطاب"([٢٣٣]). ومِنْ هُنَا "لَمْ تَعُدْ الْجُمْلَةُ أمراً نهائيًّا، وإنما أصبحت وحدةً مِنْ وحداتِ الخطاب"([٢٣٤]). أضف إلى ذلك أن العَلاقةُ بينهما هي علاقةُ تداخُل، لأن نحوَ الجملةِ هُوَ جزءٌ مِنْ نحوِ النصِّ، بناءً على أنَّ الجملةَ هي إحدى لبناته، وهي ترتبطُ بما قبلها وبما بعدها ارتباطاً لغويًّا ونحويًّا([٢٣٥]). الأمر الذي يؤكِّدُ أن تحليلَ النصوص يتجاوز الوَصْفَ النحويِّ الجمليِّ، القائِم على مبدأ التجزئة إلى المكوِّنات المباشرة، دونما نظر وعناية بالجوانب الدلاليَّة والسياقيَّة، التي تضبطُ مقاصِدَ المتكلّم وغاياتِ الخطاب المنجز([٢٣٦]). وبناءً عليهِ فإن مصطلحَ (تحليلِ الخطاب) – بوصفهِ عنواناً شَامِلاً – يُعَدُّ منظومةً مُتَّسَقة مِنَ الإجراءاتِ وهو بتوصيفٍ آخر، يمثِّلُ "مجموعةً من الإجراءاتِ والآليَّاتِ التي تدرسُ ما يُنتجه المتكلّم مِنْ خطاباتٍ مُتنوِّعة في ظروفٍ مختلفة..."([٢٣٨])، كما يمثِّلُ أيضاً "ذلكَ الجانِبِ مِنَ اللسانيَّاتِ الّذي يُحَدِّدُ القواعِدَ التي تحكمُ عمليَّةَ إنجازِ مُتَوَاليةٍ مِنَ الجُمَل"([٢٣٩]).

---

[٢٢٥]– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٥.

[٢٢٦]– من لسانيَّات الجملة إلى علم النص:٧.

[٢٢٧]– سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة:٢.

[٢٢٨]– تحليل الخطاب، (بودرع):٢.

[٢٢٩]– تحليل الخطاب للنصوص المرئيَّة:٢.

[٢٣٠]– تحليل الخطاب الروائي:١٧.

[٢٣١]– الأسلوبيَّة في النقد العربيّ الحديث.. دراسة في تحليل الخطاب:٤٩.

[٢٣٢]– م.ن:٥٠.

[٢٣٣]– تحليل الخطاب الروائي:١٨.

[٢٣٤]– عن الترجمة وتحليل الخطاب:١.

[٢٣٥]– نحو النص بين الأصالةِ والحداثة:٤٣.

[٢٣٦]– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري:٧٠–٧١.

[٢٣٧]– الأسلوبيَّة في النقد العربيّ الحديث.. دراسة في تحليل الخطاب:٤٨.

[٢٣٨]– تحليل الخطاب للنصوص المرئيَّة: ٤.

[٢٣٩]– عن الترجمة وتحليل الخطاب: ٣.

ويرتبطُ تحليلُ الخطاب بدراسةِ الجوانبِ الاستراتيجيَّة للخطاب، أو دراسة صنع الخطاب مِنْ خلال بحثِ الاختياراتِ على المستوى الأكبر مُتَمَثِّلاً في تصميمِ الخطاب([٢٤٠]). أمَّا الاختيارات على المستوى الأَصغر فتتعلّقُ بالجملة، ومعاني الكلمات، والأصوات التي تُكوِّن الكلمات([٢٤١])، ويمكننا إجمالاً أن نُحَلِّلَ الخطاب إلى مستوياتٍ متعددة، ثم دراسة البنى المميزة لكُلِّ مستوى، مع ضبط العلاقاتِ التي تربطُ بَيْنَ مستويات التحليل، لأن هذه المستويات تتداخلُ فيما بينها وتتكامل، ويبدأ هذا التحليلُ الوصفي مِنَ الصوت إلى الجملة إلى ما فوق الجملة، ويمكن تمثيل ذلك من خلال الترسيمة الآتية([٢٤٢]):

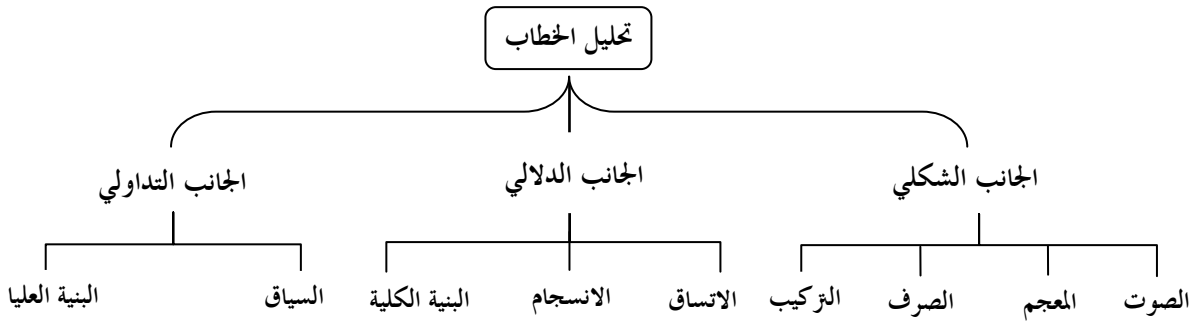

ومَا يُسْهِم في تحقيقِ هذه الاستراتيجيَّة هُوَ استخدامُ الروابطِ المحدَّدة بما يتوافَقُ مع الغَرَضِ الفعليِّ للنصِّ([٢٤٣]). وقمينٌ لحظه هنا أن تحليلَ الخطاب ينبغي أن يتأسَّسَ على النَّسَقِ الذي صِيْغَ ضِمْنَهُ الخطاب، لأن ذلكَ مدعاة للوقوفِ على المنظومةِ المعرفيَّة التي أُنتج فيها، وأخذ من محيطها العلمي آليَّاته وأدواته في تصريفِ المعنى، ذلك أن كُلَّ إقصاءٍ للسياق التاريخيِّ مِنْ تحليلِ الخطاب، هو إبعادٌ للنواة المركزيَّة التي يشدُّ إليها نَسَق الخطاب، وتعيِّنُ له حقلَهُ الدَّلاليِّ([٢٤٤]). والهدفُ مِنْ تحليلِ الخطاب هو "البحثُ عَنِ البنيةِ الكليَّةِ الكامِنَة في النصّ، ومظاهرها الخارجيَّة"([٢٤٥]). أضف إلى ذلك "أن أكثر مناهِج تحليلِ الخطابِ شيوعاً هو (المنهجُ اللسانيّ)، ومهمتهُ البرهنة على وحدةِ الخطابِ، بوصفهِ كُلاً مُوَحّداً عَبْر رَصْدِ أدواتهِ وإشاراته المحيلة، مُهْتَمًّا بوسائِل الرَّبْطِ بينَ أجزائهِ، ومتابعةِ أشكالِ الإبداعِ فيه، فيكونُ البحثُ مُوَجَّهَاً في الاتساق بعد الانسجام"([٢٤٦]). ويمكننا من خلالِ هذا المنهج "تفسيرَ الكثيرِ مِنَ المظاهِرِ الخطابيَّة وتحليلها وهو ما تقفُ لسانيَّاتُ الجملة عاجِزَةً أمامَها، ومنها: موضوع الخطاب، والانسجام، والبنية الكليَّة"([٢٤٧]). وعليهِ فإن البحث السليم في اتساق الخطاب لا بُدَّ أن يبدأ من البؤرة الأولى حتَّى النهاية، راصداً الضمائِر، والإشارات المحيلة، سواء كانت إحالةً قبليَّة أم بعديَّة، مع الأخذ بنظرِ الاعتبارِ وسائِل الربط المتنوعة، للاستدلال على وحدةِ الخطاب، ومن ثم تحديد الغرض الرئيس منه. وقد أكد النصيُّون ضرورةَ تحليلِ الخطابَ بكليَّتهِ لفهمهِ، وتقييمهِ إبداعيَّاً، لأن "مِنَ المهمِ فهمَ لغةِ العملِ في كليَّتهِ كخطوةٍ تسبقُ تقييمَهُ جماليَّاً"([٢٤٨]). وعليه "فإنَّ الخطاب يُقدَّم كَكُلّ، ولا يمكن لصورة الخطاب أن تكتمل إلا بعد الانتهاء من قراءة النصِّ كُلِّهِ، قراءةً متأنية"([٢٤٩]). نظراً لأنه في البناء النصيِّ، يُنْظَر إلى النصِّ ككليَّة، أو بنيةٍ دلاليَّة، ساهَمَتْ كلُّ وحداتهِ، وعناصرهِ، ومُكَوِّناتهِ، في بنائهِ وتبنينه. ومِنْ خلال عمليَّةِ التلقي تتمُّ إعادة بنائهِ وِفْقَ هذا الكُلّ. ومعنى ذلك أن كُلَّ "بنيات" النصِّ

---

[٢٤٠]– Barbara Johnstone: Discourse analysis,pp.237-238. وعلم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:٥١.

[٢٤١]– Discourse analysis, pp.232. وعلم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:٥١.

[٢٤٢]– الانسجام في القرآن الكريم.. سورة النور أنموذجاً:١٨.

[٢٤٣]– مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه:٣٤٥.

[٢٤٤]– الدلالة بين المقصدية والتأويل قراءة في تأويل النص الديني: ٣.

[٢٤٥]– بلاغة الخطاب وعلم النص:١٠٦–١٠٧.

[٢٤٦]– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٦.

[٢٤٧]– م.ن:٢٧.

[٢٤٨]– علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:٣.

[٢٤٩]– تحليل الخطاب الروائي:٣٨٧.

مُتَكَامِلة، ومُنْسَجِمَة في إرساءِ هذا البناء، وإقامته، بهذا الشَّكْلِ أو ذاك([٢٥٠]). أضف إلى ذلك أن هناك دراساتٌ في تحليل الخطاب قد درجت على أن تنطلق من فضاءات استراتيجية ناتئة في البنية النصية كالعنوان، والمقدمة، والخاتمة، والمواضع الداخلية السميكة، مستنجدة بمعطيات جزئية في وصف المعطيات الكلية، التي يسمح إدراكها بالإحاطة بعالم النص في صفته الكلية، ثم تأكيد ترابطه من خلال وصف العلاقات بين الأجزاء، وتحديد نوعها في مستويي السطح والعمق، مما يؤكد ضرورة الانتقال بالوصف النحوي من مجال الجملة الضيق إلى مجال أرحب يمثله الخطاب في صورته النصية، والتي هي قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل([٢٥١]). وإجمالاً يمكننا القول إنَّ مَفْهُومَ تحليل الخطاب يَرْمِي إلى توسيع الأدوات المعرفية لدى الْمُتَلَقِّي، فيقوم مُحَلِّل الخطاب بجمع كل المعلومات وتركيبها، والبيانات التي تساعد في فهم الخطاب في مختلف مراحله: إنتاجه وتداوله وتلقيه وتفسيره، فضلاً عن الترتيب البنيوي للملفوظ، ويقوم المحلل بربط هذه المعلومات فلا يتوقف عند حدود النص وبنيته السطحية "بنيته النحوية، أو الدلالية"، بل يتعدَّاها إلى المعلومات الحافة بالملفوظ، وكل ما يخصّ المشاركين في عملية التخاطب، فالخطابُ مرتبطٌ بشكلٍ نسقيّ مع الفعلِ التواصُليّ([٢٥٢])، وعليهِ كان لا بُدَّ على المحلّلِ الخطابيِّ أن يقومَ برصدِ المقاماتِ التخاطبيَّة بغيةَ تحليلِ الخطاب على الوجه الأمثل.

ويرى البحث هنا قبل أن يعرِّج إلى الفصل الأول تنظيراً وتطبيقاً أن يُقدِّم نبذة مختصرة عن مفهوم الوعد والوعيد ومفهوم السور المكيَّة في الخطاب القرآني.

مفهوم الوعد والوعيد في القرآن الكريم:

الوَعْدُ لُغةً: مِنْ وَعَدَ يَعِدُ وَعْدَاً، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ خَيْرَاً، ووَعَدْتُهُ شَرَّاً، أَوْ: يُقَالُ: وَعَدْتُهُ بِنَفْعٍ وَضُرّ. قَالَ الجوهريُّ (ت٣٩٣هـ): الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ والشرِّ، وقَالَ ابْنُ سِيدَه (ت٤٥٨هـ): وفِي الْخَيْرِ الْوَعْدُ وَالْعِدَةُ، وفِي الشَّرِّ الإِيْعَادُ وَالْوَعِيْدُ، فَإِذا قَالُوا: أَوْعَدْتُهُ بِالشَّرِّ أَثْبَتُوا الأَلِفَ مَعَ البَاءِ([٢٥٣])، وَالْوَعْدُ اصطلاحاً: هُوَ "الخبرُ عَنِ المثوبةِ عِنْدَ الْمُوافقةِ"([٢٥٤])، وَهُوَ: "كلُّ خَبَرٍ يَتَضَمَّنُ إيصالَ نَفْعٍ إلى الغَيْر، أَوْ دَفْعُ ضُرٍّ عَنْهُ في الْمُسْتَقْبَل"([٢٥٥]). وَيَرَى القَاسِم بن مُحَمَّد الزيديِّ (ت ١٠٢٩ هـ)(*)، أَنَّ الْوَعْدَ هُوَ "إِخْبَارٌ بالثوَابِ"([٢٥٦]) الذي يُثاب عليهِ المؤمنُ في آخرته.

وَقَدْ وَرَدت كلمةُ (الوَعْدِ) في القرآنِ الكريم، واستُعْمِلَتْ في الْخَيْرِ والشرّ، فَبَعْضُ آياتهِ خَصَّتِ الوَعْدَ بالْخَيْرِ، وَبَعْضُهَا خَصَّتْهُ بالشرِّ، وبَعْضُهَا قَدْ جَمَعَتْ بَيْنَ الأَمْرَين([٢٥٧]). فَمِنْ ورُودِ الْوَعْدِ بالْخَيْرِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾([٢٥٨]). وقَوْلُهُ تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾([٢٥٩]). وَمِنْ ورودِ الْوَعْدِ بالشرِّ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾([٢٦٠]). وقَوْلُهُ تعالى:

---

[٢٥٠]– انفتاح النص الروائي:٩١.

[٢٥١]– نحو أجرومية للنص الشعري.. دراسة في قصيدة جاهلية:١٥٣. ومدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٧٠.

[٢٥٢]– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٩–١٠.

[٢٥٣]– لسان العرب، ٣: ٤٨٧١–٤٨٧٢.

[٢٥٤]– الفزعُ الأكبر، للقرطبي:١١٥. نقلاً عن آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم:٩.

[٢٥٥]– شرح الأصول الخمسة:١٣٤.

* هُوَ الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، وُلِدَ ١٢/صفر سنة ٩٦٧هـ، وتوفي في سنة ١٠٢٩هـ، وقد عاش حياة حافلة بالعلم والعمل والجهاد.

[٢٥٦]– الأساس لعقائد الأكياس:١٩٦.

[٢٥٧]– آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم.. دراسة دلالية:٧.

[٢٥٨]– (سورة القصص:٦١).

[٢٥٩]– (سورة مريم: ٦١).

[٢٦٠]– (سورة الأنبياء:٩٧).

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾(٢٦١). وَمِنْ وروده شَامِلاً لِلْمَعْنَيَيْنِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥﴾(٢٦٢). فهذا وَعْدٌ بالجزاءِ الأُخرويِّ إِنْ خَيْرَاً فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرَّاً فَشَرٌّ(٢٦٣)، وعليهِ، فما يزرعهُ الإنسانُ من خيرٍ في دنياهُ يحصدهُ ثواباً في أُخراهُ، وما يجترحهُ من شرٍّ يحصدهُ ألماً وعذاباً، تحقيقاً للعدالةِ الربانيَّة.

أَمَّا الوَعِيدُ لُغةً، فَهُوَ: اسْمٌ مِنَ الْوَعْدِ، ويُسْتَعمَلُ في الشرِّ خَاصَّةً(٢٦٤).وَالْوَعِيدُ اصطلاحاً: هُوَ "الْخَبَرُ عَنِ العقُوبَةِ عِنْدَ الْمُخَالَفَةِ"(٢٦٥). وَهُوَ: "كلُّ خَبَرٍ يَتَضَمَّنُ إيصالَ ضَرَرٍ إلى الغَيْرِ، أَوْ تَفْويتُ نَفْعٍ عَنْهُ في الْمُسْتَقْبَل"(٢٦٦). وَيَرَى القَاسِم بن مُحَمَّد الزيديِّ أَنَّ الْوَعِيدَ هُوَ "إِخْبَارٌ بِالْعِقَابِ"(٢٦٧) الذي يُعاقب عليهِ الجاحِدُ في الآخرة.

وبَعْدَ أَنْ عَرَضْنَا هذِهِ المقدِّمات التفصيليَّة بكلِّ ما يتعلّقُ بمواضعاتِ النصِّ والخِطَاب من تعريفاتٍ وتوصيفاتٍ وأوجه تمايز واختلافات – فضلاً عن مفهوم الوعد والوعيد ومفهوم السور المكيَّة – كان لا بُدَّ لنا أن نعترفَ أن العتبة التمهيديَّة ربما طالَت عَنْ حدِّها المقرَّر، وأخذت حيِّزاً واسعاً مِنْ مَسَاحةِ البحث، إلا أنها – بتصورنا – تُشكِّل أهميَّةً لا تَقِلُّ عَنْ باقي الفصول والمباحث، كونها تُمثِّلُ المهادَ التأسيسيَّ الذي ينهضُ على حَسْمِ إشكاليَّاتٍ كانت ولا تزالُ عالقةً في صميمِ البحوثِ اللسانيَّة، والتي تجعلُ الباحثَ عُرضةً للخَلْطِ المنهجيِّ والمفهوميِّ، حتى أننا تلمَّسْنا في عددٍ مِنَ البحوث – التي أُنجزت في ضوءِ اللسانيَّاتِ النصيَّة – اختلالاتٍ مَنْهَجيَّة عِدَّة، كونها لم تستوعبْ مفاهيمَ المنهجِ النصيِّ، وإنما متحت دلوها في منابعَ لغويَّة شتَّى، فَبَدَتْ أشتاتاً لسانيَّةً مُتناثرة، وخَلِيْطاً غَيْرَ مُتجانسٍ مِنَ المناهجِ اللغويَّة، بدلاً مِنْ أن يجمعَهَا منهجٌ نصيٌّ مُتكامِل، ولتفادي هذه الإشكاليَّات المنهجيَّة كان لا بُدَّ لنا أن نتجاوز ما وقع فيه غيرنا، وأن نتحرَّكَ على قاعدةٍ منهجيَّة صُلْبَة تمتلكُ الكثير مِنْ مقوِّماتِ الثباتِ والاطِّراد، كما أن الدراساتِ النصيَّةَ قَدْ تعدَّدت وتنوَّعت على امتدادِ جغرافيَّة العالم العربيِّ والإسلاميِّ، ولكنها دراساتٌ تُلحظ في بعضها التَّكْرارُ والتَّفْريعُ المبالَغ فِيْهِ، إضافةً إلى حشرها بالمفاهيم والمصطلحات التي لا تُظْهِر بينها رابطاً شكليَّاً أو معنويَّاً، كما نلمَسُ في بعضِها الآخر المنحى النظريِّ البحت بمنأى عَنْ التطبيقاتِ التي تمثلُ روحَ العملِ النصيِّ، والباحِثُ في دراسته هذه ليطمحُ أن يُعالج الموضوعات النصيَّة في صورةٍ جديدة بتطبيقها على النصِّ القرآنيِّ، مع استخدامِ المصطلحاتِ بدقّة، والالتزامِ بالمفاهيم الرئيسة التي تواضَعَ عليها عِلْمُ لغةِ النصِّ، وأهميَّةُ هذهِ الدراسةِ تتجلّى مِنْ خِلالِ ذلكَ التوسُّعِ الّذي حَظِيَتْ بهِ اللسانيَّاتُ النصيَّةُ على امتدادِ الجامعاتِ العربيَّةِ والعالميَّة، كما تَنْسَجِمُ مع روحِ النصِّ القرآنيِّ الّذي تتجسَّدُ فيهِ بوضوح هذه المفاهيم النصيَّة، وتلك المعايير المنهجيَّة.

---

٢٦١ – (سورة غافر:٧٧).

٢٦٢ – (سورة يونس:٥٥).

٢٦٣ – المفردات في غريب القرآن:٦٨٢.

٢٦٤ – م.ن:٦٨٢.

٢٦٥ – الفزعُ الأكبر، للقرطبي:١١٥. نقلاً عن آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم:١١.

٢٦٦ – شرح الأصول الخمسة:١٣٥.

٢٦٧ – الأساس لعقائد الأكياس:١٩٦.

الفصل الأول

الاتساق التركيبي في الخطاب القرآني

- الإحالة
- الحذف
- الفصل والوصل

الاتساق التركيبي في الخطاب القرآني

الاتّساق (Cohesion): مصطَلَح لسانيّ يدلُّ على "مَفْهُومِ العَلاقاتِ في النَّصِّ"(١). وقد عرَّفَهُ محمَّد خطابي، بأنهُ "ذلك التماسُك الشديد بين الأجزاءِ المشكلة لنصّ/ خِطَابٍ ما، ويهتمُّ بالوسائلِ اللغويَّة (الشكليَّة) التي تَصِلُ بين العناصِرِ المكونة لجزءٍ مِنْ خِطَابٍ أو خِطَابٍ بِرُمَّتِهِ"(٢). أو هُوَ ذلك الترابُط الحاصِل بَيْنَ المفرداتِ والجُمَل مِنْ خِلالِ وسائلَ لغويَّة تحقِّقُ الاتساقَ التركيبيَّ والدلاليَّ في النصِّ(٣). ويُقسَّم (الاتساقُ) إلى نوعين، وهُمَا: الاتساقُ التركيبيِّ، والاتساقُ المعجميِّ، ويُعَرَّف الاتساقُ التركيبي بأنهُ: "ذلك التماسُك الذي يتحقّقُ بَيْنَ عناصِرِ التّركيبِ لتكوينِ الجملَة، أو بين الجُمَلِ لتأليفِ النصِّ، وأدواتُه لغويّةٌ نحويّةٌ رابطَةٌ بين العناصرِ رَبْطاً عَلاقيًّا(٤). ويتوزّعُ الاتساقُ التركيبيِّ على المحاورِ الآتية، وهي:

١- الإحالة ٢- الحذف ٣- الفصل والوصل.

الإحالة وأثرها في تماسك النص:

هناك أدوات ووسائل عديدة تسهمُ في تماسك النصِّ وتلاحمه، ومن أهمِّ هذه الوسائِل الإحالة، "وهي من أكثر الوسائل الاتساقية أهميَّة في الرَّبْطِ بَيْنَ أجزاءِ النَصِّ، إذ قلّما يجدُ الْمُتَلَقِّي نصًّا خالياً منها، بل إن أغلب الوسائل الأُخرى يعتمدُ عليها أو يدخلُ فيها، ولا نذهبُ بعيداً إذا قلنا: إن نظريَّةَ الاتساق تعتمدُ بالدرجة الأساس على مفهوم الإحالة ووظيفتها"(٥)، كونها "وسيلةً لغويَّةً مِنْ وسائِلِ تحقيقِ التسلسُل، أو التتابُع الخطيِّ للجمل على المستوى التركيبي، وتؤكِّد الترابُط المضمونيّ بين دلالاتِ القضايا في البنية الكُبْرى على المستوى الدَّلاليِّ، إذ يمكن من خلال هذهِ العناصِر الإحاليَّة أن تتشكّلَ شبكةٌ مِنَ العَلاقاتِ الإحاليَّة بين العناصِرِ المتباعِدَة في فضاءِ النصِّ"(٦). ويؤكِّدُ (الأزهرُ الزنَّاد) دورَ الإحالةِ في تماسُكِ النصِّ، بقوله: "يكتملُ الملفوظُ (نصًّا) عِنْدَما تترابَطُ أجزاؤهُ باعتمادِ الرَّوابِطِ الإحاليَّة، وهذه الروابِطُ تختلفُ مِنْ حَيْثُ مداها ومجالُها، فبعضها يقفُ في حدودِ الجملةِ الواحِدَة يربطُ عناصِرَها الواحِد منها بالآخر، وبعضها يتجاوزُ الجملةَ الواحِدَة إلى سائِرِ الجُمَلِ في النصِّ، فيربُط بين عناصِرِ منفصِلَة ومتباعِدَة مِنْ حَيْثُ التركيبُ النحويِّ، ولكنَّ الواحِدَ منها متّصِلٌ بما يُناسِبُه أشدَّ الاتصال من حيث الدّلالةُ والمعنى، فالإحالةُ عامِلٌ يحكمُ النصَّ كامِلاً في توازٍ مع العامِلِ التركيبيِّ، والعامِلِ الزمنيِّ"(٧). وجدير بيانهُ هنا أن الإحالة لا تحقِّقُ فقط الترابُطَ بَيْنَ المتتاليات النصيَّة، والتلاحُم بين التتابعاتِ اللغويَّة، وإنما تسهمُ أيضاً في فَهْمِ النصِّ ومعرفَتِهِ، "وقد أثبتت بعض الدراسات أن عدمَ القدرةِ على التعرُّفِ على الترابُطِ في النصِّ المقروء ينجُمُ عَنْهُ صعوباتٍ في فَهْمِ النصِّ المقروء. حيث أشار ريد/ Read إلى أن عدمَ القدرةِ على فَهْمِ الإحالاتِ في النصِّ (وهي من أنواع الترابُطِ في النص)، هو أحد أكبر ثلاثة عوامِل تعيقُ فَهْمَ اللغة، وهي: غموض المعنى والإحالات والكنايات. وأظهرت هذه الدراساتُ وجودَ عَلاقةٍ بَيْنَ النصِّ المترابط والفَهْم، وإن النصَّ غير المترابط يُعيقَ الفَهْمَ... والدراساتُ النصيَّة تؤكِّدُ أن الترابُطَ في النصِّ المقروء يزيدُ من قدرةِ المتلقي على فَهْمِ النصِّ المقروءِ وتفسيره"(٨). أضف إلى ذلكَ أن "المتلقي يَصِلُ إلى فَهْمِ النصِّ مِنْ خلالِ اكتشافهِ للعَلاقاتِ التي تربطُ أجزاءَ النصِّ بعضها مع البعض الآخر، فطريقةُ فَهْمِ النصِّ هِيَ انعكاسٌ للتفاعُلِ الذي يحصُل بَيْنَ المتلقي والنصِّ"(٩). وفضلاً عن ذلك فإن "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بُدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"(١٠). ومِنْ هنا لا يمكننا أن نقتصِرَ على الجملةِ الواحِدَة،

١- الاتساق المعجمي:٢.
٢- لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٥.
٣- الاتساق الدلالي والتركيبي:٣.
٤- الاتساق المعجمي:٢.
٥- الاتساق في العربيَّة:٣٢.
٦- ظواهر تركيبيَّة في (مقابسات) أبي حيَّان التوحيدي.. دراسة في العلاقة بين البنية والدَّلالة:٢٣٥.
٧- نسيج النص.. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً:١٢٤.
٨- مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية:٩.
٩- تأويل الجملة القرآنية الواحدة:٢٩٩.
١٠- لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:١٦-١٧.

بوصفها وحدة تحليل، بل لا بُدَّ أن نتجاوز التركيب النحوي للجملة، وأن نراعي في ذلكَ ما قبلها وما بعدها، وأن نأخذ بنظر الاعتبارِ أيضاً السياق التواصُلي الخارجي الذي يحيطُ بالنصِّ، لحصرِ المعاني المتعدِّدة نتيجة تعدُّدِ الإحالات.

والإحالة نوعان:

أ/ إحالة نصيَّة: وهي التي تحيلُ فيها بعض الوحدات اللغويَّة على وحدات أُخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النص.

ب/ وإحالة مقاميَّة: باعتبارِ أنَّ اللغةَ تُحيلُ دائماً على أشياءَ وموجوداتٍ خارج النص([11]). وهذا النمط الإحالي يتمثلُ في "احالة عنصر لغوي إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيلَ ضمير المتكلم المفرد إلى ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبطُ عنصرٌ لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله، أو مجملاً، إذ يمثل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلا بنفسه. ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقومُ على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي"([12]). وللإحالة المقاميَّة أهميَّةٌ واضِحَة في كيان النصِّ، كونها تسهمُ في انسجام الخطابِ مع مقامِه، الأمر الذي يُحقِّقُ له المقبوليَّة لدى المتلقي، في حين أن الإحالة النصيَّة تحقِّقُ للنصِّ اتساقَهُ الدّاخليِّ. ويمكننا أَنْ نُوَضِّحَ هَاتَيْنِ الإِحَالَتَيْنِ بِنَاءً عَلَى التَّرْسِيمَةِ الآتِيَة:

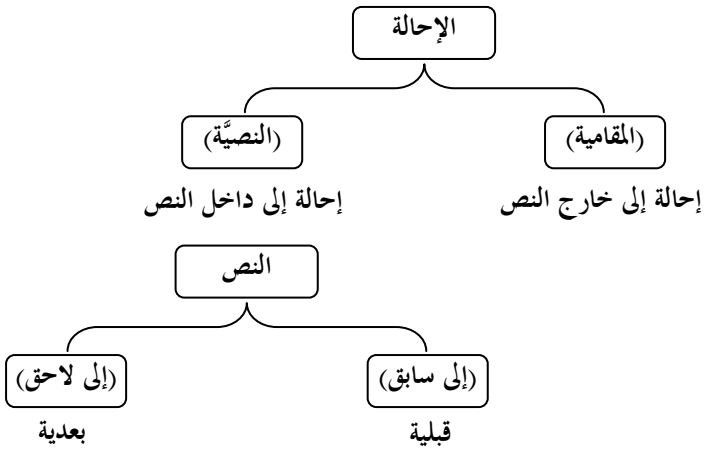

وهناك من يُقسِّمها إلى إحالة داخليَّة، وإحالة خارجيَّة([13]):

١- الإحالة الداخليَّة (Endophora): وهي تشيرُ إلى العَلاقاتِ الإحاليَّة داخِل النصِّ، سواء أكان بالرجوعِ إلى ما سبق، أم بالإشارةِ إلى ما سوف يأتي داخِل النص([14]). فكلَّ لفظٍ مُجمَلٍ يحملُ قيمةً إحاليّةً ، لأنّه يختصر كلاما كثيراً، أو يُحيلُ على فقراتٍ في النّصّ أو جملٍ أو كلامٍ كثير، وتُسمّى هذِه الإحالةُ بالإحالة الدّاخليّة أو الإحالة النّصّيّة (مثل تفسير القرآن بالقرآن)([15])، ذلك التفسير الذي يُجَسِّد مدى الترابط الحاصل بَيْنَ الآياتِ القرآنيَّة بعضها مع البعض الآخر. والإحالةُ الداخليَّة تقسَّمُ بدورها إلى:

أ/ الإحالة القبليَّة (Anaphora) وهي ما سبقَ ذكرهُ في النصِّ، وتتمثلُ هذه الإحالةُ في "استعمالِ كلمةٍ أو عبارةٍ تشيرُ إلى كلمةٍ أُخرى أو عبارةٍ أُخرى سابقةٍ في النصِّ أو المحادثة"([16])، الأمرُ الّذي يُؤْذن بالرَّبْطِ بَيْنَ متتالياتِ النَصِّ وعناصِرِهِ اللغويَّة، من خلالِ الترابُط بين العنصر الإحالي، والعنصر الإشاري، "كأن تحيلَ صيغةُ الإحالة إلى عنصر لغوي مُتقدِّم. وقيلَ: إنها إحالةٌ بالعودة،

١١- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه:٨٩.
١٢- نسيج النص.. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً:١١٩.
١٣- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ٤٠.
١٤- م.ن: ١/ ٤٠.
١٥- قضية الإحالة والبنية الإحالية في النص:٣.
١٦- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ٣٨.

حيث تعودُ إلى (مفسَّر)، أو (عائِد) سَبَقَ التلفّظ به"([17]). فالجامعُ بَيْنَ صُوَرِ الإحالةِ كلِّها، هو أن في جميعِها عَوْدَاً مِنْ وسيلةِ الإحالةِ إلى مَرْجَعِ هذهِ الوسيلةِ في الكَلام([18])، وهو ما يُؤذن بتحقيقِ التَّماسُكِ النسيجيِّ على المستوى العام مِنَ الخطاب.

ب/ الإحالة البعديَّة أو اللاحقة (Cataphora): وهي لما سوف يأتي ذكرهُ في النصِّ، وتظهرُ هذه الإحالة في "استعمال كلمةٍ أو عبارةٍ تشيرُ إلى كلمةٍ أُخرى أو عبارةٍ اُخرى سوف تُستعمَل لاحقاً في النصِّ أو المحادثة"([19]). وهي بمعنى آخر: إحالةُ عنصر لغوي إلى عنصر آخر تال له في النصِّ، وقيل: هي عودة إلى عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، ولاحِق عليها([20])، ومثالُها الجمل التفسيريَّة التي تفسِّرُ جملةً أو عبارة، كما في أسماءِ السور، والجمل الأُولى منها، بل أحياناً الكلمة الأولى منها، فهذا كله يحيلُ لِمَا سوف يأتي في النص([21])، وَمِنْ ذلكَ أيضاً ضَمِيْرُ الشَّأْن في العَربيَّة، والتمييز، كقولهِ تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾([22]). والتمييزُ فيهِ مُحَوَّلٌ عَنِ المفعول، والأصلُ: وفجَّرنا عيونَ الأرض([23]). أو غيرها مِنَ الأَساليب كأدواتِ التَّشبيهِ، نحو: "الكاف، ومثل، ونحو"، وأداة (أن) الْمُفَسِّرة، إضَافةً إلى التعبيراتِ الاستهلاليَّة، مثل: "أَمَّا بَعْدُ، وكُلّ مَا يَتَعَلّقُ بالْقَوْلِ، نحو: قَالَ، يَقُولُ، وأَقُولُ، وغَيْرِهَا([24])، ومِنْ ذلكَ إذا تقدَّمَ التمييزُ على المميَّز، نحو قول الشاعر كثيِّر عزة([25]):

لِـمَيَّةَ مُوْحِشاً طَلَلُ يَلُوحُ كأَنَّهُ خِلَلُ

حيثُ قدَّم الشاعِرُ التمييزَ (مُوْحِشاً) على المميَّز (طَلَلُ)، ويمثِّلُ هذا التقديمَ إحالةً بعديَّة إلى العُنْصرِ اللاحق.

وتأتي أهميَّة ظاهرة الإحالة في التعامُل مع النصوص، من وجودِ بعض العناصِر اللغويَّة التي لا تكتفي بذاتها في دلالتها، ممّا يجعل من الضروريِّ العودة إلى ما تشيرُ أو تحيلُ عليهِ من أجلِ تأويلها، ويطلق اللغويُّون على هذه الوحداتِ اللغويَّة تسمية (العناصِر اللغويَّة)، ومن هذه العناصِر الضمائِر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة.

٢- الإحالة الخارجيَّة (Exophora): وهي الإحالةُ التي تشيرُ إلى خارجِ حدودِ النصِّ، وتمثِّل الأنماط اللغويَّة التي تومىء إلى الموقِف الخارجيِّ عَنِ اللغةِ (Extra linguistic Situation)، غير أن هذا الموقِف يُشارك الأقوال اللغويَّة. وَمِنْ أمثلةِ تلك الأنماطِ المشيرة لِمَا هُوَ خارِج النصِّ (هو، هناك، ذلك)([26]). وهي بمعنى آخر العلاقة الموجودة بين النص أو بعض عناصره وبين السياق الخارجي، فالنّصّ يُفسَّرُ بإشارات ومعانٍ قائمةٍ بالخارِج، وتُعدُّ منه بمنزلة الأسبابِ التي أوجدتْه، فإذا فُهِمَت الأسباب الخارجيّة تبدّد الإشكالُ، وحصل فهم معنى النّصّ بواسطة هذه الإحالة الخارجيّة([27]). ونرى أن هذا النوعَ مِنَ الإحالةِ يتوقّفُ على معرفةِ (سياقِ الحال)، أو الأحداث والمواقِف التي تحيطُ بالنصِّ. وهو ما يبرزُ أهميَّة معرفةِ مناسباتِ النزول في النصِّ القرآني، إذ كثيراً ما يغمض عودُ الضمير، بسببِ عدمِ معرفةِ هذه المناسبات([28]). والرَبطُ بين النصِّ والأحداث المحيطة أمرٌ مؤكد في النصِّ القرآني، إذ إن القرآن الكريم قد نزل مُواكباً للأحداثِ([29]). وفيما يأتي تفصيلٌ لأنماطِ الرَّبْطِ الإحاليِّ، الّتِي تتمَثَّلُ في الإحالة

١٧- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة:١٠٤.

١٨- الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة:٢٠٤.

١٩- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ٤٠.

٢٠- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة:١٠٤- ١٠٥.

٢١- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ٤٠.

٢٢- (سورة القمر: ١٢).

٢٣- حاشية الصبان: ٢/ ٣٠٤. وإنما عُدِلَ عَنْ هذا الأصلِ ليكون فيهِ إجمالٌ بعد تفصيل، فيكون أوقع في النفسِ، لأنَّ الآتي بعد الطلبِ أعزُّ مِنَ المنساق بلا طلب. ينظر: حاشية الصبان: ٢/ ٣٠٤.

٢٤- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة:١٠٥.

٢٥- ديوانه: ٥٠٦.

٢٦- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ٤٠.

٢٧- قضية الإحالة والبنية الإحالية في النص:٣.

٢٨- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ٤٠.

٢٩- م.ن: ١/ ٤٤.

باسم الإشارة، والإحالة بالضمير، والإحالة بالاسم الموصول، والإحالة بـأل التعريف، والإحالة بإعادة اللفظ، والإحالة بتنوين العِوَض.

الإحالة باسم الإشارة:

الإحالة باسمِ الإشارة، هِيَ "ما دلَّ على مُسَمَّى، وإشارة إلى ذلك المسمَّى"([٣٠]). أو هي "الأسماءُ التي يُشار بها إلى المسمَّى"([٣١]). أو ما وُضِعَ ليدلَّ على مُسمّى مُشار إليه، بعيدٍ أو قريبٍ، وفي الإشارة إلى المُشارِ إليه إحالةٌ عليه إحالةً مباشرة، ويرتبط النّص بالخارج ارتباطاً مُباشراً عندما تُستعمَل الإشارةُ للإحالة على المُشارِ إليه والتّنبيه عليه، فوظيفتُها الإحالة والتّنبيه، أمّا مرجعيات هذه المقولات (الضمائر، الأسماء الموصولة، أسماء الإشارة) فلا تخلو إمّا أن تكونَ داخليّةً أي لغوية من حيثُ المصدر والهدف، أي إنّ المصدر لغوي هو الضمير أو الموصول أو الإشارة... أو تكون خارجيّةً إذ تُحيل هذه الأسماء المُبهَمَةُ المبنيةُ على العالَم الخارجيِّ([٣٢]). ويحدَّد موقعه في الزمانِ والمكان داخِلِ المقام الإشاري، من حيث إنه لا يُفهم إلا إذا رُبِطَ بما يشيرُ إليه([٣٣]). وقد يخرجُ اسم الإشارة عن هذا الوضعِ الإشاري، ليُحَقِّقَ مقاصِد أسلوبيَّة من خلال سياقاتِ النصِّ القرآني([٣٤]). أضف إلى ذلك أن "سياقَ التعريفِ بالإشارة يجمعُ بين الارتباطِ بمقصدِ المتكلِّم، وطبيعةِ المخاطَب، وحسيَّة المشار إليه...، ينضافُ إلى ذلك توفّر المقام الذي يستدعي التمييز والتعيين"([٣٥]). ومن هنا فإنَّ الإحالةَ باسماءِ الإشارةِ تتسعُ لتحتوي فضاءً نصيًّا أكبر، لكون المشار إليه أشخاصاً أو ذواتٍ أو أزمنة أو أماكن، وهي تمثِّل بأصنافها المتعدِّدة إحالةً قبليَّة بمعنى أنَّها تربطُ جزءاً لاحِقاً بجزءٍ سابِق، ومن ثُمَّ تُسهِم في اتساقِ النصِّ([٣٦]). ويُراد بالعائدية الإشارية عود عنصر لغوي، مباشرة، على ذات غير لغوية، يتحكم في تحديد إحاليته المقام التواصلي للمشاركين في عملية التخاطب. ومِنْ ضروبِ هذهِ العناصر أسماء الإشارة.. كهذا، وهذه... والظروف الزمنيَّة والمكانيَّة كالآن، وهنا، وهناك...إلخ([٣٧]). وهذه العناصِرُ الإشاريَّة تؤدِّي دوراً بارزاً "في تعيينِ المرجع الذي تشيرُ إليه. وهِيَ بذلكَ تضبطُ المقامَ الإشاريِّ"([٣٨]). وقمينٌ ذكرهُ هنا أن علّةَ ضيقِ الجهازِ الواصف للنحو، هِيَ اقصاؤهُ المعارف غير اللغويَّةِ مِنْ عمليَّةِ الوَصْفِ([٣٩])، وإهدارهُ للسياق الخارجيِّ الّذِي يُمَثِّلُ الإطار الواقعيِّ الّذِي يُمكننا مِنْ خلالهِ تأويلَ النصِّ وفهمهِ على الوجهِ الأمثل.

ويفيدُ التعريفُ بالإشارة أغراضاً تجمعُ بينَ الاختصار، والتعظيم، والعهدِ، والعموم، واستحضار الخبر المتقدِّم، وبلاغة البُعْدِ والقُرْب الذي يشيرُ إليه الاسم. فَمِنَ السياقاتِ البلاغيَّة التي وردَ فيها اسمُ الإشارةِ الدَّال على الإيجاز([٤٠])، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾

٣٠- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب:١٣٢.
٣١- شرح المفصّل للزمخشري: ٢/ ٣٥٢.
٣٢- الإحالة اللغوية بالمُبْهَمات:٢.
٣٣- نسيج النص.. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً:١١٨.
٣٤- الجنَّة في القرآن.. دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦١.
٣٥- البلاغة والأسلوبية:٢٦٣.
٣٦- تأويل الجملة القرآنية الواحدة: ٣٤٠.
٣٧- العائدية الخطابية: مقاربة تداولية معرفية:٧.
٣٨- نسيج النص.. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً:١١٦.
٣٩- العائدية الخطابية: مقاربة تداولية معرفية:٧.
٤٠- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦١.

أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[41]. فقد عدَّدَتِ الآيات صفات المؤمنين وأعمالهم التي أوصلتهم إلى الجزاء العظيم، وهي ثماني صفات جاءَ بعضُها في إثرِ بعض، فلمَّا أرادَ القرآن ذكر الجزاء استعملَ اسم الإشارة (أُوْلَئِكَ)، مُستغنياً عن إعادَتِهَا، وبهذا حقّقَ الاختصار مِنْ جهة، وأثبتَ هذه الصفاتِ لهم[42]. أضف إلى ذلك، أنه "لـمَّـا أُجريت عليهم هذهِ الصِفات الجليلة أخبر عَنْ جزائِهم عليها بأنَّهُم مُكْرَمون في الجنَّة. وجيء باسمِ الإشارةِ للتنبيهِ على أنهم استحقّوا ما بعد اسم الإشارةِ مِنْ أجلِ ما سبقَ قبل اسم الإشارة"[43]. فالموصوفون بتلكَ الصفات، ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ مُتنعِّمين بالثواب الأبديّ، وكأنَّ الإكرامَ فيها واقِعٌ لَهُم الآن[44]. والملحوظُ هنا أيضاً أن اسمَ الإشارةِ قد حقّقَ تماسُكاً واضحاً بين تلكم العناصر التي تعاقبت الواحدة تلو الأُخرى، مع إبقاءِ ذاكرةِ المتلقي نشطةً لِمَا سيَؤُول إليه جزاءُ هؤلاءِ الموصوفينَ بتلكَ الصِفَات الخيِّرة، الأمرُ الذي حقّقَ التواصُل والاستمراريَّة في هذا الخطاب، فضلاً عن إنشاءِ علاقةٍ إحاليَّة مُترابطة.

وقمينٌ بيانهُ هنا أن الآياتِ الدَّالةِ على الغَرَضِ السَّابق تتعَدَّد في سورةِ الفرقان أيضاً، فقد ذكرتِ الآياتُ أعمالَ أهلِ الجنَّة، ثم استعملتِ الإشارة للدَّلالةِ عليهم، دون حاجةٍ إلى تَكْرَارِ هذه الصِفات[45]، إذ إن الموقفَ يترَكّزُ على ذِكْرِ الجزاءِ الذي يَدُلُّ عليه قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾[46]. فلـمَّـا بَيَّن سبحانُه صِفَاتِ المتقين المخلصين، ذكرَ إحسانَهُ إليهم، بقوله: ﴿أُوْلَئِكَ﴾ الموصوفون بتلكَ الصفاتِ الثمانية السَّابقة، والمستجمعون لتلكَ الخِصَال الفاضِلَة ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾، أي: يُثابون أعلى مَنازِلِ الجنَّة[47]. فالتصديرُ باسمِ الإشارةِ للتنبيهِ على أن ما يَرِدُ بَعْدَهُ كانوا أحرياءَ بهِ لأَجْلِ ما ذُكِرَ قبل اسمِ الإشارةِ، والباءُ سببيَّة، و(ما) مصدريَّة في قولهِ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، أي: بصبرِهِمْ، وهو صبرُهُم على ما لقوا مِنَ المشركين مِنْ أذى، وصبرُهُم على كَبْحِ شَهَواتِهم، لأجلِ إقامَةِ شرائعِ الإسلام، وصبرُهُم على مشقّةِ الطاعات[48]. فتلكَ الخِصَالُ الرفيعةُ من قبيلِ: التواضُع، وتركِ الإسراف، والتنزهِ عَنِ الشِرْكِ، وترك الفاحشة، وقتل النفس، وغيرها مِمَّا ذُكِرَتْ قَبْلَ العُنْصُرِ الإشاريِّ، هي بمثابةِ المراقي نحو غرفاتِ الجنَّة. فهناكَ إذاً رَبْطٌ معنويٌّ بَيْنَ هذهِ الصفاتِ المتعدِّدة وبين حصولِ الجنَّة، وهناك أيضاً رَبْطٌ شكلي بَيْنَ العناصر الواصفة وبَيْنَ العنصر الإشاري، الأمر الذي يسهمُ في تأكيدِ صفةِ النصيَّة في هذا الخطاب القرآنيِّ.

وَمِنْ ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾[49]. فقوله: ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى الموصوفين بالصِفَاتِ السابقة، ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، أي: بساتينُ إقامةٍ وخلود[50]. فالجملةُ مستأنفة استئنافاً بيانيًّا، لأنَّ ما أُجْمِلَ مِنْ عدم إضاعَةِ أجرهم يستشرف بالسَّامع إلى ترقّبِ ما يُبَيِّنُ هذا الأجر، وافتتاحُ الجُمْلَةِ باسمِ الإشارةِ لِـمَـا فيهِ مِنَ التنبيهِ على أن المشارَ إليهم جديرون لِـمَـا بعد اسمِ الإشارةِ لأجلِ الأوصافِ المذكورة قبل اسمِ الإشارةِ، وهي كونهم آمنوا وعملوا الصالحات[51]، ومن هنا فإنَّ مفهومَ المعلومةِ السَّابقة يتعلّقُ بالصيغة الإحاليَّة (أولئك) التي تأتي بعدها، كما يتعلّقُ نصيًّا بِمَا يَتوالى توالياً زمنيًّا، أي

٤١- (سورة المعارج: ١٩-٣٥).
٤٢- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦١.
٤٣- التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٧٥.
٤٤- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٠/ ٢٢٠.
٤٥- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦١.
٤٦- (سورة الفرقان:٧٤-٧٦).
٤٧- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٠/ ١٢١.
٤٨- التحرير والتنوير: ١٩/ ٨٤.
٤٩- (سورة الكهف: ٣٠-٣١).
٥٠- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٦/ ٣٤٦.
٥١- التحرير والتنوير: ١٥/ ٣١١.

في المقام الأوَّل بأفقيَّة تتابُعِ العناصِرِ اللغويَّة في نصّ مَا([٥٢])، وعليهِ فما يلحظهُ المتلقِّي هنا أن اسمَ الإشارةِ (أولئك) قد دلَّ دلالةً واضِحَة على المَشار إليهم، ذلك المشار الذي لَمْ إلاّ يُكرَّرْ إيثاراً للإيجاز والاختصار، ولِرَبْطِ الكلام بعضه ببعض.

ومِنْ صُوَرِ الإحالة القبليَّة، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾﴾([٥٣]). ومعنى قوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ﴾ لا تتبعُ ما لا عِلْمَ لكَ بهِ مِنْ قولٍ أو فعل، نهى أن نقولَ ما لا نعلم، وأن نعملَ بما لا نعلم، ويدخلُ فيهِ النهي عَنْ اتباعِ التقليد، لأنَّهُ اتباعٌ بما لا يُعْلَم صحته([٥٤]). وقوله: ﴿كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ قد صيغ على هذا النظم بتقديم ﴿كُلُّ﴾ الدَّالةِ على الإحاطَةِ مِنْ أوَّل الأمر، وأُتِيَ باسمِ الإشارةِ دون الضمير، بأن يُقالَ: كلها كان عنه مسؤولاً، لِمَا في الإشارَةِ مِنْ زيادةِ التمييز، وأقحم فعلُ ﴿كَانَ﴾ لدلالتهِ على رسوخِ الخبر([٥٥]). فكلُّ أولئك إحالةٌ قبليَّة تؤشِّرُ إلى ملفوظاتٍ سبقَ ذكرُها في الخطاب، وهي: (السمع، والبصر، والفؤاد)، وهذه الإحالةُ الداخليَّة قد أسهمت في تحقيق التماسُك والاتساق في هذا النصِّ، أضف إلى ذلك أن لفظَ ﴿كُلُّ﴾ قد مثَّل سوراً كليًّا، حتَّى استغرقَ ما ذُكِرَ سابقاً، ومن هنا فإنَّ ضمَّ ﴿كُلُّ﴾ إلى ﴿أُوْلَئِكَ﴾ قد دَلَّ على الإحاطَةِ والشمول، فضلاً عن تحقيقِ الترابُط في هذا الخطاب.

ومِنَ الإحالة القبليَّة أيضاً استعمالُ اسمِ الإشارة البعيد، للدَّلالةِ على علوِّ شأنِ أهلِهَا، قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَٰخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾([٥٦]). ولعلَّ في سبقِ هؤلاءِ الفئة يُناسِبُ الخِطَابَ بالبعيد، إشارةً إلى منزلتهم السَّابقة المرتفعة([٥٧])، فـ﴿أُوْلَئِكَ﴾ "إشارةٌ إلى السَّابقين المقرَّبين، الذين عَلَتْ منازلهم، وقربت درجاتهم في الجنَّةِ مِنَ العَرْش"([٥٨]). أضف إلى ذلك أن "جملةَ ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، مُستأنفة استئنافاً بيانيًّا، لأنها جوابُ عَمَّا يثيرهُ قوله ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ مِنْ تساؤلِ السَّامِعِ عَنْ أثرِ التنويهِ بهم"([٥٩]). والمتلقي يشعرُ من خلال هذه الإحالة القبليَّة باسمِ الإشارة إلى علو منزلةِ هؤلاءِ في جنَّاتِ النعيم، بعد أن كانوا في الدنيا يتسابقون في الخيراتِ، فكان جزاؤهم أن يكونوا مِنَ المقرَّبين. و"المقرَّبُ أبلغُ مِنَ القريبِ، لدلالةِ صيغتهِ على الاصطفاء والاجتباء، وذلكَ قُرْبٌ مجازي، أي: شُبِّه بالقربِ في ملابسةِ القريب، والاهتمام بشؤونهِ، فإن المطيع بمجاهدتهِ في الطاعةِ يكون كالمتقرِّبِ إلى الله"([٦٠]). وقد جرى وصفهم في الخطابَ القرآنيِّ بـ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ "ولم يقل: أولئك المتقرِّبون، لأنهم بتقريبِ ربِّهم سبقُوا لا بتقرُّبِ أنفسِهم، ففيهِ إشارةٌ إلى الفضلِ العظيم في حقِّ هؤلاء"([٦١]). إذا "فَمَنْ سَبَقَ في هذهِ الدنيا إلى فعلِ الخير كان في الآخرةِ مِنَ السَّابقينَ إلى دارِ الكرامةِ، فالجزاءُ مِنْ جِنْسِ العمل، وكما تدينُ تُدَان"([٦٢]). ويمكن القول هنا إن التسابُق في وجوه الخير – حتَّى في الدنيا – يجعلُ الإنسان مُقرَّباً، بصرفِ النظرِ عن صفةِ ذلك القُرْب، ولكنَّ التقرُّبَ في كُلِّ الأحوال هو نتيجة للتسابُق في الخيرات، وهذا الترابُط بين السَّبْق والقُرْبِ قد حقّقَ تماسُكاً دلاليًّا، فضلاً عن أن الإحالةَ باسمِ الإشارةِ هنا قد أسهمت في رَبْطِ العناصِرِ بعضها ببعض، وحقّقَتِ التماسُكَ الملحوظ في الملفوظ.

ومِنْ سياقاتِ الإشارة القبليَّة، قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا

٥٢- أساسيات علم لغة النص:٢٦٧.
٥٣- (سورة الإسراء:٣٦).
٥٤- تفسير البحر المحيط: ٦/ ٣٢.
٥٥- التحرير والتنوير: ١٥/ ١٠١.
٥٦- (سورة الواقعة: ١٠-١٤).
٥٧- الجنَّة في القرآن.. دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٢.
٥٨- تفسير البحر المحيط: ٨/ ٢٠٥.
٥٩- التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨٨.
٦٠- م.ن: ٢٧/ ٢٨٨.
٦١- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٨/ ٣٤٩.
٦٢- م.ن: ٢٨/ ٣٤٩.

يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾﴾[٦٣]. فالإشارةُ بقوله: ﴿هَذَا﴾ إلى الجنَّة التي أُزلفت لهم على معنى هذا الذي ترونهُ من فنون نعيمها ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على ألسنةِ الرُّسُل، والجملةُ الاسميَّة: مقول لقول محذوف، وقعَ حالاً مِنَ المتقين، أي: يُقال لهم: هذا ما توعدون[٦٤]. وجملةُ ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ مِنْ تمام مقول القول المحذوف، وهذا الإذن من كمال إكرام الضيف أنه إذا دُعِيَ إلى الوليمةِ أو جيءَ بهِ، فإنَّهُ إذا بلغَ المنزل، قيلَ له: ادخُل بسلام[٦٥]. وهذهِ الجملةُ استئنافٌ بياني، لأنَّ ما قبلها يثيرُ ترقّبَ المخاطَبين للإذن بإنجاز ما وُعِدُوا به[٦٦]، ثم يُبَشَّرُون، ويُقال لهم: ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حَصَلَ فيهِ الدخولُ ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ والدوامُ في الجنَّة[٦٧]. واسمُ الإشارةِ للبعيدِ للتعظيم[٦٨]. ففي هذا الخطاب نتلمَّسُ إحالاتٍ قبليَّةً عدَّة إلى تلكَ الجنَّةِ التي أعدَّها الله للمتقين(*)، فهناك اسمُ الإشارةِ (هذا) الذي يؤشِّرُ إلى تلكَ الجنَّةِ التي اقتربَ ميعادُها، والضميرُ العائدُ إلى الجنَّةِ في كلمةِ (ادخلوها)، واسم الإشارة (ذلك)، بدلاً من (هذا) تعظيماً لهذا اليوم، الأمرُ الذي حقّقَ اتساقاً في هذا الخطابِ القرآنيِّ، إيثاراً للتماسُكِ النصيِّ، والاختصارِ اللغويِّ، ويمكننا أن نوضّح ذلك من خلال الترسيمة الآتية:

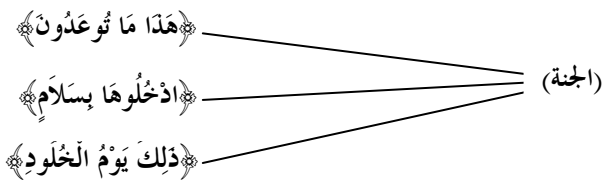

فَهُنَاكَ إذاً في الآيَةِ السَّابِقَة ثلاث علاماتٍ إشَارِيَّة تُؤَشِّرُ إلى العُنْصُرِ الْمَذكُورِ سَابقاً، وَهُوَ (الْجَنَّة)، أَو العُنْصُر الْمُحَالُ إلَيْهِ، الأَمْرُ الّذِي يُؤَكِّدُ أَنَّ التَّحليلَ النَّصِيِّ يَتَجَاوَزُ الْجُمْلَةَ الْوَاحِدَةَ إلى جُمَلٍ مُتَعَدِّدَة، تَتَجَسَّدُ فِيْمَا بَيْنَهَا رَوَابِطُ إحَالِيَّة، سَوَاء كانت إحَالَةً قريبة أَمْ بَعِيدَة.

ومِنْ صُوَرِ الإحالةِ القبليَّة الداخليَّة كذلك، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[٦٩]. فقوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمرَ العظيم، الذي نحنُ فيهِ من النعمةِ والخلودِ، والأمنِ مِنَ العذاب ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لهو السَّعادةُ والظفرُ والسَّلامةُ[٧٠]. وقوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ تذييلٌ لحكايةِ حال عبادِ الله المخلصين، فهو كلامٌ مِنْ جانبِ الله تعالى، للتنويهِ بما فيهِ عبادُ اللهِ المخلصون، وللتحريضِ على العَمَلِ بمثلِ ما عَمِلُوهِ مِمَّا أَوجبَ لهم إخلاصَ الله إيَّاهم، فالإشارةُ في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾ إلى ما تضمَّنَهُ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾[٧١]. أي: لمثلِ نعيمهمْ وأُنسِهم ومسرَّتهم ولذَّاتِهم وبهجتِهم وخلود ذلكَ كلّه[٧٢]. فقد سبقَ في الآياتِ من (٤١ – ٤٩) ذكرُ جزاءِ المؤمنين، مِنَ الرزق المعلوم في جنَّاتِ النعيم، على سُررٍ متقابلين، والطوافِ عليهم بكأسٍ من معين، والتي فيها لذة للشاربين، وقاصراتِ الطرف عين. وقد آثر الخطابُ

٦٣- (سورة ق:٣١-٣٥).
٦٤- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٧/ ٤٦٩-٤٧٠.
٦٥- التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٢٠.
٦٦- م.ن: ٢٦/ ٣٢١.
٦٧- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٧/ ٤٦٩-٤٧٠.
٦٨- التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٢٠.
* وللاتساق درجاتٌ تتوقّفُ على عددِ الوسائل المستخدمة، فكلّما ازداد عددُ الوسائلِ الاتساقيَّة السابكة في نصٍّ ما ارتفعت درجةُ السبكِ (الاتساق) فيه، ومن ثم درجة النصيَّة. ينظر: مظاهر السبك والحبك في نماذج من مقالات سجع الكهان:١٤.
٦٩- (سورة الصافات: ٦٠-٦١).
٧٠- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٤/ ١٩٤.
٧١- (سورة الصافات: ٤١-٤٩).
٧٢- التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٢٠.

القرآني في الإشارةِ إلى ذلكَ كلِّهِ باستعمال العنصر الإشاري ﴿هَذَا﴾ الدَّال على القُرْبِ على استعمال (ذلكَ) الدَّال على البُعْدِ، "وذلكَ لاستحضار أنواعِ النِعَم السَّابِقَة، وكَأنَّهَا واقِعَةٌ مستمِرَّة، تقريراً لها في الذهْنِ والنفس، وحثًّا للعَقْلِ على التفكيرِ، واسترجاعِ مَضْمُون الفوز العظيم"([٧٣]). وفي اسمِ الإشارة (هذا) الذي تكرَّر مرَّتين، إحالةٌ قبليَّة إلى تلكَ الجنةِ التي وَصَفَها الباري – عز وجل – بأوصَافِ النَعيم، وقد حقّقَتْ هذهِ الإحالةُ تماسُكاً نصيًّا على امتدادِ تسعِ آياتٍ متتالية، الأمرُ الذي يُؤكِّد مَدَى اتساقِ الخطابِ القرآنيِّ وتلاحُمه.

وقريبٌ مِنْ ذلكَ قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾([٧٤]). فقوله: ﴿هَذَا﴾ إشارةٌ إلى ما سبقَ ذكرهُ من قوله ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾. (سورة ص: ٤٩). وجيءَ باسمِ الإشارةِ القريب تنزيلاً للمشارِ إليهِ منزلةَ المشار إليهِ الحاضِرِ إيماءً إلى أنه محقق وقوعُه تبشيراً للمتقين([٧٥]). ومن هنا فإنَّ نظمَ الكلامِ في النصِّ يقتضي القول: (ذلكَ ما توعدون ليومِ الحِسَاب)، إشارةً إلى ما سبقَ مِنْ نعيم، بَيْدَ أنَّ التعبيرَ القرآني يُفَضِّلُ استعمالَ اسمِ الإشارةِ الدَّال على القريب([٧٦])، وهو بذلك "يقصدُ تميزهُ لإحضارهِ في ذهنِ السَّامعِ حِسًّا، فالإشارةُ أكملُ ما يكونُ في التمييز"([٧٧]). وإن مِنْ تمامِ الصياغةِ، وإحكامِ النَّظْمِ، إيرادُ اسم الإشارةِ القريب (هذا) لاستقطابِ نفسِ المخاطَب، ولفتهِ لِمَا سَبَقَ مِنْ جزاءٍ كريم، وذلك لتكريسِ النعيم، وتأكيدهِ في الحسِّ الظاهِرِ والباطِن([٧٨]). وهذا ما يُؤدِّي إلى تنبيهِ الذاكرة، وإبقائِها في حالةِ تحفّز نَشِط، الأمرُ الذي يفضي إلى التماسُك بين تلكم المتتاليات اللغويَّة، ولكأنها حاضرةٌ في النسقِ اللغويِّ نفسهِ، وقد تزامَن تنزيلهُ مع تفاعُلِ المخاطَب معهُ، الذي بدا وكأنه المعنيُّ نفسه بهذا الخطاب، إذ يتلقاهُ وكأنما أُنزِل عليه، أضف إلى ذلك أن هذا القرب المكاني – عَبْرَ هذه الآليَّةِ الإشاريَّة – يُسهِّل عمليَّةَ الفَهْمِ والإدراك.

ومِنْ أمثلةِ الإحالة القبليَّة الداخليَّة أيضاً، قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾([٧٩]). ويُحلِّل أبو حيَّان هذهِ الآية بقوله: إنَّ الله جل وعلا بعد أن ذكرَ جملةً مِنَ الأنبياءِ وأحوالهم، ذكر ما يؤول إليهِ حالُ المؤمنين والكافرين من الجزاء، ومَقَرُّ كُلِّ واحدٍ من الفريقين، ولما كان ما يذكرهُ نوعاً مِنْ أنواعِ التنزيل، قال ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ كأنه فصلَ بَيْنَ ما قبلهُ وما بعدهُ. ألا ترى أنه لما ذكر أهلَ الجنَّة وأعقبه بذكر أهلِ النَّار قال ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾([٨٠]). وقال ابنُ عبَّاس: "هذا ذكرُ مَنْ مضى مِنَ الأنبياء". وقيل: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾، أي: شَرَفٌ تذكرونَ بهِ أبداً([٨١]). وقولُهُ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ إشارة إلى عددٍ متوالٍ مِنَ الأحداث السابقة، ويعضدهُ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾([٨٢]). وتفصيلُ العاقبة (جنَّات) للأُولى، و(جهنَّم) للثانية في كلامٍ لاحِق، أمَّا في قوله: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾([٨٣]). فالإشارةُ إلى اللاحِق، أو السَّابِق (للعذاب)، وفي قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾([٨٤]). والجامعُ لهذهِ السياقاتِ التنبيهُ إلى أَمْرٍ عظيم، سواء بـ(هذا)، أو بـ(ذلك)، وهي دلالةٌ أزالتِ الفروقَ التي حدَّها النحاةُ

٧٣- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٣.
٧٤- (سورة ص: ٥٠-٥٤).
٧٥- التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٨٣.
٧٦- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٣.
٧٧- أساليب بلاغيَّة:١٤٧.
٧٨- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٣.
٧٩- (سورة ص: ٤٩).
٨٠- (سورة ص: ٥٥).
٨١- تفسير البحر المحيط: ٧/ ٣٨٧.
٨٢- (سورة ص:٥٥-٥٧).
٨٣- (سورة ص: ٥٧).
٨٤- (سورة ص: ٦٤).

للإشارةِ إلى المدى، وجعلت منهما رابطاً نصيًّا، وبذلكَ تكون الإحالةُ في أغلبِ السياقاتِ السَّابِقَة إحالةً نصيَّة([85]). ومن هنا يتجلّى لنا كيف ساهمت أسماءُ الإشارة تلك في تحقيقِ الرَّبْطِ بين المتتالياتِ اللغويَّة في هذا الخطاب، رغم وجود ذلك التباعُد النسبيِّ الملحوظ بين تلك العناصر المتعاقبة، الأمر الذي يؤكّد مدى اتساق النصّ القرآني وانسجامه.

ومِنْ أمثلةِ الإحالة البعديَّة الداخليَّة، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾([86]). واسمُ الإشارةِ هُنَا يفيدُ القُرْبَ المكاني، أولا ترى أنَّ المقامَ هُنَا هُوَ مقامُ حديثٍ عَنْ هَادٍ، يقودُ النَّاسَ إلى أقوم الطرق، ولأنَّ كون الهادي قريباً هُوَ أنْجَحُ لرِسَالتِهِ، وأقطعُ لِعُذْرِ مَنْ ينصرفُ عَنِ الاسترشادِ بهديه، بَيْنَما استخدمَ اسمَ الإشارَةِ للبعيد – مُشيراً إلى القُرْآن نَفْسِهِ – عِنْدَما تَحَدَّثَ عَنْ بُعْدِهِ عَنِ الرَّيْبِ، فكانَ الحديثُ عَنْهُ باسْمِ الإشارَةِ البعيد، أنسبُ في الدَّلالةِ عَلَى ذلِكَ([87])، وَأَجْدَر في تركيزِ الاهتمامِ عَلَى قُطّاع مِنَ النَّصِّ بعينهِ، فَتَدْفَعُ الْمُتَلَقِّي إلى تَكْثِيفِ انْتِبَاهِهِ عَلَى ذلِكَ الْمُحْتَوَى الْمُهِمِّ في الْخِطَاب([88])، وَهُوَ إِضَافَةً إلى ذلِكَ يُسْهِمُ في تحقيقِ ترابُطٍ نَسِيجِيٍّ وَاضِح في هذا النَّصّ، فَضْلاً عن تحقيقِ قُرْبٍ مكانِيٍّ مَلْحُوظ، بِحَيْثُ يَتَلَمَّسُه الْمُتَلَقِّي لَحْظَةَ تَلَقِّيه الخِطَاب.

ومِنْ صُوَرِ الإحالة إلى خارجِ النصِّ، قولُهُ تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾([89]). فقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ إقبالٌ على خِطَابِ الّذينَ عَبَدُوا مَعْبُودَاتٍ يُسَوِّلها لهم الشيطانُ، إذ تبدو لهم جهنَّم بحيث يُشَار إليها، ويَعْرِفُون أنَّها هِيَ جهنَّم التي كانُوا في الدنيا يُنْذَرُون بِهَا، وتُذكر لهم في الوعيدِ مُدَّة الحياة، والأمر بقوله: ﴿اصْلَوْهَا﴾ مُستعملٌ في الإهانةِ والتنكير، والباءُ في ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ سَبَبِيَّة، أي: بسببِ كُفْرِكُم في الدنيا([90]). فالمشركون بعد تأنيبهم وتوبيخهم بقولِهِ تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢﴾([91]). خُوطِبُوا بما يزيدهُم حَسْرةً وألماً، فقيل لهم مِنْ جهةِ الملائكة: ﴿هَذِهِ﴾ النَّارُ المسعَّرةُ هِيَ ﴿جَهَنَّمُ الّتِي كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تُوعَدُونَ﴾ بِهَا على ألسنةِ الرُّسُلِ والمبلغين عنهم، فاتبعتم وساوِسَ الشيطان، وعصيتُم الرَّحمن([92]). ومن حيثُ التحليلُ النصيِّ فإن العُنْصرَ الإشاريِّ (هذهِ) إشارةٌ خارجيَّة إلى العُنْصُر الْمُعْجَمِيِّ (جهنَّم)، ذلِكَ العُنْصُرُ الّذي لم يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ في الآيَاتِ السَّابِقَةِ، أَضِفْ إلى ذلِكَ فَإِنَّ هذِهِ الإِحَالَةَ الإِشَارِيَّة تقومُ برَبْطِ النَّصِّ بالْمَقَامِ الخارجيِّ، الأَمْرُ الّذي يُؤَكِّدُ الْمَنْحَى التَّداوُلِيِّ في هذا الْخِطَابِ الّذي قَدَّمَ مَشْهَدَ العَذابِ بصُورةٍ حِسيَّة شَاخِصَة يَكَادُ أَنْ يَتَلَمَّسُهَا الْمُخَاطَبُ لَحْظَةَ تَلَقِّيْهِ الخِطَاب.

---

[85]- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة:١٥٥.

[86]- (سورة الإسراء:٩).

[87]- من بلاغة القرآن:١٠٦.

[88]- مدخل إلى علم لغة النص:٩٥.

[89]- (سورة يس: ٦٣- ٦٦).

[90]- التحرير والتنوير: ٢٣/ ٤٩.

[91]- (سورة يس: ٥٩-٦٢).

[92]- حدائق الروح والريحان: ٢٤/ ٨٣.

ومِنَ صُوَرِ الإشارةِ القبليَّة، قولُهُ تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[٩٣].

فاسمُ الإشارةِ ﴿ذَلِكَ﴾ أصلهُ (ذا)، والكاف للخِطَاب، وزِيْدَتِ اللامُ لتدُلَّ على بُعْدِ المشارِ إليهِ، لأنَّ حقيقةَ الإشارةِ الإيماءُ إلى حاضِر، فإذا أرادُوا الإشارةَ إلى مُتنحٍ مُتَبَاعِد، زادُوا كافَ الخِطَاب، وجَعَلُوهُ علامةً لِتَبَاعُدِ المشار إليهِ، فقالُوا: (ذاكَ)، فإن زاد بُعْدُ المشار إليهِ، أتَوْا باللامِ مَعَ الكاف، فقالُوا: (ذَلِكَ)، واستفيد باجتماعهما زيادةٌ في التباعُدِ، لأنَّ قوَّةَ اللفظِ مُشْعِرَةٌ بقوَّةِ المعنى[٩٤].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ جملةٌ واقعةٌ موقعَ التعليلِ، فلذلك فصلت عَنِ التي قبلها، وإشارةُ ذلكَ إلى مضمون قولِهِ: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وضمير ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ عائدٌ إلى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ﴾، والباءُ للسببيَّة[٩٥]. فالسياقُ القرآني هنا يتحدَّث عَنْ خطيئةِ الكفرِ باللهِ تعالى مِنْ بعد الإيمان، ويشيرُ إلى العقوبة التي يُناسِبُها، وهي غضبُ الله وعذابٌ عظيم، واسمُ الإشارةِ ﴿ذَلِكَ﴾ إحالةٌ قبليَّة داخليَّة إلى مضمون تلكَ العقوبةِ العظيمة التي تناسِبُ ذلكَ الذنبِ العظيم، والمعنى أن هؤلاءِ "قد حلَّ بهم غضبُ الله، ووجَبَ لهم العذابُ العظيم، مِنْ أجلِ أنهم اختارُوا زينةَ الحياةِ الدنيا على نعيمِ الآخرة. ولأنَّ اللهَ لا يُوَفِّقَ القومَ الذينَ يَجْحَدُونَ آياتِهِ مع إصرارِهم على جُحودِهَا"[٩٦]. فتكون الإشارةُ هُنَا إلى البعيدِ تعظيماً للعِقَابِ الذي سينالوهُ، أو أن تكون إشارةٌ إلى الذنبِ الذي ارتكبُوهُ، أي: كفرهم بعد الإيمان[٩٧]، لأنه "قد استقرَّ في قلوبهم أحقيَّة الإسلام، وما رجَعُوا عنهُ إلا خوفَ الفتنةِ، أو رغبةً في رفاهيَّةِ العَيْشِ، فيكونُ كفرُهم أشدَّ مِنْ كُفْرِ المستصحبين للكُفْرِ مِنْ قبل البِعْثة"[٩٨]. وقد وُصِفَ سببُ هذا الارتداد ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا﴾، فقد بالغُوا في حبِّ الدنيا، كما أن المقابلةَ بَيْنَ الدنيا والآخرة في السياق يُوحي بأنَّهُمْ أخضعُوا المسألةَ إلى مقياسِ عقولِهم، فكانوا خاسرين[٩٩]، وذلك بعد أن استحبُّوا الدنيا وزينتَها على الآخرةِ ونعيمِها، وهذهِ الإشارةُ القبليَّة إلى المشار إليهِ سابقاً، تُعزِّز من قوَّةِ الترابط القائمةِ بين العناصرِ اللغويَّةِ في هذا الخِطَابِ القرآني.

ومِنْ شواهِدِ الإحالة القبليَّة كذلك، قول الباري تبارك اسمه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[١٠٠]. فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللّهِ﴾ المشار إليه هو المصدرُ المفهومُ مِنَ الفِعْلِ قبله ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾﴾[١٠١]. إمَّا الاجتباءُ، وإمَّا الهداية، أي: ذلك الاجتباءُ هدى، أو ذلك الهدى إلى الطريق المستقيم هدى الله[١٠٢]. وقال ابن عطيَّة: (ذلك) إشارةٌ إلى النعمة في قوله (وَاجْتَبَيْنَاهُمْ)[١٠٣]. فالمشارُ في هذهِ الآيةِ قَدْ قامَ مقامَ تعبيراتٍ عِدَّة، فكانت آلية اقتصاديَّة حالت دون الحاجة إلى إعادة عناصر لفظيَّة أخرى، وهذا الشكل البديل للتعبير المشارك له في المدلول، يظهرُ جليّاً من خلال (الإشارة اللاحقة) لعباراتٍ سابقة، الأمر الذي ساهم في تحقيق مبدأ الالتحام

٩٣- (سورة النحل: ١٠٦-١٠٩).
٩٤- شرح المفصل: ٢/ ٣٦٥.
٩٥- التحرير والتنوير: ١٤/ ٢٩٦.
٩٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤/ ٣٧٦.
٩٧- تأويل الجملة القرآنية الواحدة:٣٤٥.
٩٨- التحرير والتنوير: ١٤/ ٢٩٦.
٩٩- تأويل الجملة القرآنية الواحدة:٣٤٥.
١٠٠- (سورة الأنعام: ٨٨).
١٠١- (سورة الأنعام: ٨٧).
١٠٢- تفسير البحر المحيط: ٤/ ١٧٩. والدر المصون في علوم القرآن المكنون: ٥/ ٣٠.
١٠٣- تفسير البحر المحيط: ٤/ ١٧٩.

النصي، فهناك إذاً إحالة مرجعيَّة إلى نصوص سابقة، حققت ذلك التآلف البنائيِّ بين تلكَ التتابعاتِ اللفظيَّة في الآياتِ القرآنيَّة، والإشاريَّاتُ هذهِ مِنَ الآليَّاتِ المناسبة لإضفاءِ التماسُكِ على النصِّ القرآنيِّ.

ومِنْ أمثلةِ الإحالةِ البعديَّةِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾[١٠٤]. وقوله: ﴿قَضَيْنَا﴾ بمعنى قدرنا، وضُمِّنَ معنى أوحينا، فَعُدي بـ(إلى)، والتقديرُ: وقضينا ذلك الأمر فأوحينا إليه، أي إلى لوط (عليه السلام)، أي أوحينا إليه بما قضينا، و﴿ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ إبهامٌ للتهويل، والإشارةُ للتعظيم، أي الأمر العظيم[١٠٥]، وإنما أُبْهِمَ الأمرُ الّذِي قضاهُ عليهم أولاً، وفسَّرَهُ ثانياً تفخيماً له، وتعظيماً لشأنه[١٠٦]. و﴿أَنَّ دَابِرَ هَـؤُلاَءِ مَقْطُـوعٌ﴾ جُملةٌ مفسِّرة لـ﴿ذَلِكَ الأَمْرَ﴾، وهي المناسبة للفعلِ المضمن وهو (أوحينا)، فصارَ التقديرُ: وقضينا الأمرَ وأوحينا إليهِ أن دابر هؤلاءِ مقطوع[١٠٧]، وقوله: ﴿دابر هؤلاءِ مقطوع﴾ هو كنايةٌ عن الاستئصال[١٠٨]. ومِنْ حيثُ التحليلُ النصيُّ فإنَّ العُنْصُرَ الإشاريَّ (ذَلِكَ) تحيلُ إحالةً بعديَّة إلى قولهِ: ﴿دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾، هذا وأن العلاقة الترابُطيَّة بَيْنَ المشارِ والمشارِ إليهِ قد أسهمت في تحقيقِ التماسُكِ النصيِّ على المستوى العام مِنْ هذهِ الآية.

ومِنْ الإحالةِ الخارجيَّةِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[١٠٩]. والمعنى (تلك) التي سمعت بذكرها، وبلغك وصفها (الدَّار الآخرة)، أي نعيمُ الدار الآخرة، وهي الجنَّة[١١٠]. وفي تحليلِ هذهِ الآية ذهب (ابن عاشور) بقوله إلى أنه بعد أن "انتهت قصَّة قارون بِمَا فيها مِنَ العِبَر مِنْ خيرٍ وشرّ، أُعقبتْ باستئنافِ كلامٍ عَنِ الجزاءِ على الخيرِ وضدِّهِ في الحياةِ الأبديَّة، وأنها مُعِدَّةٌ للّذين حالُهُم بضدِّ حال قارون، مع مناسَبَةِ ذكرِ الجنَّة بعنوان الدَّار، لذِكر الخَسْفِ بدارِ قارون، للمقابلةِ بَيْنَ دارٍ زائِلَة ودارٍ خالِدَة. وابتدىء الكلامُ بابتداءٍ مشوق، وهو اسمُ الإشارةِ إلى غير مذكور مِنْ قبلُ لِيَسْتَشْرِفَ السَّامِعُ إلى معرفةِ المشارِ إليهِ، فيعقبُهُ بيانهُ بالاسم المعرَّف باللام الواقِع بياناً أو بدلاً مِنْ اسمِ الإشارة"[١١١]. والإشارةُ في قوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى الجنَّة، أشارَ إليها بإشارَةِ البعيد، لِقَصْدِ التعظيمِ لها، والتفخيم لشأنها[١١٢]. وقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ﴾ إحالةٌ خارجيَّة، لأنه لم يجرِ ذكرٌ للجنَّة، والمتلقي يَعْرِفُ ذلكَ مِنْ خِلالِ خلفيَّتِهِ الثقافيَّة، ومعرفته المسبقة بالعالم.

ومن شواهِدِ الإحالةِ القبليَّة بالعُنصرِ الإشاري (كذلك)، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾[١١٣]. والإشارة بقوله ﴿كَذَلِكَ﴾ إلى النعيم المشاهَد، إن كانتِ الجملةُ التي فيها إشارةٌ موجّهة إلى المتقين، أو الإشارة إلى النعيم الموصوف في قوله: ﴿فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ﴾[١١٤]، إن كانتِ الجملةُ المشتملة على اسمِ الإشارةِ موجّهة إلى المكذبين[١١٥]. والكافُ في (كذلك) اسم بمعنى

١٠٤- (سورة الحجر: ٦٦).
١٠٥- التحرير والتنوير: ١٤/ ٦٥.
١٠٦- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٥/ ٩٧.
١٠٧- التحرير والتنوير: ١٤/ ٦٥.
١٠٨- تفسير البحر المحيط: ٥/ ٤٤٩.
١٠٩- (سورة القصص:٨٣).
١١٠- الكشاف: ٣/ ٤٢٠. وتفسير البحر المحيط: ٧/ ١٣١.
١١١- التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٨٩.
١١٢- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢١/ ٣٠٤.
١١٣- (سورة المرسلات:٤١- ٤٤).
١١٤- (سورة المرسلات: ٤١).
١١٥- التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤٤٥.

(مثل) مبني على الفتح في محل نصبٍ صفة لمصدرٍ محذوف، تقديرهُ: "إنَّا نجزي المحسنين جزاءً مثل ذلكَ الجزاءِ الذي جَزَيْنَا به المتقين. ذا: اسمُ إشارةٍ مبني على السكون في محلِّ جرّ مضاف إليه، واللام للبعد، والكافُ حرف خطاب"(١١٦)، وما يلحظهُ المتلقّي في هذهِ الآيَةِ أن العُنصرَ الإشاريَّ (كذلك) قد عزَّزَ فيها مِنْ قوَّةِ التَّرابُط النسيجيِّ، ذلك التَّرابُط الّذِي يشعرُ بهِ المتلقّي لحظة تلقيِّهِ الخِطَاب، وخاصَّة إذا تخيَّل الآيَة بدون هذا العنصر الرَّابط، يضافُ إلى ذلك أنَّ هذا العنصر ربما يُشعرُ بدلالةٍ إضافيَّة ألا وهي التوكيد، وعليهِ فالدلالةُ الكليَّة للمتتالياتِ اللغويَّة إنما تكمُنُ في تعالقها وترابطها.

ومن صُوَرِ الإحالةِ القبليَّة أيضاً، قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٤﴾(١١٧). إنا مثل ذلك الفعلِ نفعلُ بكلِّ مجرمٍ، يعني أن سببَ العقوبةِ هو الإجرامُ، فمنِ ارتكبه استوجبها(١١٨). وقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾، أي: مثل هذا الفعلِ بهؤلاءِ (نفعلُ) بكلِّ مجرمٍ، فيترتّبُ على إجرامهِ عذابهُ(١١٩). وجُملة ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ تعليلٌ لِمَا اقتضتهُ جُملة ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾(١٢٠). أي فإن جزاءَ المجرمين يكون مثلَ ذلكَ الجزاءِ في مؤاخذَةِ التابِع المتبوع(١٢١). وإن (كاف التشبيه) في هذه البنية، قد قوَّت صِلَة الإشارة، وشكلت تشابُهاً أو مماثلة بين الفعلِ السَّابق لها، والفِعْل اللاحِق، والاهتمامُ هنا ليس بالأحداث في حدِّ ذاتها، بل ما انتهت إليه الأحداث (أي النتيجة)، ويكون الحكمُ اللاحِق كضميرِ الإشارةِ مُتَرَتِّباً على هذهِ النتيجة. وقد تقدَّمَ على الضمير عددٌ كبير مِنَ الأحداث، التي تصوِّرُ التكذيبَ، والضلالَ، وإنكارَ التوحيد، ثم يترتّبُ على ذلكَ نتيجة، أي العقوبة، وهي العذاب(١٢٢)، فالمتلقّي لهذا الخطاب لا بُدَّ وأن يتحسَّسَ بوضوح ذلك الاتساق التركيبي والانسجام الدلاليّ فيما بَيْنَ عناصِره المتشابكة.

ومن أمثلةِ الإحالةِ القبليَّة كذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤﴾(١٢٣). فالإشارةُ هنا إلى ما حدث مع يوسف (عليه السَّلام)، فقد شكّكَ قومهُ فيما أتى بهِ مِنْ معجزات(١٢٤). "ثم إنهم بقوا في نبوته شاكين مُرتابين، ولم ينتفعوا البتة بتلك البيِّنات، فلمَّا مات قالوا: إنه ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾(١٢٥). وإنما حَكَمُوا بهذا الحُكْمِ على سبيلِ التشهِّي والتمنِّي مِنْ غيرِ حُجَّةٍ ولا بُرْهَان، بل إنما ذَكَرُوا ذلكَ ليكون ذلكَ أساساً لهم في تكذيبِ الأنبياء الذين يأتون بعد ذلك(١٢٦). وفي هذا السياق يقول الرازي أن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللّهُ﴾، يعني "أي مثل هذا الضلال يضلُّ الله كُلَّ مُسْرِفٍ في عِصْيَانهِ، مُرْتَابٍ في دينه"(١٢٧)، وقمينٌ ذكره هنا أن العُنصرَ الإشاريّ في هذا الخطاب القرآنيِّ قَدْ أسهمَ في تحقيقِ ترابُطٍ نسيجيٍّ واضِح على المستوى الكُليِّ مِنْهُ، ومِنْ هُنَا فإنَّ الألفاظَ قد تمتلكُ دلالاتٍ إضافيَّة بِقَدْرِ ما تمتلكهُ مِنْ دلالاتٍ أصليَّة.

١١٦- بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً وإيجاز: ١٠/ ٤٦٢.
١١٧- (سورة الصافات: ٣٣- ٣٤).
١١٨- الكشاف: ٤/ ٣٩.
١١٩- تفسير البحر المحيط: ٧/ ٣٤٢.
١٢٠- (سورة الصافات: ٣٣).
١٢١- التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٠٦-١٠٧.
١٢٢- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٦٠- ١٦١.
١٢٣- (سورة غافر: ٣٤).
١٢٤- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٦١.
١٢٥- (سورة غافر: ٣٤).
١٢٦- التفسير الكبير: ٢٧/ ٦٣.
١٢٧- التفسير الكبير: ٢٧/ ٦٣. والكشاف: ٤/ ١٦٢.

ومن أنماطِ الإحالةِ القبليَّة أيضاً، قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٣٣﴾[١٢٨]. فقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ مثل ذلكَ العذاب – الذي بلونا به أهلَ مكّة وأصحابَ الجنَّة – عذابُ الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ أشدُّ وأعظم[١٢٩]. فالعنصرُ الإحاليُّ هنا يشيرُ إلى مجموعةٍ مِنَ الجمل السَّابِقَة التي تصوِّرُ ما حدثَ مِنْ بلاءٍ لأصحابِ الجنَّة، الذين وُصِفوا بأنهم ضالون، ومجرمون، وظالمون، وطاغون، فذلكَ البلاءُ المشار إليه[١٣٠]، ومن هنا فإن الدلالةَ الكليَّة لا تتحصَّلُ من جُملةٍ واحدة، وإنما هي حصيلةُ مجموعةٍ مِنَ الجملِ المترابطة، الأمر الذي يؤكّد أن التحليل لا بُدَّ أن يتجاوز الجملة الواحدة إلى ما وراءها من جُمَل، لأن البنية الكليَّة أو الفهم الكليّ إنما يقومُ على اعتبارِ الخطاب كلِّه.

ومن شواهِدِ الإحالةِ القبليَّة بالعنصر الإشاري، قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾[١٣١]. وقد حلّلَ الزمخشري هذه الآيةَ، بقوله: "ومعناهُ كَمَا وَجَبَ إهلاكهم في الدنيا بالعذابِ المستأصِل، كذلكَ وجبَ إهلاكهم بعذابِ النَّارِ في الآخرة"[١٣٢]. الواو عاطفة على جُمْلةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[١٣٣]. والكاف: اسم بمعنى (مثلُ)، مبني على الضم في محل رفعٍ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير (الأمرُ مثل)[١٣٤]. أي: ومثل ذلكَ الحقِّ حقّت كلماتُ ربِّكَ، فالمشارُ إليهِ المصدر المأخوذ من قوله ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾. ولكَ أن تجعلَ المشار إليهِ (الأخْذَ المأخوذ) من قوله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾[١٣٥]، أي ومثل ذلكَ الأخذِ الذي أخذ الله به قومَ نوحٍ والأحزاب من بعدهم، حقّت كلماتُ اللهِ على الذين كفروا، فَعُلِمَ مِنْ تشبيهِ تحقّق كلماتِ اللهِ على الذين كفروا بذلكَ الأخذ، لأن ذلكَ الأخذَ كان تحقيقاً لكلماتِ الله، أي تصديقاً لِمَا أخبرهم بهِ مِنَ الوعيد[١٣٦]، وعليهِ فما يلحظهُ المتلقّي في هذا الخطاب هو ذلك التلاحُم النصيِّ الواضح بَيْنَ عناصرِهِ اللغويَّة ذلك التلاحم الّذِي تجسَّدَ مِنْ خلالِ هذا العنصرِ الدلاليِّ الرَّابط.

الإحالة بالضمير:

والضَّميرُ(*): "هُو مَا وُضِعَ لِمُتَكَلِّم، أو مُخَاطَب، أَوْ غَائِبٍ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ لَفْظاً أَوْ مَعْنَىً، أَوْ حُكْماً"[١٣٧]. وهُوَ الاسْمُ الْمَوْضُوعِ "لِتَعيينِ مُسمَّاهُ مُشْعِراً بِتَكَلّمِهِ أَوْ خِطَابِهِ أَوْ غِيْبَتِهِ"[١٣٨]، بِأَلْفَاظٍ مَحْصُورَةٍ، وَقَدْ وُضِعَ لِكُلِّ مَقُولَةٍ تَصْرِيفِيَّةٍ ضَمِيْرٌ مُخْتَلِف، تِلْكَ الْمَقُولاتُ الصَّرفِيَّةُ تَتَمَثَّلُ في الشَّخْصِ: الْمُتَكَلِّم والْمُخَاطَب والغَائِب(**)، النوع: التَّذكيرُ والتَّأنيث، العدد: الإفراد

١٢٨– (سورة القلم: ٣٣).
١٢٩– الكشاف: ٤/ ٥٧٩.
١٣٠– دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة:١٦٢.
١٣١– (سورة غافر: ٦).
١٣٢– الكشاف: ٤/ ١٤٦–١٤٧.
١٣٣– (سورة غافر: ٥).
١٣٤– مَعْرِضُ الإبريز من الكلامِ الوجيز: ٤/ ٩٥٦.
١٣٥– (سورة غافر: ٥–٦).
١٣٦– التحرير والتنوير: ٢٤/ ٨٧ – ٨٨.
* هو تسميةُ البصريين، ويُسَمِّيهِ الكوفيُّون الكناية، والمكنّي. ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢/ ٩١١.
١٣٧– شرح كافية ابن الحاجب: ٣/ ٦.
١٣٨– شرح التسهيل لابن مالك: ١/ ١٢٠.
** ويمكننا أن نميِّز بَيْنَ الضمائر من حيث أنَّ بعضَها يفيدُ إحالةً داخليَّة، مِنْ قبيل ضمير المتكلّم والمخاطَب، أمَّا ضمير الغائب فيفيدُ إحالةً خارجيَّة، لأنه ليس حاضراً في النصِّ لحظة إنجازِ الخطاب.

والتثنية والجمع، كما جعل لكل وظيفة نحوية ضمير خاص في حالات الرفع والنصب والجر، وفي حالة الاتصال والانفصال، ولبعض الضمائر تصرفات مختلفة حال الاستعمال(١٣٩)، وتُعَدُّ الضمائر من مُعَوِّضَات الأَسْمَاءِ العائدةِ إليها، تستخدم بحثاً عن الاختصار، ويسمّى الاسم الذي يعود عليه الضمير مُفسِّر الضمير(١٤٠). والمضمراتُ هذهِ لا يتحدَّدُ مُحْتَواها إلا إذا رُبِطَت بِمَا يُفَسِّرها(١٤١)، لما فيها مِنَ الخفاءِ والإبهام، فَأُحْوِجَتْ إلى مَا يُزِيْلُ إبهامَهَا، فَجَاءَ دورُ المرجَعِ الّذِي يتقدَّمُ عَلَيها(١٤٢)، لافتقار كُلِّ ضميرٍ إلى مُفسِّره(١٤٣). ويُؤكِّد د.تمام حسَّان أن "الأغلبَ في هذا المرجع أن يكون اسماً ظاهِراً مُحدَّد المدلول، ومِنْ هُنَا يكون تحديدُ دَلالةِ هذا الظاهِر قرينة لفظيَّة تعيِّنُ الإبهام، الذي كان الضميرُ يشتملُ عليهِ بالوضع، لأن معنى الضمير وظيفيٌّ، وهو الحاضِرُ أو الغائِبُ على إطلاقِهما، فلا يدلُّ دلالةً مُعجميَّة إلا بضميمةِ المرجع، وبواسطةِ هذا المرجع يمكن أن يدلَّ الضميرُ على مُعيَّن، وتقدُّم هذا المرجع لفظاً أو رتبةً، أو هُمَا معاً ضروريَّانِ للوصُولِ إلى هذهِ الدَّلالة"(١٤٤).

والضَّمَائِرُ عامَّة هِيَ ألفاظٌ مُبْهَمَة غامضة، ولكن منها ما تلازِمُهُ القرينة، بحيث أنها بمجرَّدِ وقوعها ينتفي الإبهام، كما هو الحالُ في ضميرِ المتكلِّم والمخاطَب، أمَّا ضمائِرُ الغائِب فإنها تستدعي دائماً ما يزيل إبهامَهَا، ويُفسِّر غموضَهَا، ولعلَّ حضورَ المتكلِّم، أو المخاطَب، في لحظةِ الكلام هو ما يُفَسِّر الغموضَ الذي يكتنفُ وحدةَ الضمير، ولكنَّ ضميرَ الغائِبِ غير معروف إلا إذا عُرِفَ العائِدُ، أي: أنهُ بحاجةٍ إلى مرجع يحيلُ إليه، ويزيل إبهامه. ومِنَ الممكن أن تُؤدِّي الضمائِرُ وظيفةً دلاليَّة، مثلما يمكن أن تكون للرَّبْطِ، وتحقيقِ الانسجامِ في الخِطَاب(١٤٥). وهذه الضمائر تكتسبُ أهميتها، بصفتها نائبة عَنِ الأسماءِ، والعبارات، والجُمَل فقد يحلُّ ضمير محلَّ كلمةٍ، أو عبارةٍ، أو جملةٍ، أو عِدَّة جُمَل. ولا تقفُ أهميتها عند هذا الحد، بل تتعدَّاهُ إلى كونها تربطُ بين أجزاءِ النصِّ المختلفة، شكلاً ودلالةً، داخليًّا (Endophoric)، وخارجيًّا (Exophoric)، وسابقة (Anaphoric)، ولاحقة (Cataphoric)(١٤٦). وما يُقال عن وظيفة الضمير في الجملة، يمكن أن يُقال مثله على مستوى النصِّ، فليست وظيفةُ الضمير هي الإحلال فقط، أو التعويض عَنِ الاسم الظاهِر، لكن تتعدَّاها إلى كونهِ رابِطاً يُحَقِّق التماسُك النصيِّ، ومن ثم له أهميته القصوى في التحليلِ النصيِّ(١٤٧)، وعليهِ فإنَّ (هارفج) يَعُدُّ الضمائِرَ وسائِلَ تعبيرٍ مسؤولة عَنْ عمليَّةِ تكوين النصِّ(١٤٨) حتى أنه حدَّ النصَّ بأنهُ "توالي وحداتٍ لغويَّة مُكوَّنة مِنْ خلال تسلسل ضميريّ مُتَّصِل"(١٤٩)، ويتحدَّدُ دور الضّمير في ترابط النّصّ على مستوى التّركيب، ابتداءً من دورِه في الترابط الجمليّ، أمّا دورُه في التّرابط على المستوى الدّلالي، فيُتصوَّرُ من خلال المُطابَقَةِ بين الضّميرِ الرّابطِ والمرجعِ الذي يعود عليه داخل البنية اللغوية، لأنّ المطابقةَ تؤدّي إلى تماسك النصّ وانسجامِه، وعَدَمها يؤدّي إلى تفكّك النّص واختلافِه. وإذا ضُمِنَ التّرابطُ النّصّي وانسجامُه على المستوى اللّغوي أدّى ذلك إلى حصولِ الانسجام على مستوى المعاني والمفاهيم التي يُحيل عليها النصُّ، وكان النصُّ صحيحاً لغويًّاً لدى المُخاطَب، ويتحقق فيه شرطُ المقبوليّة الدّلالية التي لا تحتمل الشّكّ أو اللّبس(١٥٠). ومن هنا يتوضَّحُ لنا أن للضمير وظيفةً ترابطيَّةً تلاحميَّةً بَيْنَ أجزاءِ النصِّ الواحِد، وهو يسهمُ بشكلٍ فاعِل في اتساقِ الخطاب القرآنيِّ. ونعرِّج هنا إلى بعض السور القرآنيَّة القصار، محاولة مِنَّا لالتماسِ مدى تماسُكِها النصيِّ، ونبدأ

١٣٩- دراسة لسانيَّة صورية للوحدات اللسانية الدّالة (ضمير المتكلم نموذجاً):٤٤.
١٤٠- العائدية الخطابية: مقاربة تداولية معرفية:٥.
١٤١- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة:١٠٥.
١٤٢- تأويل الجملة القرآنية الواحدة:٣٠٢.
١٤٣- همع الهوامع: ١/ ٦٥.
١٤٤- اللغة العربية معناها ومبناها:١١١.
١٤٥- الالتزام ودلالات الضمائر في شعر توفيق زيّاد:١١٩.
١٤٦- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ١٣٧.
١٤٧- م.ن: ١/ ١٤٨.
١٤٨- أساسيات علم لغة النص:٢٦٩.
١٤٩- م.ن: ٢٧٢.
١٥٠- دور الضمير في ترابط النصّ على المستوى اللغوي والدلالي:٤.

منها بسورةِ القارِعَة. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾[١٥١].

الحديثُ في سورةِ القارعة كلّه عَنْ مشاهِدِ يومِ القيامة، مَوْقِفُ النَّاس، مَوْقِفُ الجبال، مَوْقِفُ مَنْ ثَقُلَت موزاينهُ، مَوْقِفُ مَنْ خفّت موازينهُ، أمَّا حركةُ الضمائِر فيها فقد توزَّعَت على اتجاهاتٍ مُتَعَدِّدة، ومع ذلكَ فهناكَ تماسُكٌ دلاليٌّ قائِمٌ في السُّورة، وهذا مِنْ مميزات النصِّ القرآنيِّ، فالسُّورةُ كلُّها تتحدَّثُ عَنْ موضوعٍ واحِد، وهو القارِعَةُ، وما تستدعيهِ مِنْ مَوَاقِفَ في هذا اليوم. وعَنِ الضمائِرِ أيضاً، فهناكَ اثنان يعودان إلى النبـي (صلى الله عليهِ وسلّم) في الآيتين (٣، ١٠)، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾. وهناكَ ضمائِر ستَّة تعودُ إلى النَّاس في (٦، ٧، ٨، ٩)، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، وضمير واحِد يعودُ إلى النَّار. ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾. ووجودُ هذهِ الضمائِر منها ما يُحَقِّق التماسُك عَنْ طريقِ المرجعيَّة، بين آيتين متجاورتين، ومنها ما هو بين ثلاث آيات، فالأُولى في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

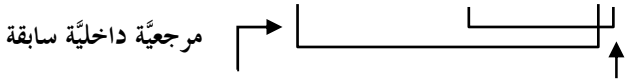

وكذا الحالةُ الثانية في مثل:

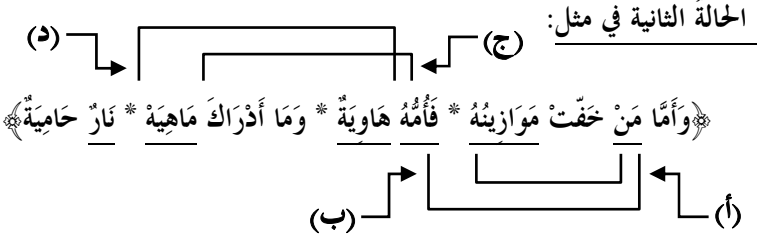

(أ) ترابط داخليٌّ على مستوى الآية الواحِدَة (مرجعيَّة داخليَّة سابقة) ﴿مَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

(ب) ترابط داخليٌّ على مستوى الآيتين (مرجعيَّة داخليَّة سابقة) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

(ج) ترابط داخليٌّ على مستوى الآيتين (مرجعيَّة داخليَّة سابقة) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾.

(د) ترابط داخليٌّ على مستوى ثلاث آيات (مرجعيَّة داخليَّة سابقة) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[١٥٢]. وبما أنَّ (٨) تتماسَكُ مع (٩)، و(٩) تتماسَكُ مع (١٠)، و(٩) تتماسَكُ مع (١١)، إذاً (٨، ٩، ١٠، ١١) مُتَمَاسِكَاتٌ مَعَاً[١٥٣]. فنحنُ نلاحِظ على مستوى الآيةِ الواحِدة تماسُكاً ظاهراً من خلال الاسم الموصول (مَنْ) والضمير العائد إليه في (موازينه)، أمَّا على مستوى الآيتين فالتماسُك مُنْبَنٍ على (مَنْ) الموصولة أيضاً، والفِعْل والفاعِل (خفّت موازينه) صلة الموصول. وهناك ترابُط داخلي على مستوى الآيتين أيضاً بين (هاوية)، و(مَاهِيَه)، وأخيراً هناك تماسُك واضِح على مستوى آياتٍ ثلاث ذات إحالةٍ داخليَّة سابقة، لذكرِ المرجوعِ إليهِ، وهذا التماسُك الثلاثي إنما يتحقّق عبر تراكيبَ ثلاثة، وهي: (أمُّه هاوية)، (وما أدراكَ ماهيه)، (نارٌ حامية). أمَّا التماسُك النصيِّ على مستوى النص القرآني المعجِز، فيتجلّى بهذه الصورة وهي: مَنْ خفّت موازينه فأمُّه هاوية، والهاوية ما هي، إنها نارٌ حامية، كما "نلاحِظُ أن (٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١) تفصيلٌ لكلمةِ (النَّاس) في الآية الرابعة ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[١٥٤]، والنَّاسُ يومَ القيامة على هذين الصنفين. ومفتاحُ السورةِ الذي تدورُ حَوْلَهُ السُّورةُ كلّها هُوَ كلمةُ (القارِعَة)، إذ

١٥١- (سورة القارعة:١-١١).

١٥٢- (سورة القارعة:٩-١١).

١٥٣- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٢٢٩-٢٣١.

١٥٤- (سورة القارعة: ٤).

كلُّ ما فيها يرتبطُ دلالةً بهذهِ الكَلِمَة"[١٥٥]، ومِنْ خلالِ التحليلِ السَّابق يتجلّى لنا بوضوح ذلِكَ التَّماسُكِ النسيجيِّ القائِم بَيْنَ عناصِرِ الآيةِ السَّابقة.

أمَّا حركةُ الضمائِرِ في سورةِ (التكاثر) فتختلفُ عمَّا هي عليهِ في سورةِ (القارِعَة)، كونها تُحَال إلى مَرْجَعٍ واحِد، وإذا كان هناكَ غموضٌ يحيطُ بمرجعيَّة الضمائِرِ، فيستوجِبُ على متلقي الخطاب أن يتحرَّى البيئة المحيطة بالنصِّ، أمَّا في القرآن الكريم فَمِنَ الواجِبِ على المتلقي الرجوع إلى أسبابِ النزول بناءً على ما ذهبَ إليهِ لسانيُّو النصِّ. والضمائِرُ في سورةُ (التكاثر) لا يمكننا معرفةُ مرجعيَّتِها دون معرفةِ أسبابِ نزولِها، وهناكَ روايتانِ في نزولها، إحداها للسيوطي (ت٩١١هـ)، وهِيَ تقول: إنها نزلت في قبيلتين مِنَ الأنصار، وهما: (بني حارثة)، و(بني الحارث) – أمَّا الواحِدي (ت٤٦٨هـ)، فقد ذكر: أنها نزلت في حيين مِنْ قريش، وهما: (بني عَبْدِ مَنَافٍ)، و(بني سَهْمٍ) – تفاخَرُوا وتَكَاثَرُوا، فقالت إحداهُما: فيكم مثل فلان، وفلان، وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخَرُوا بالأحياء، ثم قالوا: انطلِقُوا بِنَا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين، تقولُ: فيكم مثل فلان، ومثل فلان، يشيرون إلى القبر، وتقولُ الأُخرى مثل ذلك[١٥٦]، فأنزلَ الله: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[١٥٧]. أمَّا الروايةُ الأُخرى فقد أخرجَ ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) عن (عليّ) قال: كُنَّا نشكّ في عذابِ القبر حتَّى نزلت ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في عذابِ القبر[١٥٨]. هذا هو المذكور والمنطوق في القرآن الكريم، أمَّا المسكوتُ عنهُ، فيمكن للمتلقي استيحاءَهُ مِنْ خلال ما ينطوي عليهِ الخطابُ القرآنيِّ مِنْ دَلالاتٍ مُتجدِّدة، بشرطِ أنْ يتحمَّلَها السياقُ، وقوانينُ اللغةِ العربيَّة. فالإنسانُ اليوم بدأ غارقاً في لُـجَّـةِ التكاثر، فهو يتكاثرُ لاهياً بألقابهِ، وأقرانه، وعقاراته، ومناصبه إلى آخرِ هذهِ المحسوساتِ الماديَّة، ولكنه حين يخرجُ مِنَ الدنيا عُنْوةً منهُ، ويدخلُ أوَّلَ منازِلِ الآخرة، سيرى الحقيقةَ بأمِّ عينيهِ، ومن ثمَّ لا يُجديهِ ما كان يتكاثر به لاهياً في دنياهُ الدنيَّة..! فالسياقُ الخارجيِّ إذاً هُوَ الذي يعينُ في تحديدِ مَرْجعيَّة الضمائِر، وبدونهِ فالضمائِرُ في نصِّ ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ كلُّها تفيدُ العموم، فلا نعرفُ هل هي للنَّاس جميعاً، أم أنها لفئةٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ النَّاس؟ في حين يمكننا أن نعرف عَنْ طريقِ السياقِ الفئةَ التي يخصُّها الخِطابُ القرآني تحديداً دون غيرها مِنَ الفِئَات، وإن كان النَّاسُ جميعاً معنيين بهذا الخطاب الإلهيِّ، ما بقيتِ الحياةُ على ظهرِ الأرض. وفيما يتعلّق بالضمائِرِ في هذهِ الآيةِ أيضاً فإنها جاءَت كالآتي:

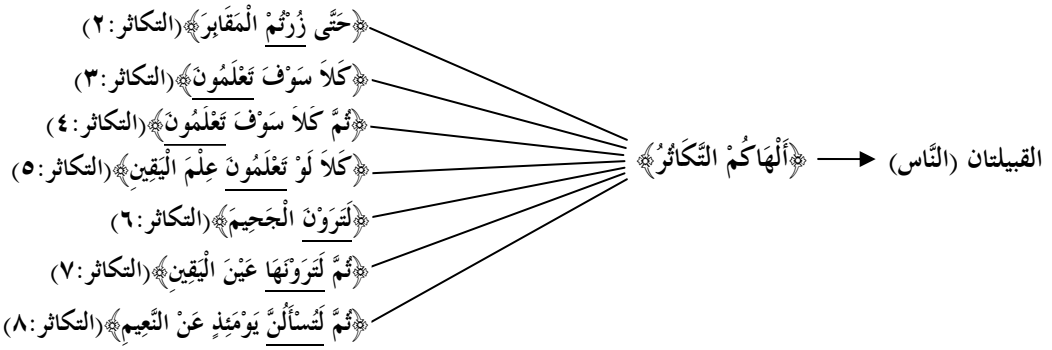

ومرجعيَّةُ الضمائِرِ في هذهِ السُّورة من (١ – ٥) هي مرجعيَّةٌ خارجيَّة، لأنه لم يَجْرِ ذكرٌ لهاتين القبيلتين في هذهِ الآياتِ على امتدادِها، في حين هناكَ مرجعيَّةٌ داخليَّة بين الآيتين (٦ و ٧)، وتحديداً بين الكلمتين (الجَحِيم)، و(لَتَرَوُنَّهَا)، فـ(ها) تعودُ سابِقَةً إلى (الجَحِيم)، ومِنْ هُنَا "فالآياتُ تجمعها وحدةٌ معنويَّة متمثِّلة في العَرْضِ لِمَا حَدَثَ بينَ القبيلتين مِنْ تفاخُرٍ في الدنيا ثمَّ إرشادِهِم إلى أنَّ

١٥٥– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٢٣١.
١٥٦– أسباب النزول، للواحدي:٤٩٩، وأسباب النزول، للسيوطي:٣٠٤.
١٥٧– (سورة التكاثر:١–٨).
١٥٨– جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٤/ ٦٠٠.

الأهمَّ هو ما سَوْفَ يأتي في الآخرة لا في الدنيا، وهذا الإطارُ الدلاليِّ الواحِد يُحقِّق – بالطبع – تماسُكاً دلاليًّا. فاللهو بالتكاثُر إذاً هُوَ مفتاحُ النصِّ، وما دامَ هذا اللهو لا يحملُ أهميَّةً عند الله، فقد أُلْحِقَ الأهمُّ، وهو يومُ القيامة. فالضمائِر هنا تماسَكَتْ لتحقيق مقصديَّة السُّورة، فكلُّها تَتَّجِهُ مِنْ حَيْثُ الشَّكْلِ إلى المُخَاطَبِ، ومِنْ حَيْثُ الدَّلالةُ فقد حَمَلتِ الآياتُ معنىً واحِداً قَصَدَتْ إليهِ السُّورة، وتلكَ المقصديَّة يُمكِن أن تُطَبَّقَ في مَرْجعيَّاتِ الضمائِر في النصوص كُلِّها، فكلُّ نصٍّ لهُ مقصديَّةٌ أو هَدَف، والضمائِر تُسْهِمُ في تحقيقِ هذه المقصديَّة مِنْ خلالِ الرجوعِ إلى السَّابِق أو اللاحِق في داخِلِ النصِّ أو خارِجِه، إضافةً إلى المقصديَّة الأساسيَّة للسُّورِ المكيَّة، بصفةٍ عامَّة، وهي إقرارُ حقيقةِ العقيدة"([159])، تلك العقيدةُ التي تمثِّلُ الغرضَ القصديَّ الذي يريدُ الخِطَابُ القرآنيُّ تحقيقَهُ في هذهِ الآية.

وعليهِ فالتماسُكُ الدلاليُّ هنا إنما يظهرُ في وحدةِ مقصديَّة السُّورة، وهي إقرارُ حقيقةِ التوحيد والألوهيَّة للهِ تعالى، والتماسُك الشكليِّ في دورِ الضمائِر الظاهِر في رَبْطِ هذهِ الآياتِ، وتوجيهها إلى مراجِعَ مُتَعَدِّدة كلُّها تصبُّ في إطارِ الموضوع الأساس. وجملةُ الأساس، أساسُ النصِّ، هي مفتاحُ السُّورة، الجملةُ الأُولى التي ارتبطت بها بقيةُ الآياتِ عَنْ طريقِ مرجعيَّة الضمائِر، والتَّكْرَار، وَالعَطْف، والدَّلالَة([160])، أَضِفْ إِلى ذلِكَ أَنَّ هذا التَّعَدُّد الإِحَالِيِّ قَدْ أَسْهَمَ في تكوينِ شَبَكَةٍ إِحَالِيَّةٍ وَاسِعَة جَمَعَتْ حَوْلَهَا العديدَ مِنَ الإحالاتِ داخِلَ البِنَاءِ النَّصِيِّ.

ومن أمثلة الإحالة القبليَّة، قولُهُ تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾([161]). فالضميرُ في الوَصْفِ (غافِر، قابِل، شديد، ذي الطول) مُتَحَمَلٌ، وإنْ لَمْ يظهرْ نحويًّا ولا شكليًّا، فإنَّ (غافِر) مثلاً مُتَحَمِلٌ للضمير لو كان منوَّناً، ولكنَّهُ لـمَّا أُضيفَ لم يتحمَّل الضمير، ولكنَّهُ مَطْوِيٌّ فيهِ، لأنهُ لولا تحملُهُ الضميرَ بالتقديرِ الذهنيِّ لا النحويِّ لـمَا عادَ الوَصْفُ على لفظِ الجلالةِ (الله). ولكنه إضافةً إلى ذلكَ فهناك في هذهِ الآية إحالةٌ باللفظِ الواصِف (الصِفَة)، حَيْثُ ارتبط لفظُ الجلالة (الله) بمجموعةٍ مِنَ الإحالاتِ البارزةِ مِنْ خِلالِ أَوْصَافٍ مُتَعَاقِبَة، وهِيَ: (غافِرِ الذنب، قابِلِ التوب، شديد العقاب، ذي الطول، إليه المصير)، والْمَلْحُوظُ في هذا الْخِطَابِ أَيْضاً أَنَّ الْبُنْيَةَ الإِحَالِيَّة قَدْ أَوْجَدَتْ فِيْهِ وَحْدَةٍ مَوْضُوعِيَّة مُتَمَاسِكَة تَحَقَّقَتْ مِنْ خِلالِ تِلْكَ الأَوْصَافِ الْمُتَتَالِيَة الّتِي أُسْنِدَتْ إلى لَفْظِ الجَلالة (الله)، فَمَثَّلتْ بذلِكَ تَرَابُطاً دلاليًّا وَاضِحاً فَضْلاً عَنِ التَّرَابُطِ الشّكْلِيِّ.

ويُمكن أن نمثِّلَ للإحالة القبليَّة الداخليَّة أيضاً، بما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾([162]). ففي قوله تعالى ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾ ضميرٌ عائِدٌ إلى ﴿ما يُوحَى إليَّ﴾([163])، وهو القرآن، وما يُوحى به إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)([164]). وهذا الضمير الذي يشيرُ إلى القرآن يدخلُ ضمن ما يُعْرَف بـ(الأشكال البديلة)، وهِيَ كَلِمَاتٌ قصيرة اقتصاديَّة، ليسَ لها مُحتوىً ذاتيٍّ، وإنما تقومُ – في ظاهِرِ النصِّ – مَقامَ تعبيراتٍ تتَّصِفُ بإثارةِ محتوى أكثر تعييناً، وتساعِدُ هذه التعبيرات مُستعملي النصِّ على الاحتفاظِ بالمحتوى، وهو مُهَيَّأٌ في مواقِعِ التخزينِ النَشِط، دون حَاجَةٍ منهم لإعادةِ ذكرِ كُلِّ شيءٍ بتفصيلاتهِ([165])، أو هِيَ عناصِرُ خاوية مُخْتَصَرَة تُسْتَعْمَل لإبقاءِ محتوى العَنَاصِرِ الأكثر كمالاً مُهيأة للتناول. ويتيحُ الإضمارُ حَذْفَ

١٥٩– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٢٣٢–٢٣٣.

١٦٠– م.ن: ١/ ٢٤٠.

١٦١– (سورة غافر:١–٣).

١٦٢– (سورة الأنعام:٥٠ –٥١).

١٦٣– (سورة الأنعام:٥٠).

١٦٤– التحرير والتنوير: ٦/ ١١٣.

١٦٥– مدخل إلى علم لغة النص:٩٢.

بَعْضِ المكوناتِ البنيويَّة شريطةَ أن تكون الصيغة الكاملة قابلة للاسترجاع[١٦٦]، وأشهرُ نَوْعٍ مِنَ (الأشكال البديلة) هُوَ (الضمائر) التي تقومُ مقامَ الأسماء، أو عبارات الأسماء التي تشاركُهَا المدلول[١٦٧]، وهِيَ تُعَدُّ وسيلةً مهمَّةً "مِنْ وسائِل التضام الواضحة"[١٦٨]. وما يخلصُ البحثُ إليه هنا أن الضميرَ العائِد إلى ما يوحى إلى الرسول وهو (القرآن) قد احتفظَ بالمحتوى في حالةٍ نَشِطة دون إعادةِ ما سبق مِنْ تفصيلاتٍ، الأمرُ الذي حقّقَ تماسُكاً نصيًّا واضحاً في هذا الخطاب.

ومِنْ صُوَرِ الإحالةِ القبليَّة قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾[١٦٩]. وقد ألمح الزمخشري إلى هذهِ الإحالةِ، بقولِه: "والهاءُ في (بها) تعودُ على الثلاثة الأشياء، وهي: الكتاب، والحُكْم، والنبوة"[١٧٠]. فنحن نلحظُ هنا أن الضميرَ في (بها) في قوله ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾، وقولِه: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ قد أغنى عن إعادةِ استعمالِ (الكتاب، والحُكْم، والنبوة) في النص، مرَّتين على التوالي، فالشكلُ البديل (بها) قد قامَ مقامَ تعبيراتٍ طويلة، وهذا ما يدخل ضمن "الإشارة اللاحقة: أي استعمال شكل بديل لاحق لتعبيرٍ يُشاركهُ في المدلول، وتُعَدُّ (الإشارة اللاحقة) الاتجاهيَّة، الأكثر شيوعاً في حالاتِ اشتراكِ المدلول"[١٧١]. أضف إلى ذلك "أنَّ (استبدالَ التراكيب) يتمُّ باستعمالِ (الأشكال البديلة) التي تشيرُ إلى بقاءِ محتوى التراكيبِ في حالةٍ نَشِطَة، خِلافاً لشكلِ إخراجِهَا في عالَمِ النَّص"[١٧٢]. كما تُؤدِّي (الأشكال البديلة) إلى توفير الجهد، لكونها أقصر مِنَ التعبيراتِ التي تستبدل بها"[١٧٣]، وَهِيَ إِضَافَةً إِلى ذلكَ تُسْهِمُ في تَحْقِيقِ سِمَةِ الرَّبْطِ التَّلازُمِيِّ بَيْنَ الْعَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُتَعَاقِبَةِ فِي الْخِطَاب، وذلك لأن هناك تطابقاً إحاليًّا بين عناصِرِ التعلّق ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ وبين الضمير ﴿بِهَا﴾ الّذي اتخِذ صيغة إحالةٍ إلى تلك العناصِر، وعليهِ فإنَّ "هذا الضمير إنما يُقدِّمُ للمتلقّي – على مستوى الإحالة – التوجيهاتِ ذاتها التي يقدِّمها عنصر التعلّق"[١٧٤]، ومِنْ هنَا فعنصرُ التعلّق الإحالي (المستبدَل منه) مع صيغة الإحالة (المستبدِل) إنما يُشكلانِ العلاقةَ الإحاليَّة الترابطيَّة.

ومِنْ نماذجِ الإحالةِ البعديَّة، ما ذكرَهُ النحاةُ مِنْ عَوْدِ الضمير على مُتأخِّرٍ لَفْظاً مُتَقَدِّمٍ رُتْبَةً، كَمَا في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[١٧٥]. إنه رَبِّي، الهاءُ في (إنه رَبِّي) هُوَ ضميرُ "الشأن والحديث"[١٧٦]. وعنى بربِّهِ سيدهُ العزيز، فلا يصلُح لي أن أخونَهُ، وقد أكرمَ مثواي، وائتمنني[١٧٧]. وجملةُ: ﴿إِنَّهُ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ تعليلٌ للامتناعِ الكائِنِ منهُ ببعضِ الأسبابِ التي هِيَ أقربُ إلى فَهْمِ امرأةِ العزيز، والضميرَ للشأن، أي: إنَّ الشَّأْنَ والحالَ رَبِّي، وسيِّدِيّ، ومالك رقبتي يعني العزيزَ قد أحسنَ مُعَامَلتي في إقامتي عِنْدَكِ، وأحْسَنَ مثوايَ، وإقامتي حَيْثُ أمرك، وأَوْصَاكِ، بقولِهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[١٧٨]. فكيفَ أخونُهُ في أهلِهِ، وأجيبُكِ إلى ما تريدينَ مِنْ ذلك، فلا أُجزيهِ على إحسانهِ بالإساءة[١٧٩]. ولا

١٦٦– م.ن: ١١٨.
١٦٧– م.ن: ٩٢.
١٦٨– م.ن: ١١٨.
١٦٩– (سورة الأنعام: ٨٩).
١٧٠– الكشاف: ٢/ ٣٣.
١٧١– مدخل إلى علم لغة النص:٩٢.
١٧٢– م.ن: ٩٧.
١٧٣– م.ن: ٩٩.
١٧٤– أساسيات علم لغة النص:٢٩٥.
١٧٥– (سورة يوسف:٢٣).
١٧٦– الكشاف: ٢/ ٤٣٧.
١٧٧– تفسير البحر المحيط: ٥/ ٢٩٤.
١٧٨– (سورة يوسف: ٢١).
١٧٩– تفسير حدائق الروح والريحان: ١٣/ ٣٧١.

يصحُّ هذا التوجيهُ للضمير إلا إذا كان ضمير شأن وحديث(*). ويذهبُ (ابن عاشور) إلى أن ضمير ﴿إِنَّهُ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى اسمِ الجلالة، ويكون ﴿رَبِّي﴾ بمعنى خالقي (وعندها لا يكون ضمير شأن، ولا تكون هناك ثمة إحالة بعديَّة)، ويجوزُ أن يعود إلى معلومٍ مِنَ المقام، وهو زوجها الذي لا يرضى بأن يسمها غيره، فهو معلومٌ بدلالةِ العُرْف، ويكون ﴿رَبِّي﴾ بمعنى سيدي ومالكي. وذُكِرَ وَصْفُ الربِّ على الاحتمالين لِمَا يُؤْذنُ بهِ مِنْ وجوبِ طاعتهِ وشكرهِ على نعمةِ الإيجادِ بالنسبةِ إلى الله، ونعمةِ التربية بالنسبةِ لمولاهُ العزيز، وأكّدَ ذلكَ بوصفه بجملةِ ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، أي: جَعَلَ آخرتي حسنى، إذ أنقذني مِنَ الهلاك، أو أكرم كفالتي([180]). ثُمَّ نبَّهَ على أنَّ إحسانَ الله، أو إحسان العزيز الذي سبقَ منهُ لا يُناسِبُ أن يجازيَ بالإساءَةِ([181]). ولعلَّ الذي يؤيِّدُ التوجيهَ الثاني هُوَ مَا سَبَقَ الضميرَ من آياتٍ، كما في قولِهِ تعالى على لسانِ العزيز مُخَاطِبَاً امرأتَهُ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾([182]). فقولُهُ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ يعني اجعلي محلَّ إقامتهِ كريماً حَسَناً مَرْضِيًّا، والمعنى: أحسني تعهده في المطعم، والمشرب وغيرهما، فهو كنايةٌ عَنِ إكرامِ نفسهِ، وإحسانِ تعهدهِ([183]). فالقرآن الكريم في هذا الخطاب يشيرُ إلى جزءٍ مِنَ الحوار الذي جَرَى بَيْنَ العزيزِ وامرأتِهِ، والّذِي قَالَ فيه: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، وربما كان يوسف (عليهِ السلام) حَاضِراً حينما تكلّمَ العزيزُ بهذا الكلام، ولكنَّهُ لـمَّا بَلَغَ أشدّهُ "أي مُنْتَهى شبابهِ وشدَّتهِ وقوَّته آتيناهُ ﴿حُكْمًا﴾، أي: نبوةً، ﴿وَعِلْمًا﴾ وفقهاً في الدين"([184]). فكان آيةً في الحُسْنِ والجمالِ والقوَّةِ والفتوة، الأمر الذي حرَّكَ نوازعَ الشَّهْوَةِ في قَلْبِ تلكَ المرأة، فراودتهُ عن نفسه، ولكنه استعصمَ، وقال: ﴿مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾. ونلحظُ هنا أن قولَهُ: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ إشارةٌ خفيةٌ إلى قَوْلِ العزيز الذي سبقُ، وهو ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، وهذا التشابُه الجزئي بَيْنَ (مثواي، ومثواه) قد يؤذن بصحَّةِ التوجيه الثاني وجوازِهِ أَيْضَاً، وبَعْدَ كُلِّ ما عرضناهُ آنفاً في هذِهِ الْمَسْأَلة فَإِنَّ "تحديدَ الإحالَةِ المرجوحة مِنَ الراجحة، هُوَ تحديدٌ مُرْتهن بالمأثور النقلي، مَعَ الأخذ بنظرِ الاعتبارِ دَوْرَ الْمُتَلَقِّي وقدرتِهِ على الكَشْفِ عَنِ الأُطرِ المعرفيَّة المختلفة الّتِي تنبثقُ مِنْهَا المفاهيمُ الواصِفَة لاستيحاءِ الْمَعْنَى الْمُرَاد"([185])، يُضَافُ إلى ذلِكَ أن تعدَّدَ المعنى في النصِّ الوَاحِد قَدْ يُبَيِّنُ عدم كفاية القرائن النحوية في توجيهِ مرجعيَّاتِ الضَّمائر بشكلٍ لا كلامَ فيه، مِمَّا يعني أَنَّ قِرَاءَةَ النَّمَط التَّركيبي للخطابِ أصبحَ مُحْتَاجاً إلى قرينة تداوليَّة مِنْ خَارِجِ الْمَلفُوظ([186])، وذلِكَ لأَنَّ عَمَلِيَّةَ التَّخَاطُبِ تُحَيطُ بِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْمُلابَسَاتِ وَالأَحْوَالِ والظرُوف الّتِي تَتَكاتَفُ جَميعاً في فَحْصِ مَدْلول الخِطَاب وإحالاته([187])، وَمِنْ ثُمَّ فهمهِ وإدراكِهِ.

ومِنْ صُوَرِ الإحالةِ البعديَّة أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١﴾([188]). إنه: الهاء ضمير اسم الله تعالى، ويجوز أن يكون ضمير الشأن([189]). وقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا

* يذهبُ أبو حيان الأندلسي – خلافاً للزمخشري – إلى أن هذا التوجيه بعيد، إذ لا يطلُق نبي كريم على مخلوق أنه ربُّهُ، ولا بمعنى السيد، لأنه لم يكن في الحقيقةِ مملوكاً له. ولذا فالأصح أن يعود الضميرُ إلى الله، أي: إن الله ربي أحسن مثواي، إذ نجاني من الجُب، وأقامني في أحسنِ مقام. تفسير البحر المحيط: ٥/ ٢٩٤.

١٨٠– التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٥١–٢٥٢.

١٨١– تفسير حدائق الروح والريحان: ١٣/ ٣٧٢.

١٨٢– (سورة يوسف: ٢١).

١٨٣– تفسير حدائق الروح والريحان: ١٣/ ٣٦٥.

١٨٤– تفسير حدائق الروح والريحان: ١٣/ ٣٦٨–٣٦٩.

١٨٥– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٩٤.

١٨٦– م.ن:١٠٣.

١٨٧– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:١٠٢.

١٨٨– (سورة مريم:٦١).

١٨٩– دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق٣، ج١، مج٨: ١٥٠.

ظَالِمِينَ﴾([190]). وضمير (هي) للقصَّة، كأنه قيل: فإذا القصَّة أو الحادثة (أبصارُ الذين كفروا شاخصة)، ويلزم أن تكون (شاخصة) الخبر، و(أبصار) مبتدأ([191]). وقال الزمخشري: هي ضمير مبهم، توضِّحهُ الأبصار، وتُفَسِّرهُ([192]). وقال الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ): "وإن شِئْتَ جَعَلْتَ (هِيَ) للأبصار، كنيت عنها، ثم أظهرتَ الأبصار لتُفسِّرها"([193]). وَمِنْ حَيْثُ التَّحْلِيلُ النَّصِيُّ فَإِنَّ هذا الْخِطَابَ يُوَجِّهُ عِنَايَةَ الْمُخَاطَبِ إِلى أَمْرٍ مُهِمْ، فلا يَذْكرُهُ بأُسْلُوبٍ خِطَابِيٍّ مُبَاشِر، وَإِنَّمَا يُمَهِّدُ لَهُ بذلِكَ الضَّمِيرِ الّذِي يثيرُ التَّشَوُّقَ وَالتَّشَوُّفَ عِنْدَ الْمُتَلَقِّي لِمَعْرِفَةِ مَا سَيَأْتِي بَعْدَهُ، مُوَضِّحَاً غمُوضَهُ، ومُفَسِّراً إِبْهَامَهُ، وَمُؤَكِّدَاً عَلَى الْمَقْصَدِيَّةِ الْخِطَابِيَّة – الّتِي تُمَثِّلُ أَهمّ العَنَاصِرِ النَّصِيَّة – وُمَحَقِّقَاً بالتَّالِي الغَرَضِ التَّوَاصُلِيِّ الإِقْنَاعِيِّ.

ومِنْ شوَاهِدِ الإحالةِ البعديَّة أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾([194]). قال أبو حيان: (إنها) ضمير للقصة، و(لظى، نزاعة) تفسيرٌ لها، أو للنار الدَّال عليها عذابُ يومئذ، و(لظى) بدل من الضمير، و(نزاعة) خبر (إن)([195]). وقال الزمخشري: "الضمير للنار، ولم يجر لها ذكر، لأن ذكر العذاب دلَّ عليها، ويجوزُ أن يكون ضميراً مُبْهَمَاً، ترجم عنه الخبر، أو ضمير القصَّة، و(لظى) علم للنَّار، منقولٌ مِنَ اللظى: بمعنى اللهب"([196])، فَالْخِطَابُ الْقُرْآنِيِّ في هذِهِ الآيَةِ إِنَّمَا يُوَجِّهُ انتباهَ الْمُتَلَقِّي لِقَضِيَّةٍ كبيرة مِنْ خلالِ التَّمْهِيدِ بضمير الشَّأْن، الأَمْرُ الّذِي يَبْعَثُ فِيْهِ الرَّغْبَةِ لِمَا سَيَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ قِصَّةٍ تَحْمِلُ دلالةً مُكَثَّفة، وَهُوَ إِضَافَةً إِلى ذلِكَ يُمَثِّلُ أَدَاةَ شَكْلِيَّة رَابِطَة فيما بَيْنَ العَنَاصِرِ الخِطَابِيَّة، إِذ إِنَّ الْجُمْلَةَ الْمُفَسِّرَة للضَّمِيْرِ الْمُبْهَم، هِيَ بِمَثَابَةِ رَابِطٍ دلاليٍّ يُحَقِّقُ انْسِجَاماً وَاضِحَاً في الْخِطَاب.

ومِنْ خِلالِ هذا التَّحليلِ النَّصيِّ لهذِهِ الآياتِ وغيرها يظهرُ لنا بوضوحِ الدور الذي يُؤَدِّيهِ ضميرُ الشأنِ في تحقيق تماسُك الخطابِ القرآنيِّ واتِّسَاقِهِ، ومِنَ الجديرِ بالبيانِ هُنَا أَيضاً، أن ضميرَ الشأنِ يفيدُ "شدَّ الانتباهِ بالإبهامِ إلى ما يَليهِ، رغبةً في تعظيمهِ، وتفخيمِ شأنهِ، أو أن يُصْبِحَ ذِهْنُ السَّامِعِ في غايةِ التنبُّه والترصُّد لِمَا سيبيِّنُ الضميرَ، وما يكشفُ فيهِ مِنْ غموض"([197])، أضف إلى ذلِكَ أَنَّ الأُسلوبَ القُرْآنِيَّ لا يأتي بهذا الضمير إلاّ في المواطنِ الّتِي يكون فيها أمرٌ مهم، تراد العناية بهِ، فيكونُ هذا الضميرُ أداةً للتنبيهِ، يدفعُ المرءَ إلى الإصْغَاءِ، فإذا وردت الجملةُ بَعْدَهُ استقرَّت في النَّفْسِ، واطْمَأَنَّ إليها الفؤادُ([198])، الأمر الذي يحقِّقُ التواصُلَ والاستمراريَّةَ في النصِّ. ويدخل هذا الضمير ضِمْنَ ما يُعْرَف بمصطلحِ (الإشارة السابقة)، والذي "يُطلق على استعمال (الشَّكل البديل) الذي يسبق التعبير المشارك له في المدلول... وأفضل حالات أداء هذه الآلية تقعُ حين يكون البعد بين الشكل البديل والتعبير المشارك له في المدلول غير كبير، كأن يكون ضمن حدود جملة واحدة. وكذلك يختلف البُعْد (المسافة) بين الشكل البديل والتعابير التي يشيرُ إليها([199]). وقد يتوجَّهُ (الشكل البديل) صوب حادث، أو موقف بتمامهِ، بدلاً من موضوع مفرد، كما في المثال التالي للمتنبي (من الطويل):

بِدَا قَضَتِ الأيَّامُ ما بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ([200]).

١٩٠– (سورة الأنبياء:٩٧).
١٩١– تفسير البحر المحيط: ٦/ ٣١٥.
١٩٢– تفسير الكشاف: ٣/ ١٣٢.
١٩٣– معاني القرآن: ٢/ ١٢٢.
١٩٤– (سورة المعارج: ١٥–١٨).
١٩٥– تفسير البحر المحيط: ٨/ ٣٢٨.
١٩٦– الكشاف: ٤/ ٥٩٨.
١٩٧– دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة:١٢٧.
١٩٨– من بلاغة القرآن:١٠٦.
١٩٩– مدخل إلى علم لغة النص.. تطبيقات لنظريَّة روبرت ديبوجراند، وولفجانج دريسلر:٩٣.
٢٠٠– ديوان المتنبي:٢٤٨.

إذ إنَّ الشكل البديل هنا، والمتمثِّلُ في الإشارة "ذا" يولد في ذهن مستقبل النص عند مواجهته له، موقعاً خالياً على نحوٍ مؤقت، يتم تزويده بالمحتوى المطلوب (الذي يُشاركه في المدلول) عند استيعاب مستقبل النص للشطر الثاني، وهُوَ جُمْلَةٌ تدلُّ عَلَى مَوْقِفِ "مصائِبُ قَوْمٍ عند قَوْمٍ فوائد"([٢٠١])، تِلْكَ الْجُمَلَةِ الّتِي تَتَضَمَّنُ توجيهاً لِلْمُتَلَقِّي لقضيَّةٍ، تَحْمِلُ – عِنْدَ الْمُخَاطِبِ – حُمُولَةً خِطَابِيَّة مُكَثَّفَة.

ومِنَ الممكن للأشكال البديلة أن تكون مرتبطةً بغير الأسماء أو عبارات الأسماء، فالفعل "يفعلُ" يُستعمَل أحياناً في هيئةِ شكلٍ بديل للحفاظ على وضعِ التهيؤ الذهني لمحتوى عبارةٍ فعليَّة أو فعلٍ أكثر تحديداً([٢٠٢]). كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾([٢٠٣]). فهنا يعملُ الفعل "(س) ينالُ" في هذا النموذج عملَ شَكْلٍ بديل يقوم مقام سينالُ الذين اتخذوا العجل غضبٌ. ومِنَ الممكن أيضاً أن تَرِدَ عناصِر بديلة مثل "هكذا"، أو "ذلك" أو الضمائِر، تاليةً "فعل"، أو "يفعل"، وتكون معهُ شكلاً بديلاً، مُعَبِّرَاً عَنْ حادثٍ، أو موقف([٢٠٤]).

وفي الآيتين الكريمتين الآتيتين، توضيحٌ لهذا الاستعمال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾([٢٠٥]). وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾([٢٠٦]). فالفِعْلُ "يَفْعَلْ" متلواً بـ"ذلك" يؤلِّف شكلاً بديلاً هو "يفعل ذلك"، يحلُّ محلَّ "(لا) تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ"([٢٠٧]). كما نجدُ الشكل البديل "فعل" متلواً بضمير "الهاء" في الآية الكريمة الآتية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾([٢٠٨]). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ما فعلوا العداوة، أو الوحي، أو الزخرف، أو القول، أو الغرور، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، أي: اتركهم وما يفترون من تكذيبك، ويتضمَّن الوعيد والتهديد([٢٠٩]). وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧﴾([٢١٠]). والظاهِر: عَوْدُ الضمير على القتل، لأنه المصرَّحُ به، والمحدَّث عنه، والواو في (فعلوه) عائِدٌ على الكثير. وقيل: لجميع ذلك، إن جعلتَ الضمير جارياً مجرى

٢٠١– مدخل إلى علم لغة النص.. تطبيقات لنظريَّة روبرت ديبوجراند، وولفجانج دريسلر: ٩٣–٩٤.
٢٠٢– م.ن:٩٥.
٢٠٣– (سورة الأعراف: ١٥٢).
٢٠٤– مدخل إلى علم لغة النص: ٩٥ – ٩٦.
٢٠٥– (سورة الفرقان: ٦٨–٦٩).
٢٠٦– (سورة المنافقون: ٩).
٢٠٧– مدخل إلى علم لغة النص: ٩٥ – ٩٦.
٢٠٨– (سورة الأنعام:١١٢).
٢٠٩– تفسير البحر المحيط: ٤/ ٢١٠.
٢١٠– (سورة الأنعام: ١٣٧).

الإشارة([٢١١])، ويظهر من مدونة المفسر أنه لا يكتفي بعرض تعدد احتمالات المرجعية، بل يعمد إلى نسج شبكة متداخلة (معرفية ولغوية) يمكن من طريقها قراءة الخطاب قراءة تداوليَّة([٢١٢])، بحيث تُحَدِّد أهم المعاني القَصْدِيَّة والمقصودة في الخطاب.

ومن الممكن أن تستعمل الإشارة السابقة لتوليد الإثارة عند مستقبل النص([٢١٣])، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾([٢١٤]). فاستهلالُ النصِّ على هذا النحو، بإضمار الشكل البديل "هو" في "يشتري"، وهو شكلٌ غير مَعْلُومُ الهُوية، يدفعُ المستقبلين إلى مُحَاوَلَةِ شغل الفَرَاغِ الّذِي يَتْرُكُه الشَّكْلُ البَدِيل في أَذهَانِهِمْ([٢١٥])، هذا وفضلاً عن ذلك فإنَّ المعلومة السابقة إنما تُمثِّلُ عُنصرَ تعلّق للصيغة الإحاليَّة (أُولَئِكَ)، وهذهِ الصيغة الإحاليَّة مع عنصر التعلّق إنما تؤذن بتحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصِيِّ عَلَى الْمُسْتَوَى الْكُلِيِّ مِنَ النَّصّ.

ومن شواهِد الإحالة البعديَّة، قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٧﴾([٢١٦]). فالشكل البديل (هذا) إشارةٌ سابقة تشتركُ دلاليًّا مع الخبر المتمثِّل في الجملةِ الآتية بأسرها، وهي "صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا"([٢١٧]). فنحن نجدُ أن اسم الإشارة "هذا" يعملُ هنا عَمَلَ شَكْلٍ بديل للتركيب الذي يأتي بعده. وبناءً عليه يكون "مِنَ الممكن إذن، أن يستلزِمَ الأمر الربط بين الأشكال البديلة وبين تراكيبَ بتمامِهَا أو جُمَل بأَسْرِهَا"([٢١٨]). هذا "ولا بُدَّ للأشكال البديلة أيضاً مِنَ التكيُّف مع الْمَقَامَاتِ القَوَاعِدِيَّة الّتِي تَسْتَلْزِمُهَا"([٢١٩])، ذلِكَ التّكَيُّف الّذِي يَتَحَقّقُ بِنَاءً عَلَى الكَفَاءَةِ اللّغوِيَّة والخَلفيَّة المعرفيَّة الّتِي يَمْتَلِكُهَا الْمُتَلَقِّي.

ومن نماذج الإحالة الخارجيَّة، قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٧﴾([٢٢٠])، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٣٠﴾([٢٢١]). فمرجعيَّة الضمائر التي تحيلُ إلى رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) هي مرجعيَّة خارجيَّة. فالخطابُ الموجَّه إليهِ (صلى الله عليه وسلم) لا يخرجُ عَنْ كونهِ تكليفاً بالتبليغ، أو كَوْنِهِ نذيراً، أَوْ بشيراً، أو ردًّا على حُجَجِ المشركين، أو تسلية لهُ بإخبارهِ أن ما يحدثُ له قد حدثَ للرُّسُلِ مِنْ قبل. وهذهِ كلّها أمورٌ مرتبطةٌ بقضيَّةِ السورةِ الأساسيَّة، قضيَّة العقيدة التي يكذبُ بها المشركون، ويؤمنُ بها المؤمنون([٢٢٢]). والمرجعيَّة الخارجيَّة تعتمدُ أساساً على السياقِ المحيطِ بالنصِّ، وهذا السياق يُدركه المتلقي([٢٢٣]). فالآياتُ التي تبهم فيها مرجعيَّة الضمائِر فإن السياقَ هو الذي

٢١١- تفسير البحر المحيط: ٤/ ٢٣٣.
٢١٢- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ١٠٠.
٢١٣- مدخل إلى علم لغة النص: ٩٤.
٢١٤- (سورة لقمان: ٦-٧).
٢١٥- مدخل إلى علم لغة النص: ص٩٤.
٢١٦- (سورة الأنعام: ١٢٦-١٢٧).
٢١٧- مدخل إلى علم لغة النص: ٩٧.
٢١٨- م.ن: ٩٧.
٢١٩- م.ن: ٩٧.
٢٢٠- (سورة الأنعام: ٢٧).
٢٢١- (سورة الأنعام: ٣٠).
٢٢٢- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.. دراسة تطبيقية على السور المكيَّة: ١/ ١٨٧.
٢٢٣- م.ن: ١/ ٢١١.

يكشِفُ ذلكَ الإبهامَ، وبناءً عليهِ فإنَّ المرجعيَّة خارجيَّة، إذ لم يجرِ ذكرٌ صريحٍ لهذهِ الأسماء في النصِّ(٢٢٤). ومن هنا يتبيَّنُ لنا أن "لهذه الضمائِر وظيفةً أساسيَّةً، تتجاوَزُ تلكَ الدَّلالات الجزئيَّة، وهذه الوظيفةُ هِيَ الرَّبْط... كما أن الضمائِر بوصفها عناصِر إحاليَّة تعقدُ صِلَةً وثيقة بين أجزاءِ النصِّ، متجاوزةً المفرداتِ والجمل، ولم يكن مِنَ المستطاعِ بحث تلكَ الوظيفة في إطارِ نظرةٍ تتوقّفُ عِنْدَ حدِّ الجملةِ، وتنفَصِلُ عَنِ السياقات والمقامات التي تبرز قيمة هذه العناصِر(٢٢٥). وبناءً على ما سَبَق فإنَّ للإحَالاتِ المقاميَّة اَثرُها الواضِح في إبداعِ النَّصِّ، لأَنَّهَا تَرْبُط اللغةَ بالسياق الخارجيِّ، غَيْرَ أَنَّهَا لا تعينُ عَلَى اتِّسَاقِهِ بصورةٍ مُبَاشِرة(٢٢٦). وقَدْ أَكّدَ محمَّد خطابي ذلِكَ بِقَوْلِهِ: إنَّ "الإحالةَ المقاميَّةَ تسهمُ في بِنَاءِ النَّصِّ، لأَنَّها تربطُ اللغةَ بسيَاقَ المقام، إلاّ أَنَّها لا تُسْهِمُ في اتِّسَاقِهِ بِشَكْلٍ مُبَاشِر، بَيْنَمَا تَقُومُ الإِحالةُ النصيَّة بدورٍ فعَّال في اتِّساقِ النَّصِّ"(٢٢٧)، وَتَرَابُطِ عَنَاصِرِه الْوَاحِدَة تِلْوَ الأُخْرَى بِحَيْثُ تُشَكِّلُ وَحْدَةً مَوْضُوعِيَّة مُتَمَاسِكَة.

ومِنْ نَماذجِ إِحَالَةِ الضَّمير عَلَى مُسْتَوى النَّصِّ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾(٢٢٨). فَقَوْلُهُ ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِۦ﴾ هُوَ إحالةٌ داخليَّة قبليَّة إلى مَذكُور سَبَقَ ذِكْرُهُ في الخِطَابِ، وقَدْ بَيَّنَ الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) – في تحليلِهِ هذهِ الآيَة – المحال إليهِ، بِقَوْلِهِ: "يُقال: إن الهاءَ الّتِي في (بِهِ) كنايةٌ عَنِ الْهُدَى"(٢٢٩). و(الْهُدَى) قَدْ ذُكِرَ في الآيَة (٣٥) مِنَ السُّورَةِ نَفْسِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾. وَمِنْ هُنَا تَعَدَّى تحليلهُ حدُودَ الآيَةِ الوَاحِدَة إلى مَا سَبَقَها بِعَشْرِ آيَاتٍ(٢٣٠)، وعَلَيْهِ فَإِنَّ الْعُنْصُرَ الإِحَالِيِّ في هذا الخِطَابِ قَدْ تَجَاوَزَ العَدِيْدَ مِنَ الْجُمَلِ نَحْوَ فَضَاءَاتٍ نصيَّة عَبْرَ جُمَلِيَّة مُحَقِّقاً بذلِكَ خَاصِيَّةَ التَّمَاسُكِ النَّصِيِّ، وَمُؤَكِّداً أَنَّ "الْمَلفُوظَ إِنَّمَا يَكْتَمِلُ فَهْمَاً عِنْدَ الْمُتَلَقِّي عِنْدَ اكْتِمَالِ رَوَابِطِهِ الإِحَالِيَّة، وهذِهِ الرَّوابِطُ تَخْتَلِفُ مِنْ حَيْثُ مَدَاها ومَجَالُهَا، فَبَعْضُها يَقِفُ عِنْدَ تُخُومِ الْجُمْلَةِ، وبَعْضُهَا يَتَجَاوزُ الْجُمْلَةَ الوَاحِدَة"(٢٣١)، وَهُوَ ما يُعَزِّزُ الوَحْدةَ الموضوعيَّة في بُنْيَةِ النَّصِّ، وَمِنْ هُنَا فَعَلَى الْمُتَلَقِّي أَنْ يَتَجَاوَزَ "تخومَ الْجُمْلَةِ إلى ما وراءَها مِنْ جُمَل، وأن تَتَّسِعَ دَائِرَةُ النَّظَرِ التَّدَاوُلِيِّ عِنْدَهُ إلى الْمَجْمُوعِ الكُلِّي لِلْخِطَابِ الّذِي يُتَاحُ فِيْهِ تَحْمِيلُ الْمَلْفُوظَاتِ بِمَدْلُولاتٍ يَقْتَضِيهَا مَوْضُوع الخِطَابِ"(٢٣٢)، وفي كُلِّ ذلِكَ تحقيقٌ لاستمراريَّة التَّخَاطُب ومُوَاصَلَتِهِ بَيْنَ الْمُخَاطِبِ والْمُتَلَقِّي.

الإحالة بالاسم الموصول:

الموصول في الدائرة اللغويَّة: هُوَ في الأَصْلِ اسْمُ مَفْعُول مِنْ وَصَلَ الشيء بغيرِهِ: إذا جَعَلَهُ مِنْ تمامِهِ(٢٣٣). ومعنى الموصول أن لا يَتِمَّ بنفسِهِ، ويفتقرُ إلى كلامٍ بَعْدَهُ، تَصِلُهُ بِهِ لِيَتِمَّ اسماً، فإذا تَمَّ بِمَا بَعْدَهُ، كان حُكْمُهُ حُكْمَ سائِرِ الأَسْمَاءِ التَّامّة، يجوزُ أن يقعَ فاعِلاً، ومفعولاً، ومضافاً إليهِ، ومبتدأ، وخبراً(٢٣٤). "وَهُوَ مِنَ الأَسْمَاءِ مَا افتقرَ أبداً إلى عائِدٍ أو خَلَفهُ، وجُمْلَةٍ صريحةٍ، أَوْ مُؤَوَّلَة غير طلبيَّة ولا إنشائيَّة"(٢٣٥). وفي الاصطلاحِ (ضربان): موصول (حرفي)، وموصول (اسمي). فالموصولُ الحرفيِّ هُوَ كُلُّ حَرْفٍ أُوِّلَ

٢٢٤– م.ن: ١/ ٢١٢.
٢٢٥– دراسات لغويَّة تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة:١٦٠.
٢٢٦– دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات:١٧٣.
٢٢٧– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:١٨.
٢٢٨– (سورة الأنعام:٤٦).
٢٢٩– معاني القرآن: ١/٣٣٥.
٢٣٠– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ١٤٧.
٢٣١– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٩٦.
٢٣٢– م.ن:١١٠.
٢٣٣– شرح التصريح على التوضيح: ١/ ١٤٨.
٢٣٤– شرح المفصل: ٢/ ٣٧١.
٢٣٥– شرح التسهيل لابن مالك: ١/ ١٨٦.

مَعَ صِلَتِهِ بالمصدر. والموصولُ الاسميِّ هُوَ كُلُّ اسْمٍ افتقرَ إلى الوَصْلِ بجملةٍ خبريَّة، أو ظرفٍ، أو جار ومجرور، أو وصفٍ صريح([٢٣٦]). ومِنْ هُنَا فالموصولُ هُوَ مِنَ الكَلِمَاتِ التَّركيبيَّة التي طابِعُهَا العام الافتقارُ المتأصِّل إلى غيرها مِمَّا يُوَضِّح معناهُ، فالموصولُ لا يَتَّضِحُ معناهُ إلا بتضامهِ مع صلته([٢٣٧]). وهو "عبارةٌ عَمَّا يحتاجُ إلى أمرين، أحدهما: الصِلَة. والأمرُ الثاني: الضميرُ العائِد مِنَ الصِلَةِ إلى الموصول"([٢٣٨]). ووظيفته هي اختصار الكلام، وأسماء الموصول لا تتم معانيها إلا بصلات توضحها وتخصصها ولا تكون صلاتها إلا الجمل أو الظروف ولا بد في الصلة من ضمير يعود إلى الموصول ولا يجوز تقديم الصلة، ولا شيء منها على الموصول، ولا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي، ويُؤتَى باسم الموصول في الكلام اختصاراً وتجنّباً للتكرار، وإدماجاً لجملة بسيطة في جملة بسيطة أخرى حتى تصيرَ جملةً مركّبةً واحدةً، ويُسمّى الضَّميرُ الذي يربط جملةَ الصّلة باسم الموصول "العائد"([٢٣٩]). ويُشَكِّل الاسم الموصول سمة أسلوبيَّة، وظاهرة تعبيريَّة لافتة للنظر، إذ يُحَقِّق الاسم الموصول – مِنْ خلال السياقاتِ التركيبيَّة – ملامِح تمييزيَّة تُخْرِجُ عَنْ أصلهِ النحويِّ([٢٤٠]). وَمِنْ أهَمِّ الأغراض الدلاليَّة التي يفيدُها الاسم الموصول في نصوص الجنَّة الاهتمام بجملةِ الصِلَة، وبيانِهَا، وَمِنَ المعلومِ أنَّ الموصول مِنَ المبهمات التي لا ينحلُّ إبهامُها إلا بما يتبعُها، وليس هذا حاصِلاً إلا بالاسم الموصول، فيُؤتى بهِ، عندما تكون صلته هي التي عليها مدارُ الحكم"([٢٤١]). والمتلقي للخطاب القرآني يلحَظُ اهتمامَ القرآن بجملةِ الصِلَة، ويهدفُ مِنْ ورائها إلى تنبيهِ المتلقي لمضمون الجملة، فالتعريف بالموصوليَّة له عَلاقةٌ بنفسيَّة المتلقي، إذ هُوَ المِحْوَر الذي يدورُ عليه الاسم الموصول، مِنْ توجيهِ الخِطَاب المباشِر ليتعَلّقَ ذهنهُ بحكمِ الجملةِ الموصولة([٢٤٢])، الأَمْرُ الّذِي يُحَقِّقُ خَاصِيَّةَ التَّوَاصُلِ والاستمراريَّةِ في الخِطَاب.

وَمِنَ التجلّيَّات الأُسلوبيَّة التي يكشفها التعريفُ بالموصول، الإيحاء إلى بناء الخبر، فجملةُ الصِلَة، بِمَا تحمِلُه مِنْ مضامين، ترسِّخُ معرفة الخبر قبل تمامه، ويظهرُ هذا الغرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾([٢٤٣]). فَجُمْلَةُ الصِلَة في هذا النصِّ القُرْآنِيِّ تُوَجِّه عَقْلَ الْمُتَلَقِّي لِمَعْرِفَةِ الْخَبَرِ، فيتوقّع أجرَ مَنْ (سبقت لهم مِنَّا الحُسْنَى)، فَجُمْلَةُ الصِلَة هذِهِ، تهيئ الذِهْنَ لِمَعْرِفَةِ الْخَبَرِ الْمُتَمَثِّلِ في النَّجَاةِ مِنَ العَذاب([٢٤٤])، وتُسْهِمُ في تحقيقِ التَّرَابُطِ النَّصيِّ وتلاحُمِهِ. وشبيهٌ بِمَا سَبَقَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣﴾([٢٤٥]). فَقَدْ أَثارَتْ جُمْلَةُ الصِلَةِ ﴿إِن ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ عَقْلَ المتلقي لِمَعْرِفَةِ الْجَزَاءِ الّذِي يَنْتَظِرُهُمْ، وأشارت إليه (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، وَلَعَلَّ في هذا الأُسْلُوبِ حَفْزاً لذِهْنِ القَارِئِ لِتَلَقِّي الْخَبَر، وحَثّاً لَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِمَضْمُون الصِّلَة([٢٤٦])، وَمِنْ

٢٣٦- شرح التصريح على التوضيح: ١/ ١٤٨.
٢٣٧- الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة:٢٧٤.
٢٣٨- شذور الذهب: ١٨٣-١٨٤.
٢٣٩- الإحالة اللغوية بالمُبْهَمات:٣.
٢٤٠- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٤.
٢٤١- من بلاغةِ القرآن:١٣٦.
٢٤٢- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٥.
٢٤٣- (سورة الأنبياء:١٠١-١٠٣).
٢٤٤- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٦-٦٧.
٢٤٥- (سورة هود:٢٣).
٢٤٦- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٧.

هُنَا فإنَّ تَنْشِيطِ ذاكرةِ الْمُتَلَقِّي لِمَعْرِفَةِ مَا سَيَؤُول إِلَيْهَ مَصيرُ الّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات، إِنَّمَا هُوَ اعتبارٌ للبُنْيَةِ الكُلِّيَّةِ الشَّامِلَةِ لِلْخِطَاب، وتَجَاوُزٌ لحدودِ الْجُمْلَةِ الضيِّقة نحو فضاءاتٍ دلاليَّة وَاسَعة.

ومن صور الإحالة بالموصول، قوله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾[٢٤٧]. فقد نبَّهَتْ جُملةُ الصِلَة (وَالّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا) ذاكرة المتلقي لمعرفةِ العقاب الذي ينتظر الذين يُكذِّبون بآياتِ الله، ويستكبرون عنها، وأومأت إليه (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، وفي هذا الأسلوب تنشيطٌ للمخاطَب لتلقي الخِطَاب، وتحفيزٌ لهُ على الكفِّ عن مضمون الصِلَة، الأمر الذي يفضي إلى التعالُق بين الموصول وجملة الصِلَة ومتعلقاتِها، ومن هنا يظهرُ لنا أن الخطاب القرآني المكتَنِز بالمؤشراتِ الموصوليَّة يُسهم وبدرجةٍ عالية في تحقيقِ التماسُك النصيِّ، فضلاً عن شحنها بدلالاتٍ إضافيَّة حافّةٍ بها.

ومِنْ شواهِدِ الإحالةِ بالاسْمِ الموصولِ، أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾[٢٤٨]. وهُنَا يتقدَّمُ العُنْصُرُ الإشاريُّ المركزي في السورة، وهُوَ (المؤمنون)، وتعودُ عليهِ كلُّ العناصِرِ الإحاليَّة التالية المتمثِّلة في ضميرِ الغيبة للجمع (هُمْ، واو الجماعة)[٢٤٩]. أضف إلى ذلك أن "إجراءَ الصفاتِ على (المؤمنون) بالتعريفِ بطريقِ الموصول، وبتكريره، للإيماءِ إلى وَجْهِ فلاحِهم وعلتِه، أي أن كُلَّ خَصْلةٍ مِنْ هاتهِ الخِصَال هِيَ مِنْ أسبابِ فلاحهم"[٢٥٠]. والعَطْفُ مِنْ عَطْفِ الصِّفَاتِ لموصوفٍ واحدٍ، وتَكريرُ الصِّفَاتِ تقويةٌ للثَنَاءِ عَلَيْهِم، وإعادةُ اسْمِ الْمَوْصُولِ دون اكتفاءٍ بعطفِ صلةٍ على صِلَة، للإشارةِ إلى أن كُلَّ صِفَةٍ مِنَ الصِفَاتِ موجبةٌ للفَلاحِ، فلا يُتَوَهَّمْ أنهم لا يُفْلِحُون حتى يجمعوا بين مَضامين الأَوْصَافِ كُلِّهَا عَلَى سبيلِ الكَمَال، فَنَبَّهَ بتَكْرَارِ الاسْمِ الْمَوْصُولِ على تنوّعِ صِفاتِ المؤمنين، فمنهم منْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ وَصْفُ الصَّلاةِ، وإنْ لَمْ يقصر في غَيْرِهِ وهكذا، ولِمَا في الإظهارِ في مقامِ الإضمارِ مِنْ زيادةِ تقريرٍ للخبرِ في ذهنِ السَّامِع[٢٥١]، فضلاً عَنْ تحقيقِ السِّمَةِ التَّرابُطيَّة على امتدادِ هذا الخطابِ القرآنيِّ.

والنَّصُّ القُرْآنِي قَدْ يستخدمُ الاسْمَ الموصول لغرضِ التفخيم، وذلك عندما يأتي مُبْهَمَاً، وقد كَثُرَ هذا النسق التعبيري في البيان القرآني، ليتناسب مع ذاكَ الثواب الكريم، ويتلاءَم مع ذلكَ العقاب الأليم، وَمِنَ المواطن التي استخدم فيها الخطاب القرآني، الاسم الموصول قَصْدَ التفخيم، قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾[٢٥٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾[٢٥٣]. وهنا فإن "الاسمَ الموصول (ما) أفادَ صِفَةَ العموم والتفخيم والتعجُّب مِنْ هذا الجزاء، وللعَقْلِ أن يُحَلِّقَ في خياله، متسائِلاً عَنْ كُنْهِ هذا النعيمِ وصفاته وأنواعه، وأن يدفعَ نهمةُ الفكري أن

٢٤٧- (سورة الأعراف:٣٥ - ٣٦).
٢٤٨- (سورة المؤمنون: ١-١١).
٢٤٩- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة:١٢٥.
٢٥٠- التحرير والتنوير: ١٨/ ٩.
٢٥١- م.ن: ١٨/ ١٠.
٢٥٢- (سورة يس:٥٧-٥٨).
٢٥٣- (سورة ق:٣٥).

يُبحِرَ في كُلِّ ما يشاءُ مما لذ وطاب"([٢٥٤]). ويستعينُ المخاطَبُ الذي يتلقّى مثل هذا الخطاب بمخزونِهِ الفكريِّ المتراكم، أو ما تواضع لسانيو النص على توصيفه بالمعرفة الخلفيَّة، نظراً لأنَّ "المستمع أو القارئ حينما يُواجه خطاباً ما لا يواجهه وهو خاوي الوفاض، وإنّما يستعينُ بِمَعْرِفتهِ الخَلْفِيَّة"([٢٥٥])، لأنَّ المستمعَ حين يُلقى إليه النصُّ فإنَّ عمليَّةَ الفَهْمِ لديهِ لا تأتي مِنَ الدَّلالاتِ المعجميَّة أو التركيبيَّة فحسب بَلْ بما يمتكلهُ من مخزونٍ معرفي نابع مِنْ كونهِ إنساناً مفكّراً، ومن هنا فإنَّ "فهمَ المتلقّي، ورؤيته للنصِّ، وطريقة استيعابهِ لهُ، يظلُّ مرهوناً بمدى سَعةِ المَخزونِ المعرفيِّ والتجارب القرائيَّة وثرائها"([٢٥٦])، وعليهِ فإنَّ هذا الرصيد المعرفيِّ الثرّ إنَّمَا يُسهِّلُ عمليَّة التلقّي والفهم والإدراك.

الإحالةُ بـ(أل) التعريف:

الإحالةُ بأل التَّعريفِ هِيَ وسيلةٌ فَاعِلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، "وتُعَدُّ أداة رَبْطٍ بَيْنَ الكلماتِ داخِلِ النصّ، حَيْثُ يُقَدِّم التنكيرُ مَعْلُومَةً جديدة في الخِطَاب. فالمعلومةُ الجديدة هي تلكَ المعلومةُ التي يُقَدِّمُها المتكلِّم، والتي لا يمكن أن تكون متحقِّقَة في الخِطَاب السَّابِق، بينما تُقَدَّم أداةُ التعريف معلومة معطاة مِنْ قَبْل، وبذلك تُعَدُّ أداة التعريف أداةَ رَبْطٍ داخِلَ النصِّ، تَعْمَلُ على تحقيقِ التَّمَاسُكِ مِنْ خِلالِ الإحَالةِ على المعلومَاتِ القديمة"([٢٥٧])، وعليهِ فقد ذهب (فاينريش) إلى أنَّ هناكَ وظيفة نصيَّة لأداةِ المعرفة، وتكمُنُ هذهِ الوظيفة في الإحالةِ إلى معلومةٍ مسبقة، في حين تحيلُ أداة النكرة إلى معلومةٍ لاحقة([٢٥٨]). والشَّواهِدُ التي سنقومُ بِعَرْضِهَا سَتُعزِّزُ مِنْ شَرْعِيَّةِ امْتِلاكِهَا للخَاصِيَّةِ التَّرابُطيَّة في البِنَاءِ العَامِّ للخِطَاب، وقَبْلَ أن نشرع في عَرْضِ هذهِ التحليلاتِ وَجَبَ عَلَيْنَا – كإجراءٍ مَنْهَجِيٍّ – أَنْ نُسَلِّطَ الضَوْءَ عَلَى أَنْوَاعِهَا وأَقْسَامِهَا الّتِي تَتَأَلّفُ مِنْهَا، وقد ذكرَ النحويُّون أنَّ (أَلَ) التَّعريفِ تنقسِمُ إلى قِسمين، أَوَّلُهُمَا: للجِنْسِ، وهي على نوعين: الأوَّل: أل الاستغراقيَّة: وهي التي تستغرقُ جميعَ أفرادِ الجنس. نحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾([٢٥٩])، وعَلامتُها أن يصلح مَوْضِعَهَا (كُلٌّ). و(أل) التي تكون لبيانِ حقيقةِ الجنسِ، وماهيَّتِهِ وطبيعتهِ([٢٦٠])، وذلِكَ نحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾([٢٦١]). وثانيهما: للعَهْدِ، وهي الّتي تَدْخُلُ على النَّكِرَة فتفيدُها درجةً مِنَ التَّعريفِ تَجْعَلُ مَدْلولَها فَرْدَاً مُعَيَّنَاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مُبْهَماً شَائِعَاً([٢٦٢]). وهِيَ ثلاثةُ أنواع، الأوَّل: العَهْدُ الذِكْرِي: وهِيَ الّتِي يَتَقَدَّمُ لِمَصْحُوبِهَا ذِكْرٌ، نحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ۝١٦﴾([٢٦٣]). وفائدتُها التنبيهُ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ الثَّانِي هُوَ الرَّسُولُ الأَوَّل، إذ لَوْ جِيءَ بِهِ مُنَكّراً لَتوَهَمَ أَنَّهُ غَيْرُهُ. الثاني العَهْد العِلْميِّ (الذِهنِيِّ): وهُوَ أَنْ يَتَقَدَّمَ لِمَصْحُوبِهَا عِلْمٌ، نحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ

٢٥٤– الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٦٨.
٢٥٥– قصيدة الوقت لأدونيس.. ثنائية الاتساق والانسجام:٥٢٥.
٢٥٦– فعالية القراءة وإشكاليَّة تحديد المعنى في النصِّ القرآني:٦٨.
٢٥٧– علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:٥٧.
٢٥٨– أساسيات علم لغة النص:١٣٤.
٢٥٩– (سورة العصر: ٢–٣).
٢٦٠– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ١٧٩.
٢٦١– (سورة الأنبياء:٣٠).
٢٦٢– دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ١٥٠.
٢٦٣– (سورة المزمِّل: ١٥–١٦).

بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٦﴾﴾(٢٦٤). لأَنَّ ذلِكَ مَعْلومٌ عِنْدَهُمْ. الثالث العَهْد الحضوريِّ: وَهُوَ أن يكون مَصْحُوبُها حَاضِرَاً، أو كان مُشَاهِدَاً حَالَ الخِطَاب(٢٦٥)، نَحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾(٢٦٦). فقولُهُ ﴿السَّاعَةُ﴾ للعَهْدِ، ثُمَّ غلب استعمالُ السَّاعَةِ على يوم القيامة(٢٦٧). أي: السَّاعةُ الحاضرة، وهِيَ يومُ القيامة. وذكر النحاة أنه لا يقعُ العَهْدُ الحضوري إلاّ بَعْدَ اسْمِ الإشارة، نحو: جَاءَني هذا الرَّجُل، وأَيُّ في النِدَاءِ، نحو: يا أَيُّهَا الرَّجُلُ، وإذا الفجائيَّة، نحو: خَرَجْتُ فإذا الأَسَدُ(٢٦٨). وجديرٌ بيانُه هُنَا أنَّ الخِطَابَ القُرْآنِيَّ يَسْتَخدِمُ هذا العُنْصُرَ التعريفيِّ فيفيدُ العَهْدَ حيناً، والجِنْسَ حيناً آخَر، بناءً عَلَى السِّيَاقِ الّذِي يَنْسَاقُ فيهِ، ومِنْ هُنَا فإنَّ السِّيَاقَ يُخَصِّصُ تِلْكَ الدَّلالاتِ العَامَّة التي قَدْ تأتي بها هذِهِ الأَداةُ التعريفيَّة الرَّابِطة للنسيجِ النَّصيِّ، وبهذا فإنَّ التَّعريفَ بـ(أل) أَصبحَ يُمَثِّلُ آليَّةً فاعِلَةً في تحقيقِ سِمَةَ التَّرابُطِ النسيجيِّ في النُّصُوصِ، وهِيَ بذلِكَ تُشَكِّلُ عُنْصُرَاً علاقيَّاً مُهِمَّاً في عَمَلِيَّةِ التخاطُبِ، فتكتسِبُ النصوص دلالاتٍ إضافيَّة، وتمتلكُ شرعيَّةَ إدخالها من صُلْبِ مَوْضُوعاتِ عِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ، ذلِكَ العِلْمُ الّذِي بدأ يحاولُ في الآونَةِ الأخيرةِ أن يُقَدِّمَ قراءةً جديدةً للمَوْضُوعاتِ النحويَّة، ويُؤَكِّدَ دورها في تحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ على المستوى العامّ مِنْ الخِطَاب، وقَدْ ذهَبَ الدكتور تمّام حسان بقَوْلِهِ إلى أَنَّ الرَّبْطَ يكون – في بَعْضِ الحالاتِ – بواسطة (أل) الّتِي للتَّعريف، ولِبَيَانِ المقصودِ بهذا القَيْدِ نعرض البيانَ الآتي لأنواعِ (أل) لنفرق بَيْنَ صُوَرِ الرَّبْطِ بِهَا، ودلالة كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أنواعِها(٢٦٩).

وهُنَاك علاقةٌ وثيقةٌ بين (أل) والضمير حتى إنها تنوب عنه أحياناً في الربط(٢٧٠)، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾(٢٧١). يقول الزمخشري: والمعنى فإنَّ الجحيمَ مأْوَاهُ... ودخول مورفيم التَّعريفِ في (الْمَأْوَى) للتَّعريفِ، لأَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ(٢٧٢). وأمَّا الكوفيون فمذهبهم أن (أل) عوض مِنَ الضمير(٢٧٣). ويَذهَبُ بعضهُم إلى أنَّ (أل) هُنَا تفيدُ العَهْديَّة، وهُوَ ما يُعَزِّزُ القَوْلَ بوظيفتها في رَبْطِ الكَلامِ بَعْضِهِ بِبَعْض، وإضافة سِمَةِ التَّمَاسُكِ عَلَى النَّصِّ. ومن الواضح أن (أل) التي للعهد الذكري، هي أنسب أنواع (أل) وسيلةً لتماسُكِ النص، لأن إحالتها إحالةٌ داخليَّة، وهو ما يجعلها قادرةً على رَبْطِ جُمْلَتَيْنِ بَعْضِهِمَا ببعض. وعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ كلاً من (أل)، وأسماء الإشارة تُبيِّن لنا أن المرجع الذي تحيل عليه موجود في مكان ما في السياق بمفهومه العام الذي يشمل السياق الداخليِّ والخارجيِّ، فإنَّ الفارِقَ بين (أل) من جهة، واسم الإشارة من جهةٍ أُخرى، هُوَ أَنَّ (أل) تحيلُ على المرجع بعلاقةٍ لفظيَّة أو ذهنيَّة محضة، باعتبارِ أن (أل) للعهد الذكري أو الذهني، وأمَّا اسمُ الإشارةِ فإنهُ يحيلُ على مرجعه بقرينةِ الإشارةِ الحسيَّة أو الذهنيَّة، والفرقُ بين العَلاقةِ الذهنيَّة والإشارة الذهنيَّة هو أن

٢٦٤– (النازعات: ١٦).
٢٦٥– شرح التصريح على التوضيح: ١/ ١٨٠–١٨٢. وموصل النبيل إلى نحو التنزيل: ١/ ١٨٧.
٢٦٦– (سورة الأنعام:٣١).
٢٦٧– البحر المحيط: ٤/ ١١٠.
٢٦٨– همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١/ ٢٦٠.
٢٦٩– البيان في روائع القرآن: ١/ ١٤٦.
٢٧٠– الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه:٢.
٢٧١– (سورة النازعات: ٣٧–٣٩).
٢٧٢– تفسير الكشاف: ٤/ ٦٨٤.
٢٧٣– تفسير البحر المحيط: ٨/ ٤١٥.

الإشارة الذهنيَّة هي علاقةٌ ذهنيَّة مقرونةٌ بالإشارة، فهي أقوى في الدَّلالة وأقربُ صلةً بالمرجع من (أل) الذهنيَّة، بسببِ قرينة الإشارة المتحصِّلة من مفهومِ اسم الإشارة، ولهذا قدَّم النحاةُ اسم الإشارة على (أل) في قوَّةِ تعريفِ المعرَّف، فرتبةُ اسم الإشارةِ أعلى من المعرَّف بـ(أل) في التَّعريف([٢٧٤])، وقيل إنَّ أَسْمَاءَ الإِشارةِ تبيِّنُ لنا بالتَّحديدِ المكانَ الّذِي نجدُ فيهِ المرجعَ، إذ تصرح بكون المرجع قريباً، أو متوسطاً، أو بعيداً من المتكلِّم، ومما يسهل علينا المهمة أيضاً أنها تبيِّنُ لنا جنسه، وعدده. أمَّا (أل) فلا تعطي أي معلوماتٍ محدَّدة عن المرجع، بل كل ما تستلزمهُ أنه يمكن معرفة المرجع من خلال الرجوع إلى معارفنا عن العالم الخارجيِّ (في حالة أل الجنسيَّة)، أومن خلال النظر في السياق الداخلي "بالنسبة إلى (أل) التي للعهد الذكري"، أو في السياق الخارجي "بالنسبة إلى (أل) التي للعهد الذهني"([٢٧٥]). ولكن على الرغم من ذلك فإن "أسلوب التعريف يُشكِّل ملمحاً بلاغيًّا، ينطوي على دلالاتٍ معنويَّة، وأغراض أسلوبيَّة دقيقة، "فتكونُ للعَهْدِ حيناً، وللجِنْسِ حيناً آخر، وَمِنْ أَجْمَلِ مواقِعِهَا فيه أن تُسْتَخْدَمَ لاستغراقِ خصائِص الجِنْس"([٢٧٦]). فَمِنَ المواقِع التي يُستخْدَم فيها مورفيم (أل) للدلالةِ على الاستغراق، ما وردَ في قولهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾([٢٧٧]). فاسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفين بهذه الصفات العشرة([٢٧٨])، والغرفة اسمٌ معرَّف بأل، فيعم كُلَّ الغرف([٢٧٩]). ومعلومٌ أنَّ في الجنةِ غُرَفاً كثيرة لا تُعَدّ، بدليلِ قوله عز وجل في موطنٍ آخر: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾([٢٨٠]). وقد جيء بـ(أل) هنا لإفادةِ معنى الاستغراق لجميعِ غُرَفِ الجنَّة([٢٨١]). ومن أمثلة الإحالة بـ(أل التعريف) الّتِي لِلْعَهْدِ الذِكْرِي، قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ١٦﴾([٢٨٢]). فـ(أل) في كلمةِ "الرسول" هي للعهدِ الذكري، إذ تقدَّمَ لمصحوبها ذكرٌ في الخطاب، وبالتالي فقد تضمَّن (أل) إحالةً قبليَّة إلى المذكور سابقاً، وهو كلمة "رسولاً"، الأمر الذي حقّقَ تماسُكاً واضِحاً في هذهِ الآية. وتجدر الإشارة هنا أن لهذا النوعِ من أنواعِ (أل) العهديَّة فائدة حينما يكون الاسم الذي تقدَّم ذكرهُ نكرة، وهي: التنبيهُ على أن الاسمَ الذي دخلت عليهِ (أل) هو الاسم الأوّل بعينهِ، أي: الاسم النكرة المتقدّم، إذ لو جيء به منكراً لتوهّم أنه غيره، لأن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى غالباً، أمَّا إذا أعيدت معرفة، أو أعيدت المعرفة معرفة، أو نكرة كان الثاني عين الأول([٢٨٣]). وقد ذهب إلى ذلك الزمخشري بقوله: "فإن قلتَ لِمَ نكّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثُمَّ عرَّف؟ قلت: لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرُّسل، فلمَّا أعادهُ وهو معهودٌ بالذكر أدخلَ لام التعريف إشارةً إلى المذكورِ بعينه"([٢٨٤])، وقد ذكر أبو حيَّان أيضاً أن السبب من مجيء "الرَّسُول" بلامِ التعريف، هو لأنه قد تقدَّم ذكره، فأحيلَ عليهِ، كما تقول: لقيتُ رَجُلاً فضربتُ

٢٧٤- إشكالية الإبهام والتعريف في النحو العربي:٩-١٠.
٢٧٥- الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه:٢٢.
٢٧٦- من بلاغةِ القرآن:١٠٨.
٢٧٧- (سورة الفرقان:٧٥).
٢٧٨- من الآية (٦٧) إلى الآية (٧٤) من سورةِ الفرقان، إذ نجدُ فيها ذكراً لصفاتهم العشرة.
٢٧٩- تفسير البحر المحيط: ٦/ ٤٧٤.
٢٨٠- (سورة سبأ:٣٧).
٢٨١- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٦٩.
٢٨٢- (سورة المزمل: ١٥- ١٦).
٢٨٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣١٥/١، والألف واللام في كلام العرب: ٦٦.
٢٨٤- الكشاف: ٣/ ٢٨٣.

الرَّجُلَ، لأن المضروبَ هو الْمُلْقَى([٢٨٥])، والملحوظ في هذا السياق أن أبا حيَّان قد ذكر صراحةً عبارة (فأحيل عليه)، وهو ما يؤكّد إدراكه الواضح لصورِ الترابُط النصيِّ، والتي من بينها (أل) التي أسهمت في تحقيقِ مبدأ الاتّساقِ على المستوى العام من الخطاب.

ومِنْ صُوَرِ الإحالة بـ(أَلِ العَهْدِيَّة)، قَوْلُهُ تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾([٢٨٦]). فتعريفُ الجنَّة بـ(أل) دلَّ على الجنَّةِ المعهودةِ في الوقتِ المُتحَدَّث عَنْهُ، وهُوَ الحاضِرُ بعد دخول المؤمنين الجنَّة([٢٨٧]). ومِنَ المعانِي الإضافيَّة لهذه الْمُنَبِّهاتِ الإشَارِيَّةِ التَّشْوِيقُ، وتَقْرِيبُ الْحَدَثِ إلى الأذهان، تقريباً حَاضِرًا يتزامنُ مَعَ توقيتِ الخِطَابِ، فتتجَلّى الجنةُ وكأَنَّها حاضرةٌ أَمَامَ الْمُخَاطَب أثناءَ تلقِّيهِ الخِطَابَ، ومن هُنَا فإنَّ هذا القُرْبَ الزَّمَنِيَّ يُضْفِي عَلَى الْحَدَثِ اليَقِيْنَ المطلَق، فَضْلاً عَنْ تحقيقِ سِمَةِ التَّرَابُط والانسجامِ فيه.

وَمِنْ لطائِفِ استخدامِ (أل) التَّعريفِ تَضَامُّهَا مع المبتدأ لإفادَةِ الحَصْرِ والاختِصَاص، وهُوَ ما يتجلّى في قَوْلِهِ عزَّ وجَلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾([٢٨٨]). إن تعريفَ الخبر (الْوَارِثُونَ) باللام قد أفادَ معنى (الاختصاص) بتضَامِّهِ مَعَ المبتدأ المعرفة، فالمؤمنون الذين أُشيرَ إليهم في هذِهِ الآيَةِ، هُمْ وَحْدَهُم الوَرَثَةُ الشَّرْعِيُّون للجنَّةِ مَعَ انتفاءِ الشِرْكة بهذا الميراث([٢٨٩]). وهذا الاختصاصُ إنَّمَا جَاءَ مِنَ الحَصْرِ الموجُودِ في المبتدأ والخبرِ كِلَيْهِمَا، وإنْ كَانَتْ (أل) قَدْ أَعَانَتْ عَلَى ذلِكَ الْحَصْرِ. أضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ (أل) التَّعريفيَّة قَدْ حقّقَتْ تماسُكاً واضِحاً على المستوى العامّ مِنْ هذِهِ الآيَةِ، وذلك "لأنها مثلت علائقيَّة متجاوزة وحدة الجملة، أي محيلة إلى مذكور سابق"([٢٩٠])، وعليهِ فإنَّ المتلقِّي لهذا الخِطَاب لا بُدَّ وأَنْ يشعرَ بالتَّمَاسُكَ النسيجيِّ الذي يُوحي بِهِ ذلِكَ العُنْصُر التعريفيِّ، ويُؤَكِّدُ دوره الواضِح في الرَّبْطِ الوظيفيِّ، وهُوَ بذلِكَ لا يُمَثِّلُ أداةً تعريفيَّة عهديَّة وإنَّمَا يُمَثِّلُ مَعَ ذلِكَ أداةً ترابطيَّة في هذا الخِطَاب.

وبَعْدَ أَن اسْتَعرَضَ البَحْثُ شَواهِدَ عِدَّة من (أل) التَّعريفيَّة والتي تفيدُ العَهْدِيَّة، والتي مثّلت أداةً ترابُطيَّة وَاضِحَة في الخِطَابِ القُرْآنِي، آن لَهُ أن يَسْتَحْضِرَ شَواهِد أُخرى مِنْ (أل) التعريفيَّة هذهِ، ولكنَّها تفيدُ الاستغراقَ في الجِنْسَ، وذلِكَ لأنَّها تُحَقِّقُ انسجاماً نصيًّا وَاضِحاً مِنْ خِلال مُشارَكِة المخَاطَب في تأويلِ النَّصِّ وتفسيرِهِ، بناءً على خلفيَّتِهِ المعرفيَّة، وهذهِ المشاركةُ مِنْ قِبَلِ المُتَلقِّي تُسْهِمُ في الرَّبْطِ بَيْنَ عالِمِ النَّصِّ وعالِمِ الفِكْرِ، مِمَا يُعْطِي صُورةً مُتَكَامِلَةً للبناءِ الكُلِّي للخِطَاب.

وَمِنَ السياقاتِ الّتِي تفيدُ (أل) فيها الاستغراقَ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾([٢٩١]). والتنافُس يقتضي عدمُ التعيين، وإلا لاقتصرَ ذلكَ على فئةٍ دون أُخرى، والمحثوث عليهِ في الآيةِ ليس ذلك، وإنما التنافُس بمعناهُ الكُلِّيّ، والمستغرقُ لِكُلِّ مخاطَب سَمِعَ هذا القَوْلَ، وهذا ما أكّدَتْهُ (أل) الّتِي أَفَادَتِ الاستغراقَ([٢٩٢]). ومِنْ حيثُ التحليلُ النصيّ فإن في كلمةِ "المتنافسون" إحالةً ضمنيَّة إلى أولئك المتنافسين في العالم الخارجيّ، وهذهِ الإحالةُ الضمنيَّة على الرَّغمِ من كونها خارجيَّة إلاّ أنها حقّقت تماسُكاً جليًّا في هذهِ الآية، وفضلاً عن ذلك فإنَّ في عمليَّةَ التأويلِ هذِهِ تحقيقاً لمبدأ الانسجامِ النَّصيِّ، يُضاف إلى ذلك أن عَمَلِيَّةَ التَّمَاسُكِ أصلاً في مثل هذا الخِطَاب وغَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ رَهْنٌ بـالْمَعْنَى القَائِمِ في الذِّهْنِ، فإنَّ تَمَامَ

٢٨٥- تفسير البحر المحيط: ٨/ ٣٦٤.

٢٨٦- (سورة مريم:٦٣).

٢٨٧- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧١.

٢٨٨- (سورة المؤمنون: ٩-١١).

٢٨٩- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٢.

٢٩٠- أساسيَّات علم لغة النص:٢٦٨. وتكون علائقيَّة داخِل وحدة الجمل في الوقتِ نفسِهِ أيضاً، أي محيلة إلى مذكورٍ لاحق.

٢٩١- (سورة المطففين:٢٦).

٢٩٢- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٦٩-٧٠.

الْمَعْنَى في الذِّهْنِ سَبَبٌ لِتَمَامِ أَجْزَاءِ الْجُمَلِ المتوالية، وإنْ كانَتِ العَناصِرُ الشكليَّة في ظَاهِرِهَا لا تفصحْ عَنِ ذلِكَ التَّمَاسُكِ إلاّ بَعْدَ طولِ تأَمُّلٍ في صميمِ الْمَعْنَى([293])، ذلِكَ التأمُّل الّذِي يُؤَكِّدُ دَوْرَ المتلقّي في معرفةِ انسجامِ النصِّ فَضْلاً عن اتساقِهِ.

ومِنَ المواطِنِ الّتِي يَسْتَخدِمُ القرآنُ (أل) للدَّلالةِ على الاستغراقِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾([294]). فإنَّ لِكُلِّ زمانٍ سابقين، وإنْ كانوا في الزَّمَنِ الأَوَّلِ أكثرَ مِنْهُمْ في الزَّمَنِ الآتِي([295])، كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ۝١٤﴾([296]). والمتلقّي لهذا الخِطَاب لا بُدَّ وأن يَتَحَسَّسَ مَكَانَةَ السَّابقين عِنْدَ الله جَلَّ وعلا، تلك المكانة الّتِي قَدْ تُحَفِّزُهُ للاقتداء بعَمَلِ السَّابقينَ، عَلّهُ بذلِكَ يكون مُشَابِهَاً لَهُمْ، وإنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ، وعَلَيْهِ فإنْ فاتهُ السَّبقُ الزَّمنِي فلا يفوتهُ السَّبقُ الخيريِّ، ومن حيث الترابُط النصيِّ فإننا نلحظُ في كلمةِ (السابقون) وجود مورفيم (أل) التي تشيرُ إلى أولئك السابقين في الدنيا والمقربين في جنَّاتِ النعيم، وفي هذهِ الإحالةِ الضمنيَّة – التي يلحظها المتلقّي في هذا الخطاب – تحقيقٌ لمبدأ الاتساقِ التركيبي.

ومِنَ الاستخداماتِ القُرْآنيَّة للأداةِ التعريفيَّة للدَّلالةِ على الجِنْسِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾([297]). والقَصْدُ مِنَ هذهِ الأداةِ هُوَ تعيينُ شَيْءٍ مُحَدَّد، وبذلِكَ تنتفي الاحتمالاتُ الأُخْرَى، وبِنَاءً عَلَيْهِ فإنَّ المقصودَ بالجنَّة – في هذهِ الآيةِ – هُوَ الجنَّةُ الأَبديَّة الّتِي وعدَ الله بِهَا عِبَادَهُ المؤمنين، ولَيْسَ أيَّ جنَّةٍ مِمَّا تعارفَ عليهِ النَّاسُ، وكذلِكَ كَلِمَةُ السَّعيرِ، الخاصَّةِ بأَهْلِ النَّار، فإنَّ (أل) فيها أفادَتْ السَّعير الأَبديِّ الذي ينتظِرُ المكذبين([298]). ومِنْ حيث التحليلُ النصيِّ فإن وجُود مورفيم (أل) في كلمة (الجنة)، التي لم يأتِ لها ذكرٌ في الخطاب، إنما يُمثِّل إحالةً خارجيَّة إلى تلك الجنَّة الخاصَّة التي أعدَّها الله للمتقين مِنْ عباده، وفي هذهِ الإحالةِ الضمنيَّة الخارجيَّة تجسيدٌ للتماسُكِ النصيِّ على المستوى الكليِّ من هذهِ الآية، وعليهِ فإنَّ إعمال الفِكْرِ في تعيينِ الشَّيْءِ وتحديدهِ إنَّمَا هُوَ تحقيقٌ لمبدأ الانسجام في الخِطَاب.

ومِنْ المواقِعِ التي تُستَخدمُ فيها (أل) للدَّلالةِ على الجِنْسِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾([299]). وقَدْ جَاءَ لَفْظُ ﴿الْحَزَنَ﴾ مُعَرَّفاً بـ(أل) الّتِي للجِنْسِ، "والظّاهِر أَنَّهُ الجِنْسُ المنتظَم لجميعِ أحزانِ الدُّنيا"([300]). وهذا الخِطابُ يُمثِّلُ تسريةً وتسليةً لِكُلِّ أولئكَ الّذِين تلفّهُم أحزانُ الدنيا، لأنَّ جَنَّة الخُلْدِ في انتظارِهِمْ، وقد تزيَّنَتْ لَهُمْ بِمَا لَذَّ وطَابَ مِنْ مَأْكَلٍ وشَرَاب. ومن حيث الربط الإحالي فإن (أل) التي للتعريف قد تجاوزت حدود الجملة الواحدة من خلال عمليَّةِ الإحالة إلى مذكورٍ سبق ذكره في الخطاب. وأخيراً يُمكننا أن نستنتج بناءً على ما سبق ذكرهُ من تلك الاستخداماتِ القرآنيَّة لهذهِ الأداةِ التعريفيَّة، وجود رابط وشيج بَيْنَ تلك الدلالات التي تفيدها (أل التعريف) الاستغراقيَّة وفكرة الإحالة، الأمر الذي يُحقِّق مبدأ التماسُك النصيِّ على المستوى الكليّ من الخطاب.

الإحالةُ بإعادة اللفظ:

وَتَتَمَثَّلُ هذهِ الإِحَالَةُ في إِعَادَةُ اللَّفْظِ الأَوَّل نَفْسِهِ تَحْقِيقاً لِمَبْدَأ التَّرَابُطِ في النَّصِّ، وتجسيداً لِغَرَضِ التَّوَاصُلِ والاسْتِمرَارِيَّةِ في الخِطَابِ، إِذِ الأَصْلُ في الرَّبْطِ بِصُوَرِ الإِحَالَةِ، هُوَ: إِعَادَةُ أَوْ تَكْرَارُ اللَّفْظِ بِذَاتِهِ([301])، وَذلِكَ لأَنَّ إِعَادَةَ اللَّفْظِ بذاتِهِ "أَدْعَى للتَّذْكِيرِ،

٢٩٣- علم اللغة النصي: ١/ ٩٨.
٢٩٤- (سورة الواقعة: ١٠-١٢).
٢٩٥- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي: ٧٠.
٢٩٦- (سورة الواقعة: ١٣-١٤).
٢٩٧- (سورة الشورى: ٧).
٢٩٨- الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي: ٧٠.
٢٩٩- (سورة فاطر: ٣٤).
٣٠٠- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/ ٤٨٦.
٣٠١- البيان في روائع القرآن.. دراسة لغوية وأسلوبيَّة للنص القرآني: ١/ ١٢٨.

وَأَقْوَى ضَمَانَاً لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ"([٣٠٢])، كَمَا أَنَّ إِعَادَةَ "الْمَرْجَعِ بِلَفْظِهِ أَقْوَى مِنْ إِعَادَةِ ضَمِيْرِهِ عَلَيْهِ، لأَنَّ لَفْظَهُ أَقْوَى مِنَ الكِنَايَةِ عَنْهُ"([٣٠٣]). وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ إِعَادَةَ اللَّفْظَةِ ذاتِهَا ثانيةً في الخِطَابِ التَّوَاصُلِيِّ إِنَّمَا يُمَثِّلُ رَابِطَاً شَكْلِيَّاً بَيْنَ اللَّفْظِ (الْمَرْجَع)، واللَّفْظِ (العَائِد)، ويُبقي الذَّاكِرَةَ في حالَةٍ نَشِطَةٍ، وذلِكَ لأَنَّ "الْجُمْلَة قَدْ تَطُولُ أَحْيَانَاً، وَقَدْ يُعْطَفُ عَلَيْهَا مِثْلُهَا أَوْ أَمْثَالُهَا، فَيَكُونُ بَيْنَ أَوَّلِ الكَلامِ وَآخِرِهِ شِقَّةٌ بَعِيْدَةٌ لا تَعِي الذَّاكِرَةُ مَعَهَا مَا الَّذِي يَنْتَمِي إِلى هذا، وَمَا الَّذِي يَنْتَمِي إِلى ذاك، وَهَكَذا تَتَفَكَّكُ أَوَاصِرُ الكَلامِ، وَيَدْخُلُ الْمَعْنَى في غَيَابَاتِ الغُمُوضِ، أَوْ في مَتَاهَاتِ اللَّبْسِ، وَكِلا الغمُوض واللَّبْسِ آفَةٌ مِنْ آفَاتِ الاتِّصَالِ والتَّفَاهُم"([٣٠٤])، الأَمْرُ الَّذِي يَتَطَلَّبُ إِعَادَةَ اللَّفْظِ بِذَاتِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ، وذلِكَ مِنْ أَجْلِ رَبْطِ العَلاقَةِ مِنْ جَدِيدٍ بَيْنَ العَنَاصِرِ اللُغَوِيَّةِ الَّتِي حَصَلَ بَيْنَهَا تَفَاصُلٌ بَيْنَ (الْمُحَال)، و(الْمُحَال إِلَيْهِ) بتعاقُبِ الْمُتَوَالِيَاتِ التَّرْكِيبِيَّة، وَعَلَيْهِ كان لا بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ اللَّفْظِ بذاتِهِ لتحقيقِ الوظيفةِ التَّوَاصُلِيَّةِ على أَكْمَلِ وَجْهٍ بَيْنَ (البَاثِّ)، و(الْمُتَلَقِّي)، وذلِكَ لأَنَّ الْمُتَكَلِّمُ يَعْمَدُ – أَحْيَانَاً – إِلى إِعَادَةِ اللَّفْظِ، مِنْ أَجْلِ إِفْهَامِ الْمُتَلَقِّي، والحَؤُولِ دون حصُولِ الْتِبَاسٍ في الْخِطَاب، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ إِعَادَةَ اللَّفْظِ بذاتِهِ يُسْهِمُ في "إِنْعَاشُ الذَّاكِرَةِ لاسْتِعَادَةِ مَذْكُورٍ سَابِق بِوَاسِطَةِ إِحْدَى الْوَسَائِلِ اللَّفْظِيَّةِ الَّتِي تُعِيْنُ عَلَى الوُصُولِ إِلى هذِهِ الغَايَةِ"([٣٠٥]). وهُنَاكَ شَوَاهِدُ قُرْآنِيَّة كثيرة عَلَى مَوْضُوعِ الإِحالَةِ بإِعَادةِ اللَّفْظِ ذاتِهِ، والَّتِي تُسْهِمُ في تحقيقِ التَّرَابُطِ النَّصيِّ على المستوى الكُلِّي مِنَ الخِطَاب.

ومِنْ صُوَرِ الإِحَالة بإِعادة اللَّفْظِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾([٣٠٦])، فَقَدْ ذُكِرَ (الكَذِبُ) في هذا الخِطَابِ القُرْآنِي ثلاثَ مرَّاتٍ بَدَلاً مِنْ اسْتِعمَالِ الضَّمِيْرِ نِيَابَةً عَنْهُ، كأَنْ يقولَ: (لتفتروه) و(يفترونه)([٣٠٧])، والْمَلْحُوظُ في هذِهِ الآيَةِ أَنَّ إِعَادَةَ اللَّفْظِ الوَاحِدِ بِمَرَّاتٍ ثلاث قَدْ أَسْهَمَتْ في تحقيقِ التَّرَابُطِ فِيْهِ، ومثَّلت مَلْمَحاً تكراريًّا مميَّزاً، لِمَا تمتلكهُ من نسبةِ ورودٍ عاليةٍ في النصِّ، وفضلاً عَنْ ذلِكَ فإِنَّ تَكْرَارَ لَفْظٍ وَاحِدٍ وفي نَصٍّ وَاحِدٍ وَلِمَرَّاتٍ عَدِيْدَةٍ فِيْهِ مَا فِيْهِ مِنَ التَّهْوِيلِ عَلَى أُولَئِكَ الْمُكَذِّبِيْنَ. وفضلاً عن ذلك فَإِنَّ إِعَادَةَ المرجع بلفظهِ يُمَثِّلُ رَابِطَاً أَقْوَى مِنْ إِعَادَةِ ضَمِيْرِهِ عَلَيْهِ، لأَنَّ لَفْظَهُ أَقْوَى مِنَ الكِنَايَةِ عَنْهُ([٣٠٨])، وفي ذلك تحقيقٌ للتماسُكِ النسيجيِّ على المستوى العام من الخطاب.

ومِنْ شَوَاهِدِ الإِحَالة بإعادةِ اللفظِ، قولُهُ تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾([٣٠٩]). ومَا يُلحَظُ هُنَا هُوَ تَكْرَارُ لَفْظِ (الْمَلائِكَة) بَعْدَ طُولِ الشُّقَّةِ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ، إذ أعادَ التعبيرُ القُرْآنِي اللَّفْظَةَ الأُولى بذاتِهَا ثانِيَةً، بَدَلاً مِنْ اسْتِعمَالِ الضَّمِيرِ نيابَةً عَنْهَا، فَقَالَ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ﴾، بَدَلاً مِنْ أَنْ يَقُولَ: "يَوْمَ يَرَوْنَهُمْ"([٣١٠]). وعَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّفْظَ الْمُكَرَّرِ هُنَا – والَّذِي أَفَادَ غَرَضَ الرَّبْطِ – قَدْ أَتَى في جُمْلَةٍ يَفْصِلُ بَيْنَها وَبَيْنَ الْجُمْلَةِ الأُولى – الَّتِي أَتَى فِيْهَا اللَّفْظُ الأَوَّلِ (الْمَرْجع) – جُمَلٌ اسْتَوْفَتْ عَنَاصِرُ بِنَائِهَا، وَقَدْ يَصِلُ عَدَدُ هذِهِ الْجُمَلِ الفَاصِلَةِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ

٣٠٢– م.ن: ١/ ١٢٨.
٣٠٣– اللغة العربية معناها ومبناها:٢١٦.
٣٠٤– البيان في روائع القرآن.. دراسة لغوية وأسلوبيَّة للنص القرآني: ١/ ١٢٧.
٣٠٥– م.ن: ١/ ١٢٨.
٣٠٦– (سورة النحل:١١٦).
٣٠٧– البيان في روائع القرآن: ١/ ١٢٩.
٣٠٨– م.ن: ١/ ١٣٥.
٣٠٩– (سورة الفرقان: ٢١–٢٢).
٣١٠– البيان في روائع القرآن: ١/ ١٣٠.

تَضَمَّنَتَا اللّفْظَيْنِ: (العَائِد)، و(الْمَرجع) إلى ثلاثِ جُمَلٍ أَوْ يَزِيد(٣١١)، وَفي هذِهِ الإِعَادَةِ للّفْظَةِ ذاتِهَا – بَعْدَ ذلِكَ التَّفَاصُلِ الحَاصِلِ بَيْنَهُمَا – تحقيقٌ لِمَبْدَأ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ في هذا الخِطَاب.

ومِنْ أَمْثِلَةِ الإِحَالة بإعَادَةِ اللّفْظِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾(٣١٢). فَالتّعبيرُ القُرْآنِيِّ هُنَا قَدْ أَعَادَ ذِكْرَ اللّفْظِ ذاتِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا﴾، وسواءٌ في ذلِكَ إِعَادَةُ لَفْظٍ أَوْ لَفْظَتَيْنِ أَوْ أَكْثَر(*). وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ "الرَّابِطَ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الّتِي تَكَرَّرَ فِيْهَا اللّفْظُ وَبَيْنَ مَرْجَعِ هذِهِ اللّفْظَةِ هُوَ اللّفْظُ الْمُكَرَّرُ ذاتُهُ"(٣١٣)، وَمَا نَلْحَظُهُ هُنَا أَنَّ إِعَادَةَ اللّفْظِ الأَوَّل مَرَّةً ثانيةً في هذا الخِطَاب قَدْ أَسْهَمَ في تحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ فِيْهِ. ولِبَيَان قِيْمَةِ تَكْرَارِ اللّفْظِ في تحقيقِ الرَّبْطِ بَيْنَ الْجُمَلِ عَلَى الْمُتَلَقِّي أَنْ يَتَصَوَّر خِطَاباً لَمْ يَتَكَرَّرْ فِيْهِ اللّفْظُ (العَائِد)، ولَمْ يُعَوَّضْ عَنْهُ بالضَّمير، وفي هذِهِ الحَالَةِ سَيَرَى الكَلامَ وَكَأَنَّهُ لا رَابِطَ يَجْمَعُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ، ولا يَأْخُذُ بَعْضُهُا بسببٍ مِنْ بَعْضٍ، ولَكِنَّهُ سَيَرَى الكَلامَ في حَالَةِ تَكْرَارِ اللّفْظِ مُتَرَابِطاً أَجْزَاؤُهُ، وآخِذاً بَعْضُهَا بِحِجْزِ بَعْضٍ(٣١٤)، وفي ذلك تسهيلٌ لعمليَّةِ والإدراك.

ونظيرُ ذلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾(٣١٥). وما يَلْحَظُهُ الْمُتَلَقِّي في هذا الخِطَاب، هُوَ "إِعَادَةُ ذِكْرِ الْمَوْصُول وَصِلَتِهِ مَعًا ﴿الّذِينَ كَفَرُوا﴾ لِغَرَضِ الرَّبْطِ، والتَّقْديرُ: "فَلَنُذِيقَنَّهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا"(٣١٦)، وفي هذِهِ الإِعَادَةِ إِنْعَاشٌ لِذاكِرَةِ الْمُتَلَقِّي، وإِبْقَاؤُها في حَالَةٍ نَشِطَة، والْمَلْحُوظُ في هذا الشَّاهِدِ القُرْآنِي هُوَ وجُودُ ثلاثِ جُمَل تَفْصِلُ بَيْنَ العَائِدِ (اللّفْظُ الْمُكَرَّر)، والْمَرْجَع (اللّفْظُ الْمَذكُور أَوَّلاً)، وعَلَيْهِ فَإِنَّ إِعَادَةَ اللّفْظِ ذاتِهِ في الْمَرَّةِ الثانية وفي الآيَةِ الثَّانِيَةِ – بَعْدَ ذلِكَ التباعُدِ النِسْبِيِّ الْحَاصِلِ بَيْنَهُمَا – إِنَّمَا هُوَ تَجْسِيدٌ شَاخِصٌ لِسِمَةِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ في هذا الخِطَابِ القُرْآنِيِّ.

وقد أورد النصيُّون بعض الآياتِ نَحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾(٣١٧)، التي فيها الإحالة بإعادةِ اللفظِ نفسهِ، وهي تندرجُ ضِمْنَ مبدأ التكرار الذي خصّصْنا له مبحثاً في الفصل الثاني، لذلك لا نريدُ أن نوسِّعَ القولَ في مثلِ هذهِ الآياتِ التي يتناسبُ تحليلها وشرحُها مع (الاتِّساق المعجميِّ) بوساطةِ مبدأ التكرار، وليسَ بالإحالة بإعادةِ اللفظِ ضمن (الاتساق التركيبي).

الإحالة بتنوين العِوَض:

الإِحَالَةُ بـ(تَنْوِين العِوَض) هِيَ إِحْدَى الوَسَائِل المهمَّة التي تحقِّقُ التماسُكِ النصيِّ، وهِيَ تُمَثِّل إِحَالةً قبليَّةً إلى العُنْصُر الْمَذكُور سَابِقًا، وذلِكَ مِنْ خِلال حَذْفِ جُمْلَةٍ بِكَامِلِهَا، فَيَحِلُّ التنوينُ مَحَلَّ الشَّيْءِ الْمَحْذُوْفِ، ويكونُ عِوَضاً عَنْهُ اخْتِصَاراً، أَضِفْ إلى ذلِكَ أن تَنْوِينَ العِوَض هُوَ مِنَ الأَسَالِيْبِ المهمَّة التي تُؤَدِّي إلى التَّوَسُّعِ في الْمَعْنَى، وَهُوَ "خصِّيْصَةٌ مِنَ الْخَصَائِص الّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا اللّغةُ الْعَرَبِيَّةُ عَنْ بَقِيَّةِ اللّغاتِ الإِنْسَانِيَّةُ الأُخْرَى، وَهُوَ حَرْفٌ مَبْنِيٌّ مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي، جِيْءَ بِهِ غَالِبًا لِمَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي، يَرْمِي إِلَيْهَا

٣١١– الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة:٢١١.
٣١٢– (سورة الزمر: ٥١).
* إنَّ مُقْتَضى عنوان هذهِ الصورةِ مِنْ صُوَرِ الرَّبْطِ بالإِحَالَةِ (إِعَادَةُ اللّفْظِ بذاتِهِ) أَنْ يكون الْمُعَادُ مِنْ أَجْلِ الرَّبْطِ لَفْظاً وَاحِدًا فَقَطْ، لَكِنَّ الشَّوَاهِدَ تَشْهَدُ أَنَّ هذِهِ الصُّورَةَ مِنْ صُوَرِ الإِحَالَةِ لا يَمْتَنِعُ فيهَا أَنْ يكونَ الْمُعَادُ أَكْثَر مِنْ لَفْظٍ وَاحِد. ينظر: الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة:٢١٣–٢١٤.
٣١٣– الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة:٢١١.
٣١٤– م.ن: ٢١١.
٣١٥– (سورة فصلت: ٢٦–٢٧).
٣١٦– الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة، ص٢١٥.
٣١٧– (سورة الحاقة:١–٣).

الْمُخَاطِب، وَلِذلِكَ تَتَعَدَّدُ دَلالاتُهُ في الخِطَاب"([٣١٨])، تلك الدلالات الّتِي يُقَدِّرها المتلقّي بناءً على خلفيَّتِهِ المعرفيَّة وحصيلته الثقافيَّة.

التنوينُ في الدائرة اللغويَّة والاصطلاحيَّة:

فالتَّنْوينُ لُغَةً مَصْدَر مِنَ الفِعْلِ الرُّبَاعِيِّ (نَوَّن)، بِزِنَةِ (فَعَّلَ)، بتَضْعِيفِ الْعَيْن، وَيَعْنِي بِهِ أَنْ تُدْخِلَ عَلَى آخِرِ الكَلِمَةِ نُوناً سَاكِنَةً عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا، يُقَالُ: نَوَّنْتُ الكَلِمَةَ تَنْوِيناً، إذا أَدْخَلْتُ عَلَيْهَا نُونًا لَفْظاً لا خَطّاً([٣١٩]). أَمَّا اصْطِلاحاً: فهُوَ نونٌ سَاكِنَة أَصَالَةً، تَلْحَقُ آخِرَ الاسْمِ، أَيْ: تَتْبَعُهُ، لَفْظاً لا خَطّاً لِغَيْرِ تَوكِيدٍ([٣٢٠]). ويَنْقَسِمُ تنوينُ العِوَضِ إلى ثلاثةِ أَقْسَامٍ:

١- عِوَض عَنْ جُمْلَة: وهو الذي يَلْحَقُ (إذ) عِوَضاً عَنْ جُمْلَةٍ تكونُ بَعْدَهَا، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾([٣٢١]). أي: حين إذ بَلَغَتِ الرُّوحُ الحُلْقُومَ، فَحُذِفَ (بلغتِ الروحُ الحُلْقُوم). وأتى بالتنوين، عِوَضاً عَنْهُ.

٢- وقِسْمٌ يكون عِوَضاً عَنْ اسم، وهو اللاحِق لـ(كُلّ) عِوَضاً عَمَّا تُضَاف إليهِ، نحو: (كُلٌّ قائِمٌ) أي: (كُلُّ إنْسَانٍ قَائِمٌ)، فَحُذِفَ (إنسان) وأتى بالتنوين عِوَضاً عَنْهُ.

٣- وقِسْمٌ يكونُ عِوَضاً عَنْ حَرْف، وهو اللاحِق لـ(جَوَار، وغَوَاش)، ونحوهما رَفْعًا وجَرًّا، نحو: (هؤلاءِ جَوَارٍ، ومَرَرْتُ بِجَوَارٍ) فَحُذِفَتْ (الياءُ)، وأتى بالتنوين عِوَضاً عنها([٣٢٢])، وهذا كلُّ ما يتعلّقُ بالتنوين من مسائِلَ قد أشبعها النحويُّون تنظيراً وتطبيقاً.

ومِنْ صُوَرِ التنوين بالعِوَض، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾([٣٢٣]). فهذهِ الآية تقريرٌ لنظيرهِ المتقدِّم تأكيداً للتَّهديدِ، وإعادةً لِمَعْنَاهُ. وتقديرُ الكَلامِ فيهِ، هُوَ: يومَ إذ يُقال لهم ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾([٣٢٤]). كَمَا يُقَدَّر المحذوفُ المعوَّض عَنْهُ التنوينُ: يومَ إذ النجومُ طمست...إلخ، فتكون الجملةُ تأكيداً لفظيًّا لنظيرتها الّتِي تَقَدَّمَتْ([٣٢٥]). والملحوظُ في هذهِ الآيَةِ هُوَ تِلْكَ الإحالةُ القبليَّةُ إلى العُنْصُرِ المذكورِ سَابِقًا، وعَلَيْهِ فإنَّ الجملة الثانية مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الجُمَل، الأَمْرُ الّذِي يؤذنُ بتحقيقِ التَّمَاسُكِ النِّصيِّ عَلَى المستوى العامِّ في هذا الخِطَاب.

ومِنْ نَمَاذِجِ التَّنوينِ بالعِوَض، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾([٣٢٦]). والأَصْلُ: فَهِيَ يومَ إذِ انشقت واهية، ثُمَّ حُذِفَتْ الجُمْلَةُ المضاف إليها للعِلْمِ بِهَا([٣٢٧])، مِنْ قِبَلِ المخَاطَبِ الّذِي يَتَلَقى هذا الخِطَاب، ومِنْ ثُمَّ يقومُ بتأويلِهِ بِنَاءً عَلَى معرفَتِهِ الْخَلْفِيَّةِ، الّتِي لا يُمْكِنُ إغْفَالَهَا في أَثْنَاءِ التَّحليلِ النَّصيِّ، كَوْنَها تُمَثِّلُ المخزونَ المعرفيِّ الّذِي يُعِينُنَا عَلَى فَهْمِ العَنَاصِرِ اللغويَّة المُخْتَزلَةِ في الخِطَاب.

ومِنْ شَوَاهِدِ التَّنوينِ بالعِوَض، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾([٣٢٨]). فالتنوينُ في قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوينُ عِوَضٍ مِنْ جُمْلَةٍ مُقَدَّرَةٍ، تقديرُها: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ تَقُومُ السَّاعَةُ([٣٢٩]). وَقَدْ ذهَبَ (ابنُ عاشور) إلى

٣١٨- ظاهرة التنوين مفهومها وعلاقتها بالدلالة: ٣.
٣١٩- لسان العرب، مادة (نوّن): ١٤/ ٣٤١.
٣٢٠- شرح التصريح على التوضيح، ١: ٢٣.
٣٢١- (سورة الواقعة: ٨٣-٨٤).
٣٢٢- أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك، ١:١٥. وشرح ابن عقيل،١: ٢٢.
٣٢٣- (سورة المرسلات: ١٩).
٣٢٤- (سورة المرسلات: ١٦).
٣٢٥- التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤٢٩-٤٣٠.
٣٢٦- (سورة الحاقة: ١٦).
٣٢٧- ظاهرة التنوين في اللغة العربية:١٥.
٣٢٨- (سورة الجاثية: ٢٧).
٣٢٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٩/ ٦٥٤.

أَنَّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ توكيدٌ لـ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، وتنوينُهُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْمَحذوفِ لِدَلالَةِ مَا أُضِيْفَ إِلَيْهِ يَوْمَ عَلَيْـهِ، أَيْ: يَـوْمَ إِذ تَقُومُ السَّاعَةُ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُون، فَالتَّأْكِيْدُ بِتَحقِيْقِ مَضْمُونِ الْخَبَرِ، وَلِتَهْوِيْلِ ذلِكَ الْيَوْمِ(٣٣٠). وفي هذهِ الإِحَالـةِ إلى مُتَقـدِّمٌ إيـذانٌ بتحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ في هذا الخِطَاب.

ومِـنْ أَمْثِلَـةِ التَّنـوينِ بـالعِوَض، قَوْلُـهُ تعـالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾(٣٣١). والتَّقْدِيرُ في الآيَةِ الكَرِيْمَةِ: "ويومَ يغلب الرومُ فَارِسَاً يفرحُ المؤمنون"، فحُذِفَتِ الجُمْلَةُ الأُولى، وهِـيَ "يغلبُ الرومُ فارسَا"، وعوض عنها التنوينُ، وبقيتْ (إذ) مبنيَّة لشـبهها بـالحرفِ في الوضـعِ علـى حـرفين، أو في الافتقـارِ افتقـاراً مُتَأَصِّلاً إلى جُمْلَةٍ تُضَاف إليها(٣٣٢)، وفي هذهِ الإحالَةِ الداخليَّة السابقة تأكيدٌ على سِمَةِ التَّرَابُطِ في هذهِ الآيَةِ.

وَمِنْ أضربِ التَّنوينِ بالعِوَض، قَوْلُـهُ تعـالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾(٣٣٣). فالْمَلْحُوظُ في هذا الخِطَابِ هُوَ أنَّ (تنوينَ العِوَضِ) يحيلُ الْمُتَلَقِّي إلى أكثر مِنْ جُمْلَةٍ وَاحِدَة، تِلْكَ الْجُمَلِ الّتِي حُذِفَتْ بَعْدَ ذِكْرِهَا، لِدَلالَةِ التَّنْوِينِ عَلَيْهَا، وتقديرُ هذهِ الْجُمَلِ، هُـوَ: يَـوْمَ إذ نُفِـخَ في الصُّـور، وحُمِلَتِ الأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ (تنوينَ العِوَضِ) هُنَا قَدْ دَلَّ على كُلِّ تِلْـكَ الْجُمَـلِ السَّابِقَةِ ذِكْرُها، وَهُوَ مَا يُمَثِّلُ مَرْجَعِيَّةً داخليَّةً سَابِقَة، الأَمْرُ الّذِي حَقّقَ تَمَاسُـكَاً نصـيَّاً واضِـحَاً علـى الْمُسْـتَوَى الكُلّـيِّ مِـنْ هـذِهِ الآيَاتِ.

وَمِنْ أَنْمَاطِ التَّنوينِ بالعِوَض، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾(٣٣٤). فَقَدْ ذهَبَ ابنُ يعيش (ت٦٤٣هـ) إلى أن التقدير هُوَ: يَوْمَ إذ تَزَلْزَلَتِ الأَرْضُ، وَإِذْ أَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَإذ قَالَ الإِنْسَانُ مَالَهَا، فَحُذِفَت هذهِ الْجُمَلُ الثَّلاث، لِدَلالَةِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْجُمَلِ، وَعُوِّضَ عَنْهَا التَّنْوِينُ(٣٣٥)، وَهُوَ مَا حَقّقَ تَمَاسُكَاً نسيجيَّاً وَاضِحَاً في هذهِ الآيَةِ.

ونظيرهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾(٣٣٦)، وقَوْلُهُ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾(٣٣٧). هذا، وَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (يومئذٍ) في القرآنِ الكريم في سبعين مَوْضِعَاً، وللحذفِ مَعَهَا دليلهُ قَدْ يكون كلمة، أو عِبَارَة، أو جُمَلَة، أو آية، أو عِدَّة آيَات، وكذلِكَ الْمَحْذُوف، وهِيَ على سبيلِ الْمِثَال: النازعات في الآية (٨)، وعبس في الآية (٣٧، ٣٨، ٤٠)، والمطففين في الآيَةِ (١٠، ١٥)، والغاشية في الآيَةِ (٢، ٨)، والفجر في الآيَةِ (٢٣) في مَوْضعين، وفي الآيَةِ (٢٥)، والعاديات في الآيَةِ (١١)، والتكاثر في الآيَةِ (٨) وغيرها مِنَ الآيَاتِ(٣٣٨)، هذهِ وغيرُها كانت نماذِجَ مُخْتَارَة مِنَ الآياتِ القُرْآنيَّة، علّها تكون كافيةً لتقديمِ صورةٍ واضِحَة عَنْ أثرِ العناصِرِ الإحاليَّة في تحقيقِ التماسُكِ النصيِّ في الخِطَابِ القُرْآنِيِّ.

٣٣٠- التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٦٦.
٣٣١- (سورة الروم: ٤-٥).
٣٣٢- شرح ابن عقيل، ١: ١٥-١٦.
٣٣٣- (سورة الحاقة، ١٣-١٥).
٣٣٤- (سورة الزلزلة، ١-٤).
٣٣٥- شرح المفصل، ٢: ٢٠٢.
٣٣٦- (سورة المدثر:٨-١٠).
٣٣٧- (سورة القيامة، ٢٠-٢٤).
٣٣٨- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٤٤.

الحذف

الحذف وأثره في تماسُك النص:

الحذفُ في الدائرةِ اللغويَّة، هُوَ القطعُ، والإسقاطُ، وقد جَاءَ في الصحاح: أن "حَذْفَ الشيءِ: إسقاطُه[1]. وفي الدائرة الاصطلاحيَّة، هُوَ: إسقاطُ جُزءِ الكَلامِ أَوْ كله لدليل[2]. ونظراً لأهميَّةِ هذه الظاهرة فقد أشبعها النحاة والبلاغيون بحثاً ودراسةً وتطبيقاً، ومِنْ هؤلاءِ (سيبويهِ) الّذِي وَضَعَ بَابَاً سَمَّاهُ بَاب (ما يُحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل)، وقال فيه: "وذلك قولك: (هذا ولا زعماتك) أي: ولا أتوهم زعماتك[3]. وقوله أيضاً في بابِ "يُحذف المستثنى فيه استخفافاً": "وذلك قولك: (ليس غير) كأنه قَالَ: ليسَ غير ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً، واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعني[4]، فَهذِهِ النظرةُ اللسانيَّة مِنْ لَدُن سيبويهِ إِنَّمَا تَكْشِفُ عَنْ رؤية تداوليَّة نافذة، لاعتبارها "المقام التداوليِّ الّذِي يُمَثِّلُه أَسَاسَاً الْمُتَكَلِّم، وَالْمُخَاطَب، وظروفُ استعمال الخِطَاب"[5]، وَقَدْ جَاءَ أَيْضَاً قَوْلُهُ: "أُضْمرَ لعلم المخاطَب بِمَا يَعْنِي"[6]، فسيبويهِ هُنَا قَدْ ذكَرَ الإِضْمَارَ في هذا الْمَوْضِعِ، وأَبَان سَبَبَهُ وعِلّتَهُ، أي: عِلْم المخاطَب، مِنْ دون تفسيرٍ ولا تفصيل[7]، وَعَطْفاً عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فَقَدْ بَيَّنَ سيبويهِ أيضاً دورَ الْمُتَلَقِّي في تقدير الحذف وإدراكه، وذلِكَ بقولِهِ: "وإنّما أضْمروا ما كان يقع مُظْهراً استخفافاً، ولأنّ المخاطَب يعلمُ ما يعني، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليكَ، ولا ضيرَ عليكَ، ولكنه حُذِفَ لكثرة هذا في كلامهم"[8]، فالملحوظُ هُنَا أن سيبويهِ قَدْ جَعَلَ مَعْنَى الخِطَابِ مُرْتَبِطاً ارتباطاً وثيقاً بعلم المخاطَب، واستعمال العرب[9]، مُعْتَمِدَاً في ذلِكَ عَلَى قرائن السياق اللغوي والحالي في تقدير المحذوف، الأمر الّذِي يَكْسِبُ الخِطَابَ الحَرَكَةَ والتَّفَاعُل، ويقحم الْمُتَلَقِّي في خِضَمِّ عمليَّةِ تفسيرِ الخِطَاب وتحليله[10]، وبناءً عَلَى كُلِّ مَا سبق بيانهُ فَإِنَّ سيبويهِ يَعُدُّ باستحقاق صَاحِبَ نظريَّةِ الحذفِ لكثرةِ الاستعمال، إذ فسَّر في ضوئها أنواعاً شتَّى مِنَ الحذفِ في الصيغ والتراكيب في مواضع كثيرة مِنْ كتابه، وإن كانت بعضُ هذه التفسيراتِ مَنْسُوبةً إلى الخليل[11]، وقد تبعه في ذلك سائِر النحاة، فَالْمُبَرِّدُ (ت٢٨٥هـ)، وَضَعَ باباً عَرِيضَاً سَمَّاهُ (بَابُ مَا حُذِفَ مِنَ الْمُسْتَثْنَى تَخْفِيفَاً واجْتُزِئَ بِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ)[12]. وذكَرَ الْمُبَرِّدُ أَيْضَاً أَنَّ قَوْلَهُمْ: "مَا رأيتُ كاليَوْمِ رَجُلاً"، فالمعنى: ما رأيتُ مثلَ رجلٍ أراهُ اليومَ رَجُلاً، أي: ما رأيتُ مِثْلَهُ في الرِّجال، ولكنه حذف لكثرة استعمالهم له، وأن فيه دليلاً، كما قالوا: لا عليكَ، أي: لا بأسَ عليكَ، وكما قالوا: "افعلْ هذا إمَّا لا"، أي: إن كنتَ لا تفعلُ غيره. فـ(ما) زائدة، والتقدير: إن لا تفعلْ غيرَ هذا، فافعلْ هذا[13]. أمَّا ابنُ السراجِ (ت٣١٦هـ)، فَقَدْ ذهَبَ بِقَوْلِهِ إلى أَنَّ "الْمَحذوفَاتِ في كَلامِهِمْ كثيرةٌ والاختصارُ في كَلامِ الفُصَحَاءِ كثير مَوْجُود، إذا آنسُوا بِعِلْمِ الْمُخَاطَب مَا يعنُون"[14]، أَمَّا ابنُ جني (ت٣٩٢هـ) فَقَدْ تناول هذِهِ الظاهِرَة اللغويَّة أيضاً، وعَقَدَ لَهَا بَابَاً بِعُنْوَان (بابٌ في شجاعةِ العربيَّة)[15]، ولَمْ يَتَخَلّف عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) مِنْ مُعَالَجَةِ هذا المظهر اللسانيِّ في كتابِهِ (دلائِلُ الإعجاز)، وقد ذكر فيهِ أنَّ الحذفَ " هُوَ بَابٌ دقيق الْمَسْلَكِ، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحْرِ، فإنّك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر،

١- الصحاح في اللغة: ١/ ١٢٠.
٢- البرهان في علوم القرآن: ٣/١٣٢.
٣- كتاب سيبويه: ١/ ٣٣٧.
٤- م.ن: ٢/ ٣٦٣.
٥- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٧١.
٦- كتاب سيبويه: ١/ ٤٧.
٧- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٦٧.
٨- كتاب سيبويه: ١/ ٢٢٤.
٩- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٧١.
١٠- م.ن:٧٢.
١١- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:٣٨.
١٢- المقتضب: ١/ ٨١.
١٣- م.ن: ٢/ ٤٤٣.
١٤- الأصول في النحو: ٢/ ٣٢٤.
١٥- الخصائص: ٢: ٣٦٠.

والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ"([16])، وعَلَى غرار الجرجاني ذهَبَ ابنُ مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) بقَوْلِهِ إلى أَنَّ "المحذوفاتِ في كتاب الله تعالى لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِيْنَ بِهَا كثيرة جداً، وَهِيَ إذا ظهرت تَّم الكلام، وحذفها أَوجز وأبلغ"([17]). والنّحاةُ انطلقوا في ظاهرةِ الحذف من قاعدةٍ أساسُها أنّ التركيبَ اللغويِّ لا بُدَّ له من طرفين أساسيين، هما: المسند والمسند إليه، فإذا استغنى المتكلِّمُ عن أحدهما قُدِّر محذوفاً لتتمَّ بهِ الفائدةُ في الجملة([18]). وهذه الظاهرة "ترتبطُ كثيراً بالمستويات اللغويّة كالمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، ولا يمكن إقامة هذين المستويين في الجملة، دون تقدير ما هو محذوف، وردّه إلى مكانه على ضوء ما تمّ وضعه من قواعد وقوانين"([19]). فهناك إذاً قواعِد للحذف، وهي "من الظواهر المشتركة في اللغات الإنسانيَّة، إذ يميل المخاطِب إلى حذفِ العناصر المكرَّرة، أو التي يمكن فهمها من السياق. وقد التفت النحاة العرب إلى ظواهر الحذف، ووضعوا لها قواعد مبنيَّة على إدراك الاستعمال العربي، وليس على مجرَّدِ التقدير المتعسِّف"([20]). والنحاة عندما حذفوا أو قدَّرُوا كانوا على أصولٍ مقرَّرة، فقاسُوا النَّظيرَ على النَّظيرِ، واستدلوا بالحاضِرِ على الغائِبِ، ورأوا المحذوف في المذكور([21]). ومن هنا فإن الحذف "في بناءِ الجملة أحد المطالب الاستعماليَّة، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة (أو المكتوبة) أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء. وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً من الدلالة، وكافياً في أداء المعاني"([22])، الّتي يُمكن للمتلقّي تقديرها بناءً على كفاءتهِ اللغويَّة وحصيلتهِ المعرفيَّة.

والْحَذْفُ في الدَّرْسِ النَّصيِّ يُمَثِّلُ "عَلاقَةَ اتِّسَاق لا يختلفُ عَنِ الاستبدالِ إلاّ بكونه استبدالاً بالصفر، أي أنّ علاقة الاستبدال تترُكُ أَثراً، وأَثرها هُوَ وجودُ أَحَدِ عَنَاصِرِ الاستبدال، بَيْنَمَا عَلاقَةُ الْحَذْفِ لا تَتْرُكُ أَثراً"([23])، الأَمْرُ الّذِي "يَدْفَعُ الْمُتَلَقِّي إلى النهوض بِمُهِمَّة التَّقدير، وتحفيزِ مَهَارَةِ التَّأويلِ الّتِي يُمْكِن أَن نعدَّهَا مَهَارَةَ انسجامٍ أَوَّلاً، واتساق ثانياً"([24])، وهِيَ بِذلِكَ تُعَدُّ وسيلةً من وسائلِ الترابُط بين عناصر النصِّ الواحِد، ويُؤدِّي فيهِ المتلقي دَوْرَاً كبيراً في مَلءِ الفَرَاغَاتِ الّتِي يَتْرُكُها النَّصُّ لذكائِهِ، إيثاراً لمبدأ الاختزال، وتحقيقاً لغرضِ التَّمَاسُكِ، ومِنْ هذا المنطلقِ فإنَّ الْحَذْفَ يمثِّلُ "ظاهرةً نصيَّةً لها دورُها في انسجامِ النصِّ، والتحامِ عناصِرِهِ"([25])، وهذه الظاهرة اللغويَّة تتجسَّدُ من خلال افتراضِ مكوِّنات لغويَّة غائبة في سطحِ النسيج النصي واستحضارِها، (هاليداي) أنّ الحذف، هو "علاقة داخل النصِّ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النصِّ السابق، وهذا يعني أنّ الحذف عادةً علاقة قبليّة"([26])، أو عَلاقةٌ مَرْجَعيَّة لِمَا سَبق، ولكنَّهُ أَحياناً تكون مرجعيَّتُهُ خارجيَّة، وهِيَ ما يعتمِدُ عَلَى سياقِ الحالِ الّذِي يَمُدُّنا بالمعلوماتِ الّتِي تُسْهِمُ في تفسيرِ المثال([27]). وقَدْ ذكَرَ (كريستال) نَوْعَاً مِنْ أَنْوَاعِ الحذفِ، وهُوَ حذفُ جُزْءٍ مِنَ الجملةِ الثانية، يدلّ عليها دليلٌ في الجملةِ الأُولى، مثالُ ذلِكَ: أين رأيت السيَّارة؟ في الشارع. فالحذفُ من الجملة الثانية "رأيتها"([28]). وهذا الافتراض المسبق للعناصر المحذوفة، هو "اعتدادٌ بالمعنى العدمي على ما يسمُّونه (Zero Morpheme) فالبنياتُ السطحيَّة

١٦- دلائل الإعجاز:١٤٦.

١٧- الرد على النحاة:٦٩.

١٨- ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النّصّي:٣.

١٩- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين:٢٠٩.

٢٠- النحو العربي المتقدم لأغراض علمية.. دراسة في الجملة الفعليَّة من خلال القرآن الكريم:٢٠٨. نقلاً عن ظاهرة الحذف في سورتي هود ويس.. دراسة نحوية وبلاغية:١١-١٢.

٢١- من قضايا اللغة والنحو:٩٢.

٢٢- النحو العربي المتقدم لأغراض علمية.. دراسة في الجملة الفعليَّة من خلال القرآن الكريم:٢٠٨.

٢٣- لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٢١.

٢٤- قصيدة الوقت لأدونيس (ثنائية الاتساق والانسجام): ٥٢٠.

٢٥- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه:٩٢.

٢٦- Halliday & R.Hasan "Cohesion in English"p.142، نقلاً عن ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النّصّي: ٨٤.

٢٧- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٠١.

٢٨- D. Crystal, The Cambridge Encyclopedia.p.119. نقلاً عن ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النّصّي:٨٤.

في النصوص غير مُكتملة غالباً، بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللّغة العادي"([29])، ولكنه مع ذلك يُؤدِّي دوراً فاعلاً في تحقيق "الترابُطَ من خلال البحث عَمَّا يملأ الفراغ فيما سَبَقَ مِنْ خِطَاب، وبذلك يقومُ المتلقي للنصِّ بعمليَّةِ الرَّبْطِ التلقائي بينَ السياق الحالي وما سبقَ مِنْ خطاب([30])، الأمر الذي يُؤكِّد بوضوح "دور المتلقي في العمليَّاتِ الذهنيَّة التي يقومُ بها، فتعملُ على بَعْثِ الخيال، وتنشيطِ الإيحاء، فيربطُ تعدُّد دلالاتِ النصِّ بتعدُّدِ المتلقين وثقافتهم، ومعرفتهم بأعرافِ اللغةِ، وتنوُّع القدرةِ على الاحتفاظِ بالعنصر أو العناصِر المحذوفة في الذاكرة لحين الانتهاءِ مِنَ القراءة، مِمَّا ينتجُ عنهُ استمراريَّة في التلقي، وفي الربطِ المفهوميِّ، بتعليقِ الكلامِ اللاحِقِ على السَّابِق. ومن ثمَّ فالقارئ يُسْهِم في إكمالِ النصِّ، وفي ملءِ فراغاته([31]). ولا يقلُّ الحذف أهميَّةً عن غيرهِ مِنَ الوسائِل في تحقيقِ تماسُكِ النصِّ، لأن المحذوف يُعامَل مِنْ ناحيةِ الدَّلالةِ مُعامَلةَ المذكور([32]). ويمكننا من خلال آلية الحذف أن نتلمَّس بوضوح تلك القضايا التي تُحْذَفْ، لأن مستعمل اللغة يفترضُ فيها أنها لم تعد وثيقةَ الصلةِ بتفسيرِ القضيَّةِ اللاحقة"([33]). والحذفُ أساساً، هو اقتصادٌ لغويٌ يقومُ باختزالِ الملفوظ إلى الحدِّ الذي يفي بأغراضِ الإفهام، فيكتفي المخاطِب بما أوردَهُ مِنْ ملفوظات عن إيرادِ جميع ما يُنْتَظَر مِنْ ألفاظ، من ثمَّ يفجر في ذهنِ المتلقي شحنةً تُوقِظ ذهنه، وتجعله يُفكِّر فيما هو مقصود([34]). والحذفُ عند القدماء – الذي يُقابل الانزياح الاختزالي عند المحدثين – يجري بين المخاطِب والمخاطَب ضمن العملية التواصليَّة، وهذا الإجراءُ الاختزاليُّ لا يُفَك ولا تُفْهَم حمولاتُه الدلاليَّة إلا في مجراهُ التداوليِّ([35])، وعَلَيْهِ فَإِنَّ البَحْثَ التداوليِّ المعاصر يَجْعَلُ الاختصار قانوناً أساساً من قوانين التخاطب، ويقضي هذا القانون بأن يضمر المُلقي في كلامه ما دلت عليه القرائن مقالية كانت أو مقامية، فاللسان العربي ينماز بميله إلى إيجاز العبارة وطي المعارف المشتركة طياً، اعتماداً على قدرة المخاطَب على تداول ما أُضمر من الكلام، وفي استحضار أدلته التداولية متى اقتضت إلى ذلك حاجة الفهم([36])، والحذفُ هُنَا فَضْلاً عَنْ أنهُ تتويجٌ تطبيقيّ لنظريَّةِ السُّهولَةِ واليُسْرِ، وقانون الاقتصاد اللغويِّ، فإنه مُعْطى مِنْ مُعْطيات مراعاة الموقف الخارجي، وتطابق الكلام مع مقتضى الحال تناسُبَاً مع مَبَادئ التداوليَّة الّتِي تحتِّمُ إجراء عمليَّة الحذف في المواضع التي لا تستدعي ذكر كل العناصر الكلاميَّة([37])، اعتماداً على ذكاءِ المتلقِّي وخلفيَّتهِ الثقافيَّة الّتِي يُمكنه مِنْ خلالها تأويل المنجز الكلامي، ومِنْ ثم فهمهِ وإدراكهِ.

والحذف كما يُعَرِّفه (روبرت دي بوجراند)، هو: "استبعَادُ العباراتُ السطحيَّة التي يمكن لمحتواها المفهوميِّ أن يقومَ في الذهن، أو أن يوسّع أو أن يعدل بوساطة العباراتِ الناقِصَة"([38]). والحذفُ شبيهٌ بالاستبدال من حيث إنه عَلاقةٌ قبليَّة، غير أنه يختلف عنهُ في أنه (استبدالٌ بالصفر)، ويشرحُ (أحمد عفيفي) ذلك بقوله: "إن الحذفَ لا أثرَ لهُ في الدَّلالةِ، فلا يَحِلُّ شيءٌ مَحَلَّ المحذوف (...)، أمَّا الاستبدالُ فيترك أثراً يسترشدُ به المتلقي، وهو كلمةٌ مِنَ الكلماتِ المشار إليها في الاستبدال"([39]). وبناءً على ما سبق فإن الحذف هو "علاقةٌ مرجعيَّة لِمَا سبق (anaphoric) في الغالب، وقد تكون مرجعيَّة الحذف خارجيَّة (exophoric)، وذلكَ في سياقاتٍ معيَّنة، حيث يقدِّمُ لنا سياق الموقف المعلومات التي نحتاجُ إليها في تفسيرِ الحذف، ولكن الحذف الخارجيِّ يخرجُ عَنْ تماسُكِ النصِّ الداخليِّ إلى تماسُكِ النصِّ مع السَّياق"([40])، ذلك السياقُ الّذِي يُضيءُ جوانِبَ خافية مِنَ النصِّ.

٢٩– النّصّ والخطاب والإجراء، مقدّمة د.تمّام حسان:٣٤.

٣٠– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب:٧١.

٣١– علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:١١٧–١١٨.

٣٢– علم اللغة النصي بين النظريَّة والتطبيق: ٢/ ٢٤٦.

٣٣– التحليل اللغوي للنص.. مدخل إلى المفاهيم الأساسيَّة والمناهج:٦٨.

٣٤– المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب:١٠٦.

٣٥– الانزياحات الخطابية في كتاب (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني في ضوء المنهج التداولي:٢٦.

٣٦– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٦٨.

٣٧– م.ن:٨٥.

٣٨– النص، والخطاب، والإجراء:٣٠١.

٣٩– نحو النص، (د.عفيفي):١٢٦.

٤٠– Robert de Beaugrande & Dressler: Introduction to text linguistics,p.144، نقلاً عن علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق، (د.عزة):١١٦.

وقَدْ وضعَ علماءُ اللغةِ شروطاً للحذفِ عَلَى درجةٍ كبيرةٍ مِنَ الأهميَّة، أَلا وَهِيَ: ضرورةُ وجودِ دليلٍ على المحذوف، يتمثّل في قرينةٍ أو قرائِنَ مُصاحِبَة: حاليَّة، أو عقليَّة، أو لفظيَّة، فالقرينةُ الدَّالة تُعَدُّ أَهمَّ شَرْطٍ للحَذْفِ، يليها في الأهميَّة أَلا يؤدِّي الحذفُ إلى لَبْسٍ في المعنى([41]). وهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: لا بُدَّ أن يكونَ فيما أُبْقِيَ دَليلٌ عَلَى مَا أُلْقِيَ، وتِلْكَ الدَّلالةُ مقاليَّة أو حاليَّة([42])، وعَلَيْهِ فأينما يوجَدُ الحذفُ، يوجَدُ افتراضٌ مُقَدَّم، أو دليلٌ عَلَيْهِ([43])، ويرى ابن جني (ت٣٩٢هـ)، أن "المحذوف إذا دلّت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به. ويرى فيه أن "دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به"([44]). وفي هذا السياق قال ابن جني أيضاً: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته، فأمّا الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال – من الجار والجواب – دليلاً على الجملة المحذوفة. وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض نحو قولك: زيداً، إذا أردت: اضرب زيداً، أو نحوه، ومنه إياك، إذا حذرته، أي: احفظ نفسك ولا تُضِعها، والطريقَ الطريقَ... وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيُّون بأفعالهم إنْ خيراً فخيراً وإنْ شرًّا فشرًّا، أي: إنْ فعل المرء خيراً جزي خيراً، وإنْ فعل شرّاً جزي شرّاً"([45]). ومِنَ التعبيراتِ الّتي ترِدُ في كتبِ النَّحْوِ، أمثلةٌ على حذف عناصِرِ أساسيَّة في الجملة – كحذف الفعل العامِل – قولهم: "راشداً مهديًّا". الذي يُعَدُّ في الواقع نصًّا لا يتَّضحُ معناهُ إلا بالإشارة إلى السياقِ المقامي الخارجي الذي يُستعمل هذا التعبير في مثله، وهو تهيؤ الشخص للسفر، وعزمه عليه([46]). وأكّد الزركشي أيضاً على وجود دليل على المحذوف، بقوله:" إنَّ من شروط الحذف أنْ تكون في المذكور دلالة على المحذوف، إمَّا من لفظه، أو من سياقه، وإلا لم يُتمكن من معرفته، فيصير اللفظ مُخِلاً بالفهم"([47]). ولا شكّ أن أهميَّةَ وجُودِ الدليل عَلَى المحذوف – مَقاليًّا أَو مَقاميًّا – تكمُنُ في كونه يُحَقِّق المرجعيَّة بَيْنَ المذكورِ والمحذوفِ في أَكْثَرِ مِنْ جُمْلَة، كَمَا يُحَقِّقُ استمراريَّةَ النَّصِّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وجُودِ مَحْذوفٍ في الخِطَاب([48]). وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ السِّيَاقَ المقاميِّ والمقاليِّ يُمَثِّلُ مَادَّةً ثريَّةً تُمَكِّنُنَا مِنْ مُلاحَظَةِ العَنَاصِرِ المحذوفة، وَمِنْ ثُمَّ نهتدي إلى كيفيَّةِ أدائِهَا لِمُهِمَّةِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ([49]). وأخيراً فإنَّ هذِهِ المعطياتِ الّتي سَاقَهَا البَحْثُ كُلّهَا تأكيداً على وجُودِ الدليلِ عَلَى المحذوفِ، إِنَّمَا يُؤَكِّدُ دَوْرَ الْمُتَلَقِّي في تأويلِ الخِطَاب وفَهْمِهِ، من خِلالِ ذلِكَ الدليل الّذِي يُعَدُّ مُرْشِدَاً للمُتَلَقِّي للاهتداءِ إلى المحذوفِ، وتقديرِهِ، ومن ثُمَّ إثارةِ الرغبةِ لَدَيْهِ في إِتمامِ النَّصِّ بالحصُولِ عَلَى العَنَاصِرِ المحذوفة([50])، تِلكَ العناصِرِ الّتِي تعطي صورةً كليَّة شاملة للخطاب سواء أكان مقروءاً أم مسموعاً.

ومِنْ هُنَا فإنَّ الدِّراسةَ الأُسلوبيَّة – في موضُوعِ الحذفِ – تُعنى بالمواقِعِ الدَّلاليَّة الّتِي يُحقِّقُهَا، ويقتضيها النَّظْمُ الفنيِّ للغةِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ، لا أنْ تَتَرَكّزَ الدِّراسَةُ عَلَى عموميَّاتِ الحذفِ اللغويِّ دون رَبْطِهَا بالسِّياق([51])، لِذا "لا ينبغي أَنْ نَفْهَمَ الحذفَ عَلَى مَعْنَى أَنَّ عُنْصُرَاً كانَ مَوْجُوداً في الكَلامِ، ثُمَّ حُذِفَ بَعْدَ وجُودِهِ، ولَكِنَّ الْمَعْنَى الّذِي يُفْهَمُ مِنْ كَلِمَة الحَذْفِ ينبغي أَنْ يكونَ هُوَ الفَارِق بَيْنَ مقرراتِ النِّظَامِ اللغويِّ، وبَيْنَ مَطَالِبِ السِّيَاق الكَلامِي الاستعماليِّ"([52]). ولأُسْلُوبِ القُرْآن الكريم في آياتِ الوَعْدِ والوعيد تَفَرُّدٌ واضِح في رَصْدِ المعانِي الْمُتَحَقِّقَة مِنْ وَرَاءِ الحَذْفِ، بِمَا يثيرُهُ مِنْ تفكيرٍ، وتنشيطٍ للخيالِ، وتوقّدٍ للذِّهْنِ، وتوليدِ

٤١– علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:١١٦.

٤٢– البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١١١.

٤٣– علم لغة النصي بين النظريَّة والتطبيق، د.الفقي: ٢/ ٢٠٨.

٤٤– الخصائص: ١/ ٢٨٤–٢٨٥.

٤٥– الخصائص: ٢/ ٣٦٠.

٤٦– قضايا التشكيل في الدرس اللغوي – في اللسان العربي:٣٢٧.

٤٧– البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٢٧.

٤٨– علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق، (د.عزة):١١٦. علم لغة النصي بين النظريَّة والتطبيق، (د.الفقي): ٢/ ٢٠٨.

٤٩– علم لغة النصي بين النظريَّة والتطبيق: ٢/ ٢١٦.

٥٠– م.ن: ٢/ ٢٠٩.

٥١– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٦.

٥٢– اللغة العربية معناها ومبناها:٢٩٨.

إمتاعٍ خاصّ ناتجٍ عَنْ ألمِ الْمَعْرِفَةِ والكَشْفِ(٥٣)، فضلاً عن تحقيقِ التماسُكِ النَّصيِّ على المستوى العامِّ مِنَ الخِطَاب، وفي الشواهِدِ القرآنيَّة التي سنقومُ بعرضها تأكيدٌ على تَلكَ الدَّلالات المتحقّقة مِنْ أُسلوبِ الحذفِ القرآنيِّ.

الحذف في الخطاب القرآني:

مِنْ صُوَرِ حذفِ (المبتدأ)، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤﴾(٥٤). فَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ﴾ يَقَعُ خَبَرًا لمبتدأ مُضْمَر، تقديرُهُ: فَجَزَاؤُهُ أنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ. أو فَحُكْمُهُ: أَنَّ لَهُ نارَ جهنَّم(٥٥). وقَدْ حُذِفَ المبتدأ لِكَمَال العِنَايَةِ بالْخَبَر(٥٦). والْمُتَلقِّي يَعْرِفُ مِنْ خِلالِ الافْتِرَاضِ المسبق أَنَّ عِصْيَانَ الله والرَّسُولِ لَيْسَ لَهُ مِنْ جَزَاءٍ إلاّ النَّار، وهذا الافْتِرَاضُ للعُنْصُرِ المحذوفِ يُؤدِّي إلى التَّمَاسُكِ النَّصيِّ. ومِنْ صُوَرِ حذفِ المبتدأ أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾(٥٧). و(كتاب مرقوم) تفسيرٌ لَهُ عَلَى جِهَةِ البَدَل، أَوْ خَبَرُ مُبتدأ مَحْذُوف(٥٨). والتَّقدير: كتابُ الفجَّار كتابٌ مرقوم، فَحُذِف (كتاب) الأوَّل، أي المبتدأ، لِدَلالةِ الْخَبَرِ عَلَيهِ اخْتِصَارًا(٥٩)، فالخطابُ القرآنيُّ يهتمُّ بالمسكوتِ عنهُ قَدْرَ اهتمامهِ بالمصرّح به، فَهُوَ دائماً يُعطي مِنْ خِلالِ الحذفِ، ومن خلال الإثباتِ، فما يثبته النصُّ يخدم ما يحذفه، وما يحذفه يخدم ما يثبته، وهُمَا معاً يُتِمَّان فكرةَ الحضور، فالحضور أو القلب المتفتِّح في حاجةٍ إلى تنوّعٍ في الخطاب. هناك دائماً الإحساسُ بما تحصلُ عليهِ، وما نكابدُ في سبيلِ الحصُولِ عليهِ(٦٠)، ذلك الخطابُ الّذِي يوظِّفُ المسكوت عنه لاستحضارِ المتلقِّي، وإشراكِهِ في عمليَّةِ استنتاجِ الدَّلالة، ومن ثم تحقيق الغرضِ التَّواصُلي(٦١)، وبناءً على ما سبق فإنَّ (المبنى العدمي) الّذِي نقومُ بافتراضه في أذهاننا – خلال لحظة تلقينا لهذا الخِطَاب الإلهيِّ – يُسْهِمُ في تَرَابُطِ النَّصِّ وتلاحُمِهِ.

ومِنْ حذفِ (المبتدأ) أَيْضَاً، قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾(٦٢). والأَصْلُ أن يُقال: "هُمْ في سِدْرٍ مخضود"، فَحُذِفَ المبتدأ لوضوحِهِ، وقُرْبِ العَهْدِ بِهِ في الكَلام، فلا يُحتاجُ للذِّكْر، كَمَا أَنَّنا نُحِسُّ بذلِكَ التَّنَاسُقَ الموسيقيَّ في قِرَاءَةِ الآيَةِ بالْحَذْفِ، ونَفْتَقِدُهُ بالذِّكْر(٦٣). ومَا يُلْحَظُ في الخِطَابِ القُرْآنِي – في وَصْفِ الجَنَّةِ ونعيمها – هُوَ إيجازهُ الدَّلاليِّ، وكَشْفُهُ الْمَعْنَى عَنْ طريقِ الاقتصادِ في اللّفْظِ، تَارِكاً بَعْدَ ذلِكَ مُهِمَّةَ التَّفصيلِ للسنَّةِ النبويَّةِ، ومُهِمَّةَ التَّأْويل والتَّخييلِ للمُتَلقِّي، حَاثاً إيَّاهُ عَلَى التَّفكِيرِ والتَّقدِير(٦٤)، وعليهِ فالاتِّصالُ بَيْنَ النصِّ والمتلقِّي هُوَ عمليَّةٌ تتحرَّكُ وتنظّم ليس بوساطةِ ما يُقال، وإنَّما عن طريق تفاعُل صارم بَيْنَ ما يقال وما لا يُقال، بَيْنَ الصَّريح والضمني، بين ما هو خافٍ، وما هو مُعلن(٦٥). وعليهِ

٥٣– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٦.
٥٤– (سورة الجن:٢٣–٢٤).
٥٥– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١٠/ ٥٠٣.
٥٦– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:٤٨.
٥٧– (سورة المطففين: ٧–٩).
٥٨– تفسير البحر المحيط: ٨/ ٤٣٢.
٥٩– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:٤٨.
٦٠– مسئوليَّة التأويل، د.مصطفى ناصف:١٧٨–١٧٩، وجماليات التلقي في السرد القرآني:٢٩٠.
٦١– جماليات التلقي في السرد القرآني:٢٩١.
٦٢– (سورة الواقعة: ٢٧–٣٣).
٦٣– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٨٠.
٦٤– م.ن:٨٨–٨٩.
٦٥– جماليات التلقي في السرد القرآني:٢٩١.

فإنَّ على القارئ أن يقرأ في النصِّ أبعد ما هُوَ في لفظهِ الحاضِر، الظاهِر، باستدعائِهِ الدَّائِم لعناصِر غائبة في ثنايا النصِّ[٦٦]، كلُّ ذلِكَ من أجلِ إدراكِ الدَّلالاتِ المنطوية داخِل العلامات، وتلمُّسِ العلاقات الرَّابطة بَيْنَ التراكيبِ والجمل[٦٧]، تلك التراكيب التي تتضافر جميعاً في إعطاء الدلالة الكليَّة للخطاب.

ومِنْ أَمْثِلَةِ حَذْفِ الفاعِلِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾[٦٨]. فَقَدْ حُذِفَ الفَاعِلُ هُنا تعظيماً لشأنِهِ مَعَ أَنَّ الغَرَضَ يَتَعَلّقُ بِذِكْرِهِ، ومِنْ طبيعةِ العَقْلِ ذِكْرُ صَاحِبِ الْجَزَاءِ، وهُوَ الله تعالى[٦٩]، "وَلَكِنْ لَمَّا كانت درجةُ الجزاءِ الغُرْفَة، وهِيَ أَعْلَى وأَعَزُّ مَرَاتِبِ الجَنَّةِ، فإنَّ عَلَى الْمُجَازِي أَنْ يَعْرِفَ صَاحِبَ الْجَزَاءِ"[٧٠]. والاسْتِغْنَاءُ عَنْ ذِكْرِ الفَاعِلِ في هذا الخِطَابِ قَدْ أفادَ تعظيمَهُ، لأَنَّ هذا الْجَزَاءَ العظيم لا يملكهُ أحدٌ غَيْرَهُ، وفي حَذْفِ الفَاعِلِ تركيزٌ على ذلِكَ الجزاءِ العظيم، لأنَّ الصبرَ مِنَ الصِفَاتِ العظيمة الّتِي يتوصَّلُ المرءُ مِنْهُ إلى ذلِكَ الأَجرِ الكريم. وقَوْلُهُ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، أي: بصبرهم، أي: بسببِهِ، أو بسببِ الّذِي صَبَرُوه، والأَصْلُ: صَبَرُوا عليهِ، ثُمَّ حُذِفَ بالتَّدريج، والباءُ للسببيَّة، وقيل: للبدل[٧١]، وعليهِ فالغايةُ من عدم ذكرِ الفاعِلِ هي التركيزُ على الحدث ذاته دون انصراف الذهنِ إلى محدثه[٧٢]، وفي كُلِّ ذلك تنشيطٌ لعمليَّة التخييل لدى المتلقِّي، وتحفيزٌ له لتوظيفِ ملكاتهِ من أجلِ تجسيد المعنى وتحقيقِ الدَّلالة.

ومِنْ أَمْثِلَةِ حذفِ الفاعِلِ أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾[٧٣]. فقولُهُ: ﴿وَأُدْخِلَ﴾ فِعْلُ ماضٍ مبني للمفعول، والفاعِلُ هُوَ الله جَلَّ وعلا، وهو قراءةُ العامَّة، أمَّا قراءةُ الحسن، وعمرو بن عبيد، (وَأُدْخِلُ) فِعْلٌ مُضَارِع مُسْنَدٌ للمُتَكَلِّم، وهُوَ الله تعالى[٧٤]. والملاحَظُ أنَّ إدْخَالَ المؤمنينَ الجَنَّةَ أَمْرٌ عظيمُ الشَّأْن، وبخاصّةٍ بَعْدَ المخاوفِ الّتِي تعرَّضَ لَهَا المؤمنون في الحِسَابِ، ومِنَ الطبيعيِّ والشَّأْنُ كذلِكَ أَنْ يُذْكَرَ الفَاعِلُ، غيرَ أنَّ البروزَ الأُسلوبيِّ يقتضي الْحَذْفَ، لأَنَّهُ في كَشْفِ الدَّلالةِ أبْيَن، ولا سيَّما أَنَّ فِعْلَ إدْخَالِ الجَنَّةِ لا يكون إلاّ مِنَ الله تعالى، لا يشتركُ مَعَهُ في ذَلِك أَحَدٌ، ومِنْ هُنَا كان إيثارُ الحذفِ تعظيماً للفَاعِلِ، وتخصيصاً لَهُ[٧٥]. والمتلقِّي لهذا الخِطَاب القرآني يَعْلَمُ بِنَاءً على مَعْرِفَتِهِ الخَلْفِيَّة أنَّ فِعْلَ إدْخَالِ الجَنَّةِ لا يكون إلاّ مِنَ الله تعالى، وفي مُشَارَكَةِ المتلقِّي في فَهْمِ هذهِ الدَّلالةِ إيذانٌ بتحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، هذا، "ويعتمِدُ القُرْآنُ على ذكاءِ قارئِهِ، فيحذف ما يستطيعُ القارئ أَنْ يُدْرِكَهُ، لأنَّ السياقَ يستلزمه ويستدعيه"[٧٦]. أَضِفْ إلى ذلِكَ أنَّ القرآن الكريم يُقَدِّمُ خِطَابَهُ على نَحْوٍ يَفْهَمُ الْمُتَلَقِّي محتواهُ بطريقةٍ تثيرُ مُخيلته، وتحفِّزُ مقدرته الإدراكيَّة عَلَى فَهْمِ مَا هُوَ غائبٌ في الخِطَاب مِنْ أَلْفَاظ[٧٧]، وعَلَيْهِ فكثيراً ما يُحْذف بَعْضُ أَجْزَاءِ الكَلامِ ثِقَةً مِنَ الْمُخَاطِبِ بِعِلْمِ الْمُخَاطَبَ، إذ يَقُومُ البَاثُّ بِحَذْفِهِ – عَادَةً – اعتماداً عَلَى إِدْرَاكِ السَّامِعِ، وَيُقَدِّرُ السَّامِعُ الْمَحْذُوفَ اعْتِمَاداً عَلَى قَصْدِ

٦٦– فعالية القراءة وإشكاليَّة تحديد المعنى في النصِّ القرآني:٥٤.
٦٧– م.ن:٤٧.
٦٨– (سورة الفرقان: ٧٥).
٦٩– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٧.
٧٠– سورة الفرقان دراسة أسلوبيَّة، عزيز عدمان:١٩٧، نقلاً الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٧.
٧١– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ٥٠٦.
٧٢– الاستغناء عن الفاعل بين واقع الاستخدام اللغوي وضوابط الإعراب الشكلية: ٢.
٧٣– (سورة إبراهيم: ٢٣).
٧٤– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٧/ ٩٨.
٧٥– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٧.
٧٦– من بلاغة القرآن:١٠١.
٧٧– المعطيات التداوليَّة في كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي:٩٢.

الْمُتَكَلِّم الّذِي يَجْتَهِدُ فِي إِدْرَاكِهِ، مُعْتَمِداً عَلَى كَفَاءَتِهِ التَّدَاوليَّة فِي مَعْرِفَةِ الْحَذْف"(٧٨)، تلك الكفاءة التي تُسَهِّلُ عمليَّةَ الفَهْمِ للأنماطِ الخِطَابيَّة، وتوضِّحُ دلالاتِهَا ومَقَاصِدَها الْمَعرفيَّة.

ويَتَمَيَّزُ حَذْفُ الفَاعِلِ فِي آياتِ الوعدِ والوعيد بغرضٍ أُسلوبيٍّ رفيع، ونعني بهِ (التسخير)، بمعنى أن الأمور تجري دون فاعِل، وكأنَّها معدة لهذا الفِعْلِ مِنْ بدايةِ خَلْقِهَا وتكوينها(٧٩)، وقد تفطنت إلى ذلكَ د.عائشة بنت الشاطئ، بقولِهَا: "والمطاوَعَةُ فيها بيانٌ للطواعيةِ التي يتمُّ فيها الحدثُ تلقائيًّا، أو على وجهِ التسخير، وكأنَّهُ لَيْسَ بحاجةٍ إلى فَاعِل"(٨٠). ومِنْ ذلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾(٨١). وإزلافُ الجَنَّةِ وقربُها يقبلُ غرضَ التسخير، بمعنى أنَّ فِعْلَ التقريبِ لا يحتاجُ إلى فاعِلٍ مُباشِر، فالجَنَّةُ لا تتحرَّكُ مِنْ مكانِهَا(٨٢). أَضِفْ إلى ذلِكَ أنَّ في هذا الحذفِ – إضافةً إلى التسخير – إجراءً اختزاليًّا يَشْحَنُ الخِطَابَ بدَلالاتٍ إضافيَّة مُكَثفة، تُحدِث أثراً انفعاليًّا في المخاطَب وتثيرُ في ذهنِه صوراً ايحائيَّة رائعة.

ومِنْ نماذِجِ حَذْفِ الفعل والفاعِل، قَوْلُهُ تعالى: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾(٨٣). وفي تحليلِ هذهِ الآية يقول الزمخشري: "فإنْ قلتَ: لِمَ رُفِعَ الأوَّلُ ونُصِبَ هذا؟ قُلْتُ: فَصْلاً بَيْنَ جَوَابِ المُقِرِّ وجَوَابِ الجَاحِدِ. يعني أن هؤلاءِ لمَّا سُئِلُوا لَمْ يَتَلَعْثَمُوا، وأطبقُوا الجوابَ على السُّؤَالِ بيِّناً مَكْشُوفاً مَفْعُولاً للإنْزَال، فقالوا: خَيْرًا، أي: أنزلَ خَيْراً. وأولئِكَ عَدَلُوا بالجَوَابِ عَنِ السؤال، فقالوا: هُوَ أساطيرُ الأوَّلين، وليسَ هُوَ مِنَ الإنزالِ في شيء(٨٤). والمعنى أَنَّ المؤمنينَ سُئِلُوا عَنِ القُرْآن، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فأَرْشَدُوا السَّائِلِيْنَ، ولَمْ يَتَرَدَّدُوا في الكَشْفِ عَنْ حقيقةِ القُرْآن بأَوْجَزِ بيان وأَجْمَعِهِ، وهُوَ كَلِمَةُ (خَيْرًا) المنصوبة، فإنَّ لَفْظَهَا شَامِلٌ لِكُلِّ خَيْرٍ في الدُّنيا وكُلِّ خَيْرٍ في الآخِرَة، ونصبها دالٌ عَلَى أَنَّهُمْ جَعَلُوهَا مَعْمُولَةً لِـ(أَنْزَلَ) الوَاقِعِ في سُؤالِ السَّائلين، فَدَلَّ النَّصْبُ عَلَى أَنَّهُم مُصَدِّقُون بأَنَّ القُرْآن منزلٌ مِنْ عِنْدِ الله، وهذا وَجْهُ المخَالَفَةِ بَيْنَ الرَّفْعِ في جَوَابِ المشركين حين قيلَ لَهُمْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٨٥)، بالرَّفْعِ، وبَيْنَ النَّصْبِ في كَلامِ المؤمنينَ حين قيلَ لَهُمْ ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ بالنَّصْب(٨٦). فالمحذوفُ هُنَا هُوَ (أَنزل ربُّنا) وفي ذلِكَ مرجعيَّةٌ قبليَّة بَيْنَ مَكَانِ العُنْصُرَيْنِ المحذوفين مِنَ الجملةِ الثانية (أنزل ربُّنا)، وبَيْنَ المذكور في الجملةِ الأُولى. وإعمال الفكر في تقدير المحذوف، وبيان مرجعيَّتِهِ يُؤدِّي إلى التماسُك النصيِّ، الّذِي يتحقّقُ مِنْ خِلالِ ثلاثة أمور: ١– التَّكْرَار، وذلك بعد تقدير المحذوف. ٢– المرجعيّة بَيْنَ العُنْصُرِ المحذوفِ وبَيْنَ العُنصُرِ المذكور، أَي بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن. ٣– وجودُ دليلٍ أَو قرينةٍ تشيرُ إلى العُنْصُرِ المحذوف، وهِيَ الّتِي تَنْشَأُ مَعَ المرجعيَّة الداخليَّة، ومِنْ ثَمَّ يتحقّقُ التَّمَاسُكُ النَّصيِّ داخِلَ الْجُمَلِ(٨٧)، وبالتَّالي يتحقق الفهمُ والإدراك.

ومِنْ صُوَرِ حَذْفِ المفعُولِ أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ

٧٨– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٧٠.
٧٩– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٩.
٨٠– الإعجاز البياني للقرآن:٢٢٥.
٨١– (سورة ق: ٣١).
٨٢– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٧٩.
٨٣– (سورة النحل: ٣٠).
٨٤– الكشاف: ٣/ ٤٣٣.
٨٥– (سورة النحل: ٢٤).
٨٦– التحرير والتنوير: ١٤/ ١٤١.
٨٧– ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النّصّي:٨٤.

﴿﴾(٨٨). والمعنى يَلْبَسُون ثِيَاباً، فحُذِفَ المفعولُ، ومثلُ هذا الحَذْفِ يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ لِوُضُوحِهِ، فلا يحتاجُ للذِّكْرِ، حِرْصاً على قُوَّةِ النَّظْمِ(٨٩). والسُنْدُسُ: الديباجُ الرقيق النَّفيس، والأَكثر على أَنَّهُ مُعَرَّبٌ مِنَ الفَارِسِيَّة، والاستبرقُ الدِّيبَاجُ القويُّ يُلْبَسُ فَوْقَ الثِيَاب، وتَقَدَّمَا في قَوْلِهِ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾(٩٠). و(مِنْ) في الآيَةِ الأُولى هُوَ لِبَيَان الجِنْس، والمبيَّن مَحْذُوفٌ، دَلَّ عَلَيْهِ ﴿يَلْبَسُونَ﴾، والتَّقديرُ: ثِيَاباً مِنْ سُنْدُس واستبرق(٩١). وجديرٌ بيانهُ في هذا السِّيَاق أنَّ الخِطَابَ القُرْآنيَّ لا يَلْجَأُ إلى الحَذْفِ مِنْ غَيْرِ دلالة، وَمِنْ هُنَا فإنَّ الملبوسَ رُبَّمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الثيابِ فَقَطْ، وإنَّما هُوَ أشياءُ أُخْرَى خَاصَّة بأَهْلِ الجَنَّةِ، لِذَا لَمْ يُقَيِّدْه بالثِيَابِ المعروفةِ في أذهان النَّاس. ولا شكّ أنَّ مُهِمَّةَ الْمُتَلَقِّي في إدراكِ تِلْكَ الصِلَةِ بَيْنَ الْمَحْذوفَاتِ هذهِ، والمذكورِ سابقاً، إنَّمَا تَعْتَمِدُ على كفاءَتِهِ، وأُفقِهِ الواسِع، وإدراكِهِ لِلُغةَ النَّصِّ(٩٢)، وذلِكَ لأنَّ الخِطَاب يعني أكثر مِمَّا يقول، أي: أكثر مِمَّا تعنيهِ الألفاظُ الْمُسْتَعْمَلة في التعبيرِ عَنِ الْمَعْنَى الحقيقيِّ(٩٣). وَقَدْ ذهَبَ الدكتور أَحمد شفيق إلى أَنَّ "الْمَنْطُوقَ يَعْنِي أَكْثر مِمَّا يُقَالُ بالْفِعْلِ"(٩٤)، لأنَّ هُنَاك مَعَانِيَ ضِمْنِيَّة إضافيَّة تفيضُ من الْمَلفوظِ. وَمِنْ هُنَا "فإنَّنَا نَرَى ضَرُورَةَ التَّمْييزِ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ، وَهُمَا: الْمَعْنَى الحَرْفِي أَوْ الصَرِيح، وَالْمَعْنَى الضِمْنِي أَوْ الْمُسْتَلزم. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الأَوَّلَ تَدُلُّ عَلَيْهِ العِبَارَةُ بِلَفْظِهَا، أَمَّا الثَّانِي فَتَدُلُّ عَلَيْهِ العِبَارَةُ بِاسْتِعمَالِهَا في مَوْقِفٍ تَوَاصُلِيٍّ مُعَيَّن"(٩٥)، ذلِكَ الموقفِ الّذِي انبثقَ فيه الخطاب، ومِنْ هُنَا فَإنَّ البَحْثَ التداوليِّ يُؤَكِّد باستمرار عدم كفاية المعرفة اللغوية وحدها في تحقيق التواصل، وإنما ينبغي أن تشفع بالمعرفة التداوليَّة(٩٦)، تلك المعرفة الّتِي تجسِّدُ الدلالات والمقاصِد على الوجه الأكمل.

ومِنْ حَذْفِ المفعولِ بِهِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿﴾﴾(٩٧). ففي هذِهِ الآيةِ "قيل (يوم) مَعْمُول لـ(اذكر) مَحْذُوفة، على أَنهُ مفعولٌ، ويَصِحُّ أنْ يكونَ مَفْعُولاً فيهِ لِمَحْذُوفٍ مُتَأَخِّر تقديرهُ: "يوم نحشرهم كان كيت وكيت" فترك ليبقى على الإبهام، الذي هو أدخلُ في التخويف(٩٨). وقيلَ إنَّ مَفْعُولا ﴿تَزْعُمُونَ﴾ في هذِهِ الآيَةِ حُذِفَا اختصاراً، إذ دلَّ ما قَبْلَهُ على حَذْفِهِمَا، والتَّقدير: "تزعمونهم شُرَكَاء". وهُنَا فَإنَّ مَرْجعيَّةَ المحذوفِ داخليَّة وسابقة وقيل: إنَّ مَعْمُولا ﴿تَزْعُمُونَ﴾ حُذِفَا لِيَدُلَّ عَلَى العمُومِ، فيشملَ كُلَّ أَنْوَاعِ الزَّعْمِ، ويحسن أن يكون التَّقديرُ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: "أَيْنَ شركاؤكم الّذين كُنْتُمْ تزعمون أنها تشفعُ لكم عند الله عز وجل"(٩٩). وما نتلمَّسُهُ في هذِهِ الآيَةِ هُوَ ذلِكَ "التحقيرُ للزَّعْمِ، والشُرَكَاءِ الّذين يَزْعَمُونَهُمْ، وكأَنَّما الآيةُ الكريمةُ بهذا الحذفِ تُصَوِّر مَصِيرَ هؤلاءِ المشركين، وأن أمرَهُم إلى ضياع"(١٠٠). فكلُّ هذِهِ التَّفصيلاتِ – الّتِي تركها النصُّ للمُتَلَقِّي – إنَّمَا تؤدِّي دَوْرَاً فَاعِلاً في تحقيق النصيَّة في الخِطَابِ الإلهيِّ، وَمِنْ هُنَا يَتجَلّى لَنَا ذلِكَ الأثر التَّفاعُلِيِّ لِلْمُخَاطَب، إذ يُمْكِنُهُ بِنَاءً على كفايتهِ التَّداوليَّة تأويل الرَّمْزِ الخِطَابيِّ، ومن ثَمَّ الوصُولَ إلى المقاصدِ والغايَاتِ الدَّلاليَّة الثاوية في النصِّ، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ "الْمَحْذُوفَ الْمُقَدَّر في نحوِ هذا الخطاب قَدْ يَتَعَلّقُ اسْتِحضَارُه

٨٨– (سورة الدخان:٥١–٥٥).
٨٩– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي:٨٣.
٩٠– (سورة الكهف: ٣١).
٩١– التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣١٧.
٩٢– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢١٧، ٢٣١.
٩٣– الاقتضاء في التداول اللساني:١٤٩.
٩٤– قراءات في علم اللغة:١٣٤.
٩٥– إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري:١.
٩٦– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٨٦.
٩٧– (سورة الأنعام:٢٢).
٩٨– تفسير البحر المحيط: ٤/ ٩٨.
٩٩– م.ن: ٤/ ٩٨.
١٠٠– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:٥٩.

بعناصرَ خَارِج – لُغَوِيَّة حافّة بِهِ، مِنْهَا العَالَمُ الخارجيُّ، أَي المعلومات المستقاة عَنِ الواقع، الّتِي تساعِدُ الْمُتَلَقِّي عَلَى قِـرَاءَةِ الخِطَـابِ قِرَاءَةً تداوُلِيَّة عَلَى وِفْقِ أَنسَاقٍ مَعْرِفِيَّة"(١٠١)، وعليهِ فإن مثل هذهِ القراءات هي ما تُسَهِّلُ على القارئ عَمَلِيَّة الفَهْمِ والإدْرَاكِ.

ومِنْ حَذفِ المفعولِ بِهِ كذلِكَ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢﴾(١٠٢). فـ(أنذر) يتعدَّى لمفعولين، وحُذِفَ هنا المفعول الأوَّل، وصُرِّحَ بالْمُنْذَرِ بِهِ، لأَنَّهُ هُوَ الغَرَضُ المسوقُ إليهِ، فاقْتُصِرَ عَلَيْهِ(١٠٣)، وكَمَا حَذَفَ الْمُنْذَرَ (أي: النَّاس)، وأَتَى بالْمُنْذَرِ بِهِ هُنَا (أي: البأس الشديد)، حَذَفَ الْمُنْذَرَ بِهِ، وأَتَى بالْمُنْذَرِ في قَوْلِهِ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤﴾(١٠٤). فَحَذَفَ الأَوَّلَ مِنَ الأَوَّلِ لِدَلالَةِ ما في الثَّانِي عَلَيْهِ، وحَذَفَ الثَّانِي مِنَ الثَّانِي لِدَلالةِ مَا في الأَوَّلِ عَلَيْهِ، وهُوَ في غَايَةِ البَلاغَةِ(١٠٥). والتقديرُ في الآيَةِ الأُولى: لينذر الذين كفروا بأساً شديداً. أمَّا قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤﴾(١٠٦). فَقَدْ حُذِفَ فيها المنذرُ به للتَّهْوِيل، وَلِتَذهَبَ النَّفْسُ في تَصَوُّرِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ، وهذا أَدعى لِلرَّدْعِ(١٠٧)، أَضِفْ إِلى ذلِكَ أَنَّ الخِطَابَ القُرْآنِيَّ مِنْ خِلالِ الْحَذْفِ إِنَّمَا يثيرُ مَلَكَةَ الْمُخَاطَبِ التَّخَيُّلِيَّة، ويُحَفِّزُ طَاقَتَهُ الفِكْرِيَّة، وَهُوَ استناداً إِلى مَقْدِرَاتِهِ الاستدلاليَّة يُبَلِّغُهُ أَكثر مِمَّا يَقُولُه بالْفِعْلِ(١٠٨)، وهذا التَّفَاعُل بَيْنَ الْمُتَلَقِّي والنَّصِّ إِنَّمَا يُحَقِّقُ غَرَضَ التَّوَاصُلِ والاستمرارِيَّة، وَهُوَ مَا يُؤذنُ في النهايَةِ بتحقيقِ التَّرَابُطِ النسيجيِّ عَلَى الْمُسْتَوَى العَامِّ مِنَ الخِطَاب.

ومِنْ حَذْفِ المفعولِ بِهِ أيضاً، قَوْلُـهُ تعـالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾(١٠٩). فمفعـول (انتظـر) محذوف، والتقديرُ: انتظرِ النصرة عليهم، أو هلاكهم، وقَدْ أفادَ الحذفُ أن عاقبةَ أمرهم أهوالٌ لا تُخْطَـرُ علـى بـال، كمـا حُـذِفَ مفعول (منتظرون) أي منتظرونه للغرضِ نفسه(١١٠)، وهذا التّعَدُّد في تقديرِ الْمَحذوفِ إِنَّمَـا يؤكِّـدُ ثـراءَ الخِطَـابَ القُرْآنِـيِّ، كَمَـا يُؤكِّدُ دَوْرَ الْمُتَلَقِّي في عَمَلِيَّةِ التَّواصُلِ، وَمِنْ هُنَا فَالْقَارئ بتفاعُلِهِ مَعَ النَّصِّ إِنَّمَا يُسْهِمُ في تأويلِهِ وَفَهْمِهِ، بِنَاءً عَلَى كفاءَتِـهِ وَمَقْدِرَتِـهِ عَلَى الفَهْمِ وَالتَلَقِّي، شريطةَ ألاّ يَخْرُجَ هذا الفَهْمُ عَنْ قوانين اللغةِ، وما يُعْرَف مِنَ الدِّينِ بالضَّرُورة.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٤﴾(١١١). أي: فذوقوا العذاب، ولكن التعبير القرآني حذف المفعول به، وترك المجال للذهن، لكي يقـف مشـدوهاً حيـال هـذا العذاب الذي ينتظر من نسي يوم القيامة. فالله تعالى جعل ذوق العذاب "نتيجةَ فعلهم من نسيان العاقبة، وقلة التفكر فيهـا، وتـركِ الاستعدادِ لها، والمرادُ بالنسيانِ خلاف التذكر، ويعني أن الانهماكَ في الشهواتِ أنهككم، وألهاكُم عن تذكرِ العاقبة، وسلّط عليكم

١٠١– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٨١.
١٠٢– (سورة الكهف:١–٢).
١٠٣– تفسير البحر المحيط: ٦/ ٩٤.
١٠٤– (سورة الكهف:٤).
١٠٥– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٧/ ٤٣٧.
١٠٦– (سورة الكهف:٤).
١٠٧– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:٦٠.
١٠٨– المقاربة التداوليَّة:٧١–٧٢.
١٠٩– (سورة السجدة:٣٠).
١١٠– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:٦٢.
١١١– (سورة السجدة:١٤).

نسيانها، ثُمَّ قال (إنَّا نسيناكم) على المقابلة، أي: جازيناكم جزاء نسيانكم"(١١٢)، وقمينٌ ذكرهُ هنا أن حذفَ المفعول في الآيةِ السابقة قَدْ أسهمَ في تحقيقِ مَبدأ الاقتصادِ الأدائيّ، ذلك المبدأ الّذِي يقومُ على "ترك التفصيلات التي يُدركها المتلقّي عبر المشاهِد المعروضة، وهو ما يُحقّق في الخطاب اقتصاداً فنيًّا في التعبير، وخِفّة في الأسلوب"(١١٣)، فضلاً عن تحقيقِ الانسجام على المستوى العام مِنَ الخطاب.

وَمِنَ الأَغراضِ الأُسلوبيَّة الّتِي يَحْمِلُهَا حذفُ المفعولِ غَرَضُ العمومِ في الفِعْلِ، وعدمُ تعلّقِهِ بمعيَّن(١١٤)، ويتجلّى ذلِكَ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾(١١٥). فَإِنَّ مفعولَ ﴿يَدْعُو﴾ مَحْذُوف تقديرُهُ: يدعُو جميعَ الخَلْقِ، فالدَّعوةُ عَامَّةٌ، غَيْرَ أنَّ الهدايةَ خاصَّةٌ، وفي هذهِ الدَّعْوَةِ توجيهٌ للمتلقّي للاستجابَةِ، وتلبيةِ دَعْوَةِ رَبِّهِ عزَّ وجلّ، والمعلومُ أنَّ دعوةَ الملوكِ وأصحاب النفوذ تقتصِرُ على ذوي الجاه، لكن دعوةَ الله تخاطبُ كُلَّ فردٍ يسمعُ الخِطَابَ، ويعيَهُ، بغضِّ النظرِ عَنِ المكان والمكانةِ الخاصَّةِ بِهِ(١١٦). وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ إِدْرَاكَ الْمَحْذوفِ يُمَثِّلُ رَابِطًا دَلالِيًّا، إذ بتقديرِهِ يَسْتَمِرُّ التَّوَاصُلُ الدَّلاليِّ بَيْنَ عَنَاصِرِ النَّصِّ(١١٧)، ذلِكَ التَّوَاصُل الّذِي يُحَقِّق وَحْدَةَ النَّصِّ، وتشابُك أجزائه، وترابُطِ عَنَاصِرِهِ.

ومِنْ أَمثِلَةِ حَذْفِ المضاف، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾(١١٨). ففي هذهِ الآيةِ الكريمةِ، مُضَافٌ مَحْذُوف، والتَّقديرُ: تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشجارِهَا الأنهارُ، وقَدْ أفادَ الحذفُ أَنَّ المرادَ بالجَنَّةِ الأرضُ، وما تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْهَارٍ وأَشْجَارٍ، وغَيْرِهَا(١١٩). أَضِفْ إلى ذلِكَ أنَّ حَذْفَ المضافِ هُنَا يثيرُ في نَفْسِ المتلقّي حَاسَّةَ التَّأْويلِ والتَّخييلِ، فيذهبُ ذِهْنُهُ مَذاهِبَ شتَّى في تقدير المحذوف، وذلكَ لأنَّ أَنْهَارَ الجَنَّةِ لا تَجْرِي فقط تَحْتَ أشجارِهَا، وإنَّما تَجْرِي تَحْتَ بيوتها أَيْضَاً، بَلْ وتَجْرِي تَحْتَ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُهُ الْمَرْءُ مِنْ أَشْيَاءَ في الجَنَّةِ، وهُوَ الأَمْرُ الّذِي يُؤدِّي إلى التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، أَضِفْ إلى ذلِكَ أن الخِطَاب الاختزاليِّ هُوَ أَقْدَرُ على إثارةِ الحاسَّة التصويريَّة في ذهن المتلقّي.

ومِنْ نماذِجِ حَذْفِ المضافِ أَيْضَاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩﴾(١٢٠). فَمِنْ حَيْثُ التحليلُ النَّحويِّ، فإنَّ قَوْلَهُ: ﴿قُلُوبٞ﴾: مُبْتَدأ، و﴿يَوْمَئِذٖ﴾ مَنْصُوبٌ بـ﴿وَاجِفَةٌ﴾، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صِفَةُ القلُوبِ، وهُوَ الْمُسَوِّغُ للابتداءِ بالنَّكِرَةِ، و﴿أَبْصَارُهَا﴾ مُبْتَدأ ثان، و﴿خَاشِعَةٌ﴾ خَبَرُهُ، وهُوَ وخَبَرُهُ خَبَرُ الأَوَّل، وفي الكلامِ حَذْفُ مُضَافٍ تقديرُهُ: أَبْصَارُ أَصْحَابِ القُلُوبِ(١٢١). وقال ابنُ عطيَّة (ت٥٤٦هـ): "وَجَاز ذلِكَ، أي: الابتداءُ بقلوب، لأنَّها تَخَصَّصَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٖ﴾(١٢٢). وقَدْ ذهَبَ بَعْضُهم إلى أَنَّ تقديرَ المحذوفِ، هُوَ: قلوبُ أهلِها يومئذٍ واجفة، أي: مضطربة، فَزِعَة مِنْ هَوْلِ يومِ القيامة، وحذفُ (المضافِ إليهِ) لتوفّر العنايةِ إلى ما بعدَهُ، مِمَّا يبرزُ الخوفَ والفزعَ الذي يكونُ عليهِ النَّاسُ في هذا اليَوم، فَلا يَرَى الرَّائي مِنْهُمْ إلا قلُوباً فَزِعَة(١٢٣). ونحنُ نرى أن تقديرَ المحذوفِ في التَّوجيهِ الثاني – أي:

١١٢– تفسير البحر المحيط: ٧/ ١٩٧.
١١٣– جماليات التلقي في السرد القرآني: ٣٠٠.
١١٤– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي: ٨٤.
١١٥– (سورة يونس: ٢٥).
١١٦– الجنة في القرآن دراسة في البناء اللغوي: ٨٤.
١١٧– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٣٩.
١١٨– (سورة البروج: ١١).
١١٩– الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ٦٩.
١٢٠– (سورة النازعات: ٦–٩).
١٢١– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١٠/ ٦٦٩.
١٢٢– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٤٣١.
١٢٣– الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ٨٤.

حَذفُ (المضاف إليه)، ولَيْسَ (المضاف) – يُجانبُ الصواب، لأَنَّهُ لَوْ عَاد الضميرُ في ﴿أَبْصَارُهَا﴾ إلى القلوبِ، لكان المعنى "أَبْصَارُ القلوبِ خاشِعَةٌ"، وهذا مِمَّا لا يُدْرَكُ بالحِسِّ، وبعيداً عَنْ هذِهِ الافتراضاتِ السَّابِقة، فنحنُ نتَلَمَّسُ في هذا النَّظْمِ القُرآنيِّ طاقةً إيحائيَّة مُكَثَّفة تعملُ على شدِّ انتباهِ المخَاطَبِ إلى هذا الخِطَاب.

ومِنْ حَذْفِ (الصِفَةِ)، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا تَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾([124]).

والتقدير: لا يموتُ فيها مَوْتاً مُرِيْحَاً، ولا يَحْيَا حَيَاةً طيِّبة، وهذا ما يتطلبهُ معنى الآيةِ الكريمة، إذ إنَّ مَنْ لا يَمُوتُ يحيا، ومن لا يحيا يَمُوت، وقد أفادَ حذفُ الصفة التفخيم والتهويل، لِمَا في ذلكَ مِنَ الإبهامِ الحادثِ من اجتماعِ الضدَّين في وقتٍ واحِد([125]). أضف إلى ذلِكَ أن حَذْفَ الصِفَة هُنَا إِنَّمَا يُحَفِّزُ الْمُتَلقِّي إلى إعمالِ فِكْرِهِ في تقديرِ المحذوف، وهُوَ ما يُؤذنُ بتحقيقِ الاستمراريَّة في هذا الخِطَاب، ومِنْ ثُمَّ تحقيقِ التَّرابُطِ النَّصيِّ فيهِ، وعَلَيْهِ فَإِنَّ تقديرَ الْمُكَمِّلات الْمَحْذُوفَةِ هُوَ مِنْ وَظِيْفَةِ الْمُتَلَقِّي، وعَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا، حَتَّى تَكْتَمِلَ صُورَةُ النَّصِّ الدَّلاليَّةِ في ذِهْنِهِ([126])، وَمِنْ هُنَا فإنَّ الخِطَابَ القُرْآنِيِّ يَتْرُكُ لِلْمُتَلَقِّي الفُرْصَةَ لتقدير المحذوفِ، وهذا التَّقديرُ يَجْعَلُهُ يَتَعَامَلُ مَعَ دَلالَةِ النَّصِّ، وعَلَيْهِ يَتَحَقَّقُ فَهْمُهُ وفكّ شِفْرَتِهِ، وهذا هُوَ الْهَدَفُ مِنَ النَّصِّ: الْفَهْمُ ثُمَّ الْعَمَل([127])، ذلِكَ العملُ الّذِي يُحقِّق الغرضَ التَّواصُليّ والإقناعيّ في الخطاب، وعليهِ فإنَّ القراءةُ التفاعليَّة لا تقفُ عندَ حدِّ تأملِ المعنى الظاهري للنصِّ، وإنَّما تنفذ إلى أغواره تحليلاً وتأويلاً.

ومِنْ حَذْفِ الْجُمْلَةِ، كحذف جوابِ الشرط، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾([128]). ففي هذهِ الآيَةِ حُذِفَ جوابُ (إن)، وجوابُ (لو)، فقَوْلُهُ تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾: جَوَابُهَا مُقَدَّرٌ، لأَنَّهُ أبلغُ في الوعيدِ([129])، وقَدَّرَهُ الزمخشريِّ (ت٥٣٨هـ)، بِقَوْلِهِ: "لَما كانُوا بِتِلْكَ الصِفَةِ مِنَ الكُفْرِ والاستهزاءِ والاستعجال، ولَكِنْ جَهْلَهُمْ بِهِ هُوَ الّذِي هَوَّنَهُ عِنْدَهُمْ. ويجوزُ أن يكون ﴿يَعْلَمُ﴾: مَتْرُوكَاً بِلا تعدية، بِمَعْنَى: لَوْ كَان مَعَهُمْ عِلْمٌ، ولَمْ يَكُونوا جَاهِلِيْنَ، لَمَا كانُوا مُسْتَعْجِلِيْنَ "([130]). وَقَدَّرَهُ ابنُ عطيَّة (ت٥٤١هـ): "لَمَا استعجلوا"، وقال: "حُذِفَ جَوَابُ (لَوْ) إيجازاً لِدَلالةِ الكَلامِ عَلَيْهِ، وأُبْهِمَ قَدْرُ العَذابِ، لأَنَّهُ أَبْلَغُ وأَهيبُ مِنْ النَّصِّ عَلَيْهِ"([131]). وقَدَّرَهُ غَيْرَهُمْ: "لَعَلِمُوا صِحَّةَ الْبَعْثِ"([132]). وقال أبو حيَّان الأَندلسيِّ: "والّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مفعولَ ﴿يَعْلَمُ﴾ مَحْذُوف، لِدَلالَةِ مَا قَبْلَهُ، أي: لَوْ يَعْلَمُ الّذِينَ كَفَرُوا مَجِيءَ الْمَوْعُودِ الّذِي سَأَلُوا عَنْهُ واسْتَبْطَؤُوهُ. و﴿حِينَ﴾ مَنْصُوبٌ بالْمَفْعُولِ الّذِي هُوَ "مَجِيءَ". ويجوزُ أن يكون مِنْ بَابِ الإِعْمَال عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وأُعْمِلَ الثانِي، والْمَعْنَى: لَوْ يَعْلَمُون مُبَاشَرَةَ النَّارِ حين لا يكفّونَهَا عَنْ وجُوهِهِمْ، وَذُكِرَ الْوُجُوهُ لأَنَّهَا أَشْرَفُ مَا في الإِنْسَان، وَمَحَلُّ حَوَاسِهِ، والإِنْسَانُ أَحْرَصُ عَلَى الدِّفَاعِ عَنْهُ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَعْضَائِهِ"([133]). وباختصار فإنَّ جَوَابَ (إنْ) تقديرهُ: إن كنتم صادقين أخبرونا عن وقتِ قيامِ السَّاعة. وجوابُ (لو) تقديرهُ: لو يعلمون الوقتَ الذي يستعلِمُون عنه، وهو وقتٌ صعب شديد تحيطُ بهم فيه النَّار لما كانوا بتلكَ الصفةِ مِنَ الكفرِ والاستهزاءِ والاستعجال، فَحُذِفَ اختصاراً لِمَا في الكلامِ مِنْ بَسْطٍ([134]). وعَلَيْهِ فالحذفُ

١٢٤– (سورة طه:٧٤).
١٢٥– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:٩١.
١٢٦– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٣٧.
١٢٧– م.ن: ٢: ٢٣٩.
١٢٨– (سورة الأنبياء:٣٨–٣٩).
١٢٩– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ١٥٨.
١٣٠– الكشاف، ٤: ١٤٦.
١٣١– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦/ ١٧٠.
١٣٢– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ١٥٨.
١٣٣– البحر المحيط: ٦/ ٢٩١.
١٣٤– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:١١٨.

في هذا الخِطَابِ يَنْهَضُ بإثارَةِ دلالاتٍ واسِعَة، استجابةً للموقفِ الخارجي ومقتضياتِهِ، ويعملُ عَلَى إثارةِ ذِهْنَ الْمُتَلَقِّي بتقدير المحذوفِ، ذلِكَ التقديرُ الّذِي يَدْفَعُهُ إلى التَّفَاعُلِ مع النَّصِّ – اعتماداً عَلَى السِّيَاقِ اللُغويِّ – وَمِنْ ثُمَّ فَهْمِهِ وتأويلِهِ، وَعَلَيْهِ فَإنَّ "توجيهَ الخِطَابِ بهذا الفهم يرشدُ الْمُتَلَقِّي إلى إدراك القيمة التعبيرية الكبرى التي تتيحها ظاهرة الحذف التداولي، مع ما يصاحبها من تكثيف في التركيب، وانفتاح في الدلالة"([135])، بحيث تتعدَّى المكان وتتحدَّى الزمان.

وَمِنْ حَذْفِ الْجَوَابِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾([136]). فَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا جَاءُوهَا﴾ جوابُهُ محذوف([137])، وفي ذلِكَ ذهَبَ الزمخشريُّ إلى أنَّ قَوْلَهُ: ﴿حَتَّى﴾ هِيَ الّتِي تَحْكِي بَعْدَها الْجُمَل، والجملةُ الحكيَّة هِيَ الشرطيَّة، إلاّ أنَّ جزاءَها محذوف، وإنَّما حُذِفَ لأَنَّهُ في صِفَةِ ثوابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَدَلَّ بحذفِهِ عَلَى أَنَّهُ شيءٌ لا يحيطُ بِهِ الوَصْفُ"([138]). وهُنَاك مَنْ قَدَّرَ الجوابَ المحذوف بـ"اطمأنّوا"، وقَدَّرَهُ الْمُبَرِّد: بـ"سُعِدُوا"([139]). وقد ذهَبَ بَعْضُهُمْ إلى أَنَّ جَوَابَ (إذا) مَحْذُوفٌ إيذاناً بأَنَّ مَا يَجِدُونه ويلقونه عِنْدَ ذلِكَ لا يَتَنَاهَى، فَجُعِلَ الْحَذْفُ دَلِيْلاً عَلَى ضِيْقِ الكَلامِ عَنْ وَصْفِ ما يُشاهِدُونَهُ، وتركتِ النُّفوسَ تُقَدِّرُ مَا شَاءَتْهُ، ولا تبلغ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ([140]). وفي هذا يؤكِّد الزركشي، بقوله: وهناكَ "زيادةُ لَذَّة بسببِ استنباطِ الذِّهْنِ لِلمَحْذُوفِ، وكُلّما كان الشُّعورُ بالمحذوفِ أَعْسَر، كان الالتذاذُ بِهِ أَشدَّ وأَحْسَنَ"([141]). أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ تَقْديرَ المحذوفِ في ضوءِ التَّحليلِ النَّصيِّ إنَّما يُبْرِزُ الأَثَرَ القويِّ لِلْمُتَلَقِّي، الّذِي يُعْمِلُ ذِهْنَهُ للاهتداءِ إلى الْمَعْنَى الْكُلِيِّ للنَّصِّ بتفَاصِيلِهِ كُلِّها، المذكورة والمحذوفة([142])، وهذِهِ الإثارَةُ للذِهْنِ تُحَقِّقُ نَمَطاً مِنَ الحِوَارِ بَيْنَ النَّصِّ والْمُتَلَقِّي، وَمِنْ ثُمَّ يَحْدُثُ التَّوَاصُلُ بَيْنَهُمَا([143])، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ الْمُتَلَقِّي حينما يَتَلَقّى هذا الخِطَاب لا يَتَلَقّاهُ وهُوَ خالي الوِفَاض، وإنَّما يَتَلَقّاهُ بناءً عَلَى افتراضاتٍ مُسبقة تَكوَّنَتْ لَدَيْهِ، تِلْكَ "الافتراضَاتُ الّتِي تُشَكِّلُ الخَلفيَّة التَّوَاصُلِيَّة الضَّروريَّة لتحقيقِ النَّجَاحِ في عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُل"([144])، وَعَلَيْهِ فَإنَّ تقديرَ المحذوف يُؤَدِّي إلى ترابُطِ النَّصِّ واتساقِهِ عِنْدَ التَّلَقِّي، ذلِكَ التَّرابُط الّذِي يُمَثِّلُ شبكةً مِنَ العَلاقاتِ اللّغَوِيَّة والتَّداولية الّتِي تعتدّ نوعاً مِنَ السِّيَاق الضِمْنِيّ والافتراضيّ، الّذِي يُحيِّد الافتراضات غير المقبولة في النصِّ والسِّياق، ويُبقي الافتراضاتِ المقبولة، وصُولاً إلى القراءة الأكثر قَبُولاً وقُرْباً مِنَ الواقع مِمَّا أَراد الخِطَابُ إيصالَهُ للمُخَاطَب([145])، الأمرُ الّذِي يُحَقِّقُ الغرضَ الحقيقيِّ للخِطَاب، وهو حَمْلُ الْمُخَاطَبِ على الاقتناعِ بِهِ، والامتثالِ بِمَا فيهِ.

ومِنْ حَذْفِ جَوَابِ الشَّرْطِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾([146]). وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾([147]). وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ

١٣٥– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٨٢.
١٣٦– (سورة الزمر: ٧٣).
١٣٧– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٩/ ٤٤٧.
١٣٨– الكشاف: ٥/ ٣٢٥.
١٣٩– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٩/ ٤٤٧.
١٤٠– الحذف البلاغي في القرآن الكريم:١٢٣.
١٤١– البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٣٦.
١٤٢– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٣٦.
١٤٣– م.ن: ٢/ ٢٤٥.
١٤٤– التداولية عند علماء العرب: ٣٠.
١٤٥– الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:٨٣.
١٤٦– (سورة الأنعام:٢٧).
١٤٧– (سورة الأنعام: ٣٠).

عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾(١٤٨). وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾(١٤٩). وقَوْلُه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾(١٥٠). **تقديرهُ في هذهِ المواضِع: "لرأيت عجباً"، أو "أمراً عظيماً"، و"لرأيت سوء منقلبهم"، أو "لرأيت سوء حالهم". والسرُّ في حذفهِ في هذهِ المواضِع، أَنَّهَا لَمَّا رُبِطَت إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ بالأُخْرَى، حتَّى صَارَا جُمْلَةً وَاحِدَة، أَوْجَبَ ذلكَ لها فَضْلاً وَطَوْلاً، فَخُفِّفَ بالْحَذْفِ، خصُوصاً مَعَ الدَّلالةِ عَلَى ذلِكَ. وحَذْفُ الْجَوَابِ يَقَعُ في مَوَاقِعِ التَّفخيمِ والتَّعظيم، ويجوزُ حَذْفُهُ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ، وإِنَّمَا يُحْذَف لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ، لأَنَّ السَّامِعَ مَعَ أَقْصَى تخيُّلِهِ يَذْهَبُ مِنْهُ الذِّهْنُ كُلَّ مَذْهَب، وَلَوْ صُرِّحَ بالْجَوَابِ لَوَقَفَ الذِّهْنُ عِنْدَ الْمُصَرَّحِ بِهِ، فَلا يَكُون لَهُ ذلِكَ الْوَقْعُ، وَمِنْ ثَمَّ لا يَحْسُن تقديرُ الْجَوَابِ مَخْصُوصَاً إلاّ بَعْدَ الْعِلْمِ بالسِّيَاق(١٥١). هذا وفي القُرْآن الكريم – إضافةً إلى هذهِ الآياتِ الّتي عَرَضْنَا لَهَا في هذا البَحْثِ – قَصَصٌ كثيرة لها طابِعٌ خاصّ في الحذفِ، وذلِكَ لأَنَّ طبيعةَ القِصَّةِ في لُغَةِ القُرْآن الْمُعْجِز تَقْتَضِي عَدَمَ التَّفصيلِ الشَّدِيد، إذ إِنَّها تُرَكِّزُ عَلَى الخطُوطِ العَرِيضَةِ للقِصَّةِ، ثُمَّ تَتْرُكُ الأُمورَ الثانويَّة الّتي يُمْكِنُ للْمُتَلَقِّي أَنْ يُدْرِكَهَا خِلال سِيَاق القِصَّةِ وَتَعَاقُبِ أَحْدَاثِهَا، وهذا ما يُبْرِزُ التَّفَاعُلَ الْمُسْتَمِرّ بَيْنَ النَّصِّ والْمُتَلَقِّي(١٥٢). وأخيراً فقد ظهر لَنَا وَاضِحَاً الأثر الفَاعِلِ لوظيفةِ الحذفِ في تحقيقِ التماسُكِ النَّصيِّ في الخِطَابِ القُرْآنِيِّ، لَيْسَ بَيْنَ عَنَاصِرِ الْجُمْلَةِ الوَاحِدَةِ، أَوِ الآيَةِ الوَاحِدَةِ، بَلْ أَكْثَر مِنْ آيَة، كَمَا "تَبَيَّنَ لَنَا مُهِمَّةُ الْمُتَلَقِّي في مَلءِ الفَرَاغَاتِ الْمُسَبَّبَةِ عَنِ الْحَذْفِ، وَمِنْ ثُمَّ فَكِّ شِفْرَةَ النَّصِّ، والعُثُورِ عَلَى الْمَعْنَى الكَامِلِ لَهُ"(١٥٣)، وَيَتَّضِحُ أَيْضَاً "أَنَّ مُهِمَّةَ الْمُتَلَقِّي تَظْهَرُ في مُعَالَجَةِ ظَاهِرَةِ الْحَذْفِ نصيَّاً أَكْثَر مِنْ ظهورِهَا في مُعَالَجَةِ الوَسَائِلِ الأُخْرَى"(١٥٤)، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ "الْحَذْفَ لا يَقِلُّ أَهَمِيَّةً عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الوَسَائِلِ في تحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، لأَنَّ الْمَحْذُوفَ يُعَامَلُ مِنْ ناحيةِ الدَّلالَةِ مُعَامَلَةَ الْمَذكُور"(١٥٥)، وهُوَ بالتَّالي يكون وسيلةٌ فاعِلَةً في فَهْمِ النَّصِّ وتأويلِهِ.**

١٤٨– (سورة سبأ: ٣١).
١٤٩– (سورة السجدة: ١٢).
١٥٠– (سورة الأنعام:٩٣).
١٥١– البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٤٠.
١٥٢– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٣٢–٢٣٣.
١٥٣– م.ن: ٢/ ٢٣٧.
١٥٤– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٤١.
١٥٥– م.ن: ٢/ ٢٤٦.

الفصل والوصل

الفصل والوصل وأثرهما في تماسُك النص:

تميَّزت لُغَةُ القُرْآن الكريم بتفرُّدِها عَنْ سائرِ اللغاتِ بسمَاتٍ خاصَّةٍ بها، ومِنْ هذهِ السمات الفَصْلُ والوَصْلُ بَيْنَ الْجُمَلِ الْمُتَنَاسِبَة([1])، الأَمرُ الذي يُحَقِّق شروطَ التماسُكِ النَّصيِّ شَكْلاً ودَلالةً، وذلِكَ لأَنَّ "الْجُمَلَ في حَالَتَيْ الفَصْلِ والوَصْلِ تكونُ مُتلاحِمَةً، وبخاصَّةٍ في حَالِ (كَمَال الاتِّصَال) حَيْثُ تكون الثَّانِيَةُ مُرْتَبِطَةً بالأُولى أَشدَّ ارتِبَاطٍ"([2]). وقَدْ عَاشَ فَنُّ الفَصْلِ والوَصْلِ في وجْدَانِ النَّاطِقِ العَرَبِيِّ، الَّذِي احتاجَ إلى أَنْ يَرْبُطَ بَيْنَ مَعْنَى ومَعْنَى برَابِط، أَوْ يَقْطَعَ مَعْنَى عَنْ مَعْنَى بِقَاطِع، وهُوَ في فَصْلِهِ ووَصْلِهِ يَهْدِفُ إلى تحقيقِ غايةٍ جَمَاليَّةٍ يَسْمُو إليها، لأَنَّهُ يَحْرِصُ عَلَى أَدَاءِ فِكْرَتِهِ في وضوحٍ لا لَبْسَ فيهِ، لتصلَ إلى المخاطَب في جَمَالٍ وجَلاء([3]). والوَصْلُ موضوعٌ نحويّ بلاغيٌّ عَالَجَهُ البَلاغيُّون بكونهِ مَبْحثاً تركيبيًّا ودلاليًّا يتمثَّلُ في بنيةٍ صُغْرَى هِيَ الجُمْلَةُ، وبنيةٍ كُبْرى هِيَ النَّصُّ بوصفهِ آليَّاتٍ، وفي الخِطَابِ لكونهِ بنيةً تَحْكُمُهَا آليَّاتٌ، وأَطْرَافُ تخاطُبٍ، وظرُوفُ خِطَابٍ([4]). ويُعرِّف الجرجانيِّ (ت ٤٧١هـ) الفَصْلَ والوَصْل، بقَوْلِهِ: "الوَصْلُ في الجمَل عَطْفُ بعضِهَا عَلَى بَعْضٍ، والفَصْلُ تركُ العَطْفِ فيها، والمجيء بها منثورةً تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد الأُخرى"([5]). وحدَّ الخطيبُ القزويني (ت٧٣٩هـ) الفَصْلَ والوَصْلَ، بقولهِ: "الوَصْلُ عطفُ بَعْضِ الجملِ على بَعْض، والفَصْلُ تركُه"([6]). ويعرِّفهما الشيخ المراغي، بقوله: "هو العلمُ بمواضِعِ العطفِ، أو الاستئناف، أو التهدِّي إلى كيفيَّةِ إيقاعِ حروفِ العَطْفِ في مواقعها، أو تركها عِنْدَ عَدَمِ الحاجةِ إليها"([7]). أمَّا عبدالرحمن حبنَّكة الميداني، فقد عرَّفهما، بقولـه: "يُـراد بالوَصْلِ الرَّبْطُ بين أجزاءِ الكَلامِ بحرفِ عَطْفٍ، ويُراد بالفَصْلِ عدمُ الرَّبْطِ بَيْنَ أجزاءِ الكَلام بحرفٍ عَطْف"([8]). والفَصْلُ، هُوَ "قطعُ معنى عن معنى بأداةٍ لغرضٍ بلاغيّ. أمَّا الوَصْلُ، فَهُوَ ربطُ معنىً بمعنى بأداةٍ لغرضٍ بلاغيّ. وأدوات الربط، هي: كلُّ أداةٍ تَصِلُ بَيْنَ المفرداتِ أو الجملِ ليستقيمَ المعنى، وتأتي في مُقدِّمَتِهَا حروفُ العطف لأصالتها في المضمار. أمَّا أدواتُ القَطْعِ، فهي: واو الاستئناف، ثم، الفاءُ الاستئنافيَّة، أم المنقطعة، بل، الاستثناء المنقطع، ضمائر الفصل، الجملة المعترضة"([9]). والْمَلْحُوظُ في هذا السِّيَاقِ هُوَ وجودُ أَكْثَر مِنْ تَعريفٍ وَاحِدٍ لِلْمُعَرَّفِ الَواحِدِ، والسَّبَبُ في إيرَادِ كُلِّ هذهِ التَّعْرِيفَاتِ هُوَ مِنْ أَجْلِ اسْتِحصَالِ دَلالاتٍ إِضَافِيَّة، بِحَيْثُ تَسْتَغْرِقُ كُلَّ مَعَانِي الْمُعَرَّف، وَلَرُبَّ كَلِمَةٍ إِضَافِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تُعْطِي فَائِدَةً إِضَافِيَّة. والفَصْلُ والوَصْلُ وسيلةٌ مِنْ وسائِلِ إبرازِ الجمالِ مع غيرهِ مِنَ الأساليب، وله أدواتٌ – إنْ فَصْلاً وإنْ وَصْلاً – وطرق لأداء وظيفته، فقد يفصل القرآن الكريم بين معنيين أو يربط بينهما، مُتَّخِذاً الإيضاحَ وسيلةً لإبرازِ جمالِ المعنى، فيعرضه جليًّا لا شِرْكَةَ فيهِ ولا لَبْسَ، ليكون خالصاً بذاته أمام المخاطب ليتدبره حَقَّ التدبر، أو يتخذ الإيجازَ وسيلةً في عرضهِ، كيلا يتشتَّتَ الذهنُ في استيعاب المعنى، أو يحاول تشبيتَهُ وتقرَيرَه لأهميَّتهِ وخطره، أو يعرضه في نَسَقٍ مُلْفِتٍ مُثير، أو يُقَطِّعُ الموضوع إلى أجزاءٍ موصولة، أو يقف أمام الهيئة المنفصلة، أو الهيئة المتصلة، لِيَرْصُدَ حَرَكَتَها، ويُصوِّر أبعادَها، أو يُناسِبَ بينَ الإيقاع الصوتي، والإيقاع الدَّلالي، والفَصْلُ والوَصْل في كُلِّ هذا يُراعي دائماً إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجاتِ استيعابهم، وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها، وكذا عواطفهم وأذواقهم([10])، وفي كلُّ ذلِكَ تأكيدٌ على دورِ المتلقِّي في إنجاحِ العمليَّةِ التخاطُبيَّة.

وتسبقُ ظاهرةُ الفَصْلِ ظاهرةَ الوَصْلِ، لكون الثانيةَ حالةً طارئة مُحَوَّلة مبنية على أساسِ إضافةِ مورفيم من مورفيماتِ العطف، وتعبِّرُ عن ظاهرة الوَصْلِ عموماً قرائِن معنويَّة كالإسناد، والتخصيص، والنسبة، والملابسة...إلخ، وقرائِن لفظيَّة منها

١– أثر الوصل والفصل في بلاغة سورة يوسف:٤.
٢– تجليات الجمال في الفصل والوصل:٤.
٣– بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن:٣.
٤– الفصلُ والوصلُ وعلاقتُه بلسانيات النص:٢.
٥– دلائل الإعجاز:٢٢٢.
٦– الإيضاح في علوم البلاغة:٢٤٦.
٧– علوم البلاغة، (المراغي): ١٦٧.
٨– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٥٥٧.
٩– بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن:٢.
١٠– الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة في الأسلوب:١٩٣.

الربط، والتضام، والمطابقة، ولا سيَّما الربط بالمورفيمات العطفيَّة([11]). أضف إلى ذلك أن "عمليَّة الوصل (العطف) لا تتمُّ عشوائيَّاً أو جُزَافَاً، وإنما قوامُها وجودُ صلةٍ وثيقة أو دلالة مشتركة بين الطرفين المشاركَيْنِ في عمليَّةِ الوَصْلِ هذهِ، وباضمحلال هذهِ الصِلَة تفسُدُ عمليَّةُ الوَصْلِ، وتَفْقِدُ طاقتَهُ الجماليَّة والدَّلاليَّة([12]). وبناءً على ما سبق فإن المقياس الحقيقي لقَبُولِ الفَصْلِ أو الوَصْل، هو أن تؤدِّي العبارة – في إطار السياق العام – الغَرَضَ من صياغتها في إيصالِ المعنى إلى المخاطَب في أوضحِ صورةٍ وأحلاها، فإذا أدَّى الوَصْل بين مفردين أو جملتين إلى معنى غير المقصود، أو إلى المعنى المقصود بصورة رديئة أو لا يقبلها العقل وجب الفَصْلُ، وإذا كان الفصل سبباً في الإيهام بغير المقصود أو في فقدان المنطقيَّة أو الرشاقة في الأسلوب وَجَبَ الوَصْل([13]). وإذا كان الوَصْلُ يَعْنِي ضَمَّ الوَحداتِ اللغويَّة أو التراكيب إلى بَعْضِهَا بوساطة روابط العطف، فإن الفصلَ ليسَ فكّ عمليَّة الضمِّ والتلاحُم الجامعة... إذ إنَّ بعضَ حالاتِ الفصل يشتملُ أيضاً على قرينةِ التضام، والترابُط العطفيَّة، فهو وصلٌ بغيرِ العطف، أو بغير القرائِن اللفظيَّة القائمة مقام مورفيماتِ العطف([14]). وقد ذهب بعض البلاغيين إلى أن "التناسُق الدلالي والتلاحُم في الفصل أقوى من التناسق الدلالي والتلاحُم في الوصل، لأن ترك العاطف لا يعني تفكك الكلام، وإنما يعني تلاحُمه، وشدة ترابطه"([15]). وتبقى سيطرة التشاكل والتباين بارزة في مواضع الفصل، ففي حال (كمال الاتصال) تتشاكَلُ الصيغ والمعاني على المستويين الظاهر والباطن، فتتحد الجملتان اتحاداً تاماً بلا أداة، لأن الثانية ترتبط بالأولى من خلال تشاكُل المعنى، لكن التباين يبرز بين الجملتين من خلال تفاوت قوى المعاني، فعلاقة التوكيد تُظهر أن الجملة الثانية أقوى في الدلالة على المعنى من الجملة الأُولى، رغم تشاكُل المعاني، وشدة ارتباطها ببعضها. وفي علاقة البيان أيضاً تتفجَّرُ قوَّةُ الدَّلالةِ على المعنى في الجملة الثانية بشكلٍ أوضح لما هي عليه في الجملة الأُولى([16]). وهذا التباين الذي يبرز تارةً على المستوى السطحيّ، وتارةً أُخرى في المستوى الباطن يُولِّدُ توتراً حادَّاً في جميعِ الأَحْوَال، حيث تزدادُ الحاجةُ إلى إدراكِ المستوى العميق، لمعرفةِ نوعِ الترابُط ونوعيته([17])، وكلُّ ذلِكَ اعتماداً على قدرةِ المتلقِّي الّتِي تُمَكِّنُهُ من تقديرِ بعضِ الرَّوابِط الدَّاخليَّة فيما بَيْنَ العناصِرِ والمتتاليات اللسانيَّة.

أمَّا الوصلُ في الدَّرْسِ النصيّ، فهو: "تحديدٌ للطريقة التي يترابَطُ بها اللاحق مع السابق بشكلٍ مُنَظّم"([18]). معنى هذا أنَّ النصَّ عبارةٌ عَنْ جُمَلٍ أو متتالياتٍ متعاقِبة خطِّياً، ولكي تُدرك كوحدةٍ مُتماسِكة، تحتاجُ إلى عناصِرَ رابطةٍ متنوعةٍ (تَصِلُ) بَيْنَ أجزاءِ النَّصِّ... فوظيفةَ الوَصْلِ هي تقويةُ الأسبابِ بَيْنَ الجُمَل، وجعلُ المتواليات مُترابطةً مُتماسِكة، وهو من هذا المنطلق يُعَدُّ لا محالةَ عَلاقةَ اتِّساق أساسيَّة في النَّصِّ([19])، لأنه يُسهم في ربطِ الأوَّل بالثاني في علاقةٍ جدليَّة مُتشابِكَة. وما نريدُ تأكيدَهُ هنا أنَّ الصِلاتِ أو العَلاقاتِ، أو وسائِلِ الاتصال بَيْنَ الألفاظِ في الجملةِ وبَيْنَ الجمل في النسق القرآني، وكذلكَ بَيْنَ المعاني القرآنيَّة، هِيَ أَشملُ وأعم مِنَ الوَصْلِ بمعناهُ البلاغي، فالوَصْلُ القرآنيُّ لا يعني فقط العَطْفَ بَيْنَ المفردات والجمل، وكذلكَ الفصلُ لا يعني تركِ العطف فحسب، وإنَّما يُعَدَّان فوق ذلِكَ وسيلتين مِنْ وسائِلِ الاتصال والالتحام بَيْنَ الأساليب، ذلك الاتصالُ والالتحامُ اللذان يُسهِّلان عمليَّةَ الفهمِ والتأويل([20]). هذا، وبعد أن فرغَ البحثُ مِنْ عرضِ مُقدمةٍ نظريَّةٍ للفصلِ والوصلِ آن له أن يقومَ بعرضِ تقسيمَ البلاغيين في أحوالِ الجُمَل التي تتمثلُ فيما يأتي([21]):

القسم الأول: ما يجب فيه الفَصْلُ (أي: عدم عطفِ الجملة الثانية على الجملة الأُولى بالواو). وهذا يكون في أربع صور:

١١– الشائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني:٢١٥.

١٢– م.ن:٢٢٢.

١٣– بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن:٣.

١٤– الشائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني:٢١٦.

١٥– تجليات الجمال في الفصل والوصل:٤.

١٦– م.ن:٤.

١٧– البلاغة العربية قراءة أخرى: ٣١٤–٣١٥.

١٨– Cohesion in English: 227. نقلاً عن لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢–٢٣.

١٩– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣–٢٤.

٢٠– أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية:١١–١٢.

٢١– وجديرٌ ذكرهُ هنا أن هذهِ الجمل لا محلَّ لها من الإعراب.

الصورةُ الأُولى: أن يكون بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ "كَمَالُ اتِّصَالٍ" إذ لا تغايُرَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ حَتَّى تُعْطَفَ الثَّانِيَة عَلَى الأُولى(٢٢). ويُراد بـ(كَمَالِ الاتِّصَالِ) أَنْ "يكون بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادٌ تامّ، وامتزاجٌ مَعْنَوِيٌّ، حَتَّى كَأَنَّهُمَا أُفْرِغَا في قَالَبٍ وَاحِد"(٢٣)، بِحَيْثُ تَنْزِلُ الثَّانِيَةُ مِنَ الأُولى مَنْزِلَة نَفْسِهَا(٢٤). ففي هذهِ الحالةِ تكون الجملةُ الثانيةُ مُتَّصِلَةٌ مِنْ ذاتِ نَفْسِهَا بالّتِي قَبْلَهَا اتِّصَالاً وَثِيقاً، بِحَيْثُ تكونُ مَعْنَاهَا، أَوْ جُزْءاً مِنْهَا(٢٥). ويكونُ بَيْنَهُمَا مِنَ الاتِّصَالِ والاتِّحَادِ والتَّلاحُمِ ما يَمْنَعُ العَطْفَ بالوَاوِ، لأَنَّ الْعَطْفَ وَصْلٌ خارجيٌّ، وهذهِ الْجُمَلِ قَدْ صَارَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّلاحُمِ والاتِّصَالِ والتَّرَابُطِ أَقْوَى وأَشَدّ مِنْ الرَّبْطِ الخارجيِّ(٢٦). وهذ الصورةُ مِنْ (كَمَالِ الاتِّصَالِ) تظهرُ في ثلاثةِ وجُوهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّل: أن تكون الجملة الثانية توكيداً للجملة الأُولى، لزيادةِ التقرير، أو لدفعِ توهُّمِ المجاز، أو لدفعِ توهُّمِ الغَلَط(٢٧)، وهذه الجملةُ التوكيديَّة، قد تكون من قبيل التوكيد اللفظيّ، أَوِ المعنويِّ، أَوْ عَطْفَ البيان(٢٨)، والتَّأكيدُ هُوَ تحقيقُ الْمَعْنَى الّذِي دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظٌ سَابِق بلفظٍ جديد(٢٩). مثل قول الله عز وجل:﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾(٣٠). فإنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَة، وَهِيَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ جَاءَتْ تَأْكِيدَاً لَفْظِيًّا لِلْجُمْلَةِ الّتِي قَبْلَهَا(٣١)، وَهِيَ تُوافِقُ الْجُمْلَةَ الأُولى في اللفظِ والْمَعْنَى، وأَنَّهَا توكيدٌ لفظيٌّ لَهَا، ولِذا صَارَتِ الصِّلَةُ قَوِيَّةً بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ، فَلا تَحْتَاجُ إلى رَبْطٍ بالوَاوِ، لأَنَّ التَّوكيدَ والمؤكّد كالشَّيْءِ الوَاحِدِ، ومِنْ ثمَّ تُرِكَ الْعَطْفُ لِعَدَمِ صِحَّةِ عَطْفِ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ(٣٢). ونظيرُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾(٣٣). فَقَوْلُهُ: ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ فَائِدَتِهِ مِنَ الاستماع، أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، تأكيدٌ لهذا الْمَعْنَى، وفيهِ زيادةُ تقرير، بِمَا بَيَّنَتْهُ مِنْ وجُودِ الْوَقْرِ في أُذُنَيْهِ(٣٤). أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَة تَحْمِلُ مَعْنَىً جَديداً يُخَالِفُ مَعْنَى الأُولى، ولكنَّهُ يُؤَكِّدُهُ وَيُقَرِّرُهُ(٣٥)، ولَمَّا كَانَتِ الثَّانِيَةُ مُقَرَّرَةٌ ومُؤَكّدةٌ للأُولى تُرِكَ الْعَطْفُ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ كَمَالِ الاتِّصَالِ، وفي هذا الاتِّصالِ تحقيقٌ لِمَبْدَأ التَّرَابُطِ النَّسِيْجِيِّ في هذا الخِطَاب، الّذِي يُشَكِّلُ بِمَجْمُوعِهِ وَحْدَةً تَرْكِيبِيَّة مُتَمَاسِكَة، تَتَجَسَّدُ فِيْمَا بَيْنَ عَنَاصِرِهِ عَلاقَاتٌ اقْتِضَائِيَّة بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ فَهْمُ أَحَدِ أَجْزَائِهَا دون فَهْمِ الْجُزْءِ الآخَر.

الوَجْهُ الثَّانِي: أن تكونُ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَة بَدَلاً مِنَ الْجُمْلَةِ الأُولى، وجُمْلَةُ البَدَلِ، قَدْ تكونُ بَدَلَ كُلٍّ مِنْ كُلّ، ويُسَمَّى "البَدَلَ المطابق" كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا

٢٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٥٨٣-٥٨٤.
٢٣- علوم البلاغة، (للمراغي): ١٧٣.
٢٤- أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية:١٠٤.
٢٥- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية:١١٢.
٢٦- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:١٨٥.
٢٧- ففي هذهِ المقولة اعتبارٌ لموقفِ الْمُتَلَقِّي إزاءَ الخِطَاب.
٢٨- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٨٣-٥٨٤. وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية:١٠٤.
٢٩- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٤٠٥.
٣٠- (سورة الطارق:١٧).
٣١- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٤٠٨.
٣٢- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:١٨٦.
٣٣- (سورة لقمان:٧).
٣٤- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٤٠٧.
٣٥- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:١٨٨.

لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣٦]. فَالْقَوْلُ الثَّانِي وَرَدَ شَارِحاً ومُبَيِّناً لِلْقَوْلِ الأَوَّل[٣٧]. وعَلَيْهِ فإنَّ الامْتِزاجَ الْمَعْنَوِيُّ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ مَنْشَؤُهُ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَة شَارِحَةٌ وَمُوَضِّحَةٌ لِلْجُمْلَةِ الأُولى[٣٨]. وفي الشَّرْحِ والتوضيحِ تحقيقٌ للتَّرَابُطِ في الخِطَاب.

وقَدْ تكونُ (بَدَلَ بَعْضٍ مِنْ كُلّ)، مِثل قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾[٣٩]. فالأنعام والبنون والجنات والعيون هِيَ بَعْضُ مَا أَمَدَّهُمْ بِهِ مِمَّا يَعْلَمُون، وفائدةُ هذا البَدَلِ ذِكْرُ بَعْضِ العَنَاصِرِ مُفَصَّلَةً لأَهميَّتها عِنْدَ الْمُخَاطَبِيْن، بَعْدَ ذِكْرِهَا بِشَكْلٍ مُجْمَل[٤٠]. وقَدْ أكّدَ الخطيب القزوينيِّ (ت٧٣٩هـ) أن قَوْلُهُ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ مَسُوقٌ للتنبيهِ عَلَى نِعَمِ الله تعالى عِنْدَ الْمُخَاطَبِيْنَ، وقَوْلُهُ: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ أَوْفى بتأديتهِ مِمَّا قَبْلَهُ، لِدَلالَتِهِ عَلَيْهَا بالتَّفْصِيل، والإِمْدَادُ بِمَا ذكِرَ مِنَ الأَنعامِ وغيرها بَعْضُ الإِمْدَاد بِمَا يَعْلَمُون[٤١]. أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ قَولَهُ: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ جُمْلَةٌ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَاب، لأَنَّهَا صِلَةُ الْمَوْصُول، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ "بَدَل مِنْهَا، لأَنَّ الأَنْعَامَ والبنينَ مِنْ جُمْلَةِ مَا يَعْمَلُون، وإِنَّمَا خَصَّهَا وَنَصَّ عَلَيْهَا هُنَا لِلْعِنَايَةِ بِشَأْنِهَا، لِكَوْنِهَا أَدَلَّ عَلَى الْمَقْصُودِ، وأَلْزَمَ لِلْحُجَّةِ، وكونها أَوْفَى بالْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنَ الآيَةِ"[٤٢]. والملحُوظُ في هذِهِ الآيَةِ هُوَ شِدَّةُ التَّلاحُمِ وقُوَّةُ الاتِّصَالِ بَيْنَ البَدَلِ والْمُبْدَلِ مِنْهُ بِحَيْثُ لا تحتاجُ معها إلى رَبْطٍ بالوَاوِ، والملحُوظُ أَيْضَاً هُوَ أَنَّ جُمْلَةَ (البَدَل) تَحْمِلُ مَعْنىً جديداً يُغَايِرُ مَعْنَى (الْمُبْدَلِ مِنْهُ)، ولَكِنَّهما في الْمُحَصِّلَةِ النَّهائيَّة يَهْدِفَانِ مَعَاً إلى غايةٍ وَاحِدَة، أَلا وَهِيَ التَّأْكيدُ عَلَى نِعَمِ الله تعالى.

وقَدْ تكون (بَدَلَ اشتِمَالٍ)، نَحُو قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾[٤٣]. فَجُمْلَةُ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا...﴾ بَدَل مِنْ جُمْلَةِ ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ الّتي تَشْتَمِلُ بِمَفْهُومِهَا العَامِّ عَلَى مَعْنَى الْجُمْلَةِ الّتِي جَاءَتْ بَدَلاً مِنْهَا. والغَرَضُ التنبيهُ عَلَى قضيَّةٍ مُهِمَّة فِيهِمْ، وهِيَ إخلاصُهُمْ، وعدمُ سَعْيِهِمْ لغَرَضٍ دنيويٍّ مِنْ دَعْوَتِهِمْ[٤٤]. والْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ هُوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِيْنَ عَلَى اتِّبَاعِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، ومَعْنَاهُ: أَنَّكُمْ لا تخسرون مَعَهُمْ شَيْئَاً مِنْ دُنياكُم، وتَرْبَحُون صِحَّةَ دينكم، فينتظِمُ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنيا وخَيْرُ الآخِرَة[٤٥]. وَمِنْ هُنَا فإنَّ الْجُمْلَةُ البَدَليَّة أَوْفَى بالْغَرَضِ مِنْ حَيْثُ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ تَرغيبٍ عَلَى الاتِّبَاعِ، لأَنَّ اتِّباعِ الْمُرْسَلَيْنَ الّذِينَ لا يَسْأَلُون أَجْرَاً فيهِ خَيْرُهُمْ في دُنياهُمْ وآخِرَتِهِمْ[٤٦]. وجديرٌ بيانُهُ هُنَا إلى أن هُنَاك دلالاتٍ إضافيَّة تُسْتَحْصَل من بَدَلِ البعضِ مِنَ الكُلِّ، وبَدَلِ الاشتمال، وفي ذلِكَ أكّدَ الرضيِّ، بِقَوْلِهِ: "والفائِدَةُ في بَدَلِ البَعْض، وفي بَدَلِ الاشتمال: البيانُ بَعْدَ الإِجْمَال، والتَّفسيرُ بَعْدَ الإِبْهَام، لِمَا فيهِ مِنَ التَّاثيرِ في النَّفْسِ"[٤٧]. وعليهِ فإنَّ "للبيانِ بَعْدَ الإِبْهَامِ وَقْعَاً في النَّفْسِ، وأَثراً حسناً، فالشَّيْءُ إذا أُبْهِمَ تَطَلّعت إليهِ النَّفْسُ،

٣٦- (سورة المؤمنون: ٨١-٨٢).
٣٧- من بلاغة القرآن:١٣٨.
٣٨- م.ن:١٣٨.
٣٩- (سورة الشعراء: ١٣١-١٣٤).
٤٠- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٨٤-٥٨٥.
٤١- الإيضاح في علوم البلاغة:١٢٢.
٤٢- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٤٠٩.
٤٣- (سورة يس: ٢٠-٢١).
٤٤- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٨٥.
٤٥- الإيضاح في علوم البلاغة:١٢٢.
٤٦- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٤٠٩.
٤٧- شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٣٨٣.

واشتَاقَتْ لبيانِهِ، فَإذا مَا جَاءَ البَيَانُ صَادَفَ نَفْسَاً يَقِظَة مُتَطَلِّعَة، فَيَتَمَكَنُ فيها فَضْلَ تَمَكّن"(٤٨). وجَاءَ في (مَعَاني النَّحو) أيضاً أن مِنْ فائِدَة البَدَل: الإيضاحُ والتبيينُ، فيُؤَدِّي البَدَلُ والْمُبْدَلُ مِنْهُ بِاجتِمَاعِهِمَا مَعْنىً لا يُؤَدِّي بانْفِرَادِ أَحَدِهِمَا عَنِ الآخَرِ، فَقَدْ يكونُ الأَوَّلُ مُبْهَمَاً يُوضِّحُهُ الثَّانِي(٤٩). وهذا المعنى الْمُتَحَصِّلُ مِنْ التَّلازُمِ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ إِنَّمَا يُؤَكِّد مَبْدَأَ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ في الخِطَابِ القُرْآنِي.

الوَجْهُ الثَّالِث: أن تكون الجملةُ الثانية معطوفةً على الجملة الأُولى عَطْفَ بيان، مثل قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(٥٠). فَجُمْلَةُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ عَطْفُ بَيَانٍ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى﴾، وهِيَ لِبَيَانِ مَضْمُونِ ذلِكَ النطقِ النبويِّ، ونظيرهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾(٥١). فَقَوْلُهُ: ﴿مِثْلَ دَأْبِ...﴾" عَطْفُ بيانٍ على قَوْلِهِ: ﴿مِثْلَ يَوْمِ...﴾ وهِيَ لِبَيَانِ مضمونِ يَوْمِ الأَحْزَابِ، وفي تحليلِ هذِهِ الآيَةِ أَكّدَ الزمخشريُّ، بِقَوْلِهِ: "فإنْ قُلْتَ: بِمَ انْتُصِبَ ﴿مِثْلَ﴾ الثَّانِي؟ قُلْتُ: بأَنَّهُ عَطْفُ بَيَانٍ لِـ﴿مِثْلَ﴾ الأَوَّل(٥٢). ومِنْ شواهِدِه كذلِكَ، قَوْلُهُ تعال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾(٥٣). فَجُمَلَةُ: ﴿قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ﴾، بيانٌ لِجُمْلَةِ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾. والْمَلْحوظِ في هذهِ الآيَاتِ هُوَ ذلِكَ التَّمَاسُكِ الشديد القائِمِ بَيْن وَحْدَاتِهَا التَرْكِيبِيَّة عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَباعُدِهَا النسبي، الأَمْرُ الّذِي يُؤَكِّدُ السِّمَةِ النصيَّة في الآيَاتِ القُرْآنيَّة، كَوْنَها تَتَعَدَّى في خطَابِهَا نطاقَ الْجُمْلَةِ الوَاحِدَة إلى ما بَعْدَها مِنْ جُمَلٍ، وبِمَجْمُوعِهَا يَتَحَصَّلُ الفَهْمُ والإدراك.

الصورةُ الثَّانِيَة: أن يكون بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ "شِبْهُ كَمَال الاتِّصَال"، أَو (الاستئناف). وهذا يكون حينما تكونُ الْجُمْلَةُ السَّابِقَة مِمَّا يثيرُ في نَفْسِ الْمُتَلَقِّي سُؤَالاً يَتَرَدَّدُ في نَفْسِهِ، ولَوْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ، فَتَأْتِي الْجُمْلَةُ التاليَةُ لتُجِيبَ عَنْ هذا السُّؤَال، وتأتي دون أن تعطف بالواو، وعلى أسلوب الاستئناف، فالجملةُ الواقعة جواباً لسؤالٍ مقدَّر ذهناً غير مُصرَّح به في اللفظ، لكن من شأنِهِ أن تثيرَهُ في النفوس الْجُمْلَة السابقة هِيَ جُمْلَةٌ استئنافيَّة(٥٤)، وباختصار فإنَّ (شِبْه كمال الاتصال) يعني "أن تكون الجملةُ الثانية جَوَاباً عَنْ سؤالٍ مُقَدَّر، اقتضتهُ الْجُمْلَةُ الأُولى(*)، أو فُهِمَ منها، ودلّتْ عليهِ بالفَحْوَى، ومعونة القَرَائِن، وسياقُ الأَحوال"(٥٥). وفي هذهِ الحالةِ تُفْصَلُ الجملةُ الثانية عَنِ الأُولى، "كما يُفْصَلُ الجوابُ عَنِ السؤال اكتفاءً بما بينهما مِنَ الرَّبْطِ المعنويّ، ويُسمَّى الفصلُ لذلكَ (استئنافاً)، كما تُسَمَّى الجملة الثانية (مُستأنِفَة)(٥٦)، أضفْ إلى ذلكَ أن "صياغةَ الحدثِ اللغويّ توجِبُ أحياناً فصلَ التركيبِ اللاحِقِ عَنِ السَّابِقِ لِيُسْتَأْنَفَ به، ويُقْطَع عَمَّا قَبْلَهُ، إشعاراً بأنَّ ثمةَ سُؤالاً تقتضيهِ الجهةُ السَّابِقَةُ مِنَ الحدثِ اللغويّ، وتدلُّ عليهِ الهيئة الكليَّة للسياق، فتنبيءُ دَلالةُ التركيبِ اللاحِقِ بأنَّهُ جوابٌ عَنْ هذا السُّؤال، المسْتَنْبَط مِنَ الكلامِ السَّابِق، وهذا ما يُحَتِّمُ فصلَ التركيبِ اللاحِقِ عمَّا سبقهُ، كما يُفصَلُ الجوابُ عَنِ السؤال اكتفاءً بالرباطِ الدلاليِّ الموصِلِ بينهما. إذ يُعَدُّ التركيبُ الثاني كَيَاناً مُتكامِلاً مُولّداً مِنَ التركيبِ الأوَّل، مُتشبِّثاً به على صعيدِ البناءِ الدلالي، مستقلاً عنه ومُغايراً له على صعيدِ البناءِ السطحيّ، ممّا

٤٨- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:١٩١.
٤٩- معاني النحو: ٣/ ١٧٧.
٥٠- (سورة النجم: ٣-٤).
٥١- (سورة غافر: ٣٠-٣١).
٥٢- الكشاف، ٥: ٣٤٥.
٥٣- (سورة الأعراف: ٤٨).
٥٤- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٨٦.
* اقتضاءً تداوُليًّا، لعَلاقتِهِ الْمُبَاشِرَة بِحَالةِ الْمُتَلَقِّي، وَبالْمَوْقفِ الخارجيّ.
٥٥- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية:١١٨.
٥٦- دراسات في الأدب والنقد والبلاغة، أحمد عبدالمنعم البهي:١٤٥، نقلاً عن الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية:١١٨.

يستوجِبُ فصلُ التركيبين عَنْ بعضِهما، وتسمَّى هذهِ العَلاقةُ المعنويَّة الموجبة للفصلِ في مثل هذا الموضِع بـ(شِبْهِ كَمَالِ الاتصَال)([٥٧]). وهنا نرى أن الخطابَ في مثلِ هذهِ المواضِع يَسْتغني عَنْ استحضارِ الأدواتِ العطفيَّةِ الرابطة بين التراكيب، وذلكَ لوجودِ التعاطُف والترابُط المعنويِّ بين السؤالِ وجوابه، ذلك الجوابُ المتصوَّر والمفْهُوم مِنَ فحوى السياق، كما نلحظُ أن الجوابَ المستأنِف له ارتباطٌ شديد بالسؤال النسقيِّ المفترَض، وهذا كلّهُ مِنَ الأَمَاراتِ الدَّالةِ على شدَّةِ التماسُك النصيِّ بين المتتالياتِ اللغويَّة التي تتضمَّنُ هذه الآليَّة على امتدادِ الخطابِ القرآنيِّ.

الصورة الثالثة: أن يكون بين الجملتين "كَمَالُ الانقطاع". وهذا يكونُ حينما يكون بين الجملتين تبايُنٌ تامّ، فيجبُ فَصْلُ الجملةِ الثانية عن الجملةِ الأُولى، وعدمُ وَصْلِهَا بالواو العَاطِفَة، بشرطِ أن لا يُؤدِّي ذلكَ إلى إيهامِ غير المقصود([٥٨]). ويَأْتِي (كَمَالُ الانقطاع) في ثلاثِ صُوَر: الأولى أن تكون إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ خَبَرِيَّة، لَفْظاً ومَعْنَىً، والثانية إنشائيَّة، لَفْظاً وَمَعْنَىً، أَوْ أَنْ تختلِفَ الْجُمْلَتَانِ خَبَراً وَإِنْشَاءً، لَفْظاً وَمَعْنَىً([٥٩])، في نحوِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾([٦٠]). فإذا نَظَرْنا إلى هذا الخِطَابِ الكريم نَلْحَظُ أَنَّ الْجُمْلَةَ الأُولى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خبريَّة، لَفْظاً وَمَعْنَىً، والجملةُ الثانية: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ إنشائيَّة، لَفْظاً وَمَعْنَى، فهي إنشاءٌ طلبيّ صيغته الاستفهام الإنكاريِّ، "وبينهما تبايُنٌ تامّ، وانقطاعٌ كَامِل، وهذا مما يَسْتَوْجِبُ الفَصْلَ بَيْنَهُما"([٦١]). والملحوظُ في هذهِ الآيَةِ أَنَّ الْجُمْلَةُ الإنشائيَّة قَدْ فُصِلَتْ عَنْ الْجُمْلَةِ الخبريَّةِ قَبْلَهَا، بسببِ كَمَالِ الانقطاع.

والثانية: أن تكون الجملتانِ مُختلفتين، خبراً وإنشاءً، في المعنى فقط، وإن كانتا مُتفقتين، خبراً وإنشاءً، في اللفظ، أَوْ أَنْ تَخْتَلِفَ الْجُمْلَتَانِ إِنْشَاءً وخَبَراً في الْمَعْنَى فقط، وتَتَّفِقَا في اللَّفْظِ([٦٢])، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾([٦٣]). فجُمْلَةُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قد فُصِلَتْ عَنْ جُملةِ ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ﴾ لاختلافِهِمَا في الإسنادِ مَعْنَىً، لأَنَّ جُمْلَةَ ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ﴾ خَبَرِيَّةٌ في اللَّفْظِ، إنشائيَّةٌ في الْمَعْنَى، وجملةُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خبريَّةٌ في اللفظِ والمعنى([٦٤]).

والثالثة: أَنْ تَتَّفِقَ الْجُمْلَتَانِ خَبَراً وإِنْشَاءً، لَفْظاً وَمَعْنَىً، ولكن لا يوجَدُ جَامِعٌ بَيْنَهُمَا، أو لا توجَدُ الْمُنَاسَبَةُ المعيَّنة الَّتِي تُسَوِّغُ الْعَطْفَ([٦٥]). وبعبارةٍ أُخْرَى لا توجَدُ بَيْنَ الجملتين مُناسبةٌ مَا في الْمَعْنَى، ولا يوجَدُ ارتباطٌ ما بَيْنَ الْمُسْنَدِ إليه، فيهما، ولا بَيْنَ الْمُسْنَد([٦٦])، وذلِكَ نحو قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤﴾([٦٧]). فَقَدْ فُصِلَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ...﴾، وقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ لِعَدَمِ وجُودِ الْمُنَاسَبَةِ الّتِي تُسَوِّغُ الْعَطْفَ، أَمَّا الْمُنَاسَبَة العَامَّة الّتِي تُسَوِّغُ جَمْعَ الْجُمْلَتَيْنِ في سِيَاقٍ

٥٧- الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني:٢٤٢.
٥٨- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٨٩.
٥٩- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:١٩٦.
٦٠- (سورة الأنعام: ١٠١).
٦١- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية:١٢٩.
٦٢- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:٢٠٠.
٦٣- (سورة الفاتحة: ٢-٥).
٦٤- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية:١٣١.
٦٥- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:٢٠٠.
٦٦- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٩٠.
٦٧- (سورة النمل: ٣-٤).

وَاحِدٍ، فَهِيَ (التَّضَادُّ بَيْنَهُمَا)، وهُوَ رَابِطٌ حيّ ومُثير، لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنَ التَّشويقِ إلى مَعْرِفَةِ القِصَّة الثَّانِيَة، قِصَّةُ الْكَفَرَةِ، بَعْدَ الْوقُوفِ عَلَى قِصَّةِ الْمُؤْمنين([٦٨])، وفي ذلك إيذانٌ بتحقيقِ التماسُكِ النصيِّ في الخطاب القرآنيِّ.

والرابعة: أن يكون بين الجملتين "شبه كمال الانقطاع". ويُقْصَد به أن تكون هناك جملة مسبوقة بجملتين يَصِحُّ عطفها على الأُولى منهما، ولا يَصِحُّ عطفها على الثانية، لأنه يفسد المعنى المقصود، فيُتْرَك العطف كليَّةً، ويجب حينئذٍ الفَصْلُ، دَفْعًا لما قد يحدُث من إيهامٍ بالوَصْلِ بالواو([٦٩]).

القسم الثاني: ما ينبغي فيه الوصل أو يحسُنُ (أي: أن تُعْطَفَ الجملة الثانية على الجملةِ الأُولى بالواو). ويظهرُ هذا حينما تكون العَلاقةُ بين الجملتين مُتوسطة تماماً بين حالتي "كمال الانقطاع"، و"كمال الاتصال". ويُلاحَظ هذا التوسُّط حينما تتفقُ الجملتان الثانية والأُولى خبراً أو إنشاءً، لفظاً ومعنىً، أو معنىً فقط، مع جَامعٍ يَجْمَعُ بينهما، فَتُعْطَف الثانية على الأُولى إلا إذا أوهم العطفُ خلاف المقصود. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾([٧٠]). يُلاحَظ في هاتين الجملتين المعطوفة بالواو والمعطوف عليها توسُّطاً بين (كَمَال الاتصال)، و(كَمَال الانقطاع)، وجَامِعَاً يجمعُ بينهما، فالعَلاقةُ بينهما قانون الجزاءِ الربَّانيِّ، ذي الصورتين المتضادَّتين، لفريقين متضادَّيْن، هما الأبرارُ والفجَّار، إن عنوانَ الجزاءِ عنوانٌ جَامِع دون اتحاد ولا شِبْهِ اتِّحَاد، وإنَّ التضادَّ لا يَصِلُ إلى مستوى التبايُن التامِّ في الفكر، لأنَّ الضِدَّ أَقْرَبُ خُطُوراً بالبال عَنْ ذكر الضِد من النظير إلى النظير، فحصلَ بذلك التوسُّط بَيْنَ الكَمَالَيْن، والجملتان هُمَا أيضاً خبريَّتَان لفظاً ومعنىً، فَحَسُنَ عَطْفُ الثانية على الأُولى بالواو([٧١])، ومِمَّا يجدرُ ذكرهُ هنا أنه على الرَّغمِ مِنَ التضادِ الحاصِلِ بَيْنَ الصورتين إلاّ أن الترابُطَ النسيجيَّ واضِحٌ بَيْنَهُمَا.

الفصل والوصل في الخطاب القرآني:

مِنْ عَجَائِبِ الاستئنافِ أَنَّهُ يُحَقِّقُ الْوَصْلَ، فالاسْتِئنَافُ وَصْلٌ لَكِنَّهُ مَطْوِيٌّ غَيْرُ ظَاهِرٍ، فَفِي بَعْضِ صُوَرِ الاسْتِئنَافِ نَلْمَحُ السَّبَبِيَّةَ، فَالْجُمْلَةُ الْمُسْتأْنفَة هِيَ كَالسَّبَبِ لِمَا قَبْلَها، كَمَا في قَوْلُهُ تعالى في كتابِهِ الكَرِيم: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾([٧٢]). وهنا يلمحُ الزمخشري إلى ظاهرة أسلوبيَّة دقيقة، بقوله: "فإن قلتَ: أي فرقٍ بين إدخالِ الفاءِ ونَزْعِهَا في ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟ قلتُ: إدخالُ الفَاءِ: وَصْلٌ ظاهِر بحرفٍ موضوع للوَصْل، ونَزْعُها: وصلٌ خفي تقديريٌّ بالاستئناف، الذي هو جوابٌ لسؤالٍ مقدَّر، كأنهم قالوا: "فماذا يكون إذا عَمِلْنَا نحنُ على مكانتنا وعَمِلْتَ أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوَصَلَ تارةً بالفَاءِ، وتارةً بالاستئناف، للتفنُّنِ في البلاغةِ كما هُوَ عَادَةُ بُلَغَاءِ العَرَب"([٧٣]). فَالْفَصْلُ يُوحِي بِوجُودِ سُؤَالٍ مَطْوِيٍّ كَمَا قَالَ الزَمَخْشَرِيِّ، فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ وَقَفَ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿عَامِلٌ﴾، ثم ذكِرَ لَهُ سُؤَالٌ فَأَجَابَ بـ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْفَصْلَ يُوحِي بِسَعَةِ النَّصِّ كَمَا يُومِيءُ إلى اخْتِزَالِهِ، والّذِي يُحَقِّقُ بِدَوْرِهِ ذلِكَ التَّمَاسُكِ النَّصِّي في بنيةِ الخِطَابِ القرآنيِّ.

ومِنْ شَوَاهِدِ الفَصْلِ أَيْضَاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾([٧٤]). ويؤكِّد الزمخشري هنا أن "اللام في (لقد) جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوف، وهذِهِ الْجُمْلَةُ في حُسْنِ استئنافها غاية"([٧٥]). فالذين لا يرجون لقاء ربهم، هم الذين استكبروا في أنفسهم، كُفْراً وعِنَاداً. وهذا

٦٨- علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني:٢٠٢.
٦٩- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٥٩٠. والفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية:١٣٣.
٧٠- (سورة الانفطار: ١٣-١٤).
٧١- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٥٩٠.
٧٢- (سورة هود:٩٣).
٧٣- الكشاف: ٢/ ٤٠٨.
٧٤- (سورة الفرقان: ٢١).
٧٥- الكشاف: ٣/ ٢٦٥.

الاستئنافُ في الخِطَاب القُرْآنِي يُوحِي بالتَّرَابُطِ بَيْنَ القَضِيَّتَيْن. فالاسْتِكبَارُ والعُتُو (تجاوزُ الحدِّ في الظّلم)، هُمَا نَتِيجَتان لِعَدَمِ الإيمان بلقاءِ اللهِ في يَوْمِ القِيَامة، الأَمْرُ الّذِي يُؤذنُ بتحقيق التَّرابُطِ النَّسيجيِّ في هذِهِ الآيَةِ، وعليهِ فإنَّ الْمُتَلَقِّي لا بُدَّ وأَنْ يَتَحَسَّسُ بَيْنَ تِلكَ الْجُمَلِ ترابُطاً علاقيًّا حقّقَ بكامِلِ عناصرهِ غَرَضَاً كُلِّيًّا واحِدًا.

ومِنْ نَمَاذِج الفَصْلِ بالْجُمَلِ الاعتراضيَّة، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٧٦). ويؤكّد الزمخشري هنا: أن قوله تعالى: ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاّ وُسْعَهَا﴾ هو "جملةٌ مُعْتَرِضَةٌ بين المبتدأ والخبر، للترغيبِ في اكتسابِ ما لا يكتنهُ وصفُ الواصِفِ مِنَ النعيمِ الخالِد مع التعظيمِ بما هُوَ في الوُسْعِ(٧٧). ولا بُدَّ لها مِنَ الاتصال بالكَلامِ الذي وَقَعَتْ مُعْتَرِضَةً فيهِ، لأنَّها مَسُوقَةٌ لتوكيدهِ وتقريرهِ(٧٨). أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةِ الاعتراضيَّةِ – التي وَقَعَتْ بَيْنَ الْمُبْتَدأ والْخَبَر – قَدْ أَفَادَتْ دَفْعَ تَوَهُّمِ أَنَّ الله كَلَّفَهُمْ بِمَا لا يُطِيْقُون مِنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، ومَا يُلْحَظُ في هذِهِ الآيَةِ أَيْضَاً – مَعَ وجُودِ التركيبِ الاعتراضيِّ – هُوَ ذلِكَ التَّمَاسُكُ الشَّكْلِيُّ والدَّلاليّ.

ومِنْ صُوَرِ الفَصْلِ بالعُنْصُرِ المعترِض أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٧٩). فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ هُوَ "جُمْلَةٌ مُستأنفة استئنافاً بيانيًّا مُراعَى فيهِ حالُ السَّامعين مِنَ المؤمنين، فإنهم حين يسمعون ما أعدَّ للمشركين تتشوَّفُ نفوسهم إلى معرفةِ ما أُعِدَّ للذين آمَنُوا، ونبذُوا الشِرْكَ، فأُعْلِمُوا أن عَمَلهُم مَرْعِيٌّ عِنْدَ رَبِّهم، وجَرْيَاً على عادةِ القرآن في تعقيبِ الوعيدِ بالوَعْدِ، والترهيبِ بالترغيب(٨٠). وقد ذهبَ الزمخشري إلى أن اسمَ الإشارة هنا هو خبر (إنَّ)، أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾، فهو اعتراضٌ، ولكَ أن تجعلَ (إنَّا لاَ نُضِيعُ)، و(أُوْلَئِكَ) خبرين معاً، أو تجعلَ (أُوْلَئِكَ) كَلاماً مُستأنفاً بياناً للأَجْرِ المُبْهَم(٨١). والْمُتَلَقِّي لهذِهِ الآيَةِ يتلمَّسُ بوضوح حُزْمَةَ الخيوطِ المتشابِكَة التي تَجْمَعُ بين العُنْصُر (المعترِض)، والعُنْصُر (المعتَرَض)، الأَمْرُ الّذِي يُؤدِّي إلى التَّوَسُّعِ الدَّلاليِّ فَضْلاً عَنْ تحقيقِ التَّمَاسُك النَّصيِّ من خِلالِ لِحَاقِ الآخَرِ بالأَوَّلِ وطَلَبِهِ لَهُ، وَكَأَنَّ بَيْنَهُما عَلاقَةٌ لزُوميَّة جامِعَة.

ومِنَ الفَصْلِ بالجُمَلِ الاعتراضيَّة، قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾(٨٢). وقوله ﴿إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراضٌ على اعتراض، لأنه اعترضَ به بين المقسم والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(٨٣). واعترض بـ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته(٨٤). إلا أنه رغم هذا الاعتراض، فإننا نتحسَّسُ خيوطاً دقيقة تربطُ بين هذه المعاني، وإن العنصر الاعتراضي قد أسهم من خلال البنية العميقة في الرَّبْطِ بين التركيبين، وعَلَيْهِ فَإِنَّ الْمُتَلَقِّي لا بُدَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى الْخِطَابِ بِأَكْمَلِهِ، وأَنْ يَتَجَاوَزَ الوقوفَ عِنْدَ تُخُومِ الْجُمْلَةِ حَتَّى يَتَمَكّنَ مِنْ فَهْمِ الخِطَابِ عَلَى الْوَجْهِ الأَمْثَل.

٧٦- (سورة الأعراف: ٤٢).
٧٧- الكشاف: ٢/ ١٠٠.
٧٨- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة في الأسلوب:٩٤.
٧٩- (سورة الكهف: ٣٠-٣١).
٨٠- التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٠٩-٣١٠.
٨١- الكشاف: ٢/ ٦٩٢.
٨٢- (سورة الواقعة: ٧٥-٧٦).
٨٣- (سورة الواقعة: ٧٧).
٨٤- الكشاف: ٤/ ٤٥٦-٤٥٧.

ومِنْ صُوَرِ الفَصْلِ لإيضاح المعنى وبيانه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾(٨٥). ويُلفتنا الزمخشري هنا إلى أن الفَصْلَ هُنَا جَاءَ لتوضيحِ المعنى وبيانه، حيث يقول: إن قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ "يُسَدِّدُهُم بسببِ إيمانهم للاستقامة على سلوكِ السبيلِ المؤدِّي إلى الثواب، ولذلكَ جعلَ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الأَنْهَارُ﴾ بياناً له وتفسيراً، لأنَّ التمسُّكَ بسببِ السَّعادَةِ كالوصُولِ إليها. ويجوز أن يريدَ: يهديهم في الآخرة بنورِ إيمانهم إلى طريقِ الجنَّة(٨٦). فالإيمان هو طريق لتحقيق الهداية، والدخول في جنَّاتِ النعيم، وهنا نلحظ تناسُباً واضحاً بين التركيبين بَلْ تلاحُماً يُعزِّز مبدأ النصيَّة في هذا الخطاب.

ومِنْ نَمَاذِجِ الفَصْلِ بأَدَاةِ الإضْرَابِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُمۡ مَّوۡعِدٗا ٤٨﴾(٨٧). والإضرابُ في قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ انتقالٌ مِنَ التَّهديدِ، وَما مَعَهُ مِنَ التَّعْرِيضِ بالتَّغْلِيطِ، إلى التَّصريحِ بِهِ في قالَبِ الإنْكَارِ(٨٨). وفي هذِهِ الآيَةِ فإنَّ الإضْرَابَ عَنِ الْمَعْنَى الأَوَّلِ إثْبَاتٌ للمَعْنَى الثَّانِي، بَلْ تحقيقٌ لِمَبْدَأ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ بَيْنَهُمَا، ذلِكَ التَّمَاسُكِ الّذِي حَصَلَ مِنْ خِلالِ الارتباطِ العَلاقي بِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ ارتباطاً نَسَقِيًّا وَاضِحًا، الأَمْرُ الّذِي حَقّقَ تِلْكَ الوَحْدَةِ الكليَّةِ الشَّامِلَة في هذا الخِطَاب، وبِنَاءً عَلَيْهِ فإنَّ النَّصَّ لا يُمَثِّلُ أَجْزَاءَ مُتَفَرِّقَة لا رَابِطَ مَعْنَوِيَّ بَيْنَ عَنَاصِرِهَا، وإنَّمَا هِيَ شَبَكَةٌ عَلاقيَّةٌ مُتَرَابِطَة شَكْلِيًّا ودلاليًّا، إذاً، فَإنَّ "الْمَعْنى الْكُلِّي للنَّصِّ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ مَجْمُوعِ الْمَعَانِي الْجُزْئِيَّةِ للمتواليات الْجُمَلِيَّةِ الّتِي تُكَوِّنُهُ، ولا تَنْجُمُ الدَّلالَةُ الْكُلِيَّةُ لَهُ إلاّ بِوَصْفِهِ بنيةً كُبْرَى شَامِلَة، فَالنَّصُّ يَنْتُجُ مَعْنَاهُ إذاً بِحَرَكَةٍ جَدَلِيَّةٍ أَوْ تَفَاعُلٍ مُسْتَمِرّ بَيْنَ أَجْزَائِهِ"(٨٩)، المتشابكة في نسيجٍ ترابطي مُتلاحِم.

ومِنْ صُوَرِ الوَصْلِ بـ(الفَاءِ)، قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾(٩٠). وفي قوله (فسوف تعلمون) من التهديد والوعيدِ ما لا يخفى(٩١). وقوله: (إني عاملٌ) الأمر للتهديد، وإيرادهُ بصيغةِ الأمر مبالغةٌ في الوعيد(٩٢). وهنا "رُتِّبَ على عَمَلِهِمْ، وعَمَلِهِ الإنذارُ بالوعيد (فسوف تعلمون) بفاءِ التفريع، للدَّلالةِ على أن هذا الوعيدَ متفرِّعٌ على ذلكَ التهديد. وحرفُ التنفيسِ مُرَادٌ منهُ تأكيدُ الوقوع، لأن حرفَيْ التنفيس يُؤكِّدان المستقبل"(٩٣). و(سوف) هنا لتأكيدِ مَضْمُون الجملة(٩٤). والوَصْلُ بالفاء – الّتِي هِيَ مِنْ أَدَوَاتِ الرَّبْطِ – يَدُلُّ عَلَى تَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ، وتَرَابُطِهَا، والْمُتَلَقِّي لهذِهِ الآيَةِ لا بُدَّ وأَنْ يَتَحَسَّسَ تِلْكَ العَلاقَةِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ التَرْكِيبَيْنِ.

٨٥– (سورة يونس: ٩).
٨٦– الكشاف: ٢/ ٣١٩.
٨٧– (سورة الكهف: ٤٨).
٨٨– التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٣٧.
٨٩– علم لغة النص، (د.بحيرى): ٧١–٧٢.
٩٠– (سورة الأنعام:١٣٥).
٩١– تفسير البحر المحيط: ٤/ ٢٢٩.
٩٢– روح المعاني: ٨/ ٣١.
٩٣– التحرير والتنوير: ٨/ ٩١.
٩٤– روح المعاني: ٨/ ٣١.

ومِنْ أَمْثِلَةِ الوَصْلِ بـ(الفَاءِ) أَيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[٩٥]. وقد حلّلَ (ابن عاشور) هذهِ الآيةَ نصيًّا، بقوله: إن: "عطفَ إعراضِهم عن الذكر على التذكير بفاءِ التعقيب إشارةٌ إلى أنهم سارعوا بالإعراضِ، ولم يتركُوا لأنفسِهم مُهْلَةَ النظرِ والتأمُّل. و(مَنْ) استفهامٌ مُسْتَعْمَل في الإنكار، أي: لا أحدَ أظلمُ مِنْ هؤلاءِ المتَحَدَّثِ عَنْهُم[٩٦]. فهؤلاءِ قد أعرضُوا عن آياتِ ربِّهم دون مُهْلةٍ أو تدبر، وفاءُ التعقيبِ هنا قد أومأتْ إلى إسْرَاعِهِم في الإعراضِ، الأمرُ الذي يُؤكِّدُ خاصيَّةَ التماسُك النصيِّ في هذا الخطاب الإلهي.

ومن أمثلةِ الوَصْلِ بـ(ثُمَّ)، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾[٩٧]. فالوصل بـ(ثُمَّ) يفيدُ التراخي في الحال، وفي هذا المعنى يقول الزمخشري: "التَرَجُّح بين الحياةِ والموت أفظَعُ مِنَ الصَلي، فهو مُتَرَاخٍ عَنْهُ في مَراتبِ الشدَّة، والمعنى: لا يموتُ فيستريح، ولا يحيا حياةً تنفعه"[٩٨]. وفي ذلك قال أبو حيان الأندلسي: "وجيء بـ(ثم) المقتضية للتراخي، إيذاناً بتفاوتِ مَرَاتبِ الشِدَّة، لأنَّ التردُّدَ بين الحياةِ والموتِ أشدُّ وأفظَعُ مِنَ الصَلي بالنَّار"[٩٩]. ويقول ابن عاشور: إن "جملة ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾ عَطْفٌ على جُملةِ ﴿يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ فهي صِلَةٌ ثانية، و(ثُمَّ) للتراخي الرُتَبِي تدلُّ على أن معطوفَهَا مُتراخي الرتبةِ في الغَرَضِ المَسُوق له الكَلامُ، وهو شدَّةُ العَذابِ، فإن تردُّدَ حالهِ بين الحياةِ والموت، وهو في عذابِ الاحتراق عذابٌ أشدُّ ممّا أفادَهُ أنه في عَذَابِ الاحتراق"[١٠٠]. أضف إلى ذلك أن آليَّةَ الوَصْلِ بـ(ثُمَّ) قد حقّقت التجانُس الدَّلاليِّ، فضلاً عَنْ تحقيقِ التماسُكِ اللفظيِّ.

ومِنْ شواهِدِ الوَصْلِ دالّةً على الاستبعاد، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾[١٠١]. فهذهِ الآيةُ "عَطْفٌ على جُمْلَةِ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[١٠٢]، وجِيءَ في عَطْفِ جُمْلَةِ (أَعْرَضَ) بحرفِ (ثُمَّ) لِقَصْدِ الدَّلالةِ على تراخي رتبةِ الإعراضِ عَنِ الآياتِ، بعد التذكيرِ بها، تراخيَ استبعادٍ وتعجيبٍ مِنْ حالِهم. وجملةُ ﴿إِنَّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ مُسْتَأْنِفَة استئنافاً بيانيًّا، ناشِئًا عن تفظيعِ الظلمِ الذي ذُكِّرَ بآياتِ ربِّه، فأَعْرَضَ عنها، لأنَّ السَّامِعَ يَترَقَب جَزَاءَ ذلكَ الظّالِم[١٠٣]. وقد الزمخشري، إلى أن قولَهُ تعالى: "﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ للاستبعاد، والمعنى أن الإعراضَ عَنْ مثلِ آياتِ الله في وضوحِها، وإرشادِها إلى سواءِ السَّبيل، والفوز بالسَّعادَةِ العُظْمَى بعد التذكيرِ بها مُسْتَبْعَدٌ في العَقْلِ، كما تقولُ لصاحِبِكَ: وَجَدْتَ مِثْلَ تِلكَ الفُرْصة ثمَّ لَمْ تَنْتَهِزْهَا، استبعاداً لِتَرْكِهِ الانتهازَ[١٠٤]. والاستفهامُ الانكاريِّ هُنَا يفيدُ أنه لا يوجدُ أحدٌ أظلمُ مِمَّنْ ذُكِّر بآياتِ ربه ثم وقفَ عِنْدَها صَدًّا وإعْرَاضًا، ونتيجةُ إعراضه هذهِ ما هي إلا علّةُ تكذيبِهِ للحقِّ الذي جَاءَ به ربُّه. وهذه النتيجةُ لتلكَ المقدِّمةِ قَدْ أَسْهَمَتْ في إضْفَاءِ النَّصيَّةِ عَلَى هذا الخِطَابِ الْمُعْجِز.

٩٥- (سورة الكهف: ٥٧).
٩٦- التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٥٤-٣٥٥.
٩٧- (سورة الأعلى: ١٢- ١٣).
٩٨- الكشاف: ٤/ ٧٢٧.
٩٩- تفسير البحر المحيط: ٨/ ٤٥٤.
١٠٠- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٨٦.
١٠١- (سورة السجدة: ٢٢).
١٠٢- (سورة السجدة: ١٥).
١٠٣- التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٣٣-٢٣٤.
١٠٤- الكشاف: ٣/ ٤٩٩.

ومِنْ أَلْوَانِ الوَصْلِ بغَيْرِ أَدَوَاتِ العَطْفِ الْمَعْرُوفة، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾(١٠٥). فَقَدْ حَصَلَ الرَّبْطُ في هذا الخِطَابِ عَنْ طريقِ الاستئنافِ بـ(إنَّ) الأَمْرُ الّذِي حَقّقَ تَمَاسُكاً لَفْظِيّاً، ومَعْنَوِيّاً، والْمُتَلَقّي لهذا الخِطَاب لا بُدَّ وأَنْ يَتَحَسَّسُ بِتِلْكَ الرَّابِطَة العَلاقيَّة القَائِمَةِ الّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الأَوَّلِ والثَّانِي، وَكَأَنَّ الأَوَّل تَمْهِيدٌ لِمَا بَعْدَهُ، والثَّانِي تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ. وهُنَاكَ نَمَاذِج ضَافِيَة مِنْ هذا الأُسلوبِ في التَّعبيرِ القُرْآنِي، ونَكْتَفِي هُنَا بِذِكْرِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾(١٠٦). وهذا الضَرْبُ مِنَ الاستئنافِ يكونُ "ناشِئاً عَنْ سَبَبٍ خاصّ للحُكْمِ، إذ يَتَصَوَّرُ المتلقي أن التركيبَ الأوَّل يَشْتَمِلُ على سؤال، ويكون الثاني جَوَاباً له، لَكِنَّهُ يكونُ مُتَرَدِّداً في حُصُولِهِ، وأن كُلَّ تردُّدٍ يَحْتَاجُ إلى تَأْكِيدٍ، لِذلِكَ يَقْتَضِي أَن تكونَ جُمْلَةُ الجَوَابِ مُؤَكَّدَةً بـ(إنَّ)(١٠٧). أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ العُنْصُرَ التَّأكيديَّ في هذا الخِطَابِ إِنَّمَا يُوحِي بِتِلْكَ العَلاقَةِ الرَّابِطَة بَيْنَ السُّؤَالِ والْجَوَابِ الْمُقَدَّرَيْنِ، وُهَو مَا يُؤْذَنُ بتحقيقِ سِمَةِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ فيهِ.

ومِنْ صُوَرِ الاستئنافِ بـ(إنَّ)، قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾(١٠٨). فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، وقوله: ﴿الّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَلامَان مُسْتَأْنِفَان(١٠٩). وفي هذا السياق حلّل ابن عاشور، هذا الاستئناف، بقوله: "لما كان في قوله ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ﴾ إبهامٌ مّا في المرادِ بالغَرور، عُقِبَ ذلكَ ببيانه، بأن الغَرورَ هو الشيطانُ، ليتقرَّرَ المسنَدُ إليهِ بالبَيَان بَعْدَ الإبْهَام. فَجُمْلَةُ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ تتنزَّلُ مِنْ جُمْلَةِ ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ﴾ مَنْزِلَةَ البيانِ مِنَ المبيَّن، فلذلكَ فُصِلَتْ، ولَم تُعْطَف، وهذا مِنْ دَلالةِ ترتيبِ الكَلام على إرادةِ المتكلِّم، إذ يعلمُ السَّامِعُ مِنْ وقوعِ وصفِ الشيطان عَقِبَ وصفِ الغَرور أن الغَرورَ هُوَ الشيطان... وتأكيدُ الخبرِ بحرفِ التأكيد لقصدِ تحقيقِهِ، لأنهم بغفلتهم عَنْ عداوَةِ الشيطان كحالِ مَنْ يُنْكِرُ أن الشيطانَ عدوٌّ(١١٠). ولَعَلَّ الاستئنافَ بـ(إنَّ) يفيدُ مَعْنَى السَبَبِيَّة، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لِمَاذا ﴿لاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ﴾ فأَجَابَ: بسببِ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، وإِنَّمَا حُذِفَ السَّبَبِيَّةُ الْمُسْتَفَادَة مِنْ (البَاءِ)، أَو (الفَاءِ)، أَو (لِـ)، لأَنَّهُ في تَقْدِيرِ سُؤَالٍ، وَهُوَ (لِمَاذا)، وبِذلِكَ يكونُ النَّصُّ القُرْآنِي يُشَارِكُ الْمُتَلَقّي في تحقيقِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ، وَكَأَنَ (الْمُخَاطَب) في مُوَاجَهَةِ (الْمُخَاطِب) حِيْنَ إِلقَاءِ (الْخِطَاب)، الأَمْرُ الّذِي يُحَقّقُ التَّوَاصُلَ الإِبْدَاعِيَّ عَلَى مَدَارِ الزَّمَنِ بَيْنَ (الْمُخَاطِب)، و(الْمُتَلَقّي).

ومِنْ نَمَاذِجِ الاستئناف باسْمِ الإِشَارَةِ (هذا)، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾(١١١). وتنوينُ (كلٌّ) في قولِهِ: ﴿وَكُلٌّ مِنْ الأَخْيَارِ﴾ عِوَضٌ عَنِ المضافِ إليهِ، أي وكُلُّ أولئكَ الثلاثةِ مِنَ الأَخيار، وقولُه: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ جُملةٌ فَصَلَتِ الكَلامَ السَّابِق عَنِ الكَلامِ الآتِي بَعْدَهَا قَصْدَاً، لانتقالِ الكَلامِ مِنْ غَرَضٍ إلى غَرَض، مِثل جُمْلَة: أمَّا بعد فكذا، ومثل اسمُ الإشارةِ

١٠٥- (سورة الروم: ٥٠).
١٠٦- (سورة يوسف: ٩٠).
١٠٧- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية: ١٦٦.
١٠٨- (سورة فاطر: ٥-٧).
١٠٩- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية: ١٦٩.
١١٠- التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٦٠.
١١١- (سورة ص: ٤٨-٥٠).

المجرَّد(١١٢)، نحو: ﴿هَـٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾(١١٣). وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾(١١٤). وفي هذا السياق، قال الزمخشري: إن "ذلك خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمرُ والشأنُ ذلك(١١٥)، وهو كما "يقول الكاتب إذا فَرَغ من فَصْلٍ مِنْ كتابهِ، وأرادَ الشروعَ في آخر: هذا، وقد كان كَيْت وكَيْت"(١١٦). وهذا الأسلوبُ مِنَ الانتقال هُوَ المسمَّى في عُرْفِ عُلَمَاءِ الأَدب بـ(الاقتضاب)، وهو طريقةُ العَرَبِ ومَنْ يَليهم مِنَ المخَضْرَمِيْن، ولهم في مثلهِ طريقتان: أن يذكروا الخبر، كما في هذهِ الآية، وقول المؤلفين: هذا بابُ كذا، وأن يحذفوا الخبر، لدلالةِ الإشارةِ على المقصود(١١٧). وقَوْلُهُ بَعْدَ آيَاتٍ: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ أي: هذا مَآبُ الْمُتَّقِينَ، ومِنْهُ قَوْلُ الكاتِبِ: هذا وقَدْ كَانَ كَيْت وكَيْت، وإنما صرّح بالخبر في قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ للاهتمامِ بتعيينِ الخبر، وأن المقصودَ مِنَ المشارِ إليهِ التذكر والاقتداء، فلا يأخذ السَّامِعُ اسمَ الإشارةِ مأْخَذَ الفَصْلِ المجرَّد، والانتقال الاقتضابيّ، مع إرادةِ التوجيه بلفظِ (ذكر) بتحميلهِ معنى حُسْنِ السُّمْعَة(١١٨). وأن قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ قد أتى "في أعقابِ الكلامِ ونهايته، وكأنه تكملةٌ أو تذييل"(١١٩). فالله سبحانه وتعالى، قد "أكّدَ تِلْكَ القَصَص باسمِ الإشارةِ، والعطفِ بذكرها على ما سبق، ليؤكِّدَ أمْرَهَا، ويُوَضِّحَ حالَهَا مِنْ أجلِ أن لا يُخالِجَ فيها لَبْسٌ، أو يَعْتَريها رَيْبٌ"(١٢٠). وهذا يُشْبِهُ قولَكَ لِشَخْصٍ: رأيي لَكَ أن تكتُبَ كَذا، وكَذا، ومِنْ ثمَّ تقولُ لهُ، بعد ذلكَ: هذا، وإنَّ الأمرَ إليكَ، فاكتُبْ ما تَرَى، والمعنى هذا الذي أراهُ خيراً لكَ في الدينِ والدنيا، والخيارُ إليكَ في أمْرِكَ، فاختَرْ ما تشاءْ(١٢١)، وعليهِ فإنَّ العنصرَ الاستئنافيَّ (هذا) قَدْ أسهمَ في تحقيقِ الرَّبطِ على المستوى العام مِنَ الخطاب.

ومِنْ صُوَرِ الوَصْلِ بين صِفَتَيْنِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾(١٢٢). وقد حلّل الزمخشري سَبَبَ عَطْفِ صفةِ (وقابِل التوب) بالواو على (غافر الذنب)، وعدم الفصلِ بينهما، كما فُصِلَت صفتا (العليم غافر الذنب) وصفة (شديد العقاب). بقوله: "فإن قلتَ: ما بالُ الواو في قوله ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾؟ قلتُ: فيها نكتة جليلة، وهي إفادةُ الجمع للمذنبِ التائب بَيْنَ رَحْمَتَيْنِ: بَيْنَ أن تُقْبَلَ توبَتُهُ، فَيَكْتُبَهَا لَهُ طاعةً مِنَ الطاعات. وأن يجعلَها مَحَّاءَةً للذنوب، كأن لم يُذْنِبْ، كَأَنَّهُ قَالَ: (جَامِعُ الْمَغْفِرَةِ والقَبُول)(١٢٣). وهذِهِ الْعَنَاصِرُ الْمُعْجَمِيَّةُ التي تَوَالَتْ وتَجَاوَرَتْ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّنَاسُب، تُرَشِّحُها لتحقيقِ مَبْدَأ التَّرَابُطِ النَّصيِّ في هذا الْخِطَابِ القُرْآني.

ومِنْ أَمْثَلَةِ وَصْلِ القُرْآنِ بَيْنَ عِدَّة جُمَلٍ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ

١١٢- التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٨٠.
١١٣- (سورة ص: ٥٥).
١١٤- (سورة الحج: ٣٠).
١١٥- الكشاف: ٣/ ١٥٠.
١١٦- الكشاف: ٤/ ٩٦.
١١٧- التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٨١.
١١٨- م.ن: ٢٣/ ٢٨١.
١١٩- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية: ١٧٠.
١٢٠- الطراز المتضمِّن لأسرارِ البلاغةِ وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ١٩١.
١٢١- الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية: ١٧١.
١٢٢- (سورة غافر: ١-٣).
١٢٣- الكشاف: ٤/ ١٤٥.

سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾[١٢٤]. فالافتتاحُ بـ(إذا) افتتاحٌ مُشوِّقٌ، لأنَّ (إذا) ظرفٌ يستدعي مُتَعَلِّقاً، ولأنهُ أيضاً يُؤْذِنُ بذكرِ جَوَابٍ بَعْدَهُ[١٢٥]، وقَدْ تَكَرَّرَ لِضَخامَةِ الْحَدَثِ وَهَوْلِهِ، فَكُلُّ حَدَثٍ يَحْصُلُ حِيْنَ تَقَومُ السَّاعَةُ هُوَ حَدَثٌ عَظِيْمٌ، ولِهَذا تَكرَّرت (إذا) الظَّرْفِيَّةُ، فإذا سَمِعَهُ السَّامِعُ، ترقّبَ ما سَيَأْتي بَعْدَهُ"[١٢٦]، فيذهبُ ذهنهُ كُلَّ مَذْهَبٍ في تقديرِ الْجَوَابِ، ويَفْتَحُ بَابَ التَّأْويلِ، وفي ذلِكَ مَا يَكْسِبُ الأُسْلُوبَ قُوَّةً ورَوْعَةً وتَأْثِيْرَاً، "فَعِنْدَمَا يَسْمَعُهُ الْمُتَلَقِّي يَتَمَكّنُ مِنْ نَفْسِهِ كَمَالَ تَمَكّن، وتَعَدُّدِ الجُمَلِ الّتِي أُضِيْفَ إليها اثنتي عشرةَ مرَّة، فَإِعَادَةُ كَلِمَةِ (إذا) بَعْدَ وَاوِ العَطْفِ في هذِهِ الجُمَلِ الْمُتَعَاطِفَةِ، إِطْنَابٌ، وهذا الإِطْنَابُ اقْتَضَاهُ قَصْدُ التَّهْوِيلِ، والتَّهْوِيلُ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الإِطْنَابِ والتَّكْرِير"[١٢٧]. وقَدْ ظَهَرَ لَنَا وَاضِحَاً بَعْدَ هذِهِ التطبيقاتِ الّتِي أَلْحَقْنَاها بِتِلْكَ التَّنظيرات، أَنَّ الوَحَداتِ التَّركيبيَّةِ في مَوْضُوعِ الْفَصْلِ والْوَصْلِ إِنَّمَا تُشَكِّلُ بِمَجْموعِهَا بنية كُلِيَّة شَامِلَة، وهِيَ تُؤَدِّي بِكَامِلِ عَنَاصِرِهَا غَرَضَاً كُلِيَّاً وَاحِدَاً، لأَنَّ النَّصَّ وَحْدَةٌ كَلِيَّةٌ شامِلَةٌ لا تَقْبَلُ التَّجْزِيءَ والتَّشظِّي، إلاّ لأَغْرَاضٍ مَنْهَجِيَّة، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ عَمَلِيَّةَ الْفَهْمِ والتَّأْوِيلِ والإِدْرَاكِ إِنَّمَا تَعْتَمِدُ أَسَاسَاً عَلَى مُرَاعَاةِ جَمِيْعِ العَنَاصِرِ الخِطَابِيَّة النصيَّة والْمَقَامِيَّة، لأَنَّ تَجْزِيء النَّصِّ تشويهٌ لِعَمَلِيَّةِ التَّأْوِيلِ وإِقْصَاءٌ لِلْفَهْمِ وإِلْغَاءٌ للإِدْرَاكِ.

١٢٤- (سورة التكوير: ١-١٤).
١٢٥- التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٤٠.
١٢٦- م.ن: ٣٠/ ١٤٠.
١٢٧- م.ن: ٣٠/ ١٤٠.

الفصل الثاني

الاتساق المعجمي في الخطاب القرآني

- التضام
- التكرار
- التناسب

الاتساق المعجمي وأثرهُ في تماسُكِ النص:

الاتساقُ المعجميُّ هُوَ مَظْهرٌ مِنْ مظاهِرِ اتِّساقِ النصِّ يَرْبطُ بَيْنَ جُمَلِهِ بدون وَصْلٍ أو إحالة، وإنَّما عَبْرَ العَلاقاتِ والروابط المعجميَّة القائمة بَيْنَ مُفرداتِ النصِّ ووحداتٍ مِنْ جُمَلِهِ(١). وفي الاتساق المعجميِّ لا يمكنُ الحديث عَنْ العُنْصر المفترِض، والعُنْصر المفترَض، كما هُوَ الأمرُ سابقاً، ولا عَنْ وسيلةٍ شَكليَّة (نحويَّة) للرَّبْطِ بَيْنَ عناصِرَ في النصِّ(٢)، وإنما الحديثُ سيكونُ مُنصبَّاً حول ذلك الترابُطِ النصيِّ الذي يتحقّقُ من خلالِ أزواجٍ من الكلمات المتراصِفة في بنية الخطابِ اللغوي، والتي ترتبطُ فيما بينها بعلاقاتٍ مُعجميَّة تسهمُ في تحقيقِ التماسُك على المستوى العام مِنَ الخطاب، والاتساقُ المعجميُّ على وجهٍ عام إنما يتحقّقُ مِنْ خِلالِ التضام، والتَّكرار، والمناسبة، وهو ما سيعالجه البحثُ في المباحث الآتية.

التضام وأثره في تماسك النص:

التضامُ مِنَ المصطلحاتِ النصيَّة التي تشملُ من حيث المفهومِ عدداً من المداخل البديعيَّة، ويُعَرَّف بأنه: توارُدُ زَوْجٍ مِنَ الكلماتِ ترتبطُ بعَلاقةٍ مُعجميَّة – بالفعلِ أو بالقوَّة – كالطِّباق، والمقابلة، والمشاكلة، والجزئيَّة، والكليَّة، والعمُوم، والخصُوص، وغيرها مِنَ العَلاقاتِ الممكنة بَيْنَ مُفرداتِ النصِّ ووحداته(٣). وهذهِ الموضوعاتُ – التي أشارَ إليها البحثُ في موضوعِ التضام – تدخلُ ضِمْنَ حَقْلِ (البديع) في البلاغةِ العربيَّة، على الرَّغم من أن الكثيرَ مِنَ الموضوعاتِ البلاغيَّة ومِنْ ضمنها المحسناتُ البديعيَّة كانتْ مثار جَدَلٍ حامٍ وانتقادٍ حادّ من قِبَلِ بَعْضِ الدَّراسينَ، لإهمالِها وإهدارِها – حَسْبَ رأيهم – الجانِبَ الوظيفيِّ التواصُليِّ، وتأكيدِهَا على الجانبِ الفنيِّ والزُخرفيِّ المَحْض، فنصَّت البلاغةُ العربيَّة منذ القرن السَّابع الهجري إلى أنَّ "وظيفةَ البديع هِيَ التحسينُ، وأن هذا التحسينَ قد يكونُ في اللفظِ، وقد يكونُ في المعنى، والأوَّل هُوَ تحسينُ اللفظ أو المحسناتُ اللفظيَّة، والثاني هو تحسينُ المعنى أو المحسناتُ المعنويَّة"(٤)، الأمرُ الذي أثارَ شكُوكاً حَوْلَ قُدرتها في مُواكبةِ أساليبِ الحياةِ المعاصِرَة، إلا أن النصيَّةَ قَدْ أكّدتْ مِنْ خِلالِ النماذج التي سنقومُ بعرضِهَا مَدَى إسهامِهَا في تحقيقِ التماسُكِ في الخِطَاب، وأنها لا تَرِدُ في الكَلامِ مُجرَّد حِلْيةٍ لفظيَّة مُتأنقة. وقد أكّد ذلكَ (د.جميل عبدالمجيد)، بقَوْلِهِ: "إن جُلَّ فنون البديع اللفظي (المحسنات اللفظيَّة) تُعَدُّ أدواتِ سَبْكٍ (اتساق) مُجَسَّدَة للاستمراريَّة المتحقِّقَة في ظاهِرِ النصِّ، وأن كثيراً مِنَ العَلاقاتِ الدَّلاليَّة الحابِكة (الانسجام) تتجلّى في كثيرٍ مِنْ فنون البديع المعنوي (المحسنات المعنويَّة)(٥)، كما ذهَبَ الباحِث (صابر الحباشة) بدورِهِ إلى أنَّ المحسناتِ البديعيَّة تُؤدِّي أحياناً وظيفةً حِجَاجيَّة إذا كان استعمالُها يُؤدِّي دوراً في تغييرِ زاويةِ النظر، وعلى العَكْسِ مِنْ ذلكَ، فإذا لم تنتج عَنِ الخِطَاب استمالةُ المخاطب، فإنَّ المحسناتِ لا تعدو كونها زخرفةً لفظيَّة، لتقصيرها عَنْ أداءِ دورِ الإقناع(٦). إذاً هناك نوعان مِنَ المحسنات: مُحسنات تزيينيَّة زُخرفيَّة مُتعلِّقة بالأُسلوب، ومُحسِّنات حِجاجيَّة مُتعلِّقة بالإقناع(٧)، (والقرآنُ الكريم) قد استعملَ هذهِ المحسِّناتِ كآليَّةٍ بلاغيَّةٍ حِجَاجيَّة، أي مِنْ أجلِ مُحاولةِ التأثيرِ في المخاطَبِ، واستمالتِهِ، وإقناعِهِ(٨). وهذا التأثيرُ والإقناعُ لن يتأتَّى إلا مِنْ خلال نصٍّ مُتماسِكٍ مُترابِط، الأمرُ الذي يُحفِّزنا إلى دراسةِ الأبوابِ البديعيَّةِ مِنْ زاويةِ نظرٍ جديدة(*)، إذ إنَّ هُنَاكَ عَدَداً مِنَ المَداخِلِ والأبوابِ البديعيَّةِ تدخلُ ضِمْنَ الاتساقِ المعجميِّ – أو المصاحبة المعجميَّة، أو المتلازماتُ اللفظيَّة (التضام) – كونها تسهمُ مُعجميَّاً في رَبْطِ النصِّ وتلاحُمِهِ، وتتمثلُ هذهِ الأبوابُ والمداخِل في الطِّباق، والمقابلةِ، والمشاكلة، والتَّصدير، والْمُوَازنة، والجناس، ومِنْ هنا فإنَّ إدراجَ الطِّباق فقط ضِمْنَ حَقْلِ (الاتساقِ المعجميِّ) عِنْدَ بَعْضِ النصيين، لهو إهدارٌ للأبوابِ الأُخرى، وتَحْمِيلٌ للمُصْطَلَحِ بِمَا لا

١– الاتساق المعجمي: التضام والتكرار: ٣.
٢– لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٥.
٣– م.ن:٢٥.
٤– البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:٧٥.
٥– بلاغة النص.. مدخل نظري ودراسة تطبيقيَّة:١٨.
٦– التداوليَّة والحجاج مداخل ونصوص:٥١.
٧– فالحجاجُ يُمَثِّلُ الجانِبَ الإقناعي في الخِطَاب، أَو فَنَّ الإقناعِ بالخِطَاب. ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم:٤٥.
٨– الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي:٨٨.
* وإلى ذلكَ ذهَبَ (د.سعد مصلوح)، قائلاً: إنَّ التُّرَاثَ البديعيَّ فِيْهِ مِنَ الغِنَى والخصُوبَةِ مِنْ جِهَةٍ وَسَائِلِ الرَّبْطِ والتَّمَاسُكِ مَا يَسْمَحُ بإعَادَةِ تَشْكِيلِ هذا الْعِلْمِ مِنْ مَنْظُورٍ نَصِيٍّ. ينظر: نحو أجروميَّة النص الشعري:٢٣٧.

يَحْتَمِل، لأن المطابقةَ أو الطِباقَ بَابٌ مِنْ أبوابِ المحسناتِ البديعيَّةِ، وهيَ تختلفُ مِنْ حيثُ المعنى مَعَ المداخِلِ الأُخرى، الأمرُ الذي يفترضُ استقلالَها عَنْ غَيْرِها، ولكن ما يهمُّ البَحْثَ هُنَا أن البديعَ لا يزالُ يحملُ في أطوائهِ إمكاناتٍ تواصليَّة إبلاغيَّة إقناعيَّة مِنْ خِلالِ تجاوُزِ النسقِ المعياريِّ المحدَّد، وهو ما يُؤكِّد سِمَةَ التماسُك النصيِّ بَيْنَ تلكَ المتلازماتِ اللفظيَّة التي تستدعي إحداهما الأُخرى، ومن هنا يتبيَّنُ لنا أن "في البديعِ ثمة فنونٍ تقومُ على ظاهِرَةِ (المصاحبة المعجميَّة)، وتتجلّى في هذهِ الفنون العَلاقات المتعدِّدة والمختلفة بَيْنَ زوجٍ أو أكثر مِنَ الألفاظ، وأولى هذهِ الفنون وأبرزها – نظراً لاعتمادِهَا على أبرزِ تلكَ العَلاقات – (علاقة التباين)، أو (المطابقة)([9])، ويمكن تتبع هذه الظاهرة في النصِّ القرآنيِّ مِنْ خِلالِ اطِّرَادِ مجموعةٍ مِنَ المفردات، في شَكْلٍ ثنائي يشي بالاجتماع والترابُطِ المعنويِّ. مثل: (الحياة/ الروح)، كَمَا تقومُ (المصاحبةُ المعجميَّة) مِنْ خِلالِ عَلاقاتِ (التضاد)، مثل: (الموت/ الحياة). ومن هنا فإن (التضاد) يفيدُ إبراز صُورتَيْنِ على طرفي نقيض، وهو يتخذُ اتجاهاً تركيبيَّاً عامَّاً، مِنْ خِلالِ تشكيلِ صُوَرٍ مُتَنَافِرَة مُتَضَادَّة([10]). حتَّى أن تعريف (البديع) عند محمَّد بن علي الجرجانيّ، فيهِ إشارةٌ واضحة إلى دورِ هذا العِلْمِ في تحقيقِ التناسُبِ بَيْنَ أجزاءِ الكَلامِ، حَيْثُ عرَّفَهُ بقولِهِ: "عِلْمٌ يُعْرَف مِنْهُ وجوه تحسين الكَلام، باعتبارِ نسبة بعض إجزائهِ إلى بعض بغير الإسناد والتعليق، مع رعايةِ أسبابِ البلاغة"([11]). وبعد أن أشارَ البحثُ باقتضابٍ إلى أهميَّةِ بَعْضِ أبوابِ البديع – بوصفها مِنْ وسائِلِ (الاتساق المعجميِّ) – في تحقيقِ الرَّبطِ بَيْنَ العناصِرِ اللغويَّة، آن له أن يفصِّلَ الكلامَ فيها تنظيراً، مع إلحاقها بتطبيقاتٍ تُؤكِّد مَدَى إسهامِهَا في تماسُكِ النصِّ وتلاحُمِهِ، ومِنْ هذهِ المداخِلِ الّتِي تحقِّقُ الاتساقَ الْمُعْجَمِيِّ الطِبَاقُ.

الطباق وأثره في تماسك النص:

الطِبَاقُ في اللغةِ: الجمعُ بَيْنَ الشيئين، فقيلَ طابَقَ البعيرُ في سَيْرِهِ، إذا وَضَعَ رِجْلَهُ مَوْضِعَ يَدِهِ، وهو رَاجِعٌ إلى الجَمْعِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ([12]). فالطِبَاقُ اللغويِّ – الذي أُخِذَ مِنْهُ الصناعيِّ – هُوَ قَوْلُ العَرَبِ: طابَقَ البعيرُ في مَشْيِهِ إذا وضعَ خُفَّ رِجْلِهِ مَوْضِعَ خُفّ يَدِهِ([13]). وقد ذكَرَ ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) عَنِ الخليل (ت١٧٥هـ) أنه قال: "يُقال طابقتُ بَيْنَ الشيئين إذا جمعتهما على حَذْوٍ واحِد"، واستطرد ابن المعتز قائلاً: "وكذلكَ قالَ أبو سعيد – يقصُدُ الأصمعي (ت٢١٦هـ) – فالقائِلُ لصاحبهِ: "أتيناكَ لتسلُّكَ بِنَا سبيلَ التوسُّعِ، فأدخلتنا في ضيقِ الضمان"(*). قد طابقَ بَيْنَ السَّعةِ والضيقِ في الخِطَاب([14]).

وقد ردَّ (ابنُ الأثير) على كُلِّ مَنْ ألّفَ في الصناعةِ هذا البابَ، وقال: إن الجمعَ مِنْ تَسْمِيَتهم الضِدَّيْنِ في هذا البابِ خطأ مَحْض، لأنَّ أصلَ الاشتقاق يقتضي الموافقة لا المُضَادَّة، وهو أولى بالخطأ منهم، لأنَّ القومَ رأَوْا أن البعيرَ قد جمعَ بَيْنَ الرِّجْلِ واليَد في مَوْطِئٍ واحِد، والرِّجْلُ واليَدُ ضِدَّان، أو في معنى الضِدَّيْن، فرأَوْا أنَّ الكَلامَ الذي قَدْ جَمَعَ فيهِ بَيْنَ الضِدَّيْن يحسنُ أن يُسَمَّى مُطابقاً، لأنَّ المتكلِّمَ بهِ قَدْ طابَقَ فيهِ بَيْنَ الضِدَّيْنِ([15]). وقد أجمعَ أصحابُ هذهِ الصناعة على أن المطابقةَ في الكلامِ هِيَ الجمعُ بَيْنَ الشيءِ وضِدِّهِ في جزءٍ مِنْ أجزاءِ الرِّسالةِ أو الخطبة أو البيت من بيوتِ القصيدة، مثل الجمعِ بَيْنَ البياضِ والسواد، والليلِ والنهار، والحرِّ والبرد([16]). أمَّا ثعلب (ت٢٩١هـ) فيُسَمَّى الطباقَ (مجاورةَ الأضدادِ)، ويُعَرِّفُه بأنَّهُ: "ذكرُ الشيء مع ما يعدم وجوده"([17]). وسَمَّاهُ أُسَامَة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، (التَّطبيقَ)، وعرَّفَهُ في كتابهِ (البديع في نقدِ الشِّعْر)، فقال: "إن التَّطبيقَ هُوَ أن تكونَ الكلمةُ ضِدَّ الأُخْرَى"([18]). أمَّا يحيى بن حمزة العلويِّ، (ت٧٤٩هـ)، فإن الطِبَاقَ عنده: "هُوَ أن يُؤْتَى بالشيءِ وبضدِّهِ في

٩– البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١٠٩.

١٠– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٨٩.

١١– الإشارات والتنبيهات، محمد بن علي الجرجاني:٢٥٧. نقلاً عن كتاب البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١٧٤.

١٢– كتاب الصناعتين:٢٧٦.

١٣– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر:١١١.

* أي: أتيناكَ لتخفِّفَ علينا الأمْرَ، وتبحثَ لَهُ عَنْ مَخْرَج، فأدخلتنا في الالتزامِ والتحرُّج. ينظر: البديع تأصيلٌ وتجديد:١٠٩.

١٤– كتاب البديع، لابن المعتز:٣٦.

١٥– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر:١١١.

١٦– كتاب الصناعتين:٢٧٦. والمثل السائر في أدب الكاتبِ والشاعر: ٣/ ١٤٣.

١٧– قواعِد الشعر:٥٣.

١٨– البديع في نقدِ الشِّعْر:٣٦.

الكلام"([19]). فَالطِبَاقُ في الكَلامِ إذاً، هُوَ: "أَنْ يَأْتَلِفَ في مَعْنَاهُ مَا يضاد في فَحْوَاهُ، وَهُوَ جَمْعُكَ بين الضِدَّين في الكَلام([20]). والطِبَاقُ على ضَرْبَيْن: ضَرْبٌ يأتي بألفاظِ الحقيقةِ، وضَرْبٌ يأتي بألفاظِ المجاز، فما كان منهُ بلفظِ الحقيقةِ سُمِّيَ طِبَاقاً، وما كان بلفظِ المجازِ سُمِّيَ تكافؤاً، ومثالُهُ (من الكامل):

حُلْوُ الشَّمَائِلِ وَهو مُرٌّ بَاسِلٌ يَحْمِي الذِمَارَ صَبِيْحَةَ الإِرْهَاقِ

فقولُهُ: "حلو ومرّ" يجري مُجرى الاستعارة، إذ ليسَ في الإنسان ولا في شمائِلِهِ ما يُذاقُ بحاسَّةِ الذَوْق([21]). وقال ابنُ الأثير الحلبي: "أمَّا التكافؤُ فَهُوَ كالطِّبَاق في أَنَّهُ ذِكْرُ الشيءِ وضدَّهُ، لكن يُشْتَرَطُ في التَّكَافُؤِ أن يَكُونَ أحدُ الضدِّيْنِ حقيقةً والآخَرُ مَجَازاً، فبهذا يحصُلُ الفَرْقُ بَيْنَهُمَا". كقول دِعْبِل بن عليٍّ الخُزَاعِي (ت٢٢٦هـ) (مِنَ الكَامِل):

لا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيْبُ بِرَأسِهِ فَبَكَى

فـ(ضَحِكَ المَشِيْبُ)، مجاز، و(بُكَاءُ الرَّجُلِ) حقيقة([22]). ويشتركُ مع التكافؤ مصطلحٌ آخر يُعْرَف بـ(إيهام التضاد)([23]) وهو ما اختارهُ القزوينيِّ، "وهو أن يوهم لفظُ الضِدِّ أنه ضِد مع أنه ليسَ كذلك"([24])، أو "أن تتوهَّمَ التضاد بَيْنَ لفظين، وهُمَا ليسا مُتَضَادَّيْن، وبعبارةٍ أُخرى: هُوَ أن تعبِّرَ عَنْ معنيين غير متضادَّين بلفظين متضادَّيْن"([25]). كقول دِعْبِل الخزاعي السَّابق الذي جمع فيه بَيْنَ (الضَحِك)، و(البكاء)، على الرغم مَنْ أن (ضَحِكَ) مِنْ حَيْثُ المعنى في ذلك السياق ليسَ ضِدَّ كلمة (بَكَى)، لأنَّ ضَحِكَ المشيبُ يقصد بهِ ظهور الشيب بوضوح، فهو كنايةٌ عَنْ كَثْرةِ الشيب، ولكن مِنْ حَيْثُ اللفظ يوهمُ بالمطابقة([26]).

وَأمَّا الطِبَاقُ الذي يأتي بألفاظِ الحقيقةِ فقد قسَّمُوه إلى ثلاثةِ أقسام: طباقُ الإيجاب، وطباق السلب، وطباق الترديد([27]). فمثالُ طباق الإيجاب، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾([28]). ومثلُهُ قولُ أبي صخر الهُذَلي (من الطويل):

أَمَا والّذي أَبْكَى وَأَضْحَكَ والّذي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالّذي أَمْرُهُ الأَمْرُ([29])

أمَّا طِبَاقُ السَّلْبِ، فهو أن يأتي المتكلِّمُ بجملتين أو كلمتين إحداهُمَا مُوجبة (مُثبتة) والأُخرى مَنفيَّة، وقد تكون الكلمتانِ منفيَّتَيْنِ([30]). وذلك نحو قول أبي تمام (من البسيط):

بِيْضُ الْصَّفَائِحِ لا سُوْدُ الْصَّحَائِفِ في مُتُوْنِهِنَّ جِلاءُ الْشَكِّ وَالرِّيَبِ([31])

واندراجُ هذا النمطِ التركيبيِّ ضِمْنَ أشكالِ التخالُفِ يأتي مِنَ التركيبِ ذاتهِ، فلا يحملُ تقابُلاً إلا مِنْ حَيْثُ السَّلْبِ والإيجاب، ثُمَّ اتصال ذلكَ بالمفردات، أي إنَّ المفرداتِ نفسَها لا تحملُ نواةَ التقابُل أو التخالُف، وإنما يتمُّ ذلكَ مِنْ خِلالِ المفهومِ لا المنطوق، فقولي: "أعلم"، يتقابَلُ مع قولي: "لا أعلم"، مِنْ حَيْثُ المفهوم، لأنَّ مفهوم الثاني (أجهلُ)([32])، وهذهِ القضيةُ تقومُ على استحضارِ المفهومِ لا الملفوظ.

١٩- الطراز: ٢/ ١٩٧.
٢٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٥-٦.
٢١- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر:١١١.
٢٢- جوهر الكنز:٨٩.
٢٣- الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٤٠.
٢٤- فنون بلاغيَّة البيان - البديع:٢٧٣.
٢٥- في البلاغة العربية علم البديع:٦٩.
٢٦- م.ن:٦٩.
٢٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر:١١٢.
٢٨- (سورة النجم: ٤٣-٤٤).
٢٩- شرحُ الحماسة، للتبريزي: ٣/ ١١٩. الإيضاح:٢٥٥.
٣٠- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر:١١٤.
٣١- شرح ديوان أبي تمام: ١/ ٣٢.
٣٢- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:٢٤٧.

أمَّا طِبَاقُ الترديد، فهو أن يُرَدَّ آخرُ الكلامِ المطابق على أوَّلِهِ، فإن لم يكنِ الكلامُ مُطابِقاً فهو ردُّ الأعجازِ على الصدور([٣٣]). والتطابُق لا ينبغي أن يُفْهمَ على أنه مجرَّد صناعة، ولكنَّها صناعةٌ هادِفة إلى تبليغِ الرِّسالة بواسطةِ تعادُلِ العناصِرِ المعجميَّة، التي تُصْبِحُ ذات طابعٍ جَمَاليّ تأثيريّ إلى جانبِ طبيعتها المعنويَّة والعَلاقيَّة([٣٤]). أضف إلى ذلك أن "العنصرَ الجماليُّ في الطِبَاق هُوَ ما فيهِ مِنَ التلاؤمِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبارِ أنَّ المتقابِلاتِ أقربُ تخاطُراً إلى الأذهانِ مِنَ المتشابِهَاتِ والمتخالِفَاتِ"([٣٥]). وقد ذهَبَ (د.أحمد عبدالمجيد) إلى أن الطِبَاقَ وسيلةُ إيضاحٍ جيِّدة تُعْرَضُ بها الأشياءُ أو الصفات، ثم يعرض ما يقابلها في المعاني. وهي تنشط الفاعليَّة الإدراكيَّة، وتؤدِّي إلى تداعي المعاني المعاكسة، وتوسِّعُ ملكة التخيُّل والوهم، وتوقظُ الإحساس، وتؤجِّجُ العاطفة، وتستفز الشعور مِنْ خِلالِ تسليطِ الضوءِ على المفارقات([٣٦])، تلكَ المفارقات التي تسهمُ في تحقيقِ الرَّبطِ بَيْنَ العناصِرِ المعجميَّة.

الطِبَاق في الخطابِ القرآني:

مِنْ صُوَرِ الطِبَاق في الخطـاب القرآنـي، قولُـهُ تعـالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا تَحۡيَىٰ ٧٤﴾([٣٧]). فهناكَ في هذِهِ الآيةِ طِبَاقٌ بَيْنَ ﴿لاَ يَمُوتُ﴾، و﴿لاَ يَحْيَا﴾ "فلا هُوَ مَيْتٌ لأَنَّهُ يُحِسُّ بالعـذاب، ولا هُـوَ حـيٌّ، لأَنَّـهُ في حَالةِ الموتُ أهْوَنُ مِنْهَا، فالحياةُ المنفيَّة حياةٌ خاصَّة، وهِيَ الحياةُ الخالِصَة مِنَ العَـذابِ والآلام، وبـذلكَ لَـمْ يَتَنَـاقَضْ نفيهـا مـع نفـي الموت"([٣٨]). والمعنى: "إن مَنْ يَلق الله تعالى وهو مجرمٌ بكفرهِ ومعاصيهِ، فإنَّ له جهنَّمَ لا يموت فيها فينتهي عذابه، ولا يحيا حياةً طيِّبة ينتفعُ فيها بالنعيم المقيم، فهو يألمُ كما يألمُ الحيُّ، ويبلغُ بهِ حالة الموت في المكروه، والعَرَبُ تقول: فلانٌ لا حـيٌّ ولا مَيْـتٌ، إذا كـان غير مُنتفع بحياتِهِ، كما قالَتْ زوجُ صخر حينَ سُئِلَتْ عنهُ وهو مريض: لا هُوَ حيٌّ فيُرْجَى، ولا مَيْـتٌ فيُنْعَـى"([٣٩]). فالحيـاةُ والمـوت عُنْصُران مُتنافيان، وهذا التضادُّ القائم بَيْنَهُمَا يُسهمُ في تحقيقِ التماسُكِ النصيِّ من خلالِ استدعاءِ أحـدِهِما للآخَـر، فـالمتلقي لهـذهِ الآية يتلمَّسُ بوضوح ذلكَ الترابُط النسيجيِّ بَيْنَ مُفردتي (الموتِ)، و(الحياة)، فلفظُ الموتُ يثيرُ في الـذهن كلمـةَ الحيـاة، والعكـسُ صحيح، فالنقيضُ يستدعِي نقيضَهُ بالضرورة، الأمرُ الذي يَكْشِفُ عَنْ حركةِ الذهنِ في التحرُّكِ بَيْن صُورتين، إذ إن الصُـورةَ الأُولى تستدعِي الصُورةَ الثانية رغم تضادِّهما، وهذا التداعِي الحاصِل بَيْنَ هذين المتلازمين يُعزِّز مِنْ قوَّةِ التضامِّ المعجميِّ في هذهِ الآيـة، إذ إنَّ لفظةَ (الموتِ) هُنَا تستحضِرُ ما يُقابلها، وهِيَ (الحياة)، ذلك العنصر المعجميّ الّذِي يَتداعى إلى الذهنِ مُباشرةً باستحضـارِ لفظـةِ (الموت)، وعليهِ فإنَّ لِهذِهِ الوحداتِ المعجميَّة خاصيَّة الإلحاق الأفقي على المستوى العام مِنَ الخطاب.

ونظيرهُ قولُهُ تعـالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾([٤٠]). فالتطابقُ القائِم بَيْنَ ﴿لاَ يَمُـوتُ﴾، ﴿وَلاَ يَحْيَـا﴾ في هـذهِ الآيـةِ يُـوحي بدلالاتِ عِدَّة، وقد أومأ إليها (الطاهر بن عاشور)، بقوله مُشيراً إلى حال من يتعـذَّبُ في نـارِ جهـنَّم: "إنَّ تـردُّدَ حالِـهِ بَـيْنَ الحَيَـاةِ والموتِ وهو في عذابِ الاحتراق عذابٌ أشدّ مِـمَّا أَفَادَهُ أنه في عذابِ الاحتراق، ضرورة أن الاحتراق واقِعٌ، وقد زِيْدَ فِيْهِ درجة أنه لا راحة منه بموت، ولا مخلص منه بحياة. فمعنى ﴿لاَ يَمُوتُ﴾: لا يزولُ عنه الإحسـاسُ، فـإن المـوتَ فقـدانُ الإحسـاس. وتعقيبـه بقولهِ: ﴿وَلاَ يَحْيَا﴾ احتراسٌ لِدَفْعِ توهُّمِ أن يراد بنفي الموت عنهم، أنهم استراحُوا مِنَ العَذابِ لِمَا هُوَ مُتَعَـارَفٌ مـن أنَّ الاحـتراقَ يُهْلِكُ المحرَق، فإذا قيل: ﴿لاَ يَمُوتُ﴾ توهَّم المنذَرون أن ذلكَ الاحتراقَ لا يبلغ مبلغ الإهلاك، فيبقى المحرَقُ حيًّا فيظنُّ أنـه إحـراق

٣٣- م.ن:١١٥.
٣٤- تحليل الخطاب الشعري.. استراتيجيَّة التناص:٢٦-٢٧.
٣٥- البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٣٧٨.
٣٦- بين المقابلة والطباق في الآيات القرآنية:٣.
٣٧- (سورة طه:٧٤).
٣٨- التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٦٨.
٣٩- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٣٦٢.
٤٠- (سورة الأعلى: ٩-١٣).

هيِّن، فيكون مسلاةً للمُهَدَّدِين، فَلِدَفْعِ ذلكَ عطف عليه ﴿وَلاَ يَحْيَا﴾، أي حياة خالصة مِنَ الآلامِ، والقرينةُ على الوَصْفِ المذكور مُقابلة ﴿وَلاَ يَحْيَا﴾ بقولهِ: ﴿يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا﴾. ولَيْسَ هذا من قبيل نفي وصفين لإثبات حالةٍ وسَطٍ بَيْنَ حالتيهما، مثل: ﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾[41]. وقول إحدى نساء أم زرع: "لا حَرّ ولا قُرّ"، لأن ذلكَ لا طائِلَ تَحْتَهُ. ويجوزُ أنْ نجعلَ نفي الحياة كنايةً عَنْ نفي الخلاصِ بناءً على أن لازمَ الإحراقِ الهلاكُ، ولازمَ الحياة عَدَمُ الهلاكِ. وفي الآية مُحَسِّنُ الطِبَاق لأجل التضاد الظاهِرِ بين ﴿لاَ يَمُوتُ﴾ ﴿وَلاَ يَحْيَا﴾[42]. أضف إلى ذلك أنَ التناقضات تؤكِّد جدليَّة العَلاقةِ بَيْنَ العُنْصُرَيْن، وهذا التطابقُ يَجْعَلُ حركةَ الذهنِ دائبةً بَيْنَ صُورتين مُتضادَّتَيْنِ على مَشْهَدِ هذهِ الآية، وهاتان الصورتانِ – رغم تضادِّهما – تعملانِ على عَقْدِ رابطةٍ تماسُكيَّة على المستوى الكُلّي مِنْ هذا الخطاب.

ومِنْ أمثلةِ طِبَاقِ الإيجابِ، قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[43]. وهذا كلامٌ مَسُوقٌ لبيانِ فضلِ التوبة المذكورة التي هِيَ الإيمانُ بعد الشِرْك، لأنَّ ﴿مَنْ تَابَ﴾[44]، مُستثنى مِنْ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾[45]. فتعيَّن أن السيئات المضافة إليهم هِيَ السيِّئات المعروفة، أي التي تقدَّمَ ذكرها الواقعةُ منهم في زمنِ شِرْكِهم. والتبديلُ: جعلُ شيءٍ بَدَلاً عَنْ شيءٍ آخر، أي: يجعلُ الله لهم حسناتٍ كثيرة عِوَضاً عَنْ تلكَ السيِّئاتِ التي اقترفوها قَبْلَ التوبة[46]. ومُطابقة الحسنات بالسيِّئاتِ في هذا الخطاب تؤذنُ بالتضامِّ المعجميِّ الذي يُؤدِّي بدورهِ إلى تماسُكِ النصِّ وتلاحُمِهِ، أضف إلى ذلكَ أن "الطِبَاقَ في الآية الكريمة يبعثُ الراحة النفسيَّة في قلب السَّامِع أو القارئ حين يقرأُ المعنى وضِدَّهُ مِمَّا يخطرُ ببالهِ، فيتأكّدُ المعنى في ذهنهِ، لإيرادهِ باللفظِ الدَّال عليهِ أوَّلاً، ثُمَّ بضِدِّهِ ثانياً، فيصيرُ المعنى جميلاً، ويتمكّنُ مِنَ النَّفْسِ"[47]، وعليهِ فإنَّ الجمع بَيْنَ الصُوَرِ المتضادّة إنَّما يعملُ على تحقيقِ التفاعُل الدّلالي بينها.

ومن صُوَرِ الطِبَاقِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾[48]. وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ اللّهُ...﴾، أي: مَنْ لَمْ يشأ هديه فلم يُقلِعْ عَنْ ضلالهِ، فلا سبيلَ لهديهِ، والمعنى: إنَّ ذلكَ لنقصٍ في الضالّ لا في الكتابِ الذي مِنْ شأنهِ الهدى[49]. وقد ذهبَ (ابنُ عاشور) في تحليلِ هذهِ الآيةِ إلى القول: "وأريدَ مِنْ نفي الهادي مِنْ قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ نفيُ حصُول الاهتداء، فكُنِيَ عَنْ عدمِ حصُولِ الهُدَى بانتفاءِ الهادي، لأنَّ عدمَ الاهتداءِ يجعلُ هاديهم كالمنفي"[50]. والخطابُ القرآنيِّ هنا قد طابقَ بَيْنَ ﴿يُضْلِلْ﴾ وهو فعل، و﴿هَادٍ﴾ وهو اسم، وَسَبَبُ الانتقال مِنَ الفِعْلِ إلى الاسْمِ أَنَّهُ لا يَصِحُّ أَخْذُ وَصْفٍ لله جلّ وعلا مِنَ الفِعْلِ (يُضِلُّ) فلا يُقَالُ: (مُضِلٌّ) وَصْفاً لله سُبْحَانه تعالى، وإنْ كانَ الفِعْلُ واقِعاً مِنْهُ، وَأَمَّا (يَهْدِي)، فَالْوَصْفُ الْمُشْتَق مِنَ الفِعْلِ هُوَ (هَادٍ)، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله وأَوْصَافِهِ، وَأَصْلُ الْمُطَابَقَةِ فِي هذِهِ الآيَةِ بَيْنَ اسْمِ واسْمٍ، وَلَكِنْ لَمَّا امْتَنَعَ الْوَصْفُ لله مِنَ الفِعْلِ (يُضْلُّ) وَقَعَتْ الْمُطَابَقَةُ بَيْنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ – الّذِي هُوَ الأَصْلُ في الاشْتِقَاقِ للأَوْصَافِ – وَاسْمُ الفَاعِلِ (هَادٍ)، فَأَسْهَمَتِ الْمُطَابَقَةُ في إِثَارَةِ مَعَانٍ عقائديَّةٍ وَسُلُوكيَّةٍ حَقّقَتِ التَّرَابُطَ في هذا الخِطَاب.

ونظيرهُ قولُهُ تعالى: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[51]. وقولُهُ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: في بستانٍ عالٍ رفيع، وقولُهُ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي: ما يُقْطَفُ مِنَ الجنَّة مِنْ ثمارِها دانٍ قريب[52]. فالخطابُ القرآنيُّ هنا قد طَابَقَ بَيْنَ العُلوِّ والدُنُوِّ،

41- (سورة النور: ٣٥).
42- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٨٦-٢٨٧.
43- (سورة الفرقان: ٧٠).
44- (سورة الفرقان: ٧٠)
45- (سورة الفرقان: ٦٨).
46- التحرير والتنوير: ١٩/ ٧٦.
47- وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربيَّة:١٩.
48- (سورة الزمر: ٢٣و٣٦)، (غافر: ٣٣).
49- التحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٩٢.
50- التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٤.
51- (سورة الحاقة: ٢٢-٢٣).
52- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣/ ٢٣٣.

والمطابقةُ بَيْنَ العَالي والدَّاني – كعُنْصُرَيْنِ مُعجميين مُتضادَّيْنِ – في هذهِ الآية، تسهمُ في تحقيقِ الترابُطِ النصيِّ، كما يَلْحَظُ المتلقي مِنْ خِلالِ هذا المشهد – الذي يجمعُ بَيْنَ العُلوِّ والقُرْب – حركةً تفاعُليَّة بَيْن مُتضادَّيْنِ يَسْتَدْعِي أحدُهُمَا الآخَر، ويُؤكِّد أولُهما الثاني، فالجنةُ رغم عُلُوِّها وارتفاعِهَا فإنَّ ثمارَهَا دانيةٌ قريبة مِنْ أصحابِها، وهذا التخالُفُ المعجميِّ قد عزَّز من قوَّةِ الاتساقِ بَيْنَ تلكَ العناصِرِ اللغويَّة.

ومِنْ الطِبَاقِ كذلك، قولُهُ تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾([٥٣]). وفي هذهِ الآيَة يقول الباري لنبيِّهِ ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسولهِ ﴿يُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ الواجِبَةَ على وجهها، ويُؤَدُّوها كما أرادها الله، ويُدِيموا عليها، ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، أي: ويُصَدِّقُوا بَعْضَ مَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ الرِّزْق والعَطَاء، ويُؤَدُّوا الزكاةَ الوَاجِبَة عليهم، ﴿سِرًّا﴾، أي: خفيةً، ﴿وَعَلاَنِيَةً﴾، أي: جَهْرَاً. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هُوَ يومُ القيامة ﴿لاَ بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاعُ المقَصِّرُ مَا يَتَلافَى تقصيرَهُ بِهِ، أو يفتدي بِهِ من عذابِ الله بدفعِ عوض عَنْ ذلك، وتخصيصُ البَيْعِ بالذكر، لاستلزامِ نفيهِ نفيَ الشِّرَاءِ، ﴿وَلاَ خِلاَلٌ﴾ فيهِ، أي، ولا مخاللةَ وصداقَةَ فيهِ، فيشفع له خليل، وينقذه مِنَ العذاب([٥٤]). والمقصودُ مِنْ قولِهِ: ﴿سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ هو تعميمُ الأَحْوَالِ في طَلَبِ الإنْفَاق، لكيلا يَظُنُّوا أنَّ الإعلانَ يَجُرُّ إلى الرِّيَاءِ، كَمَا كانَ حالُ الجاهليَّة، أو أنَّ الإنفاقَ سِرًّا يفضي إلى إخفاءِ نعمةِ الله، فيجرُّ إلى كُفْرَانِ النعمة([٥٥]). والعُنْصُرَانِ المعجميَّان ﴿سِرًّا﴾، ﴿وَعَلاَنِيَةً﴾ يَدْخُلان ضِمْنَ ما يُسَمَّى بعَلاقةِ (الطِّبَاق)، وذلكَ لوجودِ تضاد واضِح بَيْنَهُما، حَتَّى أنهما غالباً ما يُذكران معاً، وأنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الآخَر، وهذا الاستدعاءُ الحاصِل بَيْنَهُما يُسْهِمُ في ترابُطِ النصِّ واتِّسَاقِهِ.

ومِنَ إيهامِ الطباقِ، قولُهُ تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾([٥٦]). وقولهُ: ﴿سُرُرٌ﴾ جمع سرير، وهو ما يُجْلَس عليه، ولما كان الارتفاعُ عَنِ الأرضِ مأخوذاً في مفهومِ السُرر كان وصفها بـ(مرفوعة) لتصوير حُسنها. و﴿مَوْضُوعَةٌ﴾، أي: لا تُرفَع مِنْ بَيْنِ أيديهم كما تُرْفَع آنيةُ الشراب في الدنيا إذا بلغَ الشاربُونَ حَدَّ الاستطاعةِ من تناولها. وبَيْنَ ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾، و﴿مَوْضُوعَةٌ﴾، إيهام الطِبَاق، لأن حقيقةَ معنى الرَّفع ضِدَّ حقيقةِ معنى الوضع، ولا تضادَّ بَيْنَ مجازِ الأَوَّل، وحقيقة الثاني، ولكنه إيهامُ التضادِّ([٥٧]). وعلى الرغم مِنْ أن التخالُفَ بَيْنَ هذينِ العُنْصُرَيْنِ المعجميين يُوهمانِ بالتضاد، إلا أنهما مع ذلكَ يُسهمانِ في تحقيقِ الترابُطِ في هذهِ الآية.

ومِنْ طباقِ السَّلْبِ، قولُهُ تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾([٥٨]). وإتيانُ الموت: حلوله، أي: حلولُ آلامهِ وسكراته، بقرينةِ قوله ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، أي: فيستريح([٥٩]). والمعنى تأتيهِ أسبابُ الموتِ مِنْ كُلِّ الجهات، لكنه ليس بميتٍ حقيقةً فيستريح([٦٠]). والتحرُّكُ بَيْنَ السَّلْبِ والإيجاب يدفعُ الدَّلالةَ إلى أن تأخذ شكلاً تفاعليًّا بَيْنَ الطرفين، كما أن التنقّلَ بَيْنَ المنطوق والمفهوم يضفي على النَمَطِ التخالُفي السلبيِّ حيويَّةً بَيْنَ البُعْدِ المنطقي الذهني، والبُعْدِ العاطفيِّ النفسيِّ، ويتمُّ التخالُف السلبي بأدواتِ النفي المألوفة التي تحيلُ التماثُل إلى تخالُف([٦١])، أضف إلى ذلكَ أن (ما) النافية قد سَاهَمَتْ في تعميقِ التخالُف بَيْنَ العُنْصُرين المعجميين، فكانت بذلكَ وسيلةً تعبيريَّة أفادت إحداث المفارقة في هذا الخطاب.

٥٣- (سورة إبراهيم: ٣١).
٥٤- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٤/ ٤٠٧-٤٠٩.
٥٥- التحرير والتنوير: ١٣/ ٢٣٣.
٥٦- (سورة الغاشية: ١٣-١٤).
٥٧- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٢.
٥٨- (سورة إبراهيم: ١٧).
٥٩- التحرير والتنوير: ١٣/ ٢١١.
٦٠- حدائق الروح والريحان: ١٤/ ٣٦٦.
٦١- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:٢٤٧.

وقَدْ يكونُ مَعْنَى الطِبَاقِ خفيًّا غيرَ مُبَاشِر، نحو قولِهِ تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾(٦٢). فالمطابقةُ هنا بَيْنَ (أُغرقوا)، و(أُدخلوا ناراً)، لأن إدخالَ النَّارِ معناهُ الإحراق، والإحراقُ هُوَ ضِدَّ الإغراق(٦٣). فالإغراقُ مِنْ صفاتِ الماء، فكأنهُ جَمَعَ بَيْنَ الماءِ والنَّار، وهما متضادان وهِيَ أخفى مطابقةٍ في القرآن(٦٤). فإدخالُ النَّارِ ليسَ ضِدَّ الإغراقِ في المعنى، ولكنهُ يستلزمُ ما يُقابِلُهُ وهو الإحراق، فإنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ احترق، والاحتراقُ ضِدَّ الغرق(٦٥). أضف إلى ذلكَ أن كلمةَ ﴿أُغْرِقُوا﴾ متأتية مِنْ جهةِ الماء، و(أُدْخِلُوا) ارتبطت بالنَّار، فكانَ التضادُ معنويًّاً بين الماءِ والنَّار"(٦٦). ويمكننا من خلال هذه الآية رصدُ الشبكةِ العَلائقيَّة بَيْنَ كَلِمَةِ (الإغْرَاق)، وكَلِمَةِ (الإدْخَال). وقد أومأ سيد قطب إلى هذا التضاد المعنوي المقصود، بقولِهِ: "فَبِخَطِيْئَاتِهِمْ وذنُوبِهِمْ وَمَعْصِيَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارَاً. والتَّعْقيبُ بالفَاءِ مَقْصُودٌ هُنَا، لأنَّ إدخَالَهُمُ النارَ مَوْصُولٌ بِإغْرَاقِهِمْ، والفَاصِلُ الزَّمَنِيُّ القصيرُ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، لأَنَّهُ في مَوَازِيْنِ الله لا يُحْسَب شَيْئَاً. فالتَّرتيبُ مع التَّعقيبِ كائِنٌ بَيْنَ إغْرَاقِهِمْ في الأَرْضِ، وإدْخَالِهِم النَّارَ يوم القيامة... والمسافة بين الإغراق والإحراق هِيَ في حرف الفاء..! على طريقةِ القُرْآن في إيقاعاتِهِ التعبيريَّةِ والتصويريَّةِ المبدعة"(٦٧)، تلك الإيقاعاتِ التي تجسِّدُ الحدث، وكأنه مُشاهد محسوس لحظة تلقينا الخطاب.

المقابلةُ وأثرها في تماسُكِ النَّصِّ:

ومِنَ الأبواب البديعيَّة التي تُحقِّق الترابُط النصيِّ هِيَ المقابلةُ بَيْنَ العناصِرِ المعجميَّةِ في الخطابِ القرآنيِّ، الأمر الذي يُؤكِّد وظيفتها الاتساقيَّة، مُقابل وظائفها الفنيَّة والجماليَّة، وقد فصَّل علماء البديع في دراسةِ هذا الباب، ووَضَعُوا لهُ تعريفاتٍ عديدة، ومنها التعريفُ الذي تواضَعَ عليهِ قُدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ)، فقال: "ومِنْ أنواعِ المعاني وأجناسها أيضاً صِحَّةُ المقابَلات، وهي أن يصنعَ الشَّاعِرُ معاني يريدُ التوفيقَ بَيْنَ بَعْضِهَا وبَعض، أو المخالفة فيأتي في الموافِق بما يُوافِق، وفي المخالِف بما يُخالِف على الصِحَّة، أو يشرط شروطاً ويُعَدِّدُ أحوالاً في أحد المعنيين، فيجبْ أنْ يأتي فيما يُوافِقهُ بمثلِ الذي شَرَطَهُ وعَدَّدَهُ، وفيما يُخالِف بأضدادِ ذلكَ، كما قال بعضُهُم (من الطويل):

فَوَا عَجَبَاً كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرُ

فَقَدْ أتي بإزاءِ كُلِّ ما وَصَفَهُ مِنْ نفسهِ بِمَا يُضادّهُ على الحقيقةِ مِمَّنْ عَاتَبَهُ، حيثُ قَابَل (النُّصْحَ) بـ(الغِلِّ)، وَقَابَلَ (الْوَفَاءَ)، بـ(الغَدْرِ)"(٦٨). وقد تناولَهَا أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابهِ (الصناعتين) وقال إن المقابلةَ هَيَ: "إيرادُ الكلامِ، ثم مقابلته بمثلهِ في المعنى واللفظِ على جِهَةِ الموافقةِ أو المخالفة"(٦٩)، والمقابلةُ عند ابن رشيق القيرواني، (ت٤٥٦هـ) هي: "مُواجهةُ اللفظِ بِمَا يستحقه في الحُكْمِ، وأَصْلُهَا تَرْتيبُ الكَلامِ عَلَى مَا يَجِبُ، فيُعْطَى أوَّلُ الكَلامِ مَا يَليقُ بِهِ أَوَّلاً، وآخرهُ مَا يَليقُ بِهِ آخراً، ويأتي في الموافقِ بِمَا يُوافِقُهُ، وفي المخَالِفِ بِمَا يُخَالِفُه. وأكثر ما تجيءُ المقابلةُ في الأَضْدَادِ، فإذا جاوَزَ الطِبَاق ضِدَّيْنِ كان مُقابلةً(٧٠). وفي هذا البَابِ "قَالَ عليُّ بن الحُسَيْنِ الْقرشي: سألتُ جعفرَ بن قُدامة الكاتِب، وكان مِنْ جَهَابِذَةِ الشِّعْرِ عَنِ الْمقابلةِ، فقالَ: سألتُ أبي عنها، فقال: "هُوَ أنْ يَضَعَ الشَّاعِرُ معانيَ يعتمدُ التوفيقَ بَيْنَ بَعْضِهَا وبَعض، أو المخالفةَ، فيأتي بالموافِقِ مَعَ ما يُوافِقه، وفي المخالِفِ بِمَا يخالِفُه على الصِّحَة، أو يشترطَ شرُوطاً، ويُعَدِّدَ أَحْوالاً في أحَدِ المعنَيَيْن، فيجب أن يأتيَ فيما يُوافِقُه بمثل الذي شرطَ فيما يخالُفه بأضدادِ ذلكَ(٧١). وَقَدْ ذهَبَ ابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) إلى أَنَّ المقابَلَةَ هِيَ "أن يأتي المتكلِّم بلفظين مُتوافقين

٦٢- (سورة نوح:٢٥).
٦٣- البلاغة العربية علم البديع:٧٠.
٦٤- البديع في نقد الشعر:٣٦.
٦٥- في البلاغة العربية علم المعاني والبيان والبديع:٤٩٩.
٦٦- التقابُل والتماثل في القرآن الكريم: ٥٣.
٦٧- في ظلال القرآن: ٦/ ٣٧١٦.
٦٨- نقد الشعر:١٤١. والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ١٥.
٦٩- كتاب الصناعتين:٣٠٤.
٧٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ١٥.
٧١- حلية المحاضرة في صناعة الشعر: ١/ ١٥٢. ونضرة الإغريض في نصرة القريض:١٢٥.

فأكثر، ثُمَّ بأضدادها أو غيرها على الترتيب، وهذا أحدُ الفرقين بَيْنَهُما وبَيْنَ المطابقة"(٧٢). في حين عرَّفها السجلماسي (ت١٢١٤هـ)(*)، بأنها "ترتيبُ الكَلامِ على ما يَجِبُ فيُعْطَى أوَّلُ الكَلامِ ما يَليقُ بهِ أوَّلاً، وآخِرُه ما يليقُ بهِ آخِرًا"(٧٣). وقد يلحَظُ المتلقي في هذهِ التعريفات التي عرضها البحثُ بعضَ التشابُهِ والتقارُب، والهدفُ مِنْ ذلكَ هو تحديد دلالةِ المصطلحِ بدقّة، لأنَّنا في بعضِ التعريفاتِ قد نتلمَّسُ إضافاتٍ دقيقة تفيد البحث وتغنيه، أمَّا الهدفُ الثاني فهو معرفة مدى التطور الذي حَصَلَ في ميدان البحثِ البلاغيِّ.

المقابلة في الخطابِ القرآني:

ومِنْ صُوَرِ المقابلةِ قولُهُ تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾(٧٤). فَمِنْ خِلالِ هذهِ الآياتِ يلْحَظُ المتلقي – من تلقاء نفسِهِ – جُمْلَةً مِنَ الصوَرِ التقابليَّةِ المتلاحِقَة، والتي أُخِذتْ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ القِيَامَة، وهِيَ تتقابَلُ مع آياتٍ أُخرى مُوحية بَلْ ومشحونة بالحركةِ والفاعليَّة، وهي تتوالى تباعاً بَعْدَهَا، وتتمثَّلُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾(٧٥). فالمقابلةُ – هُنَا – واضحةٌ بَيْنَ الجنَّة والنَّار، وبَيْنَ الكفّار والأخيَار "بَيْنَ كُلِّ كفّارٍ عنيد، وبَيْنَ كُلِّ أوَّابٍ حفيظ، بَيْنَ كُلِّ منَّاعٍ للخير مُعتدٍ مريب، وبَيْنَ مَنْ جاءَ بقلبٍ منيب، بَيْنَ مَنْ يجعلُ مع الله إلهاً آخر وبَيْنَ مَنْ خَشِيَ الرَّحمن بالغيب. بَيْنَ مَنْ يُقال لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾(٧٦). ومَنْ يُقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾(٧٧)، وبَيْنَ مِمَّنْ كُمِّمَتْ أفواهُهُم فلا يَنْطِقُون ولا يَعْتَذِرُون، وبَيْنَ مَنْ أُطلِقَتْ مَشِيْئَاتُهُم وَرَغَبَاتُهُم في الجنَّة، فَيَطْلُبُون فيها ما يَشْتَهُون ويَجِدُون فيها فَوْقَ مَا يتخيَّلُون ويَتصوَّرُون"(٧٨). وهذهِ المقابلة بَيْنَ نعيمِ الجنَّةِ وعذابِ النَّار تثير خيال المتلقي، وتنشطُ ذاكرته، وتُؤدِّي إلى تداعي المعاني الواحِدَة منها تلو الأُخرى، أضِفْ إلى ذلكَ أن المقابَلَةَ بَيْنَ المفرداتِ المعجميَّة قد أسهمت في تحقيقِ الترابُط النصيِّ في الخطابِ القرآنيِّ.

ومِنْ شواهِدِ المقابَلَةِ، قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾(٧٩). وقولُهُ تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾(٨٠). وقولُهُ تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾(٨١). فالملاحَظُ هُنَا في هذا الخِطَابِ أَنَّ الْمُقَابَلَةَ قَدْ حَصَلَتْ –

٧٢– أنوار الربيع في أنواع البديع، ١: ٢٩٨.

* السجلماسي: هُوَ أبو محمَّد القاسِم بن محمَّد بن عبدالعزيز الأنصاري السجلماسي، و(سجلماسة) مدينة عريقة تقع في جنوب المغرب الأقصى. ينظر: حياته وشخصيته ضمن كتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع:٤٦.

٧٣– المنزع البديع:٣٤٥.

٧٤– (سورة ق: ٢٤–٢٦).

٧٥– (سورة ق: ٣١–٣٤).

٧٦– (سورة ق: ٢٨).

٧٧– (سورة ق: ٣٤).

٧٨– الجوانب الأدبيَّة والبلاغيَّة في القصة القرآنية:١٤٧.

٧٩– (سورة الواقعة: ١٠–١٤).

٨٠– (سورة الواقعة: ٢٧–٣٠).

٨١– (سورة الواقعة: ٤١–٤٤).

عَلَى امْتِدَادِ هذِهِ السُّورةِ – بَيْنَ أَطْرَافٍ ثلاثة، إذ ذكَرَ القُرْآنُ الكريم أَصْحَابَ الْجَنَّةِ، وَجَعَلَهُمْ طَرَفَيْنِ، أَحَدُهُمَا وُصِفَ بِالْمُقَرَّبِيْنَ، أَمَّا الآخَرِ فَقَدْ وُصِفَ بـ(أَصْحَابِ اليمين)، وَهُمْ يُمَثِّلُون أَدْنى مَرْتَبَةً مِنْهُمْ، وَبِذلِكَ حَصَلَتِ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْجِنَانِ وَبَيْنَ الْمَنَازِلِ الَّتِي هِيَ أَدْنَى مِنْهَا، وهذِهِ الْمُقَابَلَةُ الْحَاصِلَةُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ هِيَ مُقَابَلَةً مَعْنَوِيَّة، ثُمَّ قَابَلَ مَرَّةً أُخْرَى بَيْنَ هذا الطَّرَفِ وَهُمْ (أَصْحَابُ اليَمين) مَعَ طَرَفٍ آخَر، وَهُمْ (أَصْحَابُ الشِّمَال)، وهذِهِ الْمُقَابَلَةُ هِيَ مُقَابَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَمِنْ حَيْثُ التَّحليلُ النصيِّ فَإِنَّ هذِهِ الْمُقَابَلاتُ قَدْ حَقَّقَتْ تَرَابُطاً نسيجيًّا في هذا الخِطَابِ القُرْآنِيِّ، وَمَا يُلْحَظُ هُنَا أَيْضاً أَنَّ مَوْضُوعَ أَصْحَابِ اليمين، وَوَصْفُ مَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ النَّعيم يَخْتَلِفُ وَيَنْمَازُ عَنْ أَصْحَابِ الشِّمَال وَمَا يَتَلَقَّوْنَهُ، وَلَكِنَّ الْقَارئَ لِلنَّصِّ لا يَلْحَظُ أَيَّ تَفَاوُتٍ في الْمَوْضُوعَيْن، بَلْ يَرَى انْسِجَاماً وَتَعَالُقاً بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ حَقَّقَتْهُ الْمُقَابَلَةُ الَّتِي هِيَ أَحَدُ مَحَاوِرِ الاتِّسَاقِ الْمُعْجَمِيِّ. "والمسوِّغ الفنيِّ لهذا التعدُّدِ بَيْنَ الأطراف، إنَّمَا يتمثَّلُ في طبيعةِ التفاوت الّذي يَطْبَعُ النَّاسَ فيما يتعلّق بتصنيفهم أُخرويًّا"([82]). وعَلَيْهِ فَإِنَّ العَلاقَةَ الضِدِّيَّةُ بَيْنَ هذِهِ الآيَاتِ الّتِي تَتَحَدَّثُ بَعْضُهَا عَنِ نعيمِ الجَنَّة، وتَتَحَدَّثُ الأُخْرَى عَنِ عذاب النَّار، هِيَ الّتِي تُبْرِحُ التَّمَاسُكَ النَّصِيِّ فيها([83])، فضلاً عن تحقيقِ سِمَةِ التواصُلِ والاستمراريَّة في أثناءِ تلاوتها.

ومِنْ نماذِجِ المقابَلَةِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾([84]). فالخطابُ القرآنيِّ سُمِّيَ أهلَ الجنَّة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾، وسُمِّيَ أهلَ النَّارِ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ في سورةِ الواقعة، فقولُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾، أي: أصحابُ الكرامَةِ عِنْدَ الله. وقولُهُ: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾، أي: هُمْ محقرون، وذلكَ كنايةٌ مُبنيَّةٌ على عُرْفِ العَرَبِ يَوْمَئِذٍ في مَجَالِسِهِم([85]). وأصحابُ الميمنةِ: هُمُ الذين يأخذون كُتُبَهُم بأيمانِهِم، وأصحابُ المشأمة: هُمُ الذينَ يأخذون بشمائلهم، أو الذين يكونون على يمينِ العَرْشِ، فيأخذون طريقَ الجَنَّةِ، والذينَ يكونون على شمالِ العَرْشِ فيُفْضَى بِهِم إلى النَّار([86]). والملاحَظُ هُنَا أنَّ النصَّ (قابَلَ) بَيْنَ أصحابِ الميمنة والمشأمة مِنْ خِلالِ كَوْنِ أُولاهما مُتميِّزة بـ(الإيمان)، و(الصبر)، و(المرحمة)، وكَوْنُ أُخْرَاهُمَا مُتميِّزة بـ(الكفر)، وإنَّها مِنْ أَصْحَابِ الجحيم. فالتقابُلُ بَيْنَ الفريقَيْنِ جَاءَ مُتَفَاوِتاً، حَيْثُ إنَّ الموقِفَ فَرَضَ تفصيلاتٍ لأَصْحَابِ الميمنة مُخْتَلِفَة عَنِ التفصيلاتِ المرتبطةِ بأصحابِ المشأمة([87])، وعليهِ فإن التقابُلَ بَيْنَ هذين الفريقين – في هذا الخطاب – قد حقق ترابُطاً نسيجيًّا واضِحاً.

ومِنْ أمثلةِ المقابَلَةِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾([88]). ومعنى الآياتِ إنَّ أهلَ الثوابِ – وهُمُ الأبرار – يكونون في دار النعيم، وإن أهلَ العذابِ – وهُمُ الفُجَّار – يكونون في دارِ الجحيم، دار العذاب الأليم([89]). وهُناكَ في هذهِ الآياتِ توازن كَمِّي بَيْنَ المفرداتِ المتقابَل فيما بينها، حَيْثُ (توازَنَتْ) سِمَة (نعيم) مع سِمَةِ (جحيم) المقابِلَة لها، والمسوِّغ الفني لجعلِ التوازُن في سِمَةٍ واحِدَة هو: أنَّ النصَّ كان في صَدَدِ المقابلة بَيْنَ (الأبرار) و(الفجَّار) بنحوٍ مُطْلَق مِنَ الجزاءِ الأُخرويِّ، وهُوَ: النعيمُ أو الجحيم([90]). وهذا التقابُل المعجميِّ بَيْنَ العناصِرِ اللغويَّة (الأبرار)، و(الفجَّار)، والـ(نعيم)، والـ(جحيم)، قَدْ أسهمَ في تحقيقِ التماسُك النصيِّ على امتدادِ هذا الخطاب.

٨٢- القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي:١٦١-١٦٢.
٨٣- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ١٤٧.
٨٤- (سورة البلد: ١٧-١٩).
٨٥- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦٢-٣٦٣.
٨٦- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٨/ ٣٤٧.
٨٧- القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي:١٦٢-١٦٣.
٨٨- (سورة الانفطار: ١٣-١٤).
٨٩- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١/ ٢٠١.
٩٠- القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي:١٦٣.

ونظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٩١]. والمعنى: فأمَّا مَنْ تكبَّر وتجاوَزَ الحدَّ، وآثرَ الحياةَ الدُنيا وشَهَوَاتِها على ثَوَابِ الآخِرَةِ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ ومُسْتَقَرُّهُ، وأمَّا مَنْ حذَّر وقوفَهُ بَيْنَ يَدَي ربِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، واسْتَشْعَرَ عَظَمَتَهُ وجَبَرُوتَهُ، وجَنَّبَ نَفْسَهُ عَنِ الوُقُوعِ في مَحَارِمِهِ، فالجَنَّةُ مَثْوَاهُ وقَرَارُهُ[٩٢]. فالمتلقي لهذِهِ الآياتِ يَلْحَظُ بوضوح تِلكَ الصُوَرِ التقابليَّة المتوازنَة بَيْنَ المفرداتِ المعجميَّة، حَيْثُ "تقابَلَتْ سِمَتَان اثنتان، وهُمَا ﴿طَغَى﴾، و﴿وَآثَرَ﴾ مع السِمَتَيْنِ المقابِلَتَيْنِ لَهُمَا، وَهُمَا ﴿خَافَ﴾، و﴿وَنَهَى﴾، كما تقابَلَ ﴿الْجَحِيمَ﴾ مع ما يُقَابِلُهَا، وهيَ ﴿الْجَنَّةَ﴾"[٩٣]. والمسوِّغ الفني لجعل التوازن في سِمَتَيْنِ، هُوَ: أنَّ النصَّ كان في صَدَدِ الحديثِ عَنْ ظاهرتَيْنِ مِنْ سُلُوكِ الإنسان، وَهُمَا: المرحلةُ النظريَّة، (وهِيَ: الخوفُ أو عدمه)، والمرحلةُ العمليَّة، (وهِيَ: مُمَارَسَةُ الفِعْلِ مُتَمَثِّلَةً في نهي النَّفْسِ عَنِ الهَوَى مُقَابِلَ الانصياعِ لَهُ)[٩٤]، وهذا التقابُلُ التَّفَاعُليِّ بَيْنَ العَنَاصِرِ المعجميَّة يُحَقِّقُ اتساقاً نصيًّا على امتدادِ هذا الخطاب القرآني.

ومِنْ صُوَرِ المقابلات التي تواردَ بعضُها إثر بعضٍ، قولُهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[٩٥]. ومعنى الآيات: إن مَنْ أعطى المالَ وأنفقَهُ في وجوهِ الخيرِ، سواء كان واجباً عليهِ أم لا، كالصدقاتِ والنَّوافِلِ، لأنَّ مَعْنَى الإعطاءِ هُوَ إنفاقُ المالِ في جميعِ الوجوهِ الخيريَّة، وابتعدَ عَنْ كُلِّ ما لا ينبغي، وأدَّى حقوقَ اللهِ عليهِ بامتثالِ المأموراتِ، وأداءِ الواجباتِ[٩٦]. وقد استعملَ الخطابُ القرآني مُطْلَقَ الإعطاءِ حتَّى يَدْخُلَ فيه كُلَّ ما يتصوَّرُه الذهنُ من وجوهِ الإعطاء، كإعطاءِ حقوقِ المال، وحقوقِ النفسِ في طاعةِ اللهِ، وغيرها. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أي: بالخصلةِ الحُسْنَى، وهي الإيمان، أو الكلمةِ الحُسْنَى، وهِيَ كلمةُ التوحيد، أو بالملةِ الحُسْنَى، وهِيَ مِلَةُ الإسلام، أو بالمثوبَةِ الحُسْنَى، وهِيَ الجنَّةُ، والحُسْنَى تأنيثُ الأحسن، فَسَنُيَسِّرُهُ أي: فَسَنُهَيِّئُهُ ونوفِّقُهُ ﴿لِلْيُسْرَى﴾، أي: للخصلةِ التي تُؤَدِّي إلى يُسْرٍ ورَاحَة، كدخولِ الجنَّةِ ومباديهِ، والمعنى: فَسَنُيَسِّرُ لَهُ الإنفاقَ في سبيلِ الخيرِ، والعملَ بالطّاعَةِ لله تعالى التي تُؤَدِّيهِ إلى الجنَّة"[٩٧]. وقولُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾، أي: وأمَّا مَنْ أمْسَكَ مالَهُ، أو أنْفَقَ في شهواتِهِ، ولَمْ يُنْفِقْهُ فيما يقربُ مِنْ رَبِّهِ، وخَدَعَتْهُ ثروتُهُ وجاهُهُ، فظنَّ أنهُ بذلكَ لا يحتاجُ إلى أحد، وهو معنى قولِهِ ﴿وَاسْتَغْنَى﴾، أي: زهِدَ فيما عِنْدَ اللهِ مِنَ الأجر والثواب، ولم يرغب فيه، وكأنه مُسْتَغْنٍ عَنْهُ، أو استغنى بشهواتِ الدنيا عَنْ نعيمِ الآخِرَة[٩٨]. وقد ذهَبَ (ابن عاشور) إلى أنَّ قولَهُ: ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ جُعِلَ مُقَابِلاً لـ﴿وَاتَّقَى﴾، والمرادُ بهِ الاستغناءُ عَنْ امتثالِ أَمْرِ اللهِ ودعوتِهِ، لأنَّ المصرَّ على الكُفْرِ المعْرِضَ عَنِ الدَّعْوَةِ يَعُد نفسَهُ غنيًّا عَنِ اللهِ، مكتفياً بولايةِ الأصنامِ وقومِهِ[٩٩]. وقولُهُ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، أي: ما ذُكِرَ مِنَ المعاني المُتلازِمَةِ التي هِيَ الإيمانُ، أو كلمةُ التَّوحيدِ، أو مِلَةُ الإسلامِ، أو الجنَّة. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، أي: فَسَنُهَيِّئُهُ للخَصْلَةِ المُؤَدِّيَةِ إلى العُسْرِ والشِدَّة، كدخُولِ النَّارِ ومُقَدِّمَاتِهِ، لاختيارِهِ لها، وقيلَ: (العُسْرَى): الشرُّ، وذلكَ أنَّ الشرَّ يُؤَدِّي إلى العَذابِ، والعُسْرَةُ في العَذابِ، والمعنى عليهِ: سَنُهَيِّئُهُ للشرِّ بأنْ نُجْرِيهِ على يدهِ، ونُسَهِّلُهَا لَهُ حَتَّى تَتَعَسَّرَ عليهِ أسبابُ الخيرِ والصَّلاحِ، ويَضْعُفُ عَنْ فِعْلِهَا، فَيُؤَدِّيهِ ذلكَ إلى النَّار[١٠٠].والمعنى الكليُّ للآياتِ: أننا سَنَجْعَلُ دخُولَ هذا الجَنَّةَ سريعاً، ودخولَ الآخِرِ النَّارَ سريعاً، بشبهِ الميسَّر مِنْ

٩١- (سورة النازعات: ٣٧-٤١).
٩٢- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١/ ٩٢-٩٣.
٩٣- القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي:١٦٣.
٩٤- م.ن:١٦٤.
٩٥- (سورة الليل: ٥-١٠).
٩٦- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٦٤-٦٥.
٩٧- م.ن: ٣٢/ ٦٤.
٩٨- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٦٦.
٩٩- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٨٢.
١٠٠- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٦٦-٦٧.

صعُوبةٍ، لأنَّ شأنَ الصَّعْبِ الإبطاءُ، وشأن السَّهْلِ السُّرْعَةُ[١٠١]. وقوله: ﴿كَذَّبَ﴾، و﴿وَصَدَّقَ﴾، وقوله (اليُسْرى)، و(العُسْرى)، مِنْ بابِ الطِباقِ اللفظيِّ، وقوله ﴿أَعْطَى﴾ مع قوله ﴿بَخِلَ﴾، فإنَّما هُوَ مِنَ الطِباق المعنويِّ، لأنَّ المعنى في ﴿أَعْطَى﴾، كَرُمَ، ليطابِقَ ﴿بَخِلَ﴾ في معناه دون لفظه[١٠٢]. فهناكَ في هذهِ الآياتِ إذاً صُورٌ تقابليَّة عِدَّة، فقوله: ﴿مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ يُقابِلُ مَنْ ﴿مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ يُقابِلُ مَنْ ﴿صَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أمَّا ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ في مقابَلَةِ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، فالمساعي بَيْنَ النَّاسِ مختلفة مُتباعِدَة، لأنَّ منهم المؤمنُ والكافِر، والمطيعُ والعاصي، ومَنْ يسعى لاتقاءِ النَّار، ومَنْ يَلْقَى بنفسهِ فيها، نتيجةً لاتقاءِ الله أو الاستغناءِ عَنْهُ، فكانتْ هذهِ الصُوَرُ المتقابِلَة في تواتُرٍ عجيب، لتحدِّدَ لنا هذينَ الصنفينِ مِنَ النَّاس، وجزاءَ كُلِّ فريقٍ منهم[١٠٣]. ونلحظُ في هذهِ الآياتِ أنه قد (توازنت) ثلاثُ سِمَاتٍ هِيَ (أعطى)، و(اتقى) و(صدَّق) مع سِمَاتٍ ثلاثة مُقَابِلَة لَهَا، وهِيَ (بخل)، و(استغنى)، و(كذَّب)، ومِنَ الوَاضِح، أنَّ لكُلٍّ مِنْ هذهِ الأعداد: مُسَوِّغَاتُه الفكريَّة والفنيَّة، والمسوِّغ الفني لِجَعْلِ التوازُن في ثلاثِ سِمَاتٍ، هُوَ: أنَّ النصَّ كانَ بصَدَدِ التَّأكيدِ على ثلاثِ ظَوَاهِرَ يَسْتَهْدِفُهَا، وهِيَ: الإنفاق، والتَّقْوَى، والتَّصديق باليوم الآخر، بصفةِ أنَّ الإنفاقَ يَظَلُّ واحِداً مِنْ أهمِّ المبادئ التي يُركِّزُ النصُّ القرآنيُّ عليها في ميدان السُلُوكِ، بصفةِ أنَّ التَّقْوَى تَجْسيدٌ لِقِمَّةِ العَمَلِ العِبَادِيِّ، وبصفةِ أنَّ الإيمانَ باليَوْمِ الآخِرِ واحِداً مِنْ أَهَمِّ المبادىء التي تَحْمِلُ الشَّخْصَ على مُمَارَسَةِ الإنفاق والتَّقْوَى[١٠٤]، وهذِهِ الكثافةُ التقابليَّة تقدِّمُ شبكةً مِنَ العَلاقاتِ التي تتقاطَعُ فيما بينها في خُطُوطٍ مُتشابكة، أضف إلى ذلكَ أن حُزَمَ التقابُلاتِ المعجميَّة تَتَبَادَلُ العَلاقاتِ جدليَّاً، وصولاً إلى درجةِ الاكتمالِ الدَّلاليِّ[١٠٥]، أو الاكتمال النصيِّ.

ومِنَ شواهِدِ المقابَلَةِ، قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾[١٠٦]. والمعنى: إن هؤلاءِ الذين اجترحُوا المعاصي، وأنكرُوا الحقَّ الواضِح بَعْدَ أن عَرَفُوهُ، كما يعرفُون أبناءَهُم، يُجازيهم رَبُّهُمْ بالعِقَابِ الذي لا يخلصون مِنْهُ أبداً، فيُدْخِلُهم ناراً تلظّى جزاءَ ما كَسَبَتْ أيديهم، وجزاءَ إعراضِهِمْ عَمَّا دَعَا إليهِ الدَّاعِي، وهَدَتْ إليهِ الفِطْرَةُ، والإشارةُ بقولِهِ: ﴿أُوْلَٰئِكَ﴾ البُعَدَاءُ المذكورون، إلى مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الكتابِ والمشركين المتصفينَ بالكَوْنِ في نار جهنَّم والخلودِ فيها، ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، أي: شرُّ الخليقةِ[١٠٧]. والإخبارُ عَنْهُمْ بالكَوْنِ في نارِ جهنَّم إخبارٌ بِمَا يَحْصُلُ في المستقبل بقرينةِ مقامِ الوعيد، فإنَّ الوعيدَ كالوَعْدِ يتعلّقُ بالمستقبل[١٠٨]. فالّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورسولهِ وبِمَا بُعِثُوا به، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، بأنْ جَمَعُوا بَيْنَ الإيمانِ والعِلْمِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، أُوْلَئِكَ هُمْ خير الخليقة[١٠٩]. وفي تحليلِ هذهِ الآية ذهَبَ (ابن عاشور)، بقولِهِ: "قوبلَ حالُ الكَفَرَةِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وحالُ المشركين بحالِ الّذينَ آمنُوا، استيعاباً لأَحْوَالِ الفِرَقِ في الدُّنيا والآخِرَة، وجَرْيَاً على عادَةِ القُرْآن في تعقيبِ نذارةِ المنذَرِيْنَ بِبِشَارَةِ المطمئنين، وما ترتَّبَ على ذلكَ مِنَ الثناءِ عليهم"[١١٠]. أضف إلى ذلكَ أن تلكَ الصُور التقابُليَّة، والتي تتمثَّلُ في قولِهِ: ﴿إِنَّ الّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿إِنَّ الّذِينَ آمَنُوا﴾، و﴿أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، و﴿أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قد حقّقت تماسُكاً نصيَّاً واضحاً على مستوى هذا الخطاب.

١٠١- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٨٤.
١٠٢- الطراز: ٢/ ٢٠٠.
١٠٣- فن البديع: ٥١.
١٠٤- القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي: ١٦٤.
١٠٥- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي: ١٨٦، و١٩٣.
١٠٦- (سورة البيِّنة: ٦-٧).
١٠٧- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٢١٧.
١٠٨- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٨٣.
١٠٩- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٢١٨.
١١٠- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٨٥.

ومِنَ أشكالِ المقابَلَـةِ، قولُـهُ تعـالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ...﴾(١١١). وقولـه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ...﴾(١١٢). ومعنى الآية: "وسيقَ الكافرون بربِّهم، المشركون بهِ الأصنامَ والأوثانَ، إلى جهنَّم سَوْقاً عنيفـاً، أَفْوَاجاً مُتَفرِّقةً بَعْضُهَا في إثرِ بَعْضٍ، بِحَسَبِ ترتُّبِ طبقاتِهم في الضَّلالِ والشرِّ، بِزَجْرٍ وتهديدٍ وَوَعِيْد، كما يُسَاقُ المجرِمُون في الـدنيا إلى السجُون جَمَاعَاتٍ جَمَاعَات، مع الإهانةِ والتحقير على ضرُوبٍ شَتَّى"(١١٣). وفي تحليلِ هذهِ الآية ذهَبَ (ابنُ عاشور) إلى أنهـم "إنَّمَا جُعِلُوا زُمَرًا لاختلافِ دَرَجَاتِ كُفْرِهِم، فإنْ كَانَ المرَادُ بالذينَ كَفَرُوا مُشْرِكي قُرَيْش المقصودين بهذا الوعيد كـان اخـتلافهم على حَسَبِ شِدَّةِ تَصَلّبِهِم في الكُفْرِ، وإنْ كَانَ المرادُ بهم جميعُ أَهْلِ الشِرْكِ – كما تقتضيهِ حِكَايَةُ الموقِف – كَانَ تَعَدُّدُ زُمَرِهِمْ على حَسَبِ أنواعِ إشراكِهِم"(١١٤). والصورة الْمُقَابِلَة لهؤلاءِ هي صورة الّذين أتقوا رَبَّهُمْ، فكان جزاؤهُمْ أن يُسَاقَ بِهِمْ إلى الجَنَّةِ جماعةً إثر جماعة، المقرَّبُون فالأبرار، ثم الذين يلونهم ثُمَّ الذينَ يلونهم، كُلُّ طائِفَةٍ مِنْهُم مع مَنْ يُشَاكِلُهُم، الأنبياءُ مع الأنبياءِ، والصدِّيقُون مع أشكالِهِم، والشُهَدَاءُ مع أضرابِهِم، والعُلَمَاءُ مع أقرانِهِم"(١١٥). وفي قولِهِ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ...﴾ "أُطْلِقَ على تَقْدِمَـةِ المـتَّقينَ إلى الجَنَّةِ فِعْلُ السَّوْقِ على طريقةِ المشاكَلَةِ لـ﴿سِيقَ﴾ الأوَّل، والمشاكَلَةُ مِنَ المحسِّناتِ، وهِيَ عِنْدَ التحقيقِ مِنْ قبيلِ الاستعارَةِ التي لا عَلاقةَ لها إلا بالمشابَهَةِ الجُمَلِيَّة التي تحمل عليها مُجَانسَةُ اللفظِ، وجَعلهم زُمَـرًا بحسـبِ مَرَاتِـبِ التَّقْـوَى"(١١٦). والملاحَـظُ في هـذهِ الآيات أَنَّهُ قد تَـمَّ التقابُلُ بَيْنَ عَدَدٍ مِنَ العَنَاصِرِ المعجميَّة، وهِيَ: ﴿الّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿الّذِينَ اتَّقَوْا﴾ و﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، و﴿إِلَـى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، وهذا التقابُل اللغويِّ – التي يُمثِّلُ شبكةً غنيَّة مِنَ العَلاقات – قد أَحْدَثَ تَمَاسُكاً نصيًّا واضحاً في هذا الخطاب.

ونظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾(١١٧). فقولُـهُ: ﴿قَـدۡ أَفۡلَـحَ﴾، أي: فـاز بكـلِّ مطلوبٍ، ونجا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ﴿مَنْ زَكّاهَا﴾، أي: مَنْ زَكّى نفسَهُ ونماها، حتَّى بَلَغَتْ غايةَ مَا هِيَ مُسْتَعِدَّة لَهُ مِـنَ الكَمَـالِ العَقْلـيِّ والعَمَلِيِّ. وقولُهُ: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾، أي: خَسِرَ نفسَهُ، وأوقعها في التهلكةِ، ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾، أي: أضلّها وأغواهـا، وحَـالَ بينهـا وبَـيْنَ فِعْلِ الخَيْرِ، ودسَّاها أصلُها (دسَّ) وهو فِعْلٌ يُسْتَعْمَلُ في وَصْفِ مَنْ أدخَلَ شيئاً تَحْـتَ شـيءٍ فأخفـاهُ، والمعنـى: أخفاهـا بـالفجورِ، ومجانَبَةِ البِرِّ والقُرُبَاتِ(١١٨). وقد ذهَبَ (ابن عاشور)، إلى أن قولَهُ تعالى: ﴿قَد أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، يعني: "أفلحَ مِنْ زكّـى نفسَـهُ، واتَّبَعَ ما أَلْهَمَهُ الله مِنَ التَّقْوَى، وخابَ مَن اختارَ الفجورَ بَعْدَ أنْ أُلْهِمَ التمييزَ بَيْنَ الأَمْـرَيْنِ بـالإدراكِ والإرشـادِ الإلهـيِّ"(١١٩). وفي هذهِ الآيةِ قد توازَنَتِ الأَطْرَافُ الأربعة ﴿أَفْلَحَ﴾، و﴿خَابَ﴾، وهُمَا الطّرَفَان الأَوَّلِيَّان، مع ﴿زَكّاهَا﴾، و﴿دَسَّاهَا﴾، وَهُمَا الطّرَفَـان الآخَرَان(١٢٠)، وعليهِ فإنَّ أشكالَ التقابُلَ المتوازنِ بَيْنَ هذهِ الأطراف الأربعةِ قَدْ مثلت آلية حجاجيَّـة عمـدت إلى اسـتمالَةِ المتلقِّـي ومِنْ ثم التأثير في سلوكهِ، فضلاً عَنْ تحقيقِ مبدأ الترابُط النصيِّ.

ومِنْ أبرعِ المقابلاتِ ذلكَ التقابُل الذي يعرضهُ القرآن مُصَوِّراً فيهِ العذابَ الحسيِّ والنعيمَ المادِّي، كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ

١١١– (سورة الزمر: ٧١).
١١٢– (سورة الزمر: ٧٣).
١١٣– تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٥/ ٨٢.
١١٤– التحرير والتنوير: ٢٤/ ٦٩.
١١٥– تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٥/ ٨٤.
١١٦– التحرير والتنوير: ٢٤/ ٧١.
١١٧– (سورة الشمس: ٩–١٠).
١١٨– تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٤٣–٤٥. والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧١.
١١٩– التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٠.
١٢٠– القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي:١٦٥.

﴿٦﴾﴾([121]). وفي مقابل هذا العذاب الحسيِّ تأتي صورة النعيم الماديِّ بعدها مباشرةً، كما في قولهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾([122]). فالمقابَلَةُ واضحةٌ في كُلِّ جزئيَّةٍ مِنَ الجزئيَّاتِ التي تُصَوِّرُ حالةَ الكافرينَ وعذابِهِمْ، وحالةَ المؤمنينَ ونعيمِهم([123]). والمسوِّغُ الفنيِّ لهذا النَّمَطِ مِنَ التقابُلِ هُوَ: أنّ النصَّ الفنيَّ يتميَّزُ عَنْ غيره بكونه يترك للمتلقي – بعد أن ينتهي من تلقيهِ – انطباعاً عاماً عَنْ أفكارهِ الرئيسة، بحيث يتحسَّسُها بصورةٍ مَلْحُوظة([124]). فالمخاطَب الذي يتلقى سورةَ الغاشية، مَثلاً، لا بُدَّ وأن تَتَداعى على ذهنِهِ صُوَر القِيَامَة ومشاهدها التي (تتقابَلُ وتتضاد) فيما بينها، فإذا ما تلقّى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ تَدَاعى على ذهنهِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾، الأمر الذي يجعله يتحسَّسُ بَلْ يتلمَّسُ العذابَ والنعيمَ في مشاهِدَ مُتقابلة الواحدة تلقاء الأُخرى، والصُوَر التقابليَّة تتلاحَقُ في هذا الخطاب المشحون بأجواءٍ مُشبَّعة بالتوتر والانفراج، فهناك وجوه ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ وهناك وجوهٌ ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾، و﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ في مُقابلةِ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾. "وهذا التقابُل القائِم بَيْنَ العناصِر المعجميَّة هو مِمَّا يشحنُ اللغةَ بدفقاتٍ عاطفيَّة وفكريَّة مُكَثَّفة لها خاصيَّةٌ دلاليَّة"([125])، وعليهِ فالتَّقابُل بَيْنَ المشاهِد الحسيَّة إنما يُسهم في إقناعِ المخاطَبِ واستمالتهِ للتركيزِ على القضيَّة الأساسيَّة في الخطاب.

ومِنْ نماذِجِ المقابَلَةِ، قولُهُ تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾([126]). وقولُهُ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾، أي: حَذَّرْتُكُمْ وخَوَّفْتُكُم يا أَهْلَ مكّة في القُرْآن ﴿نَارًا﴾ هائِلَة عظيمة ﴿تَلَظّى﴾، أي: تتوقّدُ وتتوهّج، وأصلُهُ: تتلظّى، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التاءَيْنِ للتَّخفيف، فإنَّ النَّارَ مؤنَّث وُصِفَتْ بِهِ، ولَوْ كَانَ ماضياً، لقيلَ: تلظّت مع أنَّ المرادَ بوصفها دوامُ التلظّي بالفِعْلِ الاستمراريِّ. ﴿لاَ يَصْلاَهَا﴾، أي: لا يَصْلَى تِلْكَ النَّار صلياً لازماً، ولا يدخلُها دخولاً مُؤَبَّداً ﴿إلاّ الأَشْقَى﴾، أي: إلا الزائِدُ في الشقاوة، وهو الكَافِر، فإنه أشقى مِنَ الفاسِق، لأنَّ الفاسِقَ لا يصلى النَّارَ صَلْياً لازمَاً، ولا يدخلُها دخولاً أبديَّاً. ﴿الّذِي كَذَّبَ﴾ بالحقِّ الذي جاءَتْ بِهِ الرُّسُل ﴿وَتَوَلّى﴾، أي: أَعْرَضَ عَنِ الطّاعَة والإيمان. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾، أي: ويبعد عَنْ تِلْكَ النَّار بحيث لا يسمعُ حسيسها ﴿الأَتْقَى﴾، أي: المبالِغُ في الإتقاءِ عَنِ الكُفْرِ والمعَاصِي، فلا يَحُومُ حَوْلَها، فَضْلاً عَنْ دخُولِهَا، أو صَلْيها الأبديِّ، ﴿الّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾، أي: يُعْطيهِ ويصرفه في وجوهِ البرِّ والحَسَنَاتِ، حالَ كَوْنِهِ ﴿يَتَزَكّى﴾، أي: يطلُبُ أنْ يكونَ زاكِيَاً عِنْدَ الله لا يريدُ بِهِ رياءً ولا سُمْعَة، أو مُتَزَكِياً مُتَطَهِّراً مِنَ الذنوبِ، ومِنْ دَنَسِ البُخْلِ([127]). والملاحَظُ في هذهِ الآية العديدُ مِنَ الصُوَرِ التقابليَّة بَيْنَ العَناصِرِ المعجميَّة والتي تتمثَّلُ في ﴿يَصْلاَهَا﴾ و﴿سَيُجَنَّبُهَا﴾، و﴿تَوَلّى﴾، و﴿يَتَزَكّى﴾ و﴿الأَشْقَى﴾، و﴿الأَتْقَى﴾، وهو ما يؤكِّدُ قوَّة المفارقة التعبيريَّة والتوترات الدلاليَّة التي تزدادُ حِدَّةً مِنْ خِلال التقابُل بَيْنَ تلك العناصِرِ اللغويَّة التي تُشَكِّلُ أَنساقاً تخالفيَّة مِنْ حَيْثُ البناءُ اللغويِّ([128]). والْمَلْحُوظُ في موضُوعِ الْمُقَابَلَةِ أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ حينَ يُقَابِلُ بَيْنَ صُورَتَيْنِ في آياتِ الْوَعْدِ والوعيد، فَإِنَّ هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ إِمَّا أَنْ تكونا في الحياةِ الدُّنيا، فتكونُ الْمُقَابَلَةُ بِالْعَمَلِ والْكَسْبِ، وَإِمَّا أَنْ تكونا في الدَّارِ الآخِرَةِ، فَتكونُ الْمُقَابَلَةُ بحالِ أَصْحَابِ النَّعِيمِ مع حالِ أَصْحَابِ الجحيم، فلا يُقَابَلُ العَمَلُ الصَّالِحُ في الدُّنيا مَعَ حال أَصْحَابِ الكَسْبِ السَّيْءِ، بَلْ يُقَابَلُ العَمَلُ بالعَمَلِ، والحَالُ بالحَالِ، وهكذا يثيرُ القُرْآنُ قضيَّةً مُهِمَّةً عِنْدَ الْمُتَلَقِّي، وَهِيَ أَنَّ الْمُوَازَنَةَ لا بُدَّ أَنْ تكونَ بَيْنَ صُورَتَيْنِ يَصِحُّ فيهِمَا الْمُقَابَلَةُ بِأَنْ يَتّفِقَا في الْمُقَارَنَةِ، إِمَّا بذِكْرِ الذَّوَاتِ، أَوِ الصِّفَاتِ، أَوِ الأَفْعَالِ، فَلا يَصِحُّ مُقَابَلَةُ ذاتٍ مَعَ فِعْلٍ، وَلا صِفَةٍ مَعَ حدث.

١٢١- (سورة الغاشية: ١-٦).

١٢٢- (سورة الغاشية: ٨-١٢).

١٢٣- فن البديع:٥١.

١٢٤- القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي:١٥٧.

١٢٥- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:١٩٥.

١٢٦- (سورة الليل: ١٤-١٨).

١٢٧- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٦٩-٧١.

١٢٨- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:١٤٧، و١٩٩.

المشاكلة وأثرها في تماسُكِ النص:

المشاكلةُ مِنَ الأبوابِ البديعيَّةِ التي تدخلُ ضِمْنَ الاتساقِ المعجميِّ، كونها تسهمُ مُعجميًّاً في رَبْطِ النصِّ وتلاحُمِهِ، وقد عرَّفها القزويني (ت٧٣٩هـ) بأنّهَا: "ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِهِ لوقُوعهِ في صُحْبَتِهِ، تحقيقاً أو تقديراً"(١٢٩). واللامُ في تعريفِ المشاكلةِ في (لوقوعهِ) توقيتيَّة، أي: وقت وقوعِ ذلكَ الصَّاحِب مع غيرِهِ(١٣٠). فالمشاكلةُ تأتي بمصاحبةِ اللفظِ للفظ، ولولا ذلك لما كانت هناك ثمة مشاكلة. "فهذا الوقوعُ تسبَّبَ في أنْ يأتي على شاكِلَتِهِ، ويترك معناهُ الحقيقيِّ الموضوعُ لهُ أصلاً وَقْتَ مُجَاوَرَتِهِ لذلكَ الغير، فيكونُ استخدامُهُ على غيرِ سبيلِ الحقيقةِ"(١٣١). والمشاكلةُ عند الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) هي: "الْجَمْعُ بَيْن كَلِمَتَيْنِ مُتَجَاورَتَيْنِ أو غير مُتَجَاورَتَيْنِ شكلهما واحِد، ومَعْنَيَاهُمَا مُخْتَلِفَان"(١٣٢). والمشاكلةُ في القرآن عند القاضي عبدالجبار (ت٤١٥هـ) تجري على طريقةِ العربِ في الخِطَابِ، وهي أن يُسْتَعْمَل للثاني اللفظُ الأوَّل، توسُّعاً وتجوزاً، طالما أن الثاني يُشاكِلُ الأوَّل(١٣٣). ويُؤكِّد الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) هذا التوجُّهَ بقوله: إنَّ مِنْ شأن العَرَبِ أن تُسمَّى الشيءَ باسْمِ ما يُقارِبُه، ويُصاحِبهُ، ويشتدُّ اختصاصه وتعلّقهُ بهِ، إذا انكشفَ المعنى وأُمِنَ الإبْهَامُ"(١٣٤). وقولُهُ "ما يقاربه ويُصاحِبُهُ" تأكيدٌ على المصاحبةَ المعجميَّة نفسها إذ إنها "تقومُ على أساسٍ مِنْ تضامٍّ مَجْمُوعةٍ مِنَ المفرداتِ، في سِجلاتٍ دلاليَّةٍ، تحكمُ تعالقها، فيستدعي أحدُها الآخر"(١٣٥). والمشاكلةُ عِنْدَ الجرجانيِّ (ت٤٧١هـ) لا تعني "الإبقاءُ على معنى معيّن فحسب، بل وإضافةُ معنىً آخر، يأتي بمجيء الكلمةِ نفسِها في موقعٍ آخر، يقول: "وهكذا يكون الأمرُ أبداً، كلّما زِدْتَ شيئاً، وجدتَ المعنى قد صار غير الذي كان، ومن أجلِ ذلكَ صَلُحَ المجازاةُ بالفِعْلِ الواحِد، إذا أتى بهِ مطلقاً في الشرط، ومُعَدًّى إلى شيءٍ في الجزاء، كقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾(١٣٦). وقَوْلُه عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾(١٣٧). مع العلم بأن الشرطَ ينبغي أن يكون غير الجزاء، مِنْ حَيْثُ كان الشرطُ سبباً والجزاءُ مُسَبَّباً، وأنه محالٌ أن يكون الشيءُ سبباً لنفسهِ(١٣٨). أمَّا الطاهِرُ بن عاشور، فإنَّ المشاكلةَ عِنْدَهُ، هِيَ: "أن يَعْمَدَ المتكلِّمُ إلى معنىً غير موجود، فيقدِّرُهُ موجوداً مِنْ جِنْسِ معنى قَابَلَهُ بهِ مقابَلَةَ الجزاءِ أو العِوَض ولو تقديراً، كقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾(١٣٩). عبَّرَ عَنِ العِقَابِ بالخِدَاعِ، لوقوعهِ جزاءً عَنِ الخِدَاعِ(١٤٠). إنَّ مقابَلَةَ الخِدَاعِ بمثلهِ لا يُسَمَّى في الأَصْلِ خِدَاعاً، ولكن سوَّغَ هذا الإطلاقَ داعي المشاكلة، ولِيُعْطِيَ اللّفْظُ مَعْنَى المماثلة في تطبيقِ العُقُوبَةِ دون زيادة(١٤١). ونحو قول أحمد بن محمَّد الأنطاكي (ت٣٩٩هـ):

قالُوا: اقترِحْ شَيْئًا نَجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وقَمِيْصَا

١٢٩- الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٣.
١٣٠- العلاقات الدلاليَّة والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقيَّة): ١٦٣.
١٣١- م.ن:١٦٠.
١٣٢- الكافي في العروض والقوافي:١٩٩-٢٠٠.
١٣٣- متشابه القرآن: ١/ ٥٧ و٣٥٠.
١٣٤- أمالي المرتضى: ١٤٧.
١٣٥- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٨٩.
١٣٦- (سورة الإسراء: ٧).
١٣٧- (سورة الشعراء: ١٣٠).
١٣٨- دلائل الإعجاز:٥٣٤.
١٣٩- (سورة النساء: ١٤٢). مع التذكير بأنَّ هذهِ الآية التي آثرنا إيرادها – على سبيل الاستشهادِ والتمثيل – هِيَ آيةٌ مدنيَّة.
١٤٠- موجز البلاغة:٤٧.
١٤١- البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٤٣٨.

عبَّرَ عَنْ صُنْعِ الجُبَّةِ والقَمِيْصِ بالطّبْخِ، لوقُوعهِ عِوَضاً عَنِ الطّبْخِ([142]). فالشَّاعِر طَلَبَ طَبْخَ جُبَّةٍ وقميص على سبيلِ المشاكلةِ لطلبِهم أنْ يطبخوا لَهُ شيئاً يأكلُه، ودلَّ بهذا على أنه بحاجةٍ إلى ما يَلْبَسُه([143]). ولفظُ اطبخُوا الثاني هُنَا اسْتُخْدِمَ في غيرِ ما وُضِعَ لهُ أَصْلاً، كَمَا أنهُ مُسْتَخْدَمٌ في غَيْرِ مكانهِ، والذي سَوَّغ هذا الاستخدامَ هو وقوعُ ذلكَ اللفظِ بمصاحَبَةِ لفظِ طبخ الأوَّل، كأَنَّهُ أرادَ خَيِّطُوا لِي، فذكر الخياطة بلفظِ الطبخ، وهُوَ لَيْسَ لها أصلاً([144]). والغريبُ في المشاكلةِ أنها قد لا تكون مِنَ الحقيقةِ، وقد لا تكون مِنَ المجاز، فكونها غير حقيقة مردُّهُ إلى أنَّ اللفظَ لم يُستعمل فيما وُضِعَ لهُ أصلاً في بدايةِ الوَضْعِ، ففي قولهِ تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾([145]). نجدُ أنَّ لفظَ ﴿سَيِّئَةٞ﴾ الثاني المستخدَم في عِقَابِ المسيءِ لَيْسَ موضوعاً أصلاً لذلكَ المعنى، إذ جزاءُ السيئةِ العُقُوبَةُ، فَسُمِّيَتِ العقوبَةُ سيِّئَةً مُشاكلةً لوقوعِهَا في صُحْبَةِ السيِّئَةِ الأُولى، وبذا يكونُ اللفظُ قدِ استُخْدِمَ في غيرِ ما وُضِعَ لهُ أصلاً، أمَّا كونها غير مجاز فمردُّهُ إلى عدمِ ذِكْرِ العَلاقةِ المُعْتَبَرَةِ في المجاز، حَيْثُ ذكر المصاحِب بلفظِ غيرِهِ لاصطحابِهِمَا، والوقوعُ في الصُحْبَةِ لَيْسَ عَلاقة([146])، ولكنهُ على الرَّغمِ مِنْ ذلكَ فإنَّ المشاكلة المعجميَّة تزيدُ من قوَّةِ الاتساقِ النصيِّ، نظراً لدخولها في علاقةٍ اتساقيَّة مع غيرها وهو ما يُعزِّزُ دورها الترابُطيِّ، وعليهِ فكلّما ارتفعت درجة تواترها في الإنجازِ اللغويِّ ارتفعت درجةُ اتساقها في البناء النصيِّ.

المشاكلةِ في الخطابِ القرآني:

مِنْ صُوَرِ المشاكلة في الخطاب القرآني، قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾([147]). والكيدُ هُوَ: إخفاءُ قَصْدِ الضُرِّ، وإظهارُ خِلافِهِ، فكيدُهم مُسْتَعْمَلٌ في حقيقتهِ، وأَمَّا الكيدُ المسْنَد إلى ضميرِ الجلالةِ فَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ في الإمهالِ مع إرادَةِ الانتقامِ عِنْدَ وجودِ ما تقتضيهِ الحِكْمَةُ مِنْ إنزالهِ بِهِم، وهو استعارةٌ تمثيليَّة، شبهت هيئةُ إمهالِهم وتركهم مع تقديرِ إنزالِ العِقَابِ بِهِمْ بهيئَةِ الكائِد يُخفي إنزالَ ضُرِّهِ ويُظْهِرُ أنه لا يريدهُ، وحَسَّنَها محسنُ المشاكلة([148]). وتسميةُ الاستدراجِ والانتقامِ في الآخِرَةِ بالنَّارِ كيداً هِيَ مِنْ بابِ المشاكلة، لوقوعهِ في مُقَابَلَةِ كَسْبِهِمْ جزاءً لَهُ، وإلا فالكيدُ وهو المكرُ والاحتيالُ في إيصالِ المكروه إلى الغير بخفية لا يجوزُ إسنادُهُ إليهِ تَعَالى مُرَاداً بِهِ مَعْنَاهُ الحقيقيِّ، وتسميةُ جزءِ الشيءِ باسمِ ذلكَ الشيءِ على سبيلِ المشاكلةِ، شائِعٌ كثير في كلامِهِمْ([149]). ويذهبُ القاضي عبدالجبَّار إلى وجودِ مشاكلة بين قوله ﴿وَأَكِيدُ﴾ و﴿يَكِيدُونَ﴾، ويُحللُّها بقولهِ: إنَّ "الواجِبَ في ذلكَ أن يُحْمَلَ على أنه تعالى يُضِرُّ بهم، وينفعُ المؤمنين والنبي (صلوات الله عليه)، من حيث لا يشعرون، ولا يظنون خلافه، بأن يَنْصُرَه على الكفّار في الدنيا بأنواعٍ لطائِفِه، ويُظْفره بهم، ثم يُعاقبهم في الآخرة"([150]). فالمشاكلةُ بَيْنَ الفعلين (يكيدون)، و(أكيدُ) قد حقّقت اتساقاً مُعْجَمِيًّا واضِحًا، الأمرُ الذي عزَّز بدورهِ سِمَةَ التماسُك النصيِّ في هذا الخِطَاب، وفضلاً عن ذلِكَ فإنَّ المتلقّي لا بُدَّ وأن يشعرَ بقوَّة الترابُطِ الحاصِلَةِ بَيْنَ العُنْصُرَين المعجميين، ولولا وجود العُنْصر الثاني لما كان للنصِّ هذا التماسُكِ الحاصِل بتضامِّهِمَا، ولكأَنَّهُمَا قِطعةٌ واحِدَة لا انفصامَ لَهَا، ويضافُ إلى ذلكُ أن الرابطة المعجميَّة تؤدِّي إلى حَالَةٍ مِنَ الديمومة والاسْتِمرَارِيَّة: ديمومة كَيْدِ أَعْدَاءِ الله لِلْمُؤْمِنِيْنَ، واسْتِمرَارِيَّة حِفْظِ الله دِيْنَهُ الْمُتَمَثِّل بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ الدَّال عَلَى عِقَابِ الله الظّالِمِيْنَ، وَنَصْرِهِ الْمُؤمنينَ الْمُستَلْزِم لِحِفْظِ الله دينَهُ.

١٤٢- موجز البلاغة:٤٧.

١٤٣- البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٤٣٩.

١٤٤- العلاقات الدلاليَّة والتراث البلاغي العربي:١٦١.

١٤٥- (سورة الشورى: ٤٠).

١٤٦- العلاقات الدلاليَّة والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقيَّة):١٦٠-١٦١.

١٤٧- (سورة الطارق: ١٧).

١٤٨- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٨.

١٤٩- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١/ ٣٢٩.

١٥٠- متشابه القرآن، ٢: ٦٨٦.

ومِنَ نماذجِ المشاكلةِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[١٥١]. وقولُهُ: ﴿سَيِّئَةٞ﴾ صفةٌ لمحذوف، أي: فَعْلَةٌ تسوءُ مَنْ عُومِلَ بِهَا، أي أنَّ المجازي يُجَازِي مَنْ فَعَلَ مَعَهُ فَعْلةً تسوءُهُ بفعلةٍ سيِّئَةٍ مِثْلَ فَعْلَتِهِ في السُّوء[١٥٢]. والمعنى: أي: وجزاءُ سيِّئةِ المسيءِ، عقوبته بِمَا شرعَهُ الله مِنْ عقوبةٍ مُمَاثِلَة لِجُرْمِهِ، وإطلاقُ السيِّئَةِ على الثانية – مع أنَّها جزاءٌ مشروع مأذونٌ فيهِ، وكلُّ مأذونٍ حَسَن لا سيِّء – لأنها تسوءُ مَنْ نَزَلَتْ بهِ. والخُلاصَةُ: أنهُ يجب، إذا قُوبِلَتِ الإساءَةُ أن تقابَلَ بمثلها مِنْ غيرِ زيادة[١٥٣]. فالجزاءُ عَنِ السيئةِ في الحقيقة غير سيئة، والأصلُ: جزاءُ سَيِّئَةٍ عُقُوبَةٌ مِثْلُها[١٥٤]، وقد ثبتَ في اللغةِ أنهُ قَدْ يجري اسمُ الشيءِ على ما هُوَ جزاءٌ لَهُ، كما يجري اسمُ الجزاءِ على الفِعْلِ، ولذلك قالُوا: الجزاءُ بالجزاءِ، ولذلك قال عزَّ وجل: ﴿وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها﴾، وإن كان ما يفعلهُ تعالى ليس سيِّئة، وهذهِ الطريقةُ في مَذْهَبِ العربِ معروفةٌ، فيجب أن تُحمل الآيةُ عليها[١٥٥]، فهي ليستْ مِنَ المشترك اللفظي كالجِنَاسِ التَّام، ولكنَّها تَجَوُّزٌ في دلالةِ اللفظِ الثاني بالإشارةِ إلى دَلالةِ اللفظِ الأوَّل[١٥٦]. ومِنْ حَيْثُ التحليلُ النصيُّ فإنَّ العُنْصُرَ المعجميَّ الثاني ﴿سَيِّئَةٌ﴾ قد أسهمَ في ربطِ النصِّ واتساقِهِ، فلو كان التعبيرُ (وجزاءُ سيئةٍ مثلها) لكان المتلقي يشعرُ بأن في التركيب تنافراً، في حين أن الكلمة المعجميَّة الثانية قد أدَّت دوراً اتساقيّاً ملحوظاً في هذا السياق القرآنيِّ. وفي هذا السياق يذهبُ العلويُّ، بقولِهِ إلى أنَّ "ضابطَ المماثلة أن كُلَّ كلامٍ كان مفتقراً إلى الجواب، وإنَّ جوابَهُ يكون مُمَاثلاً"[١٥٧]. وهذا الافتقار إلى الجواب إنَّما يُؤكِّد معنى التضام والتماسُك النصيِّ. أضف إلى ذلكَ أن الأبنيةَ التماثليَّةَ تأخذُ طبيعةً مُتَمَايزة، إذ قد يأتي التماثُل عَنْ طريقِ المصاحبة، وهذا اللون التعبيريُّ أطلق عليهِ القدماءُ اسمَ (المشاكلة)، واختيارُ التسمية على هذا النحو يرمزُ إلى حركةِ العقلِ في الربطِ بَيْنَ الدَّوالِ في الظاهِرِ وبَيْنَ المدلولات في الباطِن، إذ تأتي المصاحبة ظاهرة أحياناً ومقدَّرة أحياناً أُخرى، وبالضرورةِ لا بُدَّ أن يلعبَ الخيالُ دوراً مؤثِّراً في هذا النمط التعبيريِّ عَنْ طريقِ التقارُن، لكنهُ لا يَصِلُ في الدرجةِ إلى دورِ الخيالِ في الأداء المجازيِّ[١٥٨]، ذلِكَ الأداء الّذِي يُؤكِّد دور المتلقّي في العمليَّةِ التخاطُبيَّة.

ومِنَ المشاكلةِ كذلكَ، قولُهُ تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢١﴾[١٥٩]. والمعنى: وقيلَ لهؤلاءِ الكفرةِ الذين وصَفَ صفتَهُم: اليومَ نتركُكم في عذابِ جهنَّمَ، كَمَا تركتُم العَمَلَ للقاءِ رَبِّكُم يَوْمَكُمْ هذا[١٦٠]. فالمشركون لما أودعوا جهنَّم وأحاطت بهم نودوا: ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ إلى آخِرِهِ تأييساً لهم مِنَ العفوِ عَنْهُمْ. وأُطْلِقَ النسيانُ على التَّرْكِ المؤَبَّدِ على سبيلِ المجازِ المرسَل، ويجوزُ أن يكونَ النسيانُ مُسْتَعَارَاً للإهمالِ وعدمِ المبالاة. والكافُ في ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ للتعليل، أي: جزاءُ نسيانِكُمْ هذا اليوم، أي: إعْرَاضِكُمْ عَنِ الإيمانِ بِهِ[١٦١].وقولُهُ: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ أي: وقيلَ لَهُمْ تغليظاً في العقوبةِ، وإمعاناً في التهكّمِ، والسخرية: اليومَ نتركُكم في العذابِ تركَ المنسيِّ، ففي ضميرِ الخِطَابِ استعارَةٌ بالكناية، بتشبيههم بالأَمْرِ المنسيِّ في تركِهِم في العذاب، وعدم المبالاةِ بهم، وقرينتها النسيان ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أي: كما تركتُم العملَ للقاءِ يومكم هذا، أو كما تركتُمْ عُدَّتَهُ ولم تبالوا بها، وهِيَ الإيمانُ والعملُ الصَّالِح[١٦٢]. والمشاكلةُ الحاصِلَة بَيْنَ قولِهِ: ﴿نَنسَاكُمْ﴾، و﴿نَسِيتُمْ﴾ قد أسهمت في تحقيقِ الاتساق النصيِّ في هذا الخطاب.

١٥١- (سورة الشورى: ٤٠).
١٥٢- التحرير والتنوير: ٢٥/ ١١٥.
١٥٣- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٦/ ١٥٠-١٥١.
١٥٤- فنُّ البديع:٦١.
١٥٥- متشابه القرآن: ١/ ٥٧ و ٣٥٠.
١٥٦- علم البديع رؤية جديدة:١٧٣.
١٥٧- الطراز: ٢/ ٢٠٢.
١٥٨- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:٣١٦.
١٥٩- (سورة الجاثية: ٣٤).
١٦٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/ ١٠٨.
١٦١- التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٧٤-٣٧٥.
١٦٢- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٦/ ٤٧٣-٤٧٤.

الجِنَاس وأثرهُ في تماسُكِ النَّص:

الجِنَاسُ في الدَّائِرَةِ اللّغويَّة: هُوَ الْمُشَاكَلة، والاتِّحادُ في الْجِنْس. يُقَال: هذا يُجَانِسُ هذا أَي يُشَاكِلُهُ(١٦٣). أَمَّا في الدَّائِرَةِ الاصطلاحيَّة، فَهُوَ "اتِّفَاقُ الأَلْفَاظِ وَاخْتِلافُ الْمَعَانِي"(١٦٤). أَوْ أَنْ يَتَشَابَهَ اللّفْظَان في النّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنَى(١٦٥). والْجِنَاسُ مِنَ الأَلْوَان البديعيَّة الّتِي لَهَا تأثيرٌ بَلِيغٌ، تَجْذِبُ السَّامِعَ، وتُحْدِثُ في نَفْسِهِ مَيْلاً إلى الإِصْغَاءِ والتَّلَذُذِ بِنَغَمَتِهِ الْعَذْبَة، وَتَجْعَلُ الْعِبَارَةَ عَلَى الأُذُن سَهْلَةً وَمُسْتَسَاغَة، فَتَجِدُ في النَّفْسِ القَبُول، وَتَتَأَثَّرُ بِهِ أَيَّ تَأْثِير، وَتَقَعُ مِنَ الْقَلْبِ أَحْسَنَ مَوْقِع(١٦٦)، والْجِنَاسُ هُوَ تقنيةٌ صَوْتِيَّة بَالِغَةُ التَّأْثِير في الْمَسَارِ الإِيقَاعِيِّ، قَادِرَةٌ عَلَى إِحْدَاثِ الْمَوَازَاةِ الصَّوْتِيَّة بَيْنَ دَوَالّ مُتَغَايِرَة في الدَّلالَةِ(١٦٧)، وَمِنْ هُنَا فَالْجَانِبُ الصَّوْتِيِّ يَكادُ يكونُ هُوَ الرَّكِيْزَةُ الّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فَنُّ الْجِنَاس، وَمَا الْجَانِبُ الصَّوْتِيِّ إِلا الإِيْقَاعُ، أَو النَّغَمُ، أَو التَّرديدُ الْمُوسيقيِّ، فَالْكَلِمَتَان الْمُتَجَانِسَتَان تَجَانُساً تَامًّا، هُمَا في الْوَاقِعِ إِيْقَاعَان مُوسِيقيَّان يَتَرَدَّدَان في الآيَاتِ القُرْآنِيَّة أو الأبياتِ الشعريَّة، فَيُحْدِثَان تأثيراً عَلَى الْمُتَلَقِّي، وَكذا الْكَلِمَتَان الْمُتَجَانِسَتَان تَجَانُساً نَاقِصَاً، فَالنَّقْصُ في الْجِنَاسِ النَّاقِصِ يُلَبِّي حَاجَةَ النَّفْسِ إلى الإِيقَاعِ الْمُتبَاين، كَمَا يُلَبِّي حَاجَتَهَا إلى الإِيقَاعِ الْوَاحِدِ الْمُتَكَرِّر(١٦٨). وَطَالِمَا أَنَّ الإِيقَاعَ هُوَ رَكِيْزَةُ فَنِّ (الْجِنَاس)، وَالإِيقَاعُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ "تَكْرَارِ ضَرْبَةٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الضَّرَبَاتِ بِشَكْلٍ مُنْتَظَم عَلَى نَحْوٍ تَتَوَقّعُهَا الأُذن كُلّمَا آنَ أَوَانُهَا"(١٦٩)، فَمِنَ الطبيعيِّ أَنْ يكونُ تَرْدَادُ هذا الإِيْقَاعِ مُتَتَالِيَاً مُتَّصِلاً حِيْنَاً، أَوْ مُتَتَالِيَاً مُنْفَصِلاً حَيْنَاً آخَر(١٧٠). وَكُلَّ ذلِكَ مِنْ أَجْلِ جَذْبِ انْتِبَاهِ الْمُتَلَقِّي وَلَفْتِ نَظَرِهِ، وَهُوَ مَا يُؤَدِّي إلى التَّوَاصُلِ والاستمراريَّة، وبالتَّالِي تحقيق الأثر الْمَنشود، وهذا التَّوَاصُلُ وَالتَّفَاعُل تجسيدٌ لأَحَدِ الْمَبَادئ التَّدَاوُلِيَّة، أَلا وَهُوَ (مَبْدأ التَّعَاوُن) بَيْنَ طَرَفَي دَائِرَةِ التَّخَاطُب، وَهُمَا: النَّصِّ وَالْمُتَلَقِّي، الأَمْرُ الّذِي يُؤَدِّي إلى إِنْجَاحِ الْعَمَلِيَّة التَّوَاصُلِيَّة. والْجِنَاسُ هُوَ أُسْلُوبٌ مِنَ الأَسَالِيبِ التعبيريَّة الّذِي "يكْسِبُ الكَلامَ قِيَمَاً جَمَالِيَّة بِمَا يُضْفِيهِ إلى النَّسقِ اللّغَوِيِّ مِنْ انْسِجَامٍ وَتَنَاسُبٍ وَتَآلُفٍ في الْبِنَاءِ الصَّوْتِيِّ مِمَّا يُثْرِي الْمَعْنَى وَيُغْنِي الصِّيَاغَةَ اللّغَوِيَّة"(١٧١). وَمِنْ هُنَا يَتَأَكّدُ لَنَا أَنَّ الْجِنَاسَ نَظْمٌ تَعْبِيرِيٌّ يَنْطَوِي عَلَى حُمُولَةٍ دَلالِيَّة مُكَثَّفَة، بِحَيْثُ يُسْهِمُ في تَحْقِيقِ التَّفَاعُل بَيْنَ الْمُتَلَقِّي والنَّصِّ، وَبِالتَّالِي تحقيق الغَرَضِ التَّواصُلِيِّ، وفضلاً عَنْ ذلِكَ فإنَّ الْجِنَاسَ هُوَ "غَالِبَاً مَا يَرْمِي إلى إِحْدَاثِ تَأْثِيرٍ رَمْزِيٍّ عَنْ طَرِيقِ الرَّبْطِ السَّبَبِيِّ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمُثِير، بِحَيْثُ يُصْبِحُ الصَّوْتُ مُثِيْرَاً للدَّلالَةِ"(١٧٢). وَإِذ نَظَرَ بَعْضُ الْقُدَامَى إلى الْجِنَاسِ عَلَى أَنَّهُ مُجَرَّد زِيْنَة طَارِئة أَوْ تَنْمِيقٌ لَفْظِيٌّ لا عَلاقَةَ لَهُ بِالْمَعْنَى، فَإِنَّ الْمُعَاصِرِيْنَ يَرَوْنَ فِيْهِ مُنَبِّهَاً دَلالِيَّاً يَعْمَلُ عَلَى إِيْجَادِ العَلاقَةِ الْعُضْوِيَّة بَيْنَ الدَّوَالِّ وَالْمَدْلُولاتِ، وَيُؤَدِّي إلى انْسِجَامِ الخِطَابِ، وَيَجْعَلُ الْمُتَلَقِّي يَسْتَشْرِفُ آفَاقَاً لُغَوِيَّة وَاسِعَة الإِيْحَاءَاتِ والظِلال(١٧٣)، وإلى ذلِكَ ذَهَبَ الدكتور سعد مصلوح مُؤَكِّدَاً بِقَوْلِهِ إِنَّ "الْجِنَاسَ بِأَنْوَاعِهِ الْمُخْتَلِفَة يَلْعَبُ دَوْرَاً مُهِمَّاً في تَأْسِيسِ نصيَّةِ النَّصِّ، حِيْنَ تجاوز حدودهُ أَسْوَارَ الْجُمْلَةِ أَو الشَّاهِدِ أَو الْمِثَال إلى اعْتِبَارِهِ في كُلِيَّةِ النَّصِّ"(١٧٤)، وعليهِ فإنَّ "اتِّفَاقَ الكَلِمَةِ صَوْتِيَّاً أَوْ مُعَادَلَتَهَا بالأُخْرَى يَتَضَمَّنُ لَوْنَاً مِنَ الاتِّفَاق الدَّلالِيِّ، مَهْمَا كَانَ الْمُسْتَوَى الّذِي يَتُمُّ عَلَيْهِ التَّحْلِيلُ اللّغَوِيِّ"(١٧٥)، وَمَفَادُ ذلِكَ أَنَّ التَّجَانُسَ الصَّوْتِيِّ يُوحِي بِالْقَرَابَةِ الْمَعْنَوِيَّة، وَيُثِيْرُ شَبَكَةً مِنَ الْمَعَانِي الْجُزْئِيَّة الّتِي تَرْبُطُ الأَلْفَاظَ بِبَعْضِهَا عَلَى مُسْتَوَىً أَعْمَق(١٧٦). وَعَلَيْهِ فالتَّجَانُس الصَّوْتِي يُؤَدِّي إلى سِلْسِلَةٍ لَفْظِيَّةٍ مَتَتَابِعَة تُحَقِّقُ الانْسِجَامَ بَيْنَ كُلِّ

١٦٣- لسان العرب، مادة (جنس): ٢/ ٣٨٣.
١٦٤- جوهر الكنز:٩١.
١٦٥- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٤٨٥.
١٦٦- البديع في ضوء أساليب القرآن:١٥٨.
١٦٧- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٧٧.
١٦٨- البديع تأصيل وتجديد:٨٢.
١٦٩- التعبير الموسيقي:٢١. نقلاً عن البديع تأصيل وتجديد:٨٣.
١٧٠- البديع تأصيل وتجديد:٨٣.
١٧١- دراسات في المعاني والبديع: ١٧٣.
١٧٢- بلاغة الخطاب وعلم النص:١٩٥.
١٧٣- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٧٧.
١٧٤- نحو أجرومية النصِّ الشعري:٢٤٤.
١٧٥- نظرية البنائية في النقد الأدبي:٣٩١.
١٧٦- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٧٧.

تِلْكَ الْعَنَاصِر، فَيَشمَلُ الانسِجَامُ التَّعبيرَ الْفَنِيِّ كُلَّه[١٧٧]، ذلِكَ التعبير الّذِي يَتَجَلى كَوَحْدَةٍ كُلِّيَّة مُتَرَابِطَة، بَلْ كُتْلَة مُوسيقيَّة مُتَمَاسِكَة.

الجناس في الخطابِ القرآني:

وَمِنْ صُوَرِ الجِنَاسِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[١٧٨]. فَأَوَّلُ مَا يُلْحَظُ في هذا النَّصِّ هُوَ ذلِكَ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ النَّاجِمِ عَنْ الْمُجَانَسَةِ بَيْنَ ﴿نَاضِرَةٌ﴾ بِمَعْنَى الْحُسْنِ وَالرَّوْنَق، وَبَيْنَ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بِمَعْنَى الْمُعَايَنَةِ وَالنَّظَر، وَالْفَرْقُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ الْمُتَجَانِسَيْنِ يَتَمَثَّلُ في صَوْتٍ وَاحِد وسُمِّيَ هذا الْجِنَاسُ بِـ(الْجِنَاسِ اللَّفْظِيِّ)، وَوَصْفُ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِالنَّضَارَةِ لا يَقِفُ عِنْدَ مَظْهَرِ النُّعُومَةِ وَالْجَمَال وَالإِشْرَاق، وإِنَّمَا يَتَعَدَّاهُ لِيُشيرَ إلى مَا في نُفُوسِ أَصْحَابِ هذِهِ الْوُجُوهِ مِنَ الْفَرْحَةِ الغَامِرَة وَالسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّة، وَمِنْ هُنَا يَرْتَبِطُ الْمَلْمَحُ الْخَارِجِيِّ بِالانْفِعَال الدَّاخِلِيِّ، حَيْثُ إِنَّ الإِحْسَاسَ بِالسُّرُور يَنْعَكِسُ عَلَى مَلامِحِ الوُجُوهِ، فَيَكُون الدَّاخِلُ مُتَطَابِقاً مَعَ الْخَارِجِ[١٧٩]. وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُور مِنْ قَوْلِهِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ عَلَى عَامِلِهِ لِلاهْتِمَامِ بِهَذا الْعَطَاءِ الْعَجيبِ، وَلَيْس للاخْتِصَاص، لأَنَّهُمْ لَيَرَوْنَ بَهْجَاتٍ كَثِيْرَةٍ في الْجَنَّةِ[١٨٠]. ويُمْكِنُ لِلْمُتَلَقِّي هنا أَنْ يَتَلَمَّسَ بوضوح تلك العَلاقَةَ الرَّابِطَةَ بَيْنَ (نَاضِرَة) بِمَا فِيْهَا مِنْ جَمَال الصُّورَةِ الْمُنْبِيء عَنْ جَمَال النُّفُوس، وَبَيْنَ (نَاظِرَة)، ذلِكَ أَنَّ بَيْنَهُمَا عَلاقَةٌ سَبَبِيَّةٌ تُبَيِّنُ أَنَّ هذِهِ الْوُجُوه إِنَّمَا نَضُرَتْ وَأَشْرَقَتْ لأَنَّهَا تَنْظُرُ إلى جَمَال رَبِّهَا، وَتَسْتَمْتِعُ بِرُؤْيَةِ الْكَمَال الّذِي لا يُدَانِيْهِ كَمَالٌ[١٨١]. وَلا يَخْفَى أَنَّ وُقُوعَ الْجِنَاسِ في الفَاصِلَةِ يَجْعَلُ البُنْيَةَ الإِيقَاعِيَّةَ أَكْثَرَ كَثَافَةً وَأَشَدَّ تَمَاسُكًا، لأَنَّ الْفَاصِلَةَ هي نُقْطَةَ ارْتِكَازِ التَّوَازِيَّاتِ الصَّوْتِيَّةِ في النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ[١٨٢]، ومِنْ هنا فإنَّ الجناسَ – وخاصَّةً في حالِ وقُوعِهِ فاصلةً قرآنيَّة – إنما يمثِّلُ آليَّةً ترابُطيَّة على المستوى العام مِنَ الخطاب.

ومِنْ نَمَاذِجِ الجِنَاسِ أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾[١٨٣]. فالخِطَابُ القُرْآنِيِّ في هذِهِ الآيَةِ يُجَانِسُ بَيْنَ ثَلاثَةِ أَلْفَاظٍ في حَيِّزٍ مَكَانِيٍّ مُتَقَارِب، وهذا التَّجَانُس الإيقاعيِّ قَدْ حَصَلَ بَيْنَ (الرَّاجِفَة) وَ(الرَّادِفَة) مِنْ جِهَة، وَبَيْنَ (الرَّاجِفَة) وَ(وَاجِفَة) مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَكَأَنَّ (الرَّاجِفَة) نُقْطَةُ ارْتِكَاز صَوْتِيّ تَسْتَقْطِبُ حَوْلَهَا الأَلْفَاظُ الأُخْرى[١٨٤]، قال ابنُ عَبَّاس (رضي الله عنه): الرَّاجِفَةُ وَالرَّادِفَةُ هُمَا النَّفْخَتَان الأُولَى وَالثَّانِيَة، أَمَّا في الأُولَى فَتُمِيْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِإِذن الله تعالى، وَأَمَّا في الثَّانِيَة فَتُحْيِي كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْن الله تعالى[١٨٥]. فاللَّفْظَان الْمُتَجَانِسَان (الرَّاجِفَة)، وَ(الرَّادِفَة) يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا جَامِعٌ إِشَارِيٌّ قَائِمٌ عَلَى أَسَاسِ الثُّنَائِيَّة الضِدِّيَّة، حَيْثُ يُشيرُ الأَوَّلُ إلى سكُونِ الكَوْن، وَيُشيرُ الثَّانِي إلى حَرَكَةِ الكَوْن، و(الْوَاجِفَةُ) جَاءَتْ إِخْبَارًا عَنْ قُلُوبِ الكَافِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ[١٨٦]، إذ إِنَّ الْوَاجِفَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْوَجِيفِ، وَهُوَ سُرْعَةُ السَّيْرِ وَشِدَّةُ الاضْطِرَاب[١٨٧]، أَيْ: حَرَكَةُ ازْدِيَادِ نَبَضَاتِ الْقَلْبِ وَدَقّاتِهِ إِثرَ الذُّعْرِ الْمُفَاجِئْ، وَهُنَا نَحْصُلُ عَلَى حَرَكَةٍ دَاخِلِيَّة في الْقَلْبِ تُجَانِسُ حَرَكَةً خَارِجِيَّة في الْكَوْنِ، أي: إِنَّ العَلاقَةَ هُنَا تَشَابُهِيَّة في حِيْن كَانَتِ العَلاقَةُ هُنَاكَ – في الْجِنَاسِ الأَوَّلِ – تَخَالُفِيَّة[١٨٨]، وَهَاتَان

١٧٧– البديع والتوازي:٤٣.
١٧٨– (سورة القيامة: ٢٢–٢٣).
١٧٩– جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٧٨.
١٨٠– التحرير والتنوير: ٢٩/ ٣٥٥.
١٨١– جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٧٩.
١٨٢– م.ن:٢٧٩.
١٨٣– (سورة النازعات:٦–٧).
١٨٤– جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٨١.
١٨٥– الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٩٥.
١٨٦– جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٨١.
١٨٧– لسان العرب، مادة (وجف): ٦/ ٤٧٧٣.
١٨٨– جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٨١.

العَلاقَتان (التَّشابُهيَّة)، و(التَّخالُفيَّة) إنَّمَا تُسْهِمَان في تحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ عَلَى الْمُسْتَوَى العَامِّ مِنْ الخِطَاب، يُضاف إلى ذلِكَ أَنَّ هذا التَّجَانُسَ اللّفْظِيَّ قَدْ شَكّل إيْقَاعَاً مُوسيقيَّاً مُنَظّمَاً بحيث أَثار الْمُتَلَقّي للاسْتِمرَارِ عَلَى نَظْمِهِ وَنَبْضِهِ.

ومِنْ شَوَاهِدِ الجِنَاسِ كَذلِكَ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾(١٨٩). فَالسَّاعَةُ الأُولى مَعْنَاها القِيَامَةُ، وَالسَّاعَةُ الأُخْرَى مَعْنَاهَا الْوَقْتُ القَصِيْر، وَنُلاحِظُ أَنَّ (السَّاعَة) الأُولى بِإيقَاعِ السين الْمَمْدُودَةِ والْعَيْن الْمَفْتُوحة والتَّاء الْمَرْبُوطَة، واخْتِيَارَهَا مَعْنَىً لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَدُلُّ عَلَى دِقّةِ مَجِيئِهَا، وَدِقّةِ حِسَابِهَا، وَانْضِبَاطِ وَقْتِهَا، كُلُّ هذا لا يَدُومُ طَوِيلاً، لأَنَّ النَّغَمَةَ نَفْسَهَا سَتُكَرَّر، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَر، بِمَعْنَى السَّاعَة الزَّمَنِيَّة، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ تصريحيَّة لِقُصْرِ الْوَقْتِ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعِيشُوا في الدُّنيَا غَيْرَ سَاعَةٍ مِنْ زَمَن، وَلا بَقَوْا في الْقَبْرِ غَيْرَ سَاعَةٍ مِنْ زَمَن، إنَّمَا جَاءَ حِسَابُهُمْ بِقُصْرِ الْوَقْتِ تَعبيراً عَنْ هَوْلِ الْمُفَاجأةِ، لِذا لَمْ تَكُنْ لَفْظَةٌ أُخْرَى بِقَادِرَةٍ عَلَى إعْطَاءِ هذا الإحْسَاسِ أَكْثَرَ مِنْ كَلِمَةِ (السَّاعَة)، وَهُنَا وَجَبَ التَّجَانُس التَّام، بَيْنَ الْمَعْنَى وَالنَّغَم، لا لِزَرْكَشَةٍ وَلا لِتَزْيين، أَوْ تَحْسين، إنَّمَا وَفَاءً لِلْمَعْنَى، وَدِقّةً في الأَدَاءِ، وَتَصْوِيراً لِلْمُفَاجَأَةِ(١٩٠)، وَمِنْ حَيْثُ التَّحْلِيلُ النَّصيُّ فَإنَّ الْجِنَاسَ التَّام، بتَكْرَارِ اللّفْظ نفسِهِ في طَرَفَيْ الآيَةِ، قَدْ حَقّقَ رَبْطَاً مُعْجَمِيَّاً وَاضِحَاً عَلَى الْمُسْتَوَى العَام مِنْ هذا الْخِطَاب، يُضَافُ إلى ذلِكَ أَنَّ التَّجَانُسَ الصَّوْتِيَّ والتَّشَابُه الإيقاعيّ إنَّمَا يُسْهِمُ في تحقيقِ دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ الْمَقْبُولِيَّة لَدَى الْمُتَلَقّي، والْمَقْبُولِيَّة هِيَ إحْدَى الْمَعَايير الّتِي تُحَدِّدُ نصيَّةَ النَّصّ.

وجديرٌ بيانه هنا أنه قد يُتَصَوَّر أن المشاكلة تقاربُ الجناس مِنْ حيثُ تشاكُلِ المفرداتِ إلاّ أن النظرَ الدقيق في بنيةِ المشاكلة إنما ينأى بها عن علاقة المشابهة، وعليهِ "فاللفظُ الذي تكتملُ به بنية المشاكلة لا يبقى على معناه الحقيقيّ الذي يظهرُ في المستوى السطحي من الخطاب، وإنما يؤول إلى معنى آخر قد يكون مقابلاً ونقيضاً للمعنى الظاهريّ"(١٩١)، ومن هنا فإن القيمةَ الخِلافيَّةَ والتباينيَّة بَيْنَ المشاكلةِ والجناسِ تتجلّى في أنَّ المشاكلة تحقّق تشاكُلاً في البنية وتقارُباً في الدلالة على المستوى السطحيِّ مع وجودِ اختلافٍ دقيق على المستوى العميق من الخطاب. أمَّا في الجناسِ فيتحقّقُ التجانس والتماثل في البنية بشكلٍ جزئي أو تام مع وجودِ تبايُن في دلالةِ البنى المتجانسة.

التصديرُ وأثره في تماسُكِ النص(*):

التصديرُ مَدْخَلٌ مِنَ الْمَدَاخِلِ البديعيَّة التي اتَّفقَ البلاغيُّون على مَفْهُومِهَا، ولكنَّهُمْ اختلفُوا في اصطلاحِهَا، ومِنْ هُنَا فقد "عُـرِّفَ (التصديرُ)(١٩٢) في الدَّرْسِ البلاغيِّ بمصطلحاتٍ عديدة، منها (الترديد)(١٩٣)، و(التَّعَطّفُ)(١٩٤)، و(المزَاوَجَة)(١٩٥)، و(ردُّ الأَعْجَازِ على الصدُور)(١٩٦)، وقد ذهَبَ ابن المعتز (ت٢٩٢هـ) على تسميَّةِ هذا المفهومِ بمصطلحِ (ردُّ الأَعْجَازِ على ما تقدَّمها) بـدلاً مِـنَ (التصديرِ)، وقالَ بأن هذا البابَ ينقسِمُ على ثلاثةِ أقسام، منها: ما يُوافِق آخر كلمة فيهِ آخر كلمة في نصـفهِ الأوَّل، أو مـا يُوافِـق آخر كلمة منه، أوَّل كلمة في نصفهِ الأوَّل. أو ما يُوافِق آخر كلمة فيهِ بَعْضَ ما فيهِ(١٩٧). وكَمَا هُوَ واضِحٌ مِـنْ اسـمِ هـذا النـوعِ البديعيِّ، فإنه يتناوَلُ موضِعَ لفظينِ بَيْنَهُما عَلاقةٌ خاصَّة، أحدُ اللفظينِ يكون مَوْقِعُهُ في النثر في آخِرِ الفقـرة، والآخـر في أوَّلِهـا، وفي الشِّعْرِ يكونُ أحَدُ اللفظينِ في آخرِ البَيْتِ، واللفظُ الثاني يكونُ إمَّا في صَدْرِ المِصْرَاعِ الأوَّل، أو في حَشْوِهِ، أو في آخِرِهِ، أو في صَدْرِ

١٨٩- (سورة الروم: ٥٥).

١٩٠- البديع تأصيل وتجديد:٨٧.

١٩١- البنية المتحولة في البلاغة العربية: ٤٣١.

* تواضع البحثُ على تفضيلِ هذا المصطلح على غيرهِ مِنَ المصطلحات البديعيَّة المتداولة في الدرسِ البلاغيِّ، وذلكَ لأنه "أخفُّ على المستمعِ، وأليقُ بالمقام". ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، للحموي:١١٤.

١٩٢- البديع في نقد الشعر:٥١. وحلية المحاضرة: ١/ ١٦٢.

١٩٣- البديع في نقد الشعر:٥١. وتحرير التحبير:١١٥. وجوهر الكنز:٢٦٠.

١٩٤- كتاب الصناعتين:٣٨٧. والكافي في العروضِ والقوافي:١٩١. وجوهر الكنز:٢٦٠.

١٩٥- المنزع البديع: ٤٠١.

١٩٦- كتاب البديع:٤٧. وتحرير التحبير:١١٦.

١٩٧- كتاب البديع: ٤٧.

المِصْرَاعِ الثاني([198])، هذا مِنْ حَيْثُ موقعِ اللفظين في النثرِ وفي الشِّعْرِ. أمَّا مِنْ حَيْثُ العَلاقةُ بَيْنَ اللفظين، فَهِيَ إمَّا أن يكون اللفظان (مُكَرَّرَيْنِ)، أي: مُتَّفِقَيْنِ لَفْظاً ومَعْنَىً، وإمَّا أن يكونا (مُتَجَانِسَيْنِ) أي: مُتَّفِقَيْنِ في اللفْظِ دونَ المَعْنَى، أو يكونا (مُلْحَقَيْنِ بالمُتَجَانِسَيْنِ) أي: يَجْمَعُهُمَا الاشتقاقُ أو شِبْهُهُ([199]). ويُفضِّلُ ابنُ رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) مُصْطَلحَ (التصدير) تسميةً على هذا المفهومِ الذي يُعَرِّفُهُ بأنَّهُ: "ردُّ أعجاز الكَلامِ على صُدُورِهِ، فيدلُّ بعضُه على بَعْضٍ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك"([200]). وسمَّاهُ الخطيبُ التبريزي (ت٥٠٢هـ) وأبو طاهر البغداديّ (ت٥١٧هـ) "رَدُّ الكَلامِ على صَدْرِهِ"([201]). أمَّا النويري (ت٧٣٣هـ) فَهُوَ على غِرَارِ (ابن المعتز) يُفضِّل مُصطلح (ردُّ العَجُزِ على الصَدر) أيضاً، ويحدُّهُ بأنهُ: "كُلُّ كَلامٍ منثور أو مَنْظُوم يلاقى آخره أوله بوجهٍ مِنَ الوجوه"([202]). أمَّا ابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) فقد ذهَبَ إلى أن بَعْضَهُم سَمَّى ردَّ العَجُزِ على الصَدْرِ بالتصدير، والأوَّلُ أولى لأنهُ مطابِقٌ لمسمَّاهُ، وخيرُ الأَسْمَاءِ مَا طَابَقَ المسمَّى([203]). أمَّا أبو هلال العسكري، فيُسَمِّي هذا الباب بـ(ردِّ الأَعْجَازِ على الصدُور)، ويقول، إنَّ: "أوَّلَ ما يَنْبَغِي أن تعلمه أنَّكَ إذا قدَّمْتَ ألفاظاً تقتضي جواباً، فالمرضيُّ أن تأتي بتلكَ الألفاظِ بالجواب، ولا تنتقلُ عنها إلى غيرها مِمَّا هُوَ في مَعْنَاهَا، وهذا يدلّكَ على أنَّ لردِّ الأَعْجَازِ على الصدُورِ مَوْقِعاً جَلِيْلاً مِنَ البلاغةِ([204]). وقمينٌ بيانهُ في هذا المقام إلى أنَّ (ابن أَبي الإصبع) قد ألمحَ بصريحِ العِبَارَةِ إلى أَثَرِ (التَّصدير) في تحقيقِ الترابُطِ والتلاحُمِ في النصِّ، وذلك مِنْ خِلالِ تعريفهِ لمصطلحِ (ردُّ العَجُزِ على الصَدر) وحدِّهِ لَهُ بأنَّهُ: "عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ كلامٍ بَيْنَ صَدْرِهِ وعجُزِهِ رابطةٌ لفظيَّةٌ غالباً، أو معنويَّةٌ نَادِرَاً، تحصُلُ بها الملاءَمةُ والتلاحُم بَيْنَ قِسْمَيْ كُلِّ كَلام"([205]). ويفضِّلُ المظفر العلوي (ت٦٥٦هـ) على تسميةِ هذا المصطلحِ بـ(الترديد)، وهو عِنْدَهُ: أن يُعَلِّقَ الشاعِرُ لفظةً في البيت بمعنى ثم يردّدُها فيه بعينها ويُعلِّقُها بمعنىً آخر([206]). والترديدُ تفعيلٌ مِنْ قولهم: ردَّد الثوب مِنْ جانبٍ إلى جانِب، وردَّد الحديث ترديداً، أي: كرَّرَهُ، ومَعْنَاهُ في مُصطلحِ عُلَمَاءِ البيان أن تُعَلِّقَ اللفظة بمعنى مِنَ المعاني ثُمَّ تَرُدَّهَا بعينها وتُعلِّقها بمعنى آخَر([207]). ويُسمِّيهِ ابنُ الأثير – نجم الدين بن إسماعيل (ت٧٣٧هـ) الترديدَ أيضاً، وهو: "أن يُعَلِّقَ المتكلِّمُ لفظةً مِنَ الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر". ويؤكِّدُ (ابنُ الأثير) على هذا وجود تعدُّدٍ في المصطلح، ولكنَّهُ يَجْمَعُ هذهِ المصطلحاتِ في صعيدٍ واحِد، فيقول: "وهذا البابُ يدخلُ فيهِ التَّصديرُ، والتَّعَطّفُ، وردُّ الأَعْجَازِ على الصدُور، فإن كُلَّ هذهِ الأبواب (أي: المصطلحات) مادَّتُها واحِدَة، لكن فَرَّقَ أهلُ البديعِ بينها بفروق، وقالُوا: التَّرديد، ما تردَّدَ لفظُهُ في البيتِ سواء كان أولاً أو آخراً، والتَّصديرُ، ما كان أحدُ اللفظين في صَدْرِ البيتِ والآخر في عَجُزِهِ، وهو أيضاً المسمَّى (ردُّ الأَعْجَازِ إلى الصدُور)، أمَّا التَّعَطّفُ، فهو أن تكون إحدى الكلمتين في المصراعِ الأوَّل، والأُخرى في المصراعِ الثاني، وحَاصِلُ الأَمْرِ، أن هذهِ الأنواعَ كُلّها مَادَّةٌ واحِدَة، وشواهِدُهَا مُتقاربَة، وهِيَ بَابٌ واحِد"([208]). وقد ميَّز (ابنُ رشيق) بَيْنَ (التَّصدير)، و(التَّرديد) أيضاً، فقال: "التصديرُ قريبٌ مِنَ الترديد، والفَرْقُ بَيْنَهُمَا أن التصديرَ مخصوصٌ بالقوافي تُرَدُّ على الصدُور، فلا تَجِدْ تصديراً إلا كذلك، حَيْثُ وَقَعَ مِنْ كُتُبِ المؤلِّفين، وإن لم يَذْكُرُوا فِيْهِ فَرْقاً، والتَّرديدُ يَقَعُ في أَضْعَافِ البَيْتِ"([209]). وقد ذهَبَ ابن معصوم المدني إلى تحديدِ الفَرْقِ بَيْنَ التَّعَطّفِ والترديدِ، قائلاً: "إنَّ التَّعطّفَ شبيهٌ بالتَّرديدِ، والفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْن: الأوَّل: إن التَّرديدَ لا يشترط فيهِ إعادة اللفظةِ في المصراعِ الثاني، بَلْ لو أُعيدت في المصراعِ الأوَّل صَحَّ بخلافِ التَّعطّفِ. والثاني: أن التَّرديدَ يشترطُ فيهِ إعادة اللفظةِ بصيغتها، والتَّعَطّفُ لا يشترط فيهِ ذلك، بَلْ

١٩٨– في البلاغة العربية علم البديع:١٢٠.
١٩٩– م.ن:١٢١.
٢٠٠– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٣.
٢٠١– الوافي في العروض والقوافي:٢٧٢.
٢٠٢– نهاية الأرب في فنون الأدب: ٧/ ٩١.
٢٠٣– أنوار الربيع: ٣/ ٩٤.
٢٠٤– كتاب الصناعتين:٣٥١.
٢٠٥– بديع القرآن:٣٦.
٢٠٦– نضرة الإغريض في نصرة القريض:٤١.
٢٠٧– الطراز: ٣/ ٤٧.
٢٠٨– جوهر الكنز:٢٦٠.
٢٠٩– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٣.

يجوزُ أن تعادَ اللفظةُ بصيغتها وبِمَا يتصرَّفُ مِنْهَا"([210]). والملاحَظُ في هذا البَابِ هُوَ ذلكَ التعدُّد الاصطلاحيِّ للمفهومِ الواحِد، إلا أنه على الرَّغْمِ مِنْ ذلكَ فإنَّ التعدُّدَ أحياناً قَدْ يَحْمِلُ في طيَّاتِهِ دلالةً واضِحَةً على ثراءِ البلاغةِ العربيَّةِ، ودِقَّةِ البلاغيين في وَضْعِ المصطلحاتِ البيانيَّة، والملحوظُ أيضاً أن الكثير من الكتب البلاغيَّة تنزعُ إلى خَلْطِ العديد مِنَ الأبواب البديعيَّة بعضها مع البعض الآخَر رغم التمايز الموجود فيما بينها، ومِنْ هُنَا فإنَّ البحثَ يرى ضرورةَ إعادة قراءة التراث البلاغي من جديد في ضوءِ الدراساتِ النصيَّة المعاصرة، وإعادة ترتيبِ أبوابها وأقسامها بما يتناسَبُ مع روح العصر وقوانين اللغة العربيَّة.

التصدير في الخطابِ القرآني:

ومِنْ نماذجِ التصديرِ، قولُهُ تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾([211]). والْمَعْنَى الْمُسْتَفَادُ مِنْ هذا الخِطَاب هُوَ النّظَرُ بنظرِ الاعتبار، لمعرفةِ كَيْفَ فَضَّلَ اللهُ بَعْضَ العِبَادِ على بَعْضٍ، فيما أمْدَدْنَاهُ مِنْ العطايا الدنيويَّة، وذلكَ لحكمةٍ بالغة تقتصِرُ العقولُ عَنْ إدراكِهَا. ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾، أي: ولدرجاتُ الآخِرَةِ أكبر، وأعظمُ مِنْ دَرَجَاتِ الدنيا، فإن درجاتِ الآخِرَةِ باقية غير متناهية، ونِعَمُ الدنيا فانية مُتناهية، ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾، أي: ولتَفَاضُلِهِمْ في الآخِرَةِ، وتفاوتِهم فيها أكبرُ مِنْ تفاوتِهم في الدنيا، فإنَّ مِنْهُمْ مَنْ يكونُ في الدركاتِ السُفْلَى في جهنَّم، ومِنْهُمْ مَنْ يكونُ في الدرجاتِ العُلْيَا في الجَنَّة([212])، والمقصودُ مِنْ هذا التنظير التنبيهُ إلى أنَّ عطاءَ الدُّنيا غيرُ منوطٍ بصلاحِ الأعمال. والدرجاتُ مُسْتَعَارَةٌ لِعَظَمَةِ الشَّرَفِ، والتفضيلُ: إعطاءُ الفَضْلِ، وهو الجِدَّةُ والنِّعمة. والمعنى: النعمةُ في الآخِرَةِ أَعْظَمُ مِنْ نِعَمِ الدُّنيا"([213]). فكما أن التفاضُلَ حَاصِلٌ بين النَّاسِ في الدُّنيا، فإنَّ التَّفَاضُلَ في الآخِرَةِ سيكونُ أكبر وأعظم، فالتشاكُل القائم بين الوَحْدةِ المعجميَّة ﴿فَضَّلْنَا﴾، و﴿تَفْضِيلاً﴾ قد أسهمَ في تحقيقِ الترابُط في هذا الخِطَاب، ولمعرفة أثرِ هذهِ الوحدةِ المعجميَّة في تحقيقِ الاتِّسَاقِ النصيِّ، نكتفي بقولِهِ: ﴿أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ دون قولِهِ: ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾، الأمرُ الذي يُؤَكِّد مَدَى التمايُز الحاصِل بَيْنَ التركيبين، ومن ثمَّ يمكن للمتلقي أن يَقِفَ على مدى التبايُن القائِم بغيابِ العُنْصُرِ المعجميِّ ومن ثُمَّ بوجودِهِ، وعليهِ فإن حضور العنصر المعجمي ﴿تَفْضِيلاً﴾ يُسهمُ في تحقيقِ التماسُكِ النصيِّ على المستوى الكليِّ مِنْ هذا الخِطَاب.

ومِنْ نماذجِ التصديرِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١﴾([214]). قال موسى (عليهِ السَّلام) للسَّحَرَةِ ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾، أي: لا تختلِقُوا على الله الكَذِبَ، ولا تتقوَّلُوهُ عليه([215])، والإفتراءُ: اختلاقُ الكَذِب، والجمعُ بَيْنَهُ وبَيْنَ ﴿كَذِبًا﴾ للتأكيد، ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾، أي: يَسْتَأْصِلَكُمْ، وجُمْلَةُ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ مَسُوقةٌ مساقَ التَّعليلِ للنَّهي، أي: اجْتَنِبُوا الكَذِبَ على الله، فقد خابَ مَنِ افترى عليهِ مِنْ قَبْلُ. وفي كلامِ موسى (عليهِ السَّلام) إعلانٌ بأنَّهُ لا يتقوَّلُ على الله مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِهِ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذلكَ سيَسْتأْصِلُهُ بعذاب، ويَعْلَمُ خيبةَ مَنِ افترى على الله، ومَنْ كانَ يَعْلَمُ ذلكَ لا يُقْدِمُ عليهِ([216]). ومن حَيْثُ التحليلُ النصيُّ فإنَّ العُنْصُرَيْنِ المعجميين ﴿لاَ تَفْتَرُوا﴾، و﴿افْتَرَى﴾ – بتضامِّهما من خِلالِ ردِّ الثاني (العَجُز) على الأَوَّل (الصَدْر) – قد سَاهَمَا في تجسيدِ الترابُطِ على امتدادِ هذا الخِطَاب القرآنيِّ، ويمكنُ للمتلقي أن يتلمَّسَ بوضوحٍ تلكَ الرَّابطةِ العلاقيَّة التي تربُطُ بَيْنَ العَجُزِ والصَدْر، الأَمْرُ الذي يُؤْذن

٢١٠- أنوار الربيع في أنواع البديع: ٦/ ١٤٤.
٢١١- (سورة الإسراء: ٢١).
٢١٢- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٦/ ٦٥-٦٦.
٢١٣- التحرير والتنوير: ١٥/ ٦٣-٦٤.
٢١٤- (سورة طه: ٦١).
٢١٥- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٣٢٧.
٢١٦- التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٤٩-٢٥٠.

بتحقيق خاصيَّةِ الاتساق النصيِّ، هذا، وَقَدْ رَبَطَ (د.سعد مصلوح) بَيْنَ هذِهِ العَلاقَةِ وَبَيْنَ مُحَاوَلَةِ اسْتِعَادَةِ ذاكرة الْمُتَلَقِّي وتَنْشِيطِهَا، بَعْدَ أَنْ كَادَ النَّصُّ أَنْ يَنْتَهِي، وكذلِكَ لِتَأْكيدِ نَصيَّةِ النَّصِّ[٢١٧]، فضلاً عَنْ تواصُلِهِ واستمراريتِهِ.

ومِنْ شواهِدِ التصديرِ كذلكَ، قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾[٢١٨]. وجملةُ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ مَسُوقَةٌ لتسليةِ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) وتعزيتِهِ، كأَنَّهُ قال: إنِ استهزأ بِكَ هؤلاءِ، فقد فُعِلَ ذلكَ بِمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُل. ﴿فَحَاقَ﴾، أي: أحاطَ ونزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾، أي: بالكفّار الذين استهزؤوا مِنَ الرُّسُل ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، أي: العذاب الذي كانوا بِهِ يستعجِلُون، ووضع ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مَوْضِعَ (يَسْتَعْجِلُون)، لأنَّ استعجالَهُمْ كان على وَجْهِ الاستهزاءِ، وهو وَعْدٌ لَهُ، بأنَّ ما يفعلون بِهِ يحيقُ بِهِمْ، كما حاقَ بالمستهزئين بالأنبياءِ جزاءً بِمَا فعلوا[٢١٩]. فقولُهُ: ﴿وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يَدُلُّ على جُمْلَةٍ مَطْوِيَّة إيجازاً، تقديرُها: واستهزأوا بِكَ ولقد استهزأت أُمَمٌ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ، لأنَّ قَوْلَهُ ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يُؤْذِن بأَنَّهُ (عليهِ الصلاةُ والسَّلام) قدِ استهزىء بِهِ هُوَ أيضاً. وَحُذِفَ فَاعِلُ الاستهزاءِ فَبُنِيَ الفِعْلُ إلى المجهول، لأنَّ المقصودَ هُنَا هُوَ ترتُّبُ أَثَرِ الاستهزاءِ لا تعيين المستهزئينَ[٢٢٠]. ومعنى الاستهزاءُ هُوَ: السخريَّةُ، أي: عَامَلَهُ فِعْلاً أَو قَوْلاً يحصل بِهِ احتقارُهُ[٢٢١]. وهُوَ مرادِفٌ للسخريَةِ في كلامِ أئِمَّةِ اللغةِ، فذكر ﴿اسْتُهْزِئَ﴾ أَوَّلاً لأَنَّهُ أشهر، ولَمَّا أُعِيْدَ عبّر بـ﴿سَخِرُوا﴾، ولَمَّا أُعِيْدَ ثالث مرَّة رجعَ إلى فِعْلِ ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وهذا مِنْ بديعِ فصاحَةِ القرآنِ المعجزة. واختيرَ فِعْلُ الإحاطةِ للدَّلالةِ على تمكّنِ ذلكَ مِنْهُمْ، وعدم إفلاتِهِ أحداً مِنْهُمْ، والمرادُ بـ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما أنذرهُم الرُّسُلُ بِهِ مِنْ سوء العاقبةِ، وحلولِ العذابِ بِهِم[٢٢٢]. ونحنُ نلحَظُ في هذا الخطاب تماسُكاً نصيَّاً واضِحاً من خلالِ تضامٍّ وحدتين مُعْجَمِيَتَيْن، هُمَا ﴿اسْتُهْزِئَ﴾، و﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وقد حَصَلَ هذا التماسُك النسيجيِّ مِنْ خِلالِ تردُّدِ الثانيةِ على الأولى، وفي هذا السياق أَكَّدَ الدكتور إبراهيم سلامة بقولِهِ إلى أنَّ "الكَلامَ الذي تُرَدَّدُ ألفاظُهُ، ويُرْجَعُ بعضُهَا إلى بَعْضٍ فيهِ تقريرٌ وبيانٌ وتدليل، ونَوْعٌ مِنْ زيادَةِ المعنى، ونَوْعٌ مِنَ الإيحاءِ بالكَلِمَةِ الثانية، ونَوْعٌ مِنَ الموسيقى يُحْدِثُهَا التَّكْرَار"[٢٢٣]. ومِنْ هُنَا فإن تصديرَ العنصر المعجميِّ ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ على العنصر المعجمي ﴿اسْتُهْزِئَ﴾ في هذهِ الآيَةِ يحملُ نوعاً مِنَ التقريرِ والبيان، والإيحاء الدلاليِّ، والتوافُقِ الموسيقيِّ، فضلاً عَنِ الاتساق النصيِّ.

وَالْمُلاحَظُ في الآيَاتِ القُرْآنِيَّة – الّتِي ذُكِرَ فيها التَّصديرُ بالْمَعْنَى البَدِيعيِّ – أَنَّ الْحُكْمَ الْمَذكُور في نهايَةِ الآيَةِ يكونُ عَلَى وِفْقِ الفِعْلِ الْمَذكُور في صَدْرِ الآيَةِ، فَمَثَلاً أَنَّ كَلِمَةَ (فَضَّلْنَا) هِيَ فِعْلٌ ثُمَّ جَاءَ الْحُكْمُ العَامُّ في نِهَايَةِ الآيَةِ (أَكْبَرُ تَفْضِيلاً)، وَكَذلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فـ(تفتروا) هُوَ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ الكُفّارِ ثُمَّ جَاءَ الْحُكْمُ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾، وَكَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، ثُمَّ جَاءَ الْحُكْمُ ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، فَدَلَّ كُلُّ ذلِكَ عَلَى أَنَّ (التَّصْدِير) في الخِطَابِ القُرْآنِيِّ هُوَ مُوَافَقَةُ الحُكْمِ العَامِّ الكُلِيِّ لِفِعْلٍ ذُكِرَ في بِدَايَةِ أَوْ وَسَطِ الآيَةِ، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ هذِهِ الْمُوَافَقَةَ – بَيْنَ الفِعْلِ والْحُكْمِ – إِنَّمَا تُسْهِمُ في تحقيقِ التَّرَابُطِ في النسيجِ النَّصيِّ.

الموازنة وأثرها في تماسُكِ النص:

الموازنةُ مَدْخلٌ مِنَ المداخِلِ البديعيَّة التي تسهمُ في تحقيقِ الترابُط في الخِطَاب، وقد شَهِدَ هذا الفنِّ البديعيِّ في يَوْمِنَا هذا تطوُّراً مَلْحُوظاً مُقارَنةً مِمَّا كان عليهِ سابقاً، وقد عُرِّفت الموازَنَةُ في الدَّرْسِ البلاغيِّ بتعريفاتٍ عديدة، إلا أن البحثَ يكتفي بإيرادِ بعضِها،

٢١٧– نحو أجروميَّة للنصِّ الشعري: دراسة في قصيدةٍ جاهليَّة:١٥٧.
٢١٨– (سورة الأنبياء: ٤١).
٢١٩– تفسير حدائق الروح والريحان: ١٨/ ٨٣–٨٤.
٢٢٠– التحرير والتنوير: ٧/ ١٤٧.
٢٢١– م.ن: ١/ ٢٩٢–٢٩٣.
٢٢٢– م.ن: ٧/ ١٤٧–١٤٨.
٢٢٣– بلاغة أرسطو بين العرب واليونان:١٢٧–١٢٩.

وهِيَ أن الموازنة تعني: "أن تكونَ الألفاظُ مُتَعَادِلَةَ الأَوْزَان، مُتواليةَ الأَجْزَاءِ"(٢٢٤). أو "أن تكون ألفاظُ الفَوَاصِلِ مِنَ الكَلامِ المنثور مُتساويةً في الوَزْنِ، وأن يكونَ صَدْرُ البَيْتِ الشِّعريِّ وَعَجُزُهُ مُتَسَاوِيَي الألفَاظِ وَزْنًا، وللكلامِ بذلكَ طلاوَةٌ وَرَوْنَق، وسَبَبُهُ الاعتدالُ، لأَنَّهُ مطلوبٌ في جميعِ الأشياء، وإذا كانتْ مَقَاطِعُ الكَلامِ مُعْتَدِلَةً وَقَعَتْ مِنَ النَّفْسِ مَوْقِعَ الاسْتِحْسَان، وهذا لا مِرَاءَ فيهِ لوضوحِهِ(٢٢٥). وفي هذا السياق ذهَبَ العلويّ (ت٧٤٩هـ) إلى أن الكلامَ – في المنظومِ والمنثورِ – متى كانَ خارجًا على هذا المخرج، كان مُتَّسِقَ النظامِ، رشيقَ الاعتدال"(٢٢٦). والموازنةُ عند السلجماسي (ت١٢١٤هـ) تعني: "إعادةُ اللفظِ الواحِدِ بالنَّوْعِ في مَوْضِعَيْنِ مِنَ القَوْلِ فَصَاعِداً هُوَ فيهما مُخْتَلِفُ النهايةِ بحرفَيْنِ مُتَبَايِنَيْن، وذلكَ أنه تَصْيِيرُ أجزاءِ القَوْلِ مُتَنَاسِبَةَ الوَضْعِ، مُتَقَاسِمَةَ النَّظْمِ، مُعتدلةَ الوَزْنِ، مُتَوَخّىً في كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُمَا أن يكون بزنةِ الآخَرِ"(٢٢٧). والموازنةُ عند الدكتور أحمد مطلوب، هي: "أن تكونَ الفاصِلَتَان مُتَسَاوِيَتَيْنِ في الوَزْنِ دونَ التقفية، وهِيَ قريبةٌ مِنْ بَعْضِ أَلْوَانِ السَّجْعِ غَيْرَ أَنَّهُ يكونُ مع اتِّفَاقِ الأَوَاخِرِ، في حين لا يُشْتَرَطُ فيها ذلك"(٢٢٨). و"هذا النَّوْعُ مِنَ الكَلامِ هُوَ أخُو السَّجْعِ في المَعادَلَةِ دون المماثلةِ، لأنَّ في السَّجْعِ اعتدالاً وزيادَةً على الاعتدال، وهِيَ تماثُل أجزاءِ الفَوَاصِلِ لوُرُودِهَا على حَرْفٍ واحِد، وأمَّا المُوَازَنَةُ ففيها الاعتدالُ الموجودُ في السَّجْعِ، ولا تَمَاثُلَ في فواصِلِهَا"(٢٢٩). إذ إن في الموازنةِ عمومٌ وخصوص، فيُقال: "كُلُّ سَجْعٍ مُوَازَنَة، ولَيْسَ كُلُّ مُوَازَنةٍ سَجْعًا، وعلى هذا فالسَّجْعَ أَخَصُّ مِنَ المُوَازَنَة"(٢٣٠)، هذا فيما يَتَعَلّق بمفهومِ الموازنة في الدَّرْسِ البلاغي القديم، أَمَّا التَّوازي في الدَّرس النصيِّ الحديث، فَهُوَ: "عِبَارَةٌ عَنْ تَمَاثُلٍ قَائِم بَيْنَ طَرَفَيْنِ مِنَ السِّلْسِلَةِ اللّغَوِيَّةِ نَفْسِهَا"(٢٣١)، أو هُوَ: "عِبَارَةٌ عَنْ جُمْلَتَيْنِ لَهُمَا البُنْيَةُ نَفْسُها، بحيث يكون بَيْنَهُمَا عَلاقَةٌ مَتِينة تقومُ عَلَى أساسِ الْمُشَابَهَةِ، أو عَلَى أساس التضاد"(٢٣٢)، وَقَدْ عُرِّفَ التَّوَازي أيضاً، بأَنَّهُ: "مُرَكّبٌ ثنائي التَّكوين، أَحَدُ طَرَفَيْهِ لا يُعْرَفُ إلاّ منْ خِلالِ الآخَرِ، وهذا الآخَرُ – بِدَوْرِهِ – يَرْتَبِطُ مَعَ الأَوَّلِ بِعَلاقَةٍ هِيَ أَقْرَبُ إلى التَّشَابُه"(٢٣٣). ومِنْ أمثلةِ الموازنةِ، قولُهُ تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ۝١٠١﴾(٢٣٤). وأمَّا مثالهُ في السنَّة النبويَّة، فقولُهُ (عليهِ الصلاة والسَّلام): (خذ مِنْ صحَّتِكَ لسقمك ومن شبابِكَ لهرمك)(٢٣٥). فالسقمُ والهرمُ متفقان وزناً مع اختلافِهما في اللفظ(٢٣٦). والتَّوَازي في الْمَفْهُومِ النَّصِيِّ، "هُوَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ النِّظَامِ الْمُعْجَمِيِّ الّذِي يَتَمَثَّلُ في تقسيمِ الفَقَرَاتِ بِشَكْلٍ مُتَمَاثِل في الطّولِ والنَّغَمَةِ، بِحَيْثُ تُبْرِزُ عَنَاصِرَ مُتَمَاثِلَة في مَوَاقِعَ مُتَقَابِلَة في الخِطَاب"(٢٣٧)، وهُوَ فيما يَبْدُو أَدَاةٌ رَئِيسَة في نَسِيجِ اللّغة(٢٣٨)، وَيَسْتَهْدِفُ التَّوَازي بِجَانِبِ جَمَالِيَّتِهِ في النَّسَقِ الأَدَائِيِّ – مَقْرُوءًا وَمَسْمُوعًا – ضَمَانَ دَوَامِ الرِّسَالَةِ الأَدَبِيَّة في الذَّاكِرَة، وتحقيقَ مَبْدَأ التَّنَاسُبِ والانْسِجَامِ فِيْهَا(٢٣٩)، وكُلّمَا كَانَ التَّوَازي عَمِيْقًا

٢٢٤- الكافي في العروض والقوافي:١٧٦.
٢٢٥– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ٢٩١. والطراز: ٣/ ٢٢.
٢٢٦– الطراز: ٣/ ٢٢.
٢٢٧– المنزع البديع:٥١٤.
٢٢٨– فنون بلاغيَّة، البديع، البيان:٢٥٦.
٢٢٩– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ٢٩١.
٢٣٠– م.ن: ١/ ٢٩١.
٢٣١– شعرية القصيدة العربية المعاصرة.. دراسة أسلوبية:١٤٤.
٢٣٢– م.ن:١٤٤.
٢٣٣– م.ن:١٤٤.
٢٣٤– (سورة طه: ١٠٠–١٠١).
٢٣٥– صحيح. أخرجَهُ الحاكِم والبيهقي في شعب الإيمان.
٢٣٦– الطراز: ٣/ ٢٢.
٢٣٧– بلاغة الخطاب وعلم النص:١٩٨.
٢٣٨– م.ن:١٩٨.
٢٣٩– بلاغة الخطاب وعلم النص:١٩٨. وجماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٦٦.

وَمُتَّصِلاً بِالْبُنْيَةِ الدَّلالِيَّة كَانَ أَحْفَلَ بِالْجَمَالِيَّةِ وَأَكْثَر ارْتِبَاطاً بِالتَّشَاكُلِ الخِطَابِيِّ فِي مُسْتَوَيَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَة[٢٤٠]، ومِنْ هنا فإنَّ التوازيَ بَيْنَ العناصِرَ المعجميَّة إنما تعملُ على إقامةِ علاقاتٍ ترابُطيَّة توافقيَّة تحقِّقَ درجةً عالية مِنَ الاتِّساقِ النصيِّ.

الموازنة في الخطابِ القرآني:

ومِنْ صُوَرِ الموازنةِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾[٢٤١]. والنَّمَارِق: جَمْعُ نُمْرُقة، وهِيَ الوسادة التي يُتَّكَىء عليها[٢٤٢]، ومصفوفة، أي: مصفوفٌ بعضها إلى جوانِب بعض، كما يشاهد في بيوتِ أهل الغنى واليسار[٢٤٣]، وزَرَابِيّ: جَمْعُ زَرْبِيَّة، وهِيَ البِسَاطُ المنسوجُ مِنَ الصوف الملوّن النَّاعِم، والمبثوثة: المنتشرة على الأرض بكثرة[٢٤٤]. أو "مبسوطة على السرر زينةً وتمتُّعاً، أو مبسوطة تحتهم"[٢٤٥]. ومِنْ حَيْثُ التحليلُ الْمُعْجَمِيُّ للنَّصِّ فَإِنَّ "لَفْظَا (مصفوفة، ومبثوثة) مُتَسَاوِيَان فِي الوَزْن لا في التقفية، لأن الأوَّل على الفاء، والثاني عَلَى الثاء"[٢٤٦]، فَالْمُوَازَنَةُ الصَّوْتِيَّةَ – فِي هذِهِ الآيَةِ – قَدْ أَسْهَمَتْ فِي تحقيقِ سِمَةِ التَّرابُطِ النَّصِيِّ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ الْمُتَوَازِيَيْنِ، ولَكَأَنَّ الأوَّل يَرْتَبِطُ بالثَّانِي ارتباطاً دلاليًّا، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ التَّوَازِي الْموسيقيِّ فِي هذا الْخِطَاب قَدْ أَثَارَ انْتِبَاهَ الْمُتَلَقِّي لمتابعة هذا الإيقاع الْمُتَنَاغِم، الّذِي تَجَاوَز الْجُمْلَةَ الْوَاحِدَة إلى ما وراءَها مِنْ جُمَل، الأَمْرُ الّذِي حَقّقَ نصيَّة النَّصِّ عَلَى الْمُسْتَوَى العَامّ مِنْ هذا الْخِطَاب، فَضْلاً عَنْ تَحْقِيقِ الْغَرَضَ التَّوَاصُلِيِّ والإِقْنَاعِيِّ فيهِ.

ومِنْ أشكالِ الموازنة كذلكَ، قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾[٢٤٧]. وقولُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلَمْ يا مُحَمَّد ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾، أي: سلّطنا الشياطينَ، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾، أي: تُغْرِيهِمْ وتُهَيِّجُهُمْ على المعاصِي[٢٤٨]. والأَزُّ: الهزُّ، والاستفزاز الباطني، مأخوذٌ مِنْ أزيزِ القِدْرِ إذا اشتدَّ غَلَيَانُها. شبّه اضطرابُ اعتقادِهِمْ، وتناقض أقوالِهِمْ، واختلاقُ أكاذِيبِهِمْ بالغَلَيَانِ في صعودٍ وانخفاض، وفَرْقَعَةٍ وسكُون[٢٤٩]. وقولُهُ: ﴿فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: فلا تستعجِلْ يا مُحَمَّد بطلبِ العقوبةِ عليهم[٢٥٠]، وانتظرْ يومَهُم الموعود[٢٥١]، أمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، أي: نعدُّ لهم أيَّامَ آجالِهِم ﴿عَدًّا﴾[٢٥٢]، والعدُّ: الحِسَاب"[٢٥٣]، وهُوَ هُنا: كنايَةٌ عَنِ القِلّة[٢٥٤]. والموازَنةُ هُنَا في هذا الخطاب قد حَصَلَتْ بَيْنَ العُنْصُرَيْنِ الْمُعْجَمِيَيْنِ: (أزًّا، وعدًّا)، "فَقَدْ جَاءَ كُلُّ زَوْجٍ عَلَى وَزْنٍ وَاحِد، وإن اختلفتْ أحرفُ التقفيةِ أو المقاطِعِ الّتِي هِيَ فواصِلُها"[٢٥٥]. وفضلاً عَنْ ذلك فإن هذه الموازنةُ التي حصلت في هذِهِ الآيَةِ قَدْ أَسْهَمَتْ فِي تَحْقِيقِ الاتساقِ النصيِّ، وعليهِ فالتوازي – بوصفه آليَّةً اتساقيَّة – إنما يعملُ على إقامةِ علاقةٍ تَرَابُطِيَّة بَيْنَ العناصِرِ المعجميَّة التي تتوارد وتتواتر في توازن وتوافق، وهُوَ ما يعزِّزُ مِنْ قوَّةِ التَّمَاسُكِ النسيجيِّ عَلَى الْمُسْتَوَى الْكُلِيِّ مِنْ الْمِعْمَارِ النَّصِيِّ.

٢٤٠- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٦٦.
٢٤١- (سورة الغاشية: ١٥-١٦).
٢٤٢- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٢.
٢٤٣- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١/ ٣٨١.
٢٤٤- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٢-٣٠٣.
٢٤٥- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١/ ٣٨١.
٢٤٦- في البلاغة العربيَّة علم المعاني، البيان، البديع:٦٥٧.
٢٤٧- (سورة مريم: ٨٣-٨٤).
٢٤٨- تفسير حدائق الروح والريحان، ١٧: ٢٢٢.
٢٤٩- التحرير والتنوير، ١٦: ١٦٥.
٢٥٠- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٢٢٢.
٢٥١- التحرير والتنوير: ١٦/ ١٦٦.
٢٥٢- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٢٢٢.
٢٥٣- التحرير والتنوير: ١٦/ ١٦٥- ١٦٧.
٢٥٤- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٢٢٣.
٢٥٥- في البلاغة العربيَّة علم المعاني، البيان، البديع:٦٥٨.

وَمِنْ نماذِجِ الموازَنَةِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾([256]). فقولُهُ: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾، أي: عَنْ ذلكَ الذِكْرِ العظيم الشأن، ﴿فَإِنَّهُ﴾، أي: فإنَّ ذلكَ المعرض عنه ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾، أي: عقوبةً ثقيلةً على كُفْرِهِ، وسائِرِ ذنوبِهِ، وتسميتها وِزْرًا: تشبيهاً في ثقلها على المعاقَب، وصعوبةِ احتمالِهَا بالحِمْل الذي يقدحُ الحامِل، وينقضُ ظهرَهُ، أي: فإنَّه يَحْمِلُ يَوْمَ القيامَةِ مِنَ الأوزارِ والآثامِ ما لا يَقْدِر على حَمْلِهِ([257]). وقولُهُ: ﴿وَسَاءَ﴾، هُوَ أحَدُ أفعالِ الذمِّ مِثل (بِئْس)([258])، أي: وبِئْسَ الوِزْرُ ﴿لَهُمْ﴾، والمخصوصُ بالذم: محذوف تقديرُهُ: وساءَ لَهُمْ حِمْلاً وِزْرُهُمْ([259]). واللامُ في قَوْلِهِ: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ﴾، لامُ التبيين، وهِيَ مُبَيِّنَةٌ للمفعولِ في المعنى، لأنَّ أَصْلَ الكَلام: سَاءَهُمُ الحِمْلُ، فجيءَ باللامِ لزيادةِ تبيينِ تَعَلّقِ الذمِ بحملِهِ، وقَوْلُهُ: ﴿حِمْلاً﴾ بكسرِ الحاءِ، اسمٌ بمعنى المَحْمُول([260]). وما يلحظَهُ الْمُتَلَقِّي في هذهِ الآيَةِ هُوَ تلكَ الموازنة القائمَة بَيْنَ عُنْصُرَيْنِ مُعْجَمِيين، وهُمَا: ﴿وِزْرًا﴾، و﴿حِمْلاً﴾، وهذا التَّوَازي الحَاصِلُ بَيْنَهُما قد حقّق التَّمَاسُكَ النَّصِيِّ في هذا الخِطَابِ القُرْآنيِّ، وَمَا يُلْحَظُ أَيضاً هُوَ الجَمْعُ بَيْنَ (الْمُوَازَنَةِ)، و(التَّصديرُ)، وذلِكَ بَيْنَ قَوْلِهِ ﴿يَحْمِلُ﴾، و﴿حِمْلاً﴾، وعَلَيْهِ فَقَدْ اجتَمَعَتْ عِدَّةُ مَسَالِكُ بديعيَّة في آيَةٍ وَاحِدَةٍ، وفي نَصٍّ وَاحِد، مِمَّا يَجْعَلُ النَّصَّ القُرْآنِيَّ يَأْخُذُ بَعْضَهُ بِبعض، بحيث يتعَذرُ حَذْفُ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ، فَلَوْ حُذِفَ لَفْظٌ وَاحِدٌ مِنْهُ، لَبَطُلَ التَّمَاسُكُ والتَّلاحُمُ فيهِ، وَمِنْ هُنَا فإنَّ الخِطَاب القُرْآنِيِّ يَتَوَفّرُ عَلَى آليَّاتٍ مُتَعَدِّدة لتحقيقِ الوظيفةِ التَّواصُليَّة الإقناعيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجه.

وَمِنْ شواهِدِ الموازنةِ أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾([261]). وقَوْلُهُ: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّد على استهزائِهِم ﴿صَبْرًا جَمِيلاً﴾، أي: صَبْراً لا جَزَعَ فيهِ، ولا شكوى لغيرِ الله([262]). وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ﴾، أي: إنَّ أَهْلَ مَكّة ﴿يَرَوْنَهُ﴾، أي: يَرَوْنَ العذابَ الواقِعِ بِهِمْ، أوْ يَرَوْنَ يَوْمَ القيَامَة ﴿بعيداً﴾([263]). وقَوْلُهُ: ﴿بَعِيدًا﴾ هُنَا كنايَةٌ عَنْ معنى الإحالةِ، لأَنَّهُم لا يؤمنون بوقوعِ العذابِ الموعودِ بِهِ، ولكنَّهم عبَّرُوا عَنْهُ بـ(بعيد) تشكيكاً للمؤمنين([264]). وقَوْلُهُ: ﴿قَرِيبًا﴾، أي: هَيِّنَاً في قُدْرَتِنَا غيرَ بعيدٍ عَلَيْنَا، ولا مُتَعَذِّر، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيْب، والبُعْدُ والقُرْبُ في الإمْكَان، لا في المسافة([265]). واستعمل ﴿قَرِيبًا﴾ كنايَةً عَنْ تحقّقِ الوقوعِ على طريقِ المشاكَلَةِ التقديريَّة، والمبالغة في التحقّق. وبَيْنَ ﴿بَعِيدًا﴾، و﴿قَرِيبًا﴾ مُحَسن الطِبَاق([266]). وقَوْلُهُ: ﴿كَالْمُهْلِ﴾، أي: كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ، والمعنى تشبيهُ السَّمَاءِ في انحلال اجزائِهَا بالزَّيْتِ، وقَوْلُهُ: ﴿كَالْعِهْنِ﴾، أي: كالصُّوفِ المصبوغِ ألواناً([267]). وَمِنْ حَيْثُ التَّحليلُ النصيُّ، فإنَّ هُنَاكَ مُوازنةٌ بَيْنَ ﴿بَعِيدًا﴾، و﴿قَرِيبًا﴾، و﴿كَالْمُهْلِ﴾، ﴿كَالْعِهْنِ﴾، وَنَلْحَظُ في هذِهِ الْمُوَازَنَةِ اتِّسَاقاً مُعْجَمِيّاً مِنْ خِلالِ اسْتِدعَاءِ كُلِّ عُنْصُرٍ مُعْجَمِيٍّ لعُنْصُرٍ مُعْجَمِيٍّ آخَر، وهذا الاستدعاءُ العَلاقي يُسْهِمُ في تحقيقِ الترابُطِ على مستوى هذا الخطابِ كُلِّهِ، وَمَا يُلْحَظُ هنا أيضاً هُوَ الجَمْعُ بَيْنَ (الْمُوَازَنَةِ)، و(الطِّبَاق)، كَمَا في قَوْلِهِ: ﴿بَعِيدًا﴾، و﴿قَرِيبًا﴾، وَهُوَ ما يُؤَكِّدُ أيضاً تِلْكَ السِمَةِ الّتِي يَنْمَازُ بِهَا الخِطَابُ القُرْآنِيِّ كَوْنَهُ يَجْمَعُ بَيْنَ عِدَّةِ مَسَالِكَ بديعيَّة، الأَمْرُ الّذِي يُؤْذِنُ بتحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصِيِّ فِيْهِ.

٢٥٦- (سورة طه: ١٠٠-١٠١).
٢٥٧- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٤١٢-٤١٣.
٢٥٨- التحرير والتنوير: ١٦/ ٣٠٣.
٢٥٩- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٧/ ٤١٣.
٢٦٠- التحرير والتنوير: ١٦/ ٣٠٣.
٢٦١- (سورة المعارج: ٥-٩).
٢٦٢- تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٠/ ٢٠٧.
٢٦٣- م.ن: ٣٠/ ٢٠٨.
٢٦٤- التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٥٨.
٢٦٥- البحر المحيط: ٨/ ٣٢٧-٣٢٨.
٢٦٦- التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٥٨.
٢٦٧- م.ن: ٢٩/ ١٥٩.

التكرار

التَّكـرارُ وأثرهُ في تماسُكِ النصِّ:

التَّكْرَارُ هُوَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ الاتِّسَاقِ المُعْجَمِيِّ على مَسْتَوى النَّصِّ(١)، وهُوَ مِنَ الأَسَاليْبِ التي يُؤْتَى بِهَا لتأكيدِ القَـوْلِ وتَثْبِيْتِـهِ، حِيْنَمَا يَسْتَلْزِمُ المَقَامُ ذلِكَ(٢). ويُعَدُّ مِنَ الرَّوَابِطِ التي تَصِلُ بَيْنَ العَلامَاتِ اللِّسَـانيَّة(٣)، والّتِـي تُحَقِّـقُ غَرَضَـاً تَوَاصُـلِيَّاً بَـيْنَ طَرَفَـيْ التَّخَاطُب، وتَتَمَثَّلُ هذِهِ الآلِيَّةُ في تَكْرَارِ لفظٍ، أَوْ مُرَادِفٍ لهُ، أَوْ شِبْهِ مُرَادِفٍ، أَوْ عُنْصُرٍ مُطْلَق، أَوْ اسْمٍ عامّ"(٤)، وهُوَ مِنَ الظّـواهِرِ التي تَتَّسِمُ بِهَا اللغاتُ عَامَّة، واللغةُ العربيَّة خاصَّة(٥)، إذِ الْمَعْرُوفُ في جَمِيْعِ اللّغَاتِ أَنَّهَا حَافِلَةٌ بِأَشْكَالٍ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ عَلَى كُلِّ الْمُسْتَوَيَاتِ، وَأَنَّهَا مُولَعَةٌ بِالتَّكْرَارِ، وهذه الْمُمَارَسَةُ غَيْرُ الاقْتِصَادِيَّة لِلْكَلامِ تَعُود إلى أَنَّ الْمُخَاطِبَ يُرِيدُ أَنْ يَضْمَنَ لِرِسَـالَتِهِ اللّغَوِيَّـةِ دَرَجَةً عَالِيَةً مِنْ أَمْنِ اللّبْسِ يَتَفَادَى فِيْهَا أَخْطَاءَ التَّوْصِيل(٦)، وَعَلَيْهِ فالْمُخَاطِب قَدْ يَلْجَأُ أَحْيَاناً إلى التَّكْرَارِ مِنْ أَجْـلِ التَّركيـزِ عَلَـى قضيَّةٍ مُهِمَّةٍ تَنْطَوِي عَلَى حُمُولةٍ دلاليَّةٍ مُكَثَّفة، وَهُوَ بذلِكَ يُمَثِّلُ أَحَدَ مَعَايِيرِ الكَفَاءَةِ النَّصيَّة، أَوِ الْمِعْيَارُ الأَهَمّ في نصيَّةِ النَّصِّ، كَوْنَهُ يُسْهِم في تَمَاسُكِهِ، ومِنْ هُنَا فإنَّ وجودَ عَلاقَةٍ مَعْنَويَّةٍ بَيْنَ عُنْصُرٍ في النَّصِّ وعُنْصُرٍ آخَرَ يَكُونُ ضَرُورِيَّاً لِتَفْسِيرِ الـنَّصِّ الّـذِي يَحْمِـلُ مَجْمُوعةً مِنَ الحَقَائِقِ المتوَالِيَّة(٧)، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ وَظِيفَةَ التَّكْرَارِ لا تَقِفُ عِنْدَ كَوْنِهِ ظَاهِرَةً مُوسِيقِيَّة تَسْتَلِذُّهَا الأَسْـمَاعُ، وَتَرْتَـاحُ لَهَـا النُّفُوس، بَلْ إنَّهُ يُؤَدِّي دَوْرَاً بِنَائِيَّاً في عَمَلِيَّةِ الرَّبْطِ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ مُحَقِّقَاً ضَرْبَاً مِنَ التَّلاحُمِ وَالانْسِجَامِ وَالْوَحْدَة(٨). وبناءً عَلَى مَا سَبَقَ فَإِنَّ التَّكْرَارَ يُمثِّلُ وَحْدَةٍ واحِدَة تَشُدُّ مِنْ أَوَاصِرِ النَّصِّ، وهذا مَا نَادَتْ بِهِ لِسَانِيَّاتُ النَّصِّ(٩). ويَتَواصَلُ الباحثون في لِسَـانيَّات النَّصِّ في رَصْدِ الدَّوْرِ الذي يقومُ به (التَّكْرَارُ) لِيَنْتَقِلُوا بِهِ مِنْ أُفقِ التحسينِ في البَلاغَةِ القديمـة إلى أُفـقِ سَـبْكِ الـنَّصِّ، حَيْـثُ تَـرَى اللسانيَّاتُ النصيَّة أنَّ الصِّفَةَ القارَّةَ في النَّصِّ هِيَ صِفَةُ الاطِّرَادِ أَوْ الاستمراريَّةِ، وهِيَ صِفَةٌ تَعْنِي التواصُلَ، والتتـابُعَ، والترابُـطَ بَـيْنَ الأَجْزَاءِ المكوِّنة للنَّصِّ. وهذِهِ الاستمراريَّةُ مِعْيَارُهَا وتجسيدُهَا هُوَ السَّبْكُ (الاتِّساق) الّذِي يَلْعَبُ دَوْرَاً خَاصَّاً في بِنَاءِ النَّصِّ. ويَتَحَقَّقُ السَّبكُ المُعْجَمِيُّ بَيْنَ المفردات أَوْ الألفاظِ عَبْرَ ظاهِرَتَيْنِ لُغَوِيَتَيْنِ هُمَا: التَّكْرَارُ، والمصـاحبةُ المعجميَّـة(١٠). ولعـلَّ مِـنْ أَهَـمِّ أَشْـكَالِ (التَّكْرَارِ) الّتي تقومُ بوظيفةِ السَّبْكِ النَّصيِّ (التَّضَامُّ)، وهُوَ مَا يَتَحَقَّقُ بِتَوَارُدِ زَوْجٍ مِنَ الوَحْدَاتِ المُعْجَمِيَّـة بِالفِعْـلِ، أَوْ بِـالقُوَّة نَظَـراً لارْتِبَاطِهِمَا بِعَلاقةٍ دلاليَّة مُعيَّنة(١١). والتَّكْرَارُ وظيفيَّاً يُؤَكِّدُ هذِهِ العَلاقةَ الجدليَّةَ القائِمَةَ بَيْنَ العَنَاصِرِ المتكـرِّرَةِ في الخِطَـابِ، ولمعرفـةِ هذا الأَثَرِ الوظيفي للتَّكْرَارِ فإنَّ البَحْثَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الضَّرُورةِ أَنْ نُوَجِّهَ أَنْظَارَنَا إلى الإِرْثِ اللغويِّ العَرَبِيِّ، لكونهِ يَتَوَفَّرُ على نصُوصٍ كثيرة، فيها لَمَحَاتٌ وإشاراتٌ دَّالّةٌ إلى وَظَائِفِ التَّكْرَارِ المتعدِّدة في الخِطَابِ اللغـويِّ، ومِـنْ خِـلالِ هـذِهِ النُّصُـوص المختلفـة يَقِـفُ البَاحِثُ على ذلِكَ الدَّوْرِ الوظيفيِّ التواصُليِّ لأُسلُوبِ التَّكْرَارِ الّذِي أُشْبِعَ دِرَاسَةً في تُرَاثِنَا اللّغَوِيِّ، ولَكِنَّ البَحْثَ هُنَا يَكْتَفِي بِإيرَادِ عَدَدٍ مِنَ هذِهِ النصوصِ التي تمثِّلُ دَلِيْلاً وَاضِحَاً على إسْهَامِ عُلَمَائِنَا القُدَامَى في تَأْصِيْلِ هذِهِ الظاهِرَةِ اللّغَوِيَّة، ويَسْـتَهِلُّ البَحْـثُ هُنَـا بالشَّرِيفِ الجرجانيُّ (ت٨١٦هـ) الّذِي عَرَّفَ (التَّكْرَارَ) في (تعريفاتِهِ)، بأَنَّهُ: "عِبَارَةٌ عَنِ الإثباتِ بِشَـيءٍ مَـرَّةً بَعْـدَ الأُخْـرَى"(١٢). وَعَرَّفه السجلماسي (ت١٢١٤هـ) بأنّه "إعادة اللفـظ بالعَـدَدِ أو النَّـوْعِ، أو المعنَـى الواحِـد بالعَـدِد أو بـالنَّوْع في القَـوْل مـرَّتَيْن فَصَاعِداً"، والتَّكريرُ اسمٌ لمحمول يُشَابِهُ (بِهِ) شَيْءٌ شَيْئَاً في جَوْهَرِهِ المشترك لَهُمَا، ويَرَى "أنّ تحتَهُ نَوْعَان: أَحَدُهُمَا التَّكْريـرُ اللفظـيِّ، ولْنُسَمِّهِ مُشَاكَلَةً، والثاني: التَّكريرُ المعنويِّ، ولْنُسَمِّهِ مُنَاسَبَةً، وَذلِكَ لأَنَّهُ إمَّا أنْ يعيدَ اللفظَ، وإمَّا أنْ يعيدَ المعنى، فإعَادَةُ اللّفْظِ هُـوَ

١- لسانيَّات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٤.
٢- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني:٤٨٨.
٣- المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ١٠٠.
٤- لسانيَّات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٤.
٥- التكـرار ودوره في التماسك النصّي:٣.
٦- بلاغة الخطاب وعلم النص:١٨١.
٧- التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين:١٤.
٨- سورة الدهر.. قراءة تأملية، د.بشرى البستاني:٣٧، نقلاً عن جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٦٩.
٩- التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين:٢.
١٠- شعريَّة التَّكرار من الأصل الشعائري إلى التأصيل الفني:٢٤.
١١- لسانيات النص.. مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥.
١٢- التعريفات:١١٣.

التَّكريرُ اللفظيّ، وهُوَ المشاكلةُ، وإعادةُ المعنى هُوَ التَّكريرُ المعنويِّ وهُوَ المَناسَبَةُ"(١٣)، وَبِنَاءً عَلَيْهِ فَقَدِ اقْتَرَنَ التَّكْرَارُ بِالتَّوْكِيدِ في الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ عمُوماً، لأَنَّ الْغَرَضَ مِنَ التَّكْرَارِ – غَالِبَاً – هُوَ التَّوْكِيد، وتَثْبِيتُ الْمَعْنى في نَفْسِ الْمُتَلَقِّي، فَمِنْ ذلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ)، الّذِي أَكّدَ بقولِهِ في المدخل الذي سَمَّاهُ (بَابٌ في الاحتياط): "اعْلَمْ أَنَّ العَرَبَ إذا أرادتِ المعنى مَكّنَتْهُ واحتاطَتْ لَه. فَمِنْ ذلكَ التَّوكيدُ، وهُوَ على ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا تَكْرِيرُ الأَوَّلِ بِلَفْظِهِ. وهُوَ نحو قَوْلِكَ: قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ، وضَرَبْتُ زَيْدَاً ضَرَبْتُ، وقَدْ قَامَتِ الصَّلاةُ قَدْ قَامَتِ الصَّلاةُ، والله أكبر الله أكبر. والثاني: تَكْرِيرُ الأَوَّلِ بمعناهُ، وهُوَ على ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا للإِحَاطَةِ والعُمُومِ، والآخَرُ للتثبيتِ والتَّمْكِيْنِ. الأوَّلُ كَقَوْلِنَا: قَامَ القَوْمُ كُلُّهُم، وَرَأَيْتُهُمْ أَجْمَعِيْنَ، وَمَرَرْتُ بِهِمَا كِلَيْهِمَا. والثاني نحو قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ نفسُهُ، وَرَأَيْتُهُ نَفْسُهُ"(١٤). وَالتَّوْكِيدُ إِمَّا أَنْ يُطْلَقَ عَلَى اللَّفْظِ الدَّالِ عَلَى التَّقْرِيرِ، وَإِمَّا عَلَى الْحَاصِلِ مِنَ اللَّفْظِ وَهُوَ التَّقْرِيرُ نَفْسُهُ، وَهُوَ تَثبيتُ الْمَعْنَى في ذِهْنِ الْمُخَاطَب، وإلى ذلك ذهَبَ أبو البَقَاءِ العُكْبَري (ت٦١٦هـ)، بقولِهِ إلى أنَّ: "التَّوكيدَ تمكينُ المعنى في النَّفْسِ... ولفظُهُ على ضربَيْنِ: أحدُهما إعادة الأوَّل بعينِهِ، ويكون ذلكَ في الأَسْمَاءِ والأَفْعَالِ والحُرُوفِ، والجُمَل، والثاني غيرُ لفظِ الأوَّل، ولكن في مَعْنَاه"(١٥)، ويأخذُ التأْكِيْدُ أَوْ (التَّكْرَارُ) نَمَطَاً تَكْرَارِيَّاً عِنْدَ البَلاغيين، ويظهرُ أنَّ إِحْسَاسَهُم في هذا المَبْحَثِ قَائِمٌ على أَسَاسِ أَنَّ الكَلامَ الإِنْسَانيِّ يَحْوِي فَائِضَاً يُمْكِنُ حَذْفُهُ، أَوْ الاستغناءُ عَنْهُ دون أَنْ يُعَطِّلَ ذلكَ مَقْدِرَةَ المتلقّي على الفَهْمِ والتَّأَثُّر(١٦). وهذا الفائِضِ اللغويِّ يَحْوِي الكثيرَ مِنَ التَّوكيدِ والتَّكريرِ اللّذان يَرِدَان لمقاصِدَ بيانيَّة، وغاياتٍ دلاليَّة، وقَدْ حَاوَلَ بعضُ العُلَمَاءِ التفريقَ بَيْنَ مُصْطَلَحَيْ (التَّكرير)، و(التَّوكيْد) بِجَعْلِ أَحَدِهِمَا جُزْءَاً مِنَ الثَّاني مِمَّا يُوحِي سَبَبَ خَلْطِ العُلَمَاءِ بَيْنَهُمَا، ومِنْ بَيْنِ هؤلاء مِمَّنْ جَعَلُوا (التَّكْرَارَ) أَوْسَعُ مِنْ مَعْنَى (التَّوكِيْدِ)، الزركشي (ت٧٩٤هـ) الّذِي ذكَرَ أنَّ التَّأْكيدَ هُوَ فائِدَةٌ مِنْ فَوَائِدِ التَّكْرَارَ، وبَيَّنَ أَنَّهُ أَبْلَغُ مِنْهُ "لأَنَّهُ وَقَعَ في تَكْرَارِ التَّأْسيس، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكيد، فإنَّ التَّأْكيدَ يُقَرِّر إرادَة مَعْنَى الأَوَّل وعدم التجوَّز"(١٧). وقد ذهَبَ السيوطي (ت٩١١هـ) أيضاً، إلى أنَّ "التَّكريرُ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيْدِ، وهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الفَصَاحَةِ، خِلافاً لبعضِ مَنْ غَلِط. وَلَهُ فوائدُ، مِنْهَا: التَّقْرِيْرُ، وقَدْ قِيْلَ: "الكَلامُ إذا تَكَرَّرَ تَقَرَّر". وقَدْ نَبَّهَ تعالى عَلَى السَّبَبِ الّذِي لأَجْلِهِ كَرَّرَ الأَقَاصيصَ والإنذارَ في القُرْآن، بقولِهِ: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾(١٨). وَمِنْهَا: التَّأكيدُ، وَمِنْهَا: زيادةُ التنبيهِ على مَا يَنْفِي التُّهْمَةَ لِيُكْمِلَ تَلَقِّي الكَلامِ بالقَبُول، وَمِنْهَا: إذا طالَ الكَلامُ، وَخُشِيَ تَنَاسِي الأَوَّل أُعيدَ ثانياً، تَطْرِيَةً لَهُ، وتجديداً لِعَهْدِهِ، وَمِنْهَا: التَّعْظِيمُ والتَّهْوِيلُ"(١٩)، أمَّا مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، فَالتَّكْرَارَ عِنْدَهُ هُوَ ما "يَجِيءُ في بَعْضِ آيَاتِ القُرْآن فَتَخْتَلِفُ في طُرُقِ الأَدَاءِ وأَصْلُ الْمَعْنَى وَاحِد في العِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَة كالّذِي يَكُون في بَعْضِ قَصَصِهِ لِتَوْكِيدِ الزَّجْرِ والوَعيدِ، وَبَسْطِ المَوْعِظَةِ وتَثْبِيْتِ الحُجَّةِ ونَحْوِهَا. أَوْ في بَعْضِ عِبَارَاتِهِ لِتَحْقِيقِ النِّعْمَةِ وترديدِ المِنَّةِ والتذكيرِ بالمنعمِ، واقتضاءِ شُكْرِهِ إلى ما يكونُ مِنْ هَذا البَابِ"(٢٠). وقد فرَّق أَبُو البقاءُ الكفويّ (ت١٠٩٤هـ) بَيْنَ التأْكيدِ، والتأْسيس، قائلاً: "التَّأْكيدُ هُوَ أن يكونَ اللّفظُ لتقريرِ المعنى الحاصِلِ قَبْلَهُ وتقويَتِهِ. والتأْسيس هُوَ أن يكون لإفادةِ معنى آخَرَ لَمْ يَكُنْ حَاصِلاً قَبْلَهُ، ويُسَمَّى الأَوَّل إعادة والثاني إِفَادَة، والإفادَةُ أَوْلى. وإذا دارَ اللفظُ بَيْنَهُما تَعَيَّنُ الحَمْلُ على التَّأْسيس"(٢١). وقَدْ ذهَبَ الزمخشريِّ (ت٥٣٨هـ) إلى أن الآيَةَ الثانية مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾(٢٢).

١٣– المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع:٤٧٦–٤٧٧.
١٤– الخصائص: ٣/ ١٠١–١٠٤.
١٥– اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٣٩٤.
١٦– البلاغة والأسلوبيَّة:٢٩٦.
١٧– البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١١.
١٨– (سورة طه: ١١٣).
١٩– الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٦٤٨–١٦٤٩.
٢٠– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:٢٥٥.
٢١– الكليَّات:٢٦٧–٢٦٨.
٢٢– (سورة التكاثر: ٣–٤).

"تأسيس لا تأكيد، لأنَّهُ جعلَ الثانية أبْلَغُ في الإنشاء، وفي ﴿ثُمَّ﴾ دلالةٌ على أنَّ الإنذارَ الثاني أَبْلَغُ مِنَ الأَوَّل وأَشَدّ، كما تقولُ للمنصوح: أقولُ لَكَ، ثُمَّ أَقُولُ لَكَ لا تَفْعَلْ"[٢٣]. وهُنَاكَ مَنْ يَرَى أنَّ التَّكْرَارَ لا يُراد بِهِ التَّأْكيد، وذلكَ لأَنَّ التَّكْرَارَ – الّذِي هُوَ مِنْ قَبيلِ التَّذكيرِ – لَيْسَ تأكيداً، إنَّما هُوَ ضَرْبٌ مِنْ ضرُوبِ تحقيقِ تَوَاصُلِ العَهْدِ، وذلك بعد حصول تَبَاعُدٍ بَيْنَ الأَلفاظِ، ومِنْ ثُمَّ غِيَابِهَا عَنِ الذِّهْنِ، فتكونُ غَيْرَ مَعْهُودَةٍ، مِمَّا يَحْتَاجُ المتَكلِّم مِنْ تَكْرَارِ لَفْظِهَا، فَالتَّأْكيدُ لا يُحْدِثُ تَجَدُّداً في الْمَعْنَى الّذِي تفيدهُ الصِّيغَةُ المؤكدة[٢٤]. أَمَّا الاستراباذيُّ (ت٦٨٦هـ) فَقَدْ عَرَّفَ (التَّكْرَارَ): بأنّه "ضَمُّ الشيءِ إلى مِثْلِهِ في اللفظِ مع كونِهِ إيَّاهُ في المعنى، للتَّأكيدِ، والتَّقرير، والغالبُ فيما يفيدُ التَّأكيد أنْ يُذْكَرَ بِلَفْظَيْنِ فَصَاعِدَاً"[٢٥]. ومَا يظهرُ مِنْ خِلالِ هذا التَّعريفِ هُوَ كلمة "الضَمِّ" التي تعني الرَّبْطُ بَيْنَ اللّفْظِ ومِثْلِهِ. وفي هذا أيضاً بيانٌ لوظيفةٍ مِنْ وظائفِ التَّكْرَارِ، وَهِيَ الضَمُّ، والضَمُّ يَعْنِي رَبْطُ الشَّيْءِ بِمَا ضُمَّ إِلَيْهِ، وفي هذا الرَّبْطِ يتحقّقُ التماسُكُ بَيْنَهُمَا[٢٦]. ويذهَبُ عُلَمَاءُ النصِّ إلى أن التَّكْرَارَ "يهدفُ إلى تدعيمِ التماسُكِ النَّصيِّ"، وهُوَ يُوظّفُ كذلكَ "مِنْ أَجْلِ تحقيقِ العَلاقةِ المتبادلةِ بَيْنَ العَنَاصِرِ المكوِّنة للنَّصِّ"[٢٧]. وقد عَرَّفوهُ بأَنَّهُ: "الإعادةُ المباشِرَةُ للعَنَاصِرِ، وذلكَ لأنَّ الواقِعَةَ الأصليَّة تقعُ مَرَّةً أُخرى دون أَيِّ إضافاتٍ"[٢٨]. أو هُوَ إعادَةُ الكلمات أو التعبيرات نفسِهَا، ويعدُّ مِنْ أكثرِ أَنْوَاعِ التَّكْرَارِ بروُزاً ووضُوحاً[٢٩]. والإسرافُ في استعمالِ التَّكْرَارِ قَدْ يُؤَدِّي إلى تخفيضِ الإعلاميَّة[٣٠]. وللتَّغَلّبِ على ذلكَ، كثيراً ما تستعمل بعضُ الأساليب التي تتكرَّرُ فيها الأشكال مع بعضِ الاختلافِ في المحتوى، أو يتكرَّرُ فيها المحتوى مع اختلافِ الأَشْكَال[٣١]. وهناكَ مَنْ يُدْخِل (التَّكْرَارَ) ضِمْنَ موضوعِ (الإحالة)، ومِنْ هؤلاءِ الأزهرُ الزناد، والدكتور سعيد بحيري[٣٢] إذ إنَّهُمَا يُطْلِقَانِ على هذهِ الوسيلةِ (الإحَالةَ التكراريَّة)، وتتمثَّلُ: في تكرار لفظٍ أو عددٍ مِنَ الألفاظِ في بدايةِ كل جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِ النَّصِّ قَصْدَ التَّأكيدِ، والإحالة بالعودة أكثر أنواعِ الإحالةِ دوراناً في الكَلامِ، وهذا التَّكْرَارُ في ظاهِرِ النَّصِّ يُحَقِّقُ تَرَابُطاً بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ بِشَكْلٍ واضِح فهو يُعَدُّ من ضروبِ الإحالةِ إلى سابق كما اتضح مِنْ خِلالِ تعريفِ (الإحالة التكراريَّة) بمعنى أنّ الثاني مِنْهُمَا يُحيلُ إلى الأَوَّل، ومن ثم يحدث السَّبْكُ (الاتِّساقُ) بَيْنَهُمَا، وبالتَّالي بَيْنَ الجملةِ أو الفقرةِ الوارد فيها الطرفُ الأَوَّل من طَرَفَيْ التَّكْرَارِ، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني مِنْ طَرَفَيْ التَّكْرَار"[٣٣]. وما يَضْمَنُ وظيفَةَ التَّكْرَارِ النصيَّة، هُوَ "أنّ التَّكرارَ هُوَ إعادَةُ لفظٍ أو عِبَارَةٍ أو جُمْلَةٍ أو فَقْرَةٍ، وذلكَ باللّفْظِ نفسِهِ أو بالترادُفِ، وذلكَ لتَحْقِيقِ أَغْرَاضٍ كثيرة أَهَمُّهَا: تحقيقُ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ بَيْنَ عَنَاصِرِ النَّصِّ المتَبَاعِدَة"[٣٤]. وبناءً عليهِ فإنَّ التَّكرارُ زِيَادَةً على كَوْنِهِ يُؤَدِّي وظائفَ دلاليَّة مُعَيَّنة، فإنَّهُ يُؤَدِّي كذلكَ إلى تحقيقِ التماسُكِ النَّصيِّ، وذلكَ عَنْ طريقِ امتدادِ عُنْصُرٍ مَا مِنْ بدايةِ النصِّ حتَّى آخِرِه، هذا العُنْصُرُ قد يكونُ كلمةً، أو عبارةً، أو جُمْلَةً، أو فقرةً، وهذا الامتدادُ يَرْبطُ بَيْنَ عَنَاصِرِ هذا النصِّ، بالتَّأكيدِ مع مُساعدَةِ عوامِلِ التماسُكِ النَّصيِّ الأُخرى[٣٥]. فيكون التَّكْرَارُ لسببٍ فرعي يُضاف إلى الرَّبْطِ، كإرادة تأكيدِ الرَّبْطِ...، وقَدْ يكون لأَمْنِ اللّبْسِ، وقد يكون لإنعاشِ الذاكرة، وهو ما يُعْرَف بالتَّكرار، أو إعَادَةِ صَدْرِ الكَلامِ، بَعْدَ أنْ حَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما يتعلّقُ بِهِ فاصِلٌ جَعَلَهُ مَظَنَّةَ النِسْيَان، أو ضَعْفَ العَلاقَةِ بِمَا يتبعه مِنْ خَبَرٍ

٢٣– الكشاف: ٤/ ٢٨١.
٢٤– التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين:٨.
٢٥– شرح كافية ابن الحاجِب: ١/ ٤٩.
٢٦– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ١٨–١٩.
٢٧– Beaugrande & Dressler: Introduction to text linguistics,p. 54 -59، نقلاً عن علم اللغة النصي بين النظريَّة والتطبيق: ٢/ ٢١.
٢٨– مدخل إلى علم لغة النص:٨١.
٢٩– م.ن:٨١.
٣٠– م.ن:٨٢.
٣١– م.ن:٨٧.
٣٢– نسيج النصّ، بحث يكون به الملفوظ نصاً:١١٩. وأشكال الربط في القرآن الكريم، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة:٨٨.
٣٣– البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية:٧٩، ونحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي:١٠٦.
٣٤– علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٠.
٣٥– م.ن: ٢/ ٢٢.

أو فَاعِلٍ أو جَوَابٍ، فإذا أُعِيْدَ صَدْرُ الكَلامِ إلى الذاكِرَةِ، اتَّضَحَتِ العَلاقَةُ بِمَا يَليهِ ويَنْتَمِي إليْهِ([٣٦]). ومن هُنَا فإنَّ التَّكْـرَارَ يقـومُ – بوصفِهِ ظاهرةً بيانيَّة – بوظيفةِ الرَّبْطِ في مَسْتَوى البنية السطحيَّة المحيلة إلى الانسجام الكليِّ للنُّصُوص، ويميِّزُ الدارسُون بَيْنَ نَـوْعَيْنِ مِنْهُ، يكون في أَحَدِهِمَا تَكْرَارٌ للوَحْدَةِ المعجميَّة نفسِهَا، تلبيةً لغرضٍ مُعَيَّن مِنْ أَغْرَاضِ الكَلام، كَمَا يكون مُحَقِّقاً بوجودِ مُرَادِفٍ، أو شِبْهِ مُرَادِفٍ للوَحْدَةِ المعجميَّةِ في السِّيَاقِ اللغَويِّ نفسِهِ، أو في سياقٍ مُشَابِه، وعَلَيْهِ فـإنَّ (التَّكْـرَارَ النَّصِـيَّ) إمَّـا أن يكـون كُليَّـاً أو جُزْئِيَّاً، وفي النَّوْعِ الأَوَّل، رُبَّمَا أَحَالَ اللفظيْنِ إلى مَرْجَعٍ واحِد، أَوْ مَرْجَعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، أمَّا النَّوْعُ الثاني فَيَظْهَرُ نَصيَّاً مِنْ خِلالِ إعَادَةِ وَحْدَةٍ مُعْجَمِيَّة وُظِّفَتْ سَلَفَاً في سِيَاقٍ مُشَابِه بِصِيَغٍ أُخْرَى واشْتِقَاقَاتٍ مُتَنَوِّعَة([٣٧]). ويُسْهِمُ التَّكْرَارُ في تحديـدِ القضـيَّة الأساسـيَّة في النَّصِّ بالتَّأْكيدِ على مُحْتَوى معيَّن، أو تَكْرَارِ الكلماتِ المفاتيح([٣٨]). وهُوَ تواترٌ مَعْنَويٌّ في التراكيبِ والبُنَى والأَسَـاليبِ والنصـوصِ يهدفُ وظيفيَّاً للإيحاءِ والتوكيدِ على أَمْرٍ مَا([٣٩]). أضف إلى ذلكَ "أن التكرار يؤدي إمَّا إلى ترسيخِ فِكْرَةٍ جديدة، أَوْ إحـلال فِكْـرَةٍ مَكَانَ أُخْرَى، أَوْ امحاء فِكْرَةٍ مُحَدَّدة"([٤٠]). وهُوَ أَحَدُ الْمُنَبِّهَاتِ الأُسلوبيَّة في النَّصِّ والتي تلفتُ النظرَ إلى شيءٍ ما أكثر مِنْ غـيرِهِ في النصِّ، وهِيَ كفيلةٌ بإيقاظِ وَعِي المتلقِّي واستنفارهِ لدرجة يَضْحَى فيها هذا المتلقي وَاقِعَاً تَحْتَ سُلْطَةِ التَّأْثيرِ النَّاتِجِ عَنِ الْمُنَبِّهَاتِ الّتِـي تُولِدُها الظاهرة اللغويَّة الّتي تَتَحَوَّلُ إلى شَحْنٍ المتلقِّي شَحْنَاً عَاطِفِيَّاً([٤١]). فكلّما تَكَرَّرتِ الكَلِمَةُ وكَثُرَ تداولها "تعرَّضَـتْ أكثـرَ مِـنْ غيرها لشحنها مِنْ قِبَلِ مُسْتَخْدِمي اللغةِ بِطَاقَاتٍ عاطِفيَّة قادرةٍ على الإيحاءِ حَيْثُ يَكْتَسِبُ اللفظُ إيحاءاتِهِ مِـنْ تداولِـهِ بَـيْنَ النَّـاس، وكأنَّ كُلَّ مَنْ يَسْتَخْدِمُهُ يَمْنَحُهُ شَيْئَاً مِنْ مَشَاعِرِهِ، فتمتدُّ ظِلال مَعْنَاهُ بِمَا اكتنز مِنْ رَصـيدٍ انفعـاليٍّ"([٤٢]). والتَّكْـرَارُ لا يقـوم فقـط على مجرَّد تَكْرَارِ اللفظةِ في السياق اللغويِّ، وإنَّما ما تتركهُ هذه اللفظةُ مِنْ أَثرٍ انفعاليٍّ في نَفْسِ الْمُتَلَقِّي، وَبذلِكَ فإنَّهُ يَعْكِسُ جَانِبَـاً مِنَ الْمَوْقِفِ النَّفْسيِّ والانْفِعَالِيِّ([٤٣]). يُضَافُ إلى ذلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا وَجَدَ الْمُتَلَقِّي "لازِمَةً مُعَيَّنَة أَوْ جُمْلَة مُكَرَّرة في نَصٍّ مَا، ولَكِنَّهَـا مَـعَ ذلِكَ قَدْ لا تُضِيفُ كَثِيْـرَاً إلى الْمَعْنَـى القَامُوسِـيِّ، أَوْ الـذِهْنِيِّ، ولَكِنَّهَـا تَرْفَـعُ كـثيراً مِـنَ التَّـأْثيرِ العَـاطِفِيِّ، والشـعُوريِّ لِلْمَعَـانِي، وَالْمَـدْلُولاتِ والظِـلال الكَامِنَـةِ، أَوِ الْمُصَـاحِبَةِ لِتِلْـكَ اللازِمَـةِ أَوِ الْجُمْلَـةِ"([٤٤]). وفي هـذا السِّـيَاق ذَهَـبَ د.غوسـتاف لوبـون (ت١٩٣١م) بقَوْلِهِ: "فإذا تَكَرَّرَ الشَّيْءُ رَسَّخَ في الأَذهَانِ رسُوخاً تَنْتَهِي بقَبُولِهِ حَقيقةً نَاصِعَةً"([٤٥]). كما يُعَدُّ التَّكْرَارُ أَحَدُ العَوَامِـلِ الّتي تَرْتَبِطُ بالقُدْرَةِ على الفَهْمِ، فالفهمُ يكون أسرع في حالةِ استخدامِ التَّكْرَارِ بالألفاظِ نفسِهَا، مُقَارَنَةً باستخدامِ الترادُف([٤٦]). كَمَا أَنَّ التَّكْرَارَ يُمَثِّلُ رَبْطَاً بالكلام الأَوَّل، وبناءً عَلَيْهِ فإنَّهُ إذا ما تكرَّرَت بَعْضُ الكَلِمَاتِ أو الجُمَلِ في الخِطَاب، لم يزدِ المتلقـي إلاّ جَـذْبَاً وتأملاً وإحْسَاساً بِمَعْنَى التَّرَابُطِ النَّصيِّ([٤٧]). والتَّكْرَارُ تأصيلاً هُوَ (بلوغ الغاية)، والتَّكْرَارُ أَصْلاً شـعائريَّاً (بلـوغُ الغايـة)، وتحقيـقُ (الوصول) باستخدامِ سِحْرِ اللغةِ وطاقاتِهَا الكامِنَة عَنْ طَرِيقِ تكريرِ كلماتِهَا وترديدِ أصواتِهَا، وهذا الوصُولُ شِعْرِيَّاً وشَـعَائِرِيَّاً عَبْـرَ التَّكرير يُؤَدِّي إلى (الانتهاءِ) عِنْدَ درجةٍ مِنَ الوصُول يكونُ صَاحِبُها (واصِلاً) إلى حَالةٍ مِنَ (الجَذْب) نَحْوَ الرِّضَـا العَقْلِـيّ، والقَبُـول النَّفْسيّ([٤٨]). أَضِفْ إلى ذلِكَ "أنَّ (الوصُولَ) بالكَلِمَةِ إلى كَامِلِ قُوَّتِهَا وتأثيرِهَا لِتَكْتَمِلَ صُورَتها (المعْرَاجِيَّة) في الانتقال مِـنْ المفهـومِ إلى الإيحاء، ولتحقيقِ (المنتهى) مِنْ غَايَتِهَا الإبلاغيَّة والبَلاغيَّة يُمْكِنُ أن يَتَحَقَّقَ بِتَكْرَارِهَـا، ذلـكَ التَّكْـرَارُ الْمُـرْتَبِط عِنْـدَ مُسْـتَخْدِمِهَا

٣٦– البيان في روائع القرآن:١٣٠–١٣٢.
٣٧– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٣٨.
٣٨– علم لغة النص.. النظرية والتطبيق:١٠٥.
٣٩– التكرار في القران الكريم درسٌ بلاغي:٣.
٤٠– مفهوم الخطاب وسماته:٤.
٤١– التكرار في القران الكريم درسٌ بلاغي:٤.
٤٢– المعنى وظلال المعنى:١٩٦.
٤٣– ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي:٧.
٤٤– م.ن:٦.
٤٥– روح الاجتماع:١٣٩. نقلاً من كتاب من بلاغة القرآن:١١٢.
٤٦– ٣٦–٣٥.Judith W. Irwin: Cohesion and Comprehension,PP، نقلاً عن علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق:١٠٥.
٤٧– التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين:١٦.
٤٨– شعريَّة التكرار:٢٦.

بِتَوَحُّدِهَا مَعَ الشَّيْءِ مِنْ ناحيةٍ والمُرْتَبِط ارْتِبَاطاً وثيقاً بأَحَاسِيْسِهِ وانْفِعَالاتِهِ مِنْ ناحيةٍ أُخْرَى"([٤٩]). ويشيرُ الدكتور محمَّد عبدالمطلب إلى أنَّ التَّكْرَارَ قَدْ "يأخذُ طبيعةً تراكميَّة تَعْمَلُ على تكثيفِ الدَّلالةِ فتؤثِّر في المتلقِّي مِنْ خِلالِ الإلحاحِ عليه سَمْعِيًّاً وذِهنيًّاً بتكرارِ الدَّالِ والمدْلولِ في (تشابُهِ الأطراف)، و(الترديد)، والمجاورة... وعلى الرغم مِنْ كُلِّ هذه التشكيلاتِ التَّكْرَارِيَّة في المستوى السطحيِّ أو في المستوى العميق نجدُ أنَّ مُعْظَمَ البلاغيين يُخَصِّصُون بَابَاً مُسْتَقِلاً للحديثِ عَنِ التَّكْرَارِ كظاهرةٍ تعبيريَّة مُسْتَقِلَة([٥٠]). وفِيْمَا يَتَعَلّقُ بالخِطَابِ القُرْآنيِّ فَإِنَّهُ حَسْبمَا أَكّدَ ابْنُ الأَثير (ت٦٣٧هـ) بِقَوْلِهِ: "لَيْسَ فِيْهِ مُكَرَّرٌ لا فَائِدَةَ في تَكْرِيرِهِ، فَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئَاً مِنْهُ تَكَرَّرَ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ، فَأَنْعِمْ نَظَرَكَ فِيْهِ، فَانْظُرْ إلى سَوَابِقِهِ ولَوَاحِقِه، لِتَنْكَشِفَ لَكَ الفَائِدَةُ مِنْهُ"([٥١]). وبِنَاءً عَلَيْهِ فإنَّ التَّكْرَارَ القُرْآنيِّ إنَّمَا جَاءَ لِغَايَاتٍ دلاليَّة مُعَيَّنة، ومَقَاصِدَ بيانيَّة وَاضِحَة، وهذا التَّكْرَارُ الْمَقْصَدِّي قَدْ حَقّقَ "تَلْويناً في الأُسْلوبِ، وَتَنْويعاً في الكَلامِ، وتَفَنُّنَاً في الْعِبَارَاتِ، وَكُلُّ ذلِكَ لِبَيَانِ عَجْزِ العَرَبِ عَنْ مُعَارَضَةِ القُرْآن"([٥٢]). وبَعْدَ أن عَرَضَ البَحْثُ لأهَمِّ ما يَتَعَلّق بِمَفْهُومِ التَّكْرَارِ في الإرْثِ اللغويِّ والدَّرْسِ اللسانيِّ المعاصِر، آنَ لَهُ أَنْ يُؤَكِّدَ – في النَّمَاذِجِ التطبيقيَّة الّتِي سَيَقُومُ بِعَرْضِهَا – أَنَّ "التَّكْرَارَ وَأَنْمَاطَهُ الْمُتَبَايِنَة في حَاجَةٍ إلى قِرَاءَةٍ ثانية تَتَجَاوَزُ مُجَرَّدَ التَّأكيدِ، وتَتَعَدَّى مُجَرَّد الإفْهَام"([٥٣])، ومِنْ هُنَا فإنَّ هذهِ القِرَاءَة سَتُحَاوِلُ أَنْ تُرَكِّزُ – إضافةً إلى وظيفتي التَّأْكيدِ والإفْهَامِ – عَلَى وظيفةٍ أُخرى على درجةٍ كبيرةٍ مِنَ الأَهميَّةِ، وهِيَ أَثرُ التَّكْرَارِ الوظيفيِّ في اتِّسَاقِ النَّصِّ وبنائِهِ النَّسيجيِّ الْمُتَرَابِط.

التكرار في الخطابِ القرآني:

التَّكْرَارُ هُوَ وسيلةٌ للإفْهَامِ والإفْصَاحِ والكَشْفِ والتَّأكيدِ والتَّقرير والإثْبَاتِ([٥٤])، فضلاً عَنْ كونهِ وسيلةً مهمَّة مِنْ وسَائِلِ تحقيقِ التماسُكِ في النصِّ، و"هُوَ من الظواهر اللسانيَّة الّتي تُلبِّي حاجةً نفسيَّة وذهنيَّة في حياةِ المتكلِّم، ولهذا يلجأُ المخاطِب إلى تَكْرَارِ لَفْظَةٍ بعينِهَا، (التَّكْرَارُ الْمَحْض)"([٥٥]). وقَدْ مَيَّزَ عُلَمَاءُ اللسانيَّاتِ النصيَّةِ بَيْنَ صُورِ التَّكرَارِ وأَنْوَاعِهِ، والّتِي يُمْكِنُ أن نُجْمِلَهَا في الأَقْسَامِ الآتية:

أ/ التَّكْرَارُ التَّامّ أَوِ الْمَحْض: هُوَ "إعَادَةُ العُنْصُرِ الْمُعْجَمِيِّ نَفْسِهِ"([٥٦])، أَوْ هُوَ "التَّطابُق التَّام بَيْنَ وَحْدَاتِهِ"([٥٧])، وهُوَ "خِطَابٌ يُكَرِّرُ الصُّورةَ الصَّوتيَّة نفسهَا"([٥٨]). ويَشْتَمِلُ على إعَادَةٍ دقيقةٍ للمَوادِ اللغويَّة([٥٩]). ويُقْصَد بِهِ تَكْرَارُ الكَلِمَة ذاتِها كَمَا هِيَ دُون تَغيير([٦٠])، أَوْ تَكْرَارِ الجُمْلَةِ نفسِها كَمَا هِيَ بِلا تغيير في مركباتها التَكْوِينيَّة([٦١]).

ومِنْ نماذجِ التَّكرارِ التَّام، قولُهُ تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾([٦٢])، ويَتَكَرَّرُ بَعْدَهَا قولُهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾([٦٣])، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

٤٩– م.ن:٣٣.
٥٠– بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:١٣٦–١٣٧.
٥١– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ٨.
٥٢– الإتقان في علوم القرآن: ١/ ٦٢.
٥٣– شعرية التكرار:٢١.
٥٤– النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الحجاج، محمد العبد:٦٥. نقلاً عن مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ١٢٢.
٥٥– مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٣٩.
٥٦– البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:٨٤.
٥٧– تقنية التوازي في الشعر الحديث:٦.
٥٨– بنية اللغة الشعرية: ٥٢ – ٥٣.
٥٩– مدخل إلى علم لغة النص:١١٨.
٦٠– التكرار في القران بين القدماء والمحدثين:١٤.
٦١– تلوينات التكرار في الجملة القرآنية:٣.
٦٢– (سورة الملك:٥).
٦٣– (سورة الملك:١٠).

﴿١١﴾﴾([٦٤]). فتَكْرَارُ جُمَلٍ بِعَيْنِهَا مِثل: (عذابَ السعير، وأصحابِ السعير) في آيَاتٍ ثلاث، يُسْهِمُ في تَحْقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ فيما بَيْنَهَا، فالأَسْمَاءُ الظّاهِرَةُ هُنَا كُلّهَا تعودُ إلى جَهَنَّمَ الّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلّذِيْنَ تنكّبُوا عَنْ دينِ اللهِ. أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ تَكْرَارَ بَعْضِ العَنَاصِرِ اللغويَّةِ هُوَ بِمَثابةِ الـمُنبِّهاتِ التعبيريَّة الّتِي تَسْتَلْفِتُ انتباهَ المتلقّي إلى قضيَّةٍ بِعَيْنِهَا رُبَّمَا تُمَثِّلُ البُؤْرَةَ الرَّئيس في النَّسيْجِ النَّصيِّ، كَمَا يُسْهِم في تلوين الخِطَابِ بِمَعَانٍ إيحائيَّة، وإِضْفَاءِ دَلالاتٍ ثانويَّة تُسْتَشَفُّ مِنْ خِلالِ السِّيَاقِ العَامِّ. كَمَا يُشكِّل دائرةً تواصليَّة مَعَ المخاطَب، والتَّكْرَارُ القُرْآنيِّ يَنْطَوِي عَلَى أماراتِ التَّشويقِ، والتناسُقِ الصَوْتِيِّ الّذِي تميلُ إليْهِ النُّفوسُ، وبِوَجْهٍ عَام فإنَّ إِعَادَةَ اللّفْظِ في النَّصِّ تقومُ عَلَى إِفْهَامِ المخاطَبِ مِنْ خِلالِ التَّركيزِ عَلَى فِكْرَةٍ مُعيَّنة والتَّأكيدِ عَلَيْهَا.

ومِنْ شَوَاهِدِ التَّكْرَارِ الكُلِّي، قَوْلُهُ تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾([٦٥])، حَيْثُ تكوَّنت مِنْ (مُسْنَد إليْهِ + مُسْنَد)، وقَوْلُهُ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ هِيَ جُمْلَةٌ إسناديَّة تكراريَّة، تكرَّر فيها لَفْظُ (القَارِعَة) واسْمُ الاسْتِفْهَامِ (مَا) مرَّتَيْنِ عَلَى جِهَةِ التَّعظيمِ والتَّهويلِ والتفخيم، وهذا النَّوْعُ وَرَدَ في غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالى كَقَوْلِهِ تعالى في سُورةِ الوَاقِعَة: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾. الآية (٢٧)([٦٦]). أَضِفْ إلى ذلكَ أن تَكْرِيرَ ذِكْرِ (القَارِعَة) دون التَّعبيرِ بالضَّمير، لَهُوَ أَشَدُّ أَثراً، وأَقْوَى وَقْعًا، وإلى ذلِكَ ذهَبَ (ابن عاشور) بقولِهِ: "وإِعَادَةُ لَفْظِ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ إِظْهَارٌ في مَقَامِ الإِضْمَارِ عَدَلَ عَنْ أَنْ يُقَالَ: القَارِعَةُ مَاهِيَهْ، لِمَا في لَفْظِ القَارِعَةِ مِنَ التَّهْوِيلِ والتَّرْوِيعِ، وإِعَادَةُ لَفْظِ المبتدأ أَغْنَت عَنِ الضَّمِيرِ الرَّابِط بَيْنَ المبتدأ وجُمْلَةِ الْخَبَرِ"([٦٧]). وتَكْرِيرُ السُّؤَالِ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾([٦٨])، مَرَّة أُخْرَى، مَعَ ذِكْرِ مَادَّةِ الدِّرَايَةِ، فِيْهِ تَعظيمٌ للتَّهْوِيلِ بِدَرَجَةٍ أَعْظَم مِنْ سَابِقِهِ، ففي الآيَاتِ الأُولى مِنَ السُّورةِ تَنَامٍ واضِح لِدَرَجَةِ التَّهويلِ، بَدَأَ بِكَلِمَةٍ، ثُمَّ بِكَلِمَتَيْنِ، ثُمَّ بِأَرْبَع، كُلُّ ذلِكَ لِيَصِلَ التَّهويلُ إلى ذروتِهِ، فتَتَشَوَّفُ النَّفْسُ إلى مَعْرِفَةِ كُنْهِ هذا الأَمرِ العَظيم([٦٩]). وفي ذلِكَ يُؤَكِّدُ (ابن عاشور)، بِقَوْلِهِ: "والتَّقديرُ: وأيُّ شَخْصٍ أَدْرَاك، وهُوَ مُسْتَعْمَلٌ في تَعْظِيمِ حَقِيقَتِهَا وَهَوْلِهَا، لأَنَّ هَوْلَ الأَمْرِ يَسْتَلْزِمُ البَحْثَ عَنْ تعرفِهِ"([٧٠]). ونحنُ نلحظُ في هذهِ السُّورةِ أَنَّ كَلِمَةَ القَارِعَةِ تكرَّرَتْ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثة دون الضمير، وذلِكَ لتعزيز التَّهْوِيلِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ سَابِقًا([٧١])، وعَلَيْهِ فَقَدْ "حَصَلَ في هذِهِ الآيةِ تَهْوِيلٌ شديد بثمانيةِ طُرُق: وَهِيَ الابتداءُ بِاسْمِ القَارِعَةِ الْمُؤْذِن بِأَمْرٍ عَظِيْمٍ، والاسْتِفْهَامُ الْمُسْتَعْمَلِ في التَّهويلِ، والإِظْهَارِ في مَقَامِ الإِضْمَارِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، والاسْتِفْهَامُ عَمَّا يُنْبِئُ بِكُنْهِ القَارِعَةِ، وتَوْجِيْهُ الخِطَابِ إلى غَيْرِ مُعَيَّن، والإِظْهَار في مَقَامِ الإِضْمَارِ ثانِي مَرَّةٍ، والتَّوْقيتُ بزمانٍ مَجْهُولٍ حصُولُه، وتَعريفُ ذلِكَ الوَقْتِ بِأَحْوَالٍ مهولة"([٧٢]). وجديرٌ لَحْظُهُ في هذا السِّيَاق أَنَّ صَوْتَ القَافِ الْمُتَكَرِّر ثلاثَ مَرَّاتٍ مُتَتَالية مِنْ كَلِمَةِ القَارِعَةِ يُسَاعِدُ عَلَى تَكْثِيْفِ الدَّلالَةِ، وتَلْوِيْنِ النَّصِّ بِمَعَانٍ ثانَوِيَّة تَنْسَجِمُ مَعَ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وتَتَسَاوَقُ مَعَ عِظَمِ أَحْوَالِهِ المروّعة، ومِنْ هُنَا فَإِنَّ "التَّكْرَارَ يَتَحَوَّل إلى مُؤَثِّرَاتٍ صَوْتِيَّة تُجَسِّدُ المعنى المرَاد، وتُكَثِّفُه بِحَيْثُ يحدُث الامتزاجُ بَيْنَ الأَصْوَاتِ، والكَلِمَاتِ المتردِّدة وبَيْنَ المَعَانِي، ومِنْ ثَمَّ تُجَسِّدُ الأَنْمَاطَ التَّكْرَارِيَّة بِأَشْكَالِهَا المتباينة مَشَاهِدَ النَّصِّ، ومَشَاعِرَ صاحِبِهِ فتُسَاعِدُ عَلَى نَقْلِهَا نَقْلاً صَادِقاً إلى مُتَلَقِّيْهِ"([٧٣])، وَعَلَيْهِ فَالتَّكْرَارُ إِنَّمَا يُجَسِّدُ مَقْصَدِيَّةَ الْخِطَابِ، وَيُنَشِّطُ ذاكِرَةَ الْمُتَلَقِّي باسْتِرجَاعِ مَعْلُومَاتٍ سَابِقة ذُكِرَتْ في النَّصّ.

٦٤- (سورة الملك:١١).
٦٥- (سورة القارعة: ١-٢).
٦٦- التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين:٣.
٦٧- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥١٠.
٦٨- (سورة القارعة: ٣).
٦٩- التحليل الدلالي لسورة القارعة:٣.
٧٠- التحرير والتنوير، ٣٠: ٥١١.
٧١- التحليل الدلالي لسورة القارعة:٧.
٧٢- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥١٢.
٧٣- شعرية التكرار:٣٧.

ومِنْ صُوَر التَّكرارِ الْمَحْض، قولُهُ تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾(٧٤). وهذا التَّكْرَارُ الوَارِدُ في الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ يُسَمَّى بـ(التَّكْرَارُ التَّام)، وذلِكَ لأنَّ الجُمْلَةَ في هذِهِ السُّورةِ بَقِيَتْ مُحَافِظَةً عَلَى نَسَقِهَا التَّركيبيِّ دونَمَا أَيَ تغيير، عَلَى الرَّغْمَ مِنْ تَكْرَارِهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، وهذا التَّكْرَارُ سَمَّاهُ الدكتور محمُود البُستانيِّ، بـ(التَّكْرَارِ الشَّامِل)، وَهُوَ عِنْدَهُ "أن يَتُمَّ التَّكْرَارُ مِنْ خِلالِ النَّصِّ بأَكْمَلِهِ، وهذا ما نَلْحَظُهُ في سُورةِ (الْمُرْسلاتِ)، حَيْثُ تَكرَّرَت آيَةُ ﴿وَيْل يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِتُشَكِّلَ رَافِداً تَلْتَقِي عِنْدَهُ مَوْضُوعَاتُ السُّورَةِ جَمِيعاً(٧٥). وتبرُزُ قِيْمَةُ التَّكْرَارِ الْمَعْنَويَّة في تَجْرِيدِهِ مِنَ الكَلامِ الّذِي أَتَى فِيْهِ التَّكْرارُ، فَاقْرَأْ سُورةَ (الْمُرْسلاتِ)، ثُمَّ تَخَيَّلْ السُّورةَ بدونِ الجُمْلَةِ المكَرَّرَةِ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، فإنَّكَ تُحِسُّ على الفَوْرِ أَنَّكَ أَفْقَدْتَ السُّورةَ رُوحَهَا ونَبْضَهَا(٧٦)، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَيْل يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هُوَ بِمَثَابَةِ (اللازِمَةِ الموسيقيَّة الْمُتَكَرِّرَة) الّتِي تُؤدِّي وَظِيْفَتَهَا الإيْحَائيَّة في ذِهْنِ الْمُتَلَقِّي، وتَعْمَلُ عَلَى رَبْطِ أَجْزَاءِ الخِطَابِ وَتَمَاسُكِهَا ضِمْنَ دَائِرَةٍ إيقاعيَّة وَاحِدَة، وَكَأَنَّهَا قَالَبٌ فَنِيٌّ مُتَكَامِل في نَسَقٍ تعبيريٍّ مُتَنَاسِق، تَجْعَلُ القَارِئَ لَهَا يُحِسُّ بِأَنَّهَا وَحْدَةٌ بِنَائيَّة وَاحِدَة، وَوَحْدَةٌ موسيقيَّةٌ ذاتُ إيقَاعٍ وَاحِد(٧٧). أَضِفْ إلى ذلِكَ فَإِنَّ الخِطَابَ التَّكْرَاريِّ هُنَا إِنَّمَا تَنْعَقِدُ مَقْصَدِيَّتُهُ عَلَى إيضَاحِ الجَانِبِ الإيقَاعِيِّ في السِّيَاقِ القُرْآنِي مِنْ نَاحِيَة، ثُمَّ بَيَانِ الانسِجَامِ والتَّمَاسُكِ النَّصيِّ والدَّلاليِّ مِنْ ناحيةٍ أُخرى"(٧٨)، وإحداث أثر في المخاطَب من ناحية ثالثة.

ومِنْ أَشْكَالِ التَّكْرَارِ التَّامّ، قولُهُ تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾(٧٩). والّتِي تَكَرَّرَتْ على امتدادِ هذِهِ السُّورةِ أربع مرَّاتٍ، وذلِكَ في الآيَاتِ: (١٦ – ١٨ – ٢١ – ٣٠)، "وإنما كرَّرَهُ لِمَا يحصُل فيهِ مِنْ إِيْقَاظِ النُّفُوسِ بِذِكْرِ قَصَصِ الأَوَّلِيْن، والاتِّعاظُ بِمَا أصابَهُم مِنَ الْمَثُلات، وحَلَّ بِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ العقُوبَاتِ، فيكونُ بِمَنْزِلَةِ قَرْعِ الْعَصَا، لِئَلاّ تَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ الغَفْلَةُ، ويَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الذُّهُولُ والنِّسْيَانُ، وهَكَذا مَا وَرَدَ في سُورَةِ الْمُرْسَلات، وغَيْرِهَا"(٨٠). ويقولُ الكرمانيِّ (ت٥٠٥هـ) في تَعْلِيلِ تَكْرَارِ هذِهِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّة ، بأنَّ هذا (التَّكْرَارَ) خُتِمَ بِهِ "قِصَّةُ نُوحٍ، وعاد، وثمود، ولوط، لِمَا في كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهَا مِنَ التَّخْوِيفِ والتَّحْذِيرِ مِمَّا حَلَّ بِهِمْ، فَيَتَّعِظَ بِهَا حَامِلُ القُرْآنِ وتَالِيهِ، وَيَعِظَ غَيْرَهُ"(٨١)، أضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ الْمُتَلَقِّي لهذِهِ السُّورَةِ وغيْرِها لا بُدَّ وَأَنْ يَلْحَظَ – مِنْ خِلالِ تَكْرَارِ وَحْدَاتٍ مُعْجِمِيَّةٍ بِعَيْنِها – تَمَاسُكاً نَسِيْجِيَّاً وَاضِحاً، بَلْ شبكةً علاقيَّة مُترابِطَة.

ونظيرُ ذلِكَ مَا جَاءَ في سُورَةِ القمر، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾(٨٢).
وقَدْ حَلّلَ الزمخشريُّ أُسلوبَ التَّكْرَارِ في هذِهِ الآيَاتِ، مُشيراً إلى الْمَعَانِي النَّفْسِيَّةِ الكَامِنَةِ وَرَاءَهَا، فَقَالَ: "فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ تَكْرِيرِ قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾؟ قُلْتُ: فائدتُهُ أنْ يُجَدِّدُوا عِنْدَ اسْتِمَاعِ كُلِّ نَبَأ مِنْ أَنْبَاءِ الأَوَّلِينَ ادِّكَاراً واتِّعَاظاً، وَأَنْ يَسْتَأْنِفُوا تَنَبُّهاً واسْتِيقَاظاً، إذا سَمِعُوا الحَثَّ عَلَى ذلِكَ والبَعْثَ عَلَيْهِ، وأنْ يقرع لَهُمُ العَصَا مَرَّاتٍ، لِئَلاّ يَغْلِبهمْ السَّهْوُ، ولا تَسْتَوْلِي عَلَيْهِم الغَفْلَةُ، وهَكَذا حُكْمُ التَّكْرِيرِ"(٨٣)، ويُلْحَظُ إشَارَةُ الزَّمَخْشَرِي

٧٤– (سورة المرسلات: ١٥).
٧٥– القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي:١٢٢.
٧٦– التكرار مظاهره وأسراره:٣٠–٣١.
٧٧– ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي:٧.
٧٨– تلوينات التكرار في الجملة القرآنية:٥.
٧٩– (سورة القمر: ١٦).
٨٠– الطراز، ٢: ٩٤.
٨١– أسرار التكرار في القرآن:٢٣٠.
٨٢– (القمر:٣٧– ٤١).
٨٣– الكشاف: ٤/ ٤٣٩.

البَديعَة حِيْنَ قَالَ "وهَكَذا حُكْمُ التَّكْرِيرِ"، فَحُكْمُ التَّكْرِيرِ عِنْدَهُ هُوَ تَجْدِيدُ الْمَعْنَى وَاسْتِئْنَافُهُ، وَلَيْسَ اجْتِرَارهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ في الدَّلالَةِ، كَمَا يَلْحَظُ الْمُتَلَقِّي أَيْضاً في هذِهِ السُّورةِ نَوْعاً مِنَ "الحَرَكَةِ والتَّمَاوُجِ حَيْثُ تُرَاوِحُ الوَحْدَةُ التَّكْرَارِيَّةُ مَكَانَهَا مِنَ السِّيَاقِ عَلَى مُسْتَوَى الصِّيَاغَةِ اللّغَوِيَّة مُمَثِّلَةً في تِلْكَ الحُزْمَةِ الصَّوْتِيَّة الْمُتَكَرِّرَة، وتَنْتَقِلُ الحَرَكَةُ على مُسْتَوَى الذِّهْنِ أَوِ الْعَقلِ تُصَاحِبُهَا حَرَكَةٌ عَلَى مُسْتَوَى النَّفْسِ تُؤَدِّي عَنْ طَرِيقِ الإِيْحَاءِ إلى تكثيفٍ عَاطِفِيٍّ شعُورِيٍّ، تَلِي ذلِكَ أَوْ تُصَاحِبُهُ حَرَكَةٌ عَلَى مُسْتَوَى الجَسَدِ الّذِي يَقَعُ تَحْتَ تَأْثِيرِ ذلِكَ كُلِّهِ، وبِذلِكَ لا يُمْكِنُ لِلْمُتَلقِّي الفَكَاكُ مِنْ ذلِكَ الأَسْرِ السِّحْرِي الْمُتَعَدِّد الْمَدَاخِل، مِنْ حَرَكَةِ صَوْتٍ إلى حَرَكَةِ ذِهْنٍ إلى حَرَكَةِ إِيْحَاء"([٨٤])، وَكُلُّ ذلِكَ يُشَكِّلُ وَحْدَةً مَوْضُوعيَّة مُتَمَاسِكَة.

ومِنَ التَّكْرَارِ التَّامّ أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾([٨٥]). فالجُمْلَةُ الثانية تكريرٌ للأُولى، "كَرَّرَهُ للتَّوكيدِ، والْمَعْنَى: سَوْفَ تَعْلَمُون عَاقِبَةَ تَكَاثُرِكُمْ وتَفَاخُرِكُمْ إذا نَزَلَ بِكُمُ الْمَوْتُ، فَهُوَ وَعيدٌ بَعْدَ وعيد"([٨٦]). وكُرِّرَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تَأْكِيداً للزَجْرِ والإِنْذَارِ، وفي ﴿ثُمَّ﴾ دلالةٌ على أَنَّ الإِنذارَ الثاني أَبْلَغُ مِنَ الأَوَّلِ([٨٧]). وفي هذهِ الآيَةِ هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ الإِيْقَاعِ، وهذا "الإِيْقَاعُ يَعْتَمِدُ كَمَا يَعْتَمِدُ عَلَى الوَزْنِ – الّذِي هُوَ صورتُهُ الخاصَّة – على التَّكْرَارِ والتَّوَقُّع، فآثارُ الإيقاعِ والوَزْنِ تَنْبَعُ مِنْ تَوَقُّعِنا سَوَاء كانَ مَا نَتَوَقّع حدوثهُ يَحْدُث، أَوْ لا يَحْدُث"([٨٨]). والظاهِرُ هُنَا أَنَّ التَّكْرَارَ لَهُ أهميَّةٌ بَالِغَة، خاصَّةً إذا ما قُرِنَ بالإيقاعِ والْوَزْنِ، لأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ لَمْسَةٍ سِحْرِيَّة تبعثُ الحَرَكَةَ في الخِطَابِ، كَمَا أَنَّ التَّكْرَارَ الموقّعُ يَحْمِلُ في ثناياهُ دَلالاتٍ نَفْسِيَّةً وانفعاليَّةً مُخْتَلِفَةً تفرضُها طبيعةُ السِّيَاق([٨٩]). يُضاف إلى ذلك أنَّ "التكرارَ يُعَدُّ زيادَةً أيضاً، ولكنها زيادَةٌ مِنْ نَوْعٍ خاصّ، إذ تعتمدُ على زيادَةِ التَّلفظِ بالعُنْصُرِ اللُّغَوِيِّ السَّابِق نَفْسِهِ، ويَعْتَمِدُ فِيْهِ عَلَى العُنْصُرِ المرادِ تَأْكِيدَهُ والتَّرْكِيزَ عَلَيْهِ([٩٠]). وعَطْفاً عَلَى مَا سَبَق فَقَدْ تَأَكّدَ لَنَا فَعَالِيَّةَ الأُسلوبِ التَّكْرَارَي في تقويةِ النَّسَقِ التَّركِيبِيِّ مِنْ خِلالِ التَّأْكِيدِ عَلَى بَعْضِ العَنَاصِرِ اللّغويَّة في النصِّ، وهذا التَّواتُرُ الأُسلوبِيِّ في الخِطَاب إِنَّمَا يُؤْذِنُ بذلِكَ التَّمَاسُكِ النَّسِيْجِيِّ الّذِي يَتَواشَجُ فيما بَيْنَ الْمُتَتاليات اللّغويَّة، وبالتَّالِي يُؤَدِّي إلى إِنْجَاحِ العَمَلِيَّة التَّوَاصُلِيَّة عَلَى أَكْمَلِ وَجْه.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ التَّكْرَارِ الكُلِّي، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨﴾([٩١]). فَقَدْ ذكَرَ القُرْآنُ لَفْظَ (رَبُّهُمْ) مَرَّة أُخْرَى مَعَ أَنَّهَا سَبَقَتْ في الجُمْلَةِ الكَلامِيَّة، وكان يَكْفِي لِيَفْهَمَ السَّامِعُ أَنْ يُذْكَر مَرَّةً واحِدَة، ويُتْرَكَ لِلسِّيَاق الدَّلالَةُ عَلَيْهَ، غَيْرَ أَنَّ التَّكْرَارَ هُنَا أَعْمَقُ وأَبْيَنُ لِلْمَقَام، ولا سِيَّمَا أَنَّ وقَايَةَ المؤمنين مِنْ العَذابِ أَمْرٌ عَظِيم، لا يكونُ إلاّ مِنْ قِبَلِ مَنْ يَمْلِكُ الأَمْرَ([٩٢]). والْمُتَلَقِّي لِهَذا النَّظْمِ القُرْآنِي يَشْعُرُ وَكأَنَّ هذِهِ اللَّفْظَةُ "نُسِجَتْ لِذلِكَ المَعْنَى نَسْجَاً، وأُفْرِغَتْ عَلَيْهِ إِفْرَاغَاً، حتَّى لا يُناسِبهُ غيرُها فِيْمَا يلتئِمُ على لِسَان المتكلِّم، ولا يكونُ في مَوْضِعِهَا أَلْيَقُ مِنْهَا في طَرِيقَةِ لُغَتِهِ"([٩٣]). أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ "الوَحْدَاتُ الأُسْلُوبيَّة التَّكْرَارِيَّة الّتِي تُرَاوِحُ أَمَاكِنَهَا في هذا النصِّ وغيْرِهِ لَتُؤَدِّي دَوْرَاً ايْحَائِيَّاً واضِحَاً، بِتَرَدُّدِهَا عَبْرَ سياقاتٍ مُتَقَارِبَة أَوْ مُتَبَاعِدَة، تَرْبُطُ خيُوطَ ذلِكَ الخِطَابِ بِبَعْضِهِ، لِيَصيْرَ نَسِيْجَاً قَادِرَاً – بِتَرَابُطَاتِهِ وَتَشَابُكَاتِهِ وعَلاقَاتِهِ – عَلَى التَّأْثِيرِ في مُتَلَقِّيْهِ"([٩٤])، ومِنْ ثم إقناعهِ بمضمونِ خطابهِ الموجّه إليه.

٨٤– شعريَّة التكرار: ٣٠.

٨٥– (سورة التكاثر: ٣–٤).

٨٦– تفسير الخازن: ٤/ ٤٦٥.

٨٧– تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٢٨٥.

٨٨– مبادئ النقد الأدبي:١٨٨.

٨٩– التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين:٤.

٩٠– دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم:١٧٠.

٩١– (سورة الطور: ١٨).

٩٢– الجنَّة في القرآن دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي:٧٥.

٩٣– إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة:١٣١.

٩٤– شعريَّة التكرار:٣١.

ب/ التكرار الجزئي: ويُقْصَدُ بِهِ تَكْرَارُ عُنْصُرٍ سَبَقَ اسْتِخْدَامُهُ، ولَكِنْ في أَشْكَالٍ وفِئَاتٍ مُخْتَلِفَة[٩٥]. وهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى اسْتِعْمَالاتٍ مُخْتَلِفَة لمفرداتِ اللغةِ الأساسيَّةِ نَفْسِهَا (جذور الكَلِمَاتِ)[٩٦]. وهُوَ بِعِبَارةٍ أُخْرَى يَعْنِي اسْتِخْدَامُ الْمُكَوِّنَاتِ الأَسَاسيَّة لِلْكَلِمَةِ (الجذر الصرفيِّ) مَعَ نَقْلِهَا إلى فِئَةِ كَلِمَةٍ أُخرى[٩٧]. وهُوَ بِمَعْنَى آخَر يَقُوم على الاسْتِعْمَال المختلفِ للجِذْرِ اللسانيِّ لِلْمَادَّةِ المعجميَّةِ نَفْسِهَا، ويُعَدُّ هذا النَّوْعُ بالذاتِ مِنْ أهمِّ الآليَّاتِ اللسانيَّةِ التي تُحَقِّقُ الوظيفةَ الإقناعيَّةَ في النصُوصِ الحِجَاجِيَّة[٩٨]، فضلاً عن تحقيقِ الخاصيَّة التماسُكيَّة.

وَمِنْ صُوَرِ التَّكْـرَارِ الجزئـيِّ، قَوْلُـهُ تعـالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾[٩٩]. حَيْثُ تكرَّر التَّرْكِيبُ الدَّالُ على التَّكذيبِ مَعَ التَّنْوِيعِ في صُوَرِ هذا التَّركيب[١٠٠]. وقمينٌ ذكرُهُ هُنَا مَا ذهَبَ إليهِ ابْنُ الأَثير (ت٦٣٧هـ) بِقَوْلِهِ: "إنَّ المفيدَ مِنَ التَّكْرِيرِ يَأْتِي في الكَلامِ تَأْكِيداً لَهُ، وَتَشْيِيْداً مِنْ أَمْرِهِ، وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذلِكَ لِلدَّلالَةِ عَلَى الْعِنَايَة بالشَّيْءِ الّذِي كَرَّرْتَ فِيـهِ كَلامَـكَ، إمَّـا مُبَالَغَةً في مَدْحِهِ، أَوْ في ذمِّهِ أَوْ غَيْرِ ذلِكَ"[١٠١]. وهذا التَّكْرَارُ إنَّمَا جَاءَ مُبَالَغَةً في ذمِّ أولئكَ الّذِينَ كذّبُوا الرُّسُلَ، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وعِقَابٍ عَظِيْم، والمتلقِّي لهذا الخِطَابِ – الّذِي تَكَرَّرَتْ فِيْهِ الوَحْدَةُ الْمُعْجَمِيَّة (كَذَّبَ) – يشعُرُ بِوَطْأَةِ هذا الكَـلامِ الّـذِي يَنْـزِلُ كالصَّاعِقَةِ عَلَى أُولئكِ الْمُكَذِّبِيْنَ سَواء كانُوا مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَة أَوْ مِنَ الأُمَمِ اللاحِقَة، ومِنْ حَيْثُ التحليلُ النَّصيُّ فَإِنَّ إعادةَ العُنْصُرَ الْمُعْجَمِيَّ (كَذَّبَ) تُسْهِمُ في تَحْقِيقِ التَّرَابُطِ النَّصيِّ على المستوى الكُلِّي مِنْ هذا الخِطَاب، وَلِمَعْرِفَةِ قِيْمَةِ هذا التَّكْرَارِ عَلَيْنَا أَنْ نَقْـرَأَ هذِهِ الآيَةَ بدون العُنْصُرِ الْمُكَرَّر، لأَنَّنَا بِذلِكَ لا بُدَّ وَأَنْ نُحِسَّ بِمَدَى الفَرْقِ التعبيريِّ مِنْ غِيَـابِ هـذِهِ الْوَحْـدَةِ اللغويَّـةِ، ومِـنْ ثَـمَّ بحضورها، وهُوَ مَا يُحَقِّقُ اتِّساقاً مُعْجَمِيَّاً بَلْ انسجاماً دلاليَّاً واضِحاً في هذِهِ السُّورةِ، هذا، "ولَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ صُوَرِ التَّنَاسُقِ الْجَمَالِيِّ في ظَوَاهِرِ الأَشْيَاءِ هُوَ الانْسِجَامُ في تَكْرَارِ الْوَحْدَاتِ الْجُزْئِيَّة الْمُكَوِّنَةِ لِلكُلِّ، وَالتَّكْرَارُ في التَّعبيرِ الأَدَبِيِّ هُوَ تَنَاوُبُ الأَلْفَاظِ وَإِعَادَتُهَـا في سِيَاقِ التَّعبيرِ بِحَيْثُ تُشَكِّلُ نَغَمَاً مُوسِيقِيَّاً"[١٠٢]. أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ "التَّكْرَارَ يَجْعَلُ الشَّيْءَ الْمُكَرَّر حَاضِـرَاً في الـذِّهْنِ مَـاثِلاً أَمَـامَ الأَعْيُنِ، لأَنَّ الصُّوَرَ أَوِ الْمَعَانِي الّتِي يَتَكَرَّرُ ورُودُهَا في الإِدْرَاكِ الْخَارِجِيِّ أَوِ في الذِّهْنِ تَكُـون أَسْـهَلُ اسْـتِدعَاءً مِـنْ غَيْرِهَـا"[١٠٣]، فضلاً عَنْ تحقيقِ الغرضِ الإبلاغيِّ الإقناعيِّ الّذِي يستهدفهُ الخطاب.

ومِنْ نماذجِ التَّكْرَارِ الجزئي، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١٠٤]. والسُّؤالُ بـ(أَيْنَ) هُنَا عَنِ الشُّرَكاءِ المزعومينَ، وهُوَ اسْتِفْهَامٌ توبيخيٌّ عَمَّا كانَ المشركون يَزْعَمُونَهُ، مِنْ أَنَّها تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، أَوْ أَنَّها تنصرُهُمْ عِنْدَ الحَاجَةِ. وأُضيفَ الشُّرَكاءُ إلى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ إضافَةَ اختصاصٍ، لأَنَّهُمُ الّذِينَ زَعَمُوا لَهُمُ الشِّرْكَةَ مَعَ اللهِ في الإلهيَّة، فَلَمْ يَكُونوا شُرَكَاءَ إلا في اعتقادِ المشركينَ ووصفوا بـ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تكذيباً لَهُمْ، وَحُذِفَ المفعولُ الثاني(*) لـ﴿تَزْعُمُونَ﴾ لِيَعُمَّ كُلَّ مَا

٩٥– التكرار ودوره في التماسك النصي:٦.
٩٦– مدخل إلى علم لغة النص:١١٨.
٩٧– علم لغة النص.. النظرية والتطبيق:١٠٢.
٩٨– النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الحجاج، محمد العبد:٦٥. نقلاً عن مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ١٢٢.
٩٩– (سورة ص: ١٢–١٤).
١٠٠– تلوينات التكرار في الجملة القرآنية:٣.
١٠١– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ٤.
١٠٢– جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب:٢٣٩.
١٠٣– جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني:٢٦٩.
١٠٤– (سورة الأنعام:٢٢–٢٣).
* لقد حُذف المفعول الأوَّل والثاني، ولكن ابن عاشور أشار إلى عِلّةِ حذفِ الثاني فقط.

كانُوا يزعمونَهُ مِنَ الإلهيَّة، والنَّصْرِ، والشَّفَاعَةِ(١٠٥). فالمحورُ الرّابط في الآيَةِ السَّابِقَةِ هُوَ مَادَّةُ (الشِّرْكِ)، فَقَدْ حَدَثَ شِرْكٌ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ، فَسُئِلَ عَنْهُ (الشِّرْك)، فَنَفَى أَصْحَابُه حُدُوثَهُ (الشِّرْك)(١٠٦). وفي هذا التَّكْرارِ لمادَّة الشِّرْكِ ومُشتقاتهِ – الّتي تمثِّلُ بُؤْرَةً في هذا الخِطَابِ – تأكيدٌ على تأثيمِ ظَاهِرَةِ الشِّرْكِ والمشركين، وقد جَاءَ هذا "التَّكْرارُ لِشَدِّ الانتباه إلى كلمةٍ أو كَلِمَاتٍ بعينها، وَلتَأْكيدِ أَمْرٍ اقتضاهُ القَصْد"(١٠٧). أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ "التنوُّعَ الصَّوْتي يُخرِج القَوْلَ أَحْيَانًا عَنْ نمطيَّة الوَزْنِ المألوف، لِيُحْدِث فِيْهِ إِيقَاعًا خَاصًّا يُؤكِّدهُ"(١٠٨)، ذلك الإيقاع الّذِي يجذب المتلقّي ويحفِّزه على مواصلةِ الخطاب ومحاولة فهمه.

ومِنْ صُوَرِ التَّكْرَارِ الجزئي، قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾(١٠٩). فالتَّكْرَارُ الجُزْئي في هذهِ الآيةِ بين (أَهْلَكْنَا)، و(أَهْلَكْنَاهُمْ)، و(مَكَّنَّاهُمْ)، و(نُمَكِّنْ)، إنَّما يُسْهِمُ – بشكلٍ أو بآخَر – في تحقيقِ التَّرابُطِ النَّسيجيِّ بَيْنَ المتتاليات اللغويَّة، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ " عُنْصُرَ التَّكْرارِ يُسْتَخْدَمُ في مَوَاقِفَ مُعَيَّنَةٍ لتثبيتِ الغَرَضِ الّذِي يَسْتَهْدِفُهُ النصُّ في نفسِ الْمُتَلَقِّي"(١١٠). وهَكَذا تُصْبِحُ الكَلِمَةُ القُرْآنيَّةُ أَصْوَاتاً تُمَثِّل أَحْدَاثاً آخِذَةً في النمُوِّ والاسْتِمْرَار، وأَلْفَاظاً تَمْتَلِكُ قُوَّةً وَفِعْلاً، وتقيمُ عَلاقَاتٍ ديناميَّة بتشكيلاتِهَا الصَّوْتيَّة وسِيَاقاتِهَا اللغويَّة(١١١)، الأَمْرُ الّذِي يُوحِي بدلالاتٍ مُكَثَّفة تثيرُ الْمُتَلَقِّي، وتُحَفِّزُهُ للتَّفَاعُلِ مَعَ النَّصِّ، وَمِنْ هُنَا فإنَّ الْمُخَاطَب الّذِي يَتَلَقّى الرموزَ الخِطَابيَّة يَعْمَلُ على تأويلها بِنَاءً عَلَى كَفَاءَتِهِ اللّغويَّة، فَيَلُمُّ أَوَّلاً بمدلولاتٍ خِطَابيَّة مُبَاشِرَة، ولكنَّهُ في المرَّة الثانية لا بُدَّ أَنْ يَقِفَ عَلَى الْمَعَانِي الإيحائيَّة الّتي تَتَقَطَّرُ مِنَ النَّصِّ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ "الْمُتَلَقِّي مِنْ خِلالِ الإيحاءِ يَعْرِفُ قَدْرَاً كَبِيْراً مِنَ الْمَخْزُونِ الْعَلائِقِيِّ بَيْنَ الْمَعَانِي، فَالدَّلالَةُ تَرْتَدُّ إلى مَخْزُونٍ دَلاليٍّ، وَالإيحاءُ يَرْتَدُّ إلى مَخْزُونٍ مِنَ العَلاقاتِ بَيْنَ الدَّلالاتِ"(١١٢)، ومِنْ حيث المعنى الكليِّ فإن التَّكرار في هذهِ الآيَاتِ إنما يُسْهِمُ في تحقيقِ وحدتها الدلاليَّة، وفي تجسيدِ تماسُكِهَا النَّصيِّ.

ومِنْ شواهِدِ التَّكْرَارِ الجزئي، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾(١١٣). فالتَّكْرَارُ في هذا الخِطَابُ بين (اسْتُهْزِئَ)، و(يَسْتَهْزِئُون) إنَّمَا يَحْمِلُ سِمَة قصديَّة وظيفيَّة، وهو مع ذلِكَ يُسهم في تحقيقِ الخاصيَّة النَّصيَّة، تِلْكَ الخَاصيَّة الّتِي تَعْمَلُ عَلَى تَشْكِيلِ الرَّابطةِ العَلاقيَّة بَيْنَ عَنَاصِرِهَا، وَذلِكَ مِنْ خِلالِ ذكر مَوْقفٍ مِنْ قِصَّةِ الأَنبياءِ السَّابقين، وَمَا تَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ اسْتِهزَاءٍ مِنْ قِبَلِ أَقْوَامِهِمْ، فَنَالُوا جَزَاءَهُمْ عَادِلاً لِقَاءَ سُخْرِيَّتِهِمْ بأَنبيائِهِمْ (عليهم الصَّلاةُ والسَّلام). وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ التَّكْرَارَ في هذهِ الآيَةِ إِنَّمَا "يُسْهِمُ في تكثيفِ الدَّلالَةِ الإيْحَائيَّةِ لِلنَّصِّ"(١١٤). فإذا تتابعت الكلمات المتطابقة أو المتقاربة الأصوات كانت تعني الحثَّ، أو الكفَّ بِسُرْعَةٍ، أو إعارةَ الانْتِبَاهِ(١١٥). وبناءً عَلَى مَا سَبَقَ فَإِنَّ الكَلِمَةَ في الخِطَابِ القُرْآنيِّ "تَكْتَسِبُ تَأْثِيْرَهَا وَقُوَّتَهَا مِنْ خِلالِ تَكْثِيْفَاتٍ وتَكْرَارَاتٍ وعَنَاصِرَ دالّة، وَهذِهِ العَنَاصِرُ تُبَيِّنُ مَدَى أَهميَّةِ العَمَلِيَّاتِ الانفعاليَّةِ والتَّعْبِيْرِيَّةِ في نشُوءِ العَلاقَةِ الحَمِيْمَةِ بَيْنَ الكَلِمَةِ بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ خَصَائِصَ وصِفَاتٍ فيزيقيَّة، وبَيْنَ مَا يُمْكِنُ أَنْ

١٠٥– التحرير والتنوير: ٧/ ١٧٤–١٧٥.
١٠٦– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب:٦٧.
١٠٧– الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب:٧٨.
١٠٨– م.ن:٧٨.
١٠٩– (سورة الأنعام:٦).
١١٠– القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي:١٢٠.
١١١– شعريَّة التكرار:٣٣.
١١٢– اللسانيَّات.. المجال والوظيفة والمنهج:٢٨٣–٢٨٤.
١١٣– (سورة الأنعام:١٠).
١١٤– الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب:٨٠.
١١٥– تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيَّة التناص):٣٩.

تُعَبِّرَ عَنْهُ، ومِنْ ثُمَّ الانتقالُ بِهَا مِنْ مُجَرَّد مَدْلُول مَنْطِقِيٍّ أَوْ إشَارِيٍّ إلى مَا وَرَاءَ دَلالَتِهَا القامُوسيَّة، بِمَا تُثِيْرهُ مِنْ مَعَان وإيْحَاءَاتٍ وظِلال مُصَاحِبَة"([116]). وَمِنْ هُنَا فَإنَّ "الدَّلالَةَ الْمُعْجَمِيَّة الْمُجَرَّدَة لَيْسَتْ هِيَ كُلُّ دَلالَةِ الكَلِمَةِ، وَإنَّمَا وَرَاءَ الكَلِمَاتِ دَلالاتٌ نفسيَّةٌ ووجدانيَّة لا يُمْكِن الوُقوفَ عَلَى آفَاقِهَا أَوِ الإحْسَاسِ بِهَا إلاّ إذا تَمَكّنَا مِنْ مَعْرِفَةٍ دَقِيقَةٍ لِوَظَائِفِ اللّغةِ التعبيريَّة والْجَمَاليَّة"([117])، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الدَّلالَةَ الإيحائيَّةَ هِيَ الرُّوحُ الّتِي تَنْبُضُ مِنْهَا الوَظِيفَةُ التَّفَاعُلِيَّة، وَالّتِي يزيدُ مِنْ خِلالِهَا الالتئامُ الْخِطَابيِّ بَيْنَ كُلِّ مِنْ مُنْتِجِ النَّصِّ وَمُسْتَقْبِلِهِ([118]). وقد ذهب بعضُ علماءِ النصِّ إلى وجودِ أنواعٍ أُخرى من التَّكرار، وسمُّوه التَّكرار بالتَّرادُف(*)، وقد عرَّفُوه بأنهُ التَّكْرَارُ الّذِي يَشْمَلُ وَحْدَاتٍ مُعْجَمِيَّة لها مَعَان واحِدَة وألْفَاظٌ مُخْتَلِفَة، أو أنهُ "العِبَارَةُ المساوية في المَعْنَى لِعِبَارَةٍ أُخْرَى"([119])، والحقُّ أن لا ترادُف في القرآن الكريم لا لفظاً ولا معنىً، "ونظرةٌ في السياق القرآني يُؤكّد أنَّ كُلَّ كلمةٍ فيهِ قد تفردت بمعناها الخاص"([120])، والترادُف على الرَّغمِ مِنْ كونها ظاهرة لغويَّة ملموسة، إلاّ أنَّ الاستعمالَ القرآنيَّ يُمثِّلُ واقعاً خاصّاً يتنزَّهُ عَنْ إمكان تبديلِ كلماتهِ مِنْ غيرِ أن يتغيَّرَ معنى المقام المطلوب([121])، ومِنْ هُنَا فإنَّ خصوصيَّة المفردة القرآنيَّة تدعونا إلى الإقرارِ بتفرُّدِ كُلِّ كلمةٍ بمعناها الخاص([122]). وعليهِ فلا يوجدُ في النصِّ القرآنيِّ تركيبٌ يحتوي على ما يمكن الاستغناءَ عنه أبداً(**)، والتَّساوي بالمعاني غير موجود في القرآن الكريم، فهذا الأمرُ (التَّكرارُ بالتَّرادُف) قد يصِحُّ تطبيقهُ على نصٍّ شِعريٍّ أو نثري، ولكن لا يطبق على النصِّ القرآنيِّ أبداً، هذا وقَدْ أجمع علماءُ اللغةِ أن لا ترادُف بمعنى صحَّةِ إحلال لفظٍ مكان لفظٍ آخَر في القرآن الكريم مع بقاءِ إعجازهِ وسرِّ نظمهِ. كما أن التَّكرارُ الدَّلاليّ – الّذِي عرَّفُوه أيضاً بأنه ذلك التَّكرار الّذِي يتمثَّلُ في تكرار المعنى والدلالة فيما بين الآيات، ووحدةِ الهدف([123]) – هُوَ ما يدخل ضِمْنَ التَّرادُفِ بالمعنى، وهو كذلك غير موجود في القرآن الكريم، لأنَّ كُلَّ نصّ يُعطي دلالاتٍ مختلفة عَنْ نصّ آخَر وإن تشابه في المعنى في بادئ الأمر، وأمَّا التَّكرارُ التركيبيُّ – الّذِي حدَّدُوه بأنهُ عِبَارَةٌ عَنْ تَكْرَار الطّرِيقَةِ الّتِي تُبْنَى بِهَا الْجُمْلَةُ، وشِبْهُ الْجُمْلَةِ، مَعَ اخْتِلافِ الوَحْدَاتِ الْمُعْجَمِيَّة الّتِي تَتَأَلّفُ مِنْهَا الْجُمَلُ"([124]) – فهو لا يُعَدُّ تكراراً أيضاً على ضوءِ التعاريف الّتِي ذكرت في معنى التَّكرار في التراث اللغوي، بل هُوَ مشاكلةٌ في الأُسلوبِ والتعبير، مِمَّا يُعطي نمطاً صوتيَّاً إيقاعيَّاً ودلاليَّاً في ذهنِ المتلقِّي.

١١٦– شعريَّة التكرار:٣٣.

١١٧– الكفايات التواصليَّة والاتصاليَّة.. دراسات في اللغة والإعلام:٩٥.

١١٨– النصيَّة في لغة الإعلام السياسي:٢٢.

* كما ذكروا إضافةً إلى التكرار بالترادف، التَّكرار الدَّلالي، والتَّكرار التركيبي، والتَّكرار بالوصف.

١١٩– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب:٦٧.

١٢٠– جمالية المفردة القرآنية: ٦٤.

١٢١– م.ن:٦٧.

١٢٢– م.ن:٧٤.

** فقد ذهب (د.محمد عبدالمطلب) أن التكرار بالترادف يَسْمَحُ بوجودِ تَرَاكِيْبَ تَحْتَوِي على ما يُمْكِنُ الاستغناءَ عَنْهُ دون إخْلالٍ بالمعنى. ينظر: البلاغة والأسلوبيَّة:٢٩٧.

١٢٣– علم اللغة النصي بين النظريَّة والتطبيق: ٢/ ٤٣–٤٤.

١٢٤– دراسة لغوية لصور التماسك النصّي في لغتي الجاحظ والزيّات، مصطفى قطب:١٨٦. نقلاً عن بحثِ (التكرار ودوره في التماسك النصّي):٧.

التناسب

التناسُب وأثرهُ في تماسُكِ النصِّ:

التَّنَاسُبُ مِنَ الْمَدَاخِلِ البَدِيعيَّةِ الّتِي تَدْخُلُ ضِمْنَ الاتِّسَاقِ الْمُعْجَمِيِّ، أَوْ التَّصَاحُبِ اللّفْظِيِّ، وَتُؤَدِّي دَوْرَاً فَاعِلاً فِي تَمَاسُكِ النَّصِّ وتَرَابُطِهِ، والْمُنَاسَبَةُ هذِهِ تَكْشِفُ عَنْ مَدَى إِحْكَامِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ مَعْنَوِيَّاً، وَتَلاحُمِ أَجْزَائِهِ لَفْظِيَّاً، ومِنْ هُنَا فإنَّ الْمُنَاسَبَةَ هذِهِ هَيَ عِلْمٌ "فائدتهُ جَعْلُ أَجْزَاءِ الكَلامِ بعضُها آخِذاً بأَعْنَاقِ بَعْضٍ، فيُقْوَى بذلِكَ الارتباطُ، ويصيرُ التَّأْليفُ حَالُهُ حَالُ البِنَاءِ الْمُحْكَم، الْمُتَلاِئمُ الأَجْزَاءِ"([1])، وقَدْ عَلّقَ (د.صبحي الفقي) عَلَى هذا النَّصِّ، بِقَوْلِهِ: "وكَأَنِّي هُنَا أَمَامَ عَالَمٍ نَصِيٍّ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ بَيْنَ الأَجْزَاءِ الْمُكوِّنة لِلنَّصِّ"([2]).

والتَّنَاسُبُ في الدائرةِ اللغويَّة مُشْتَقٌّ مِنَ النَسَبِ، وهِيَ كَلِمَةٌ واحِدَةٌ قياسُهَا اتصالُ شيءٍ بشيء، وَمِنْهُ النَّسَب، سُمِّيَ لاتِّصالِهِ، وللاتِّصَالِ بِهِ([3]). أَمَّا في الدائرةِ الاصْطِلاحِيَّة، فَهُوَ: "عِبَارَةٌ عَنْ جَمْعِ الأُمورِ الْمُتَنَاسِبَة"([4]). أَوْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ جَمْعِ الْمُتَكَلِّمِ بَيْنَ لَفْظَيْنِ أو أَلْفَاظٍ مُتَنَاسِبَة الْمَعَانِي، إمَّا حقيقةً أَوْ ظَاهِرَاً([5])، وَقَدْ ذهَبَ ابنُ حُجّة الحَمويِّ (ت٨٣٧هـ) إلى أَنَّ التَّنَاسُبَ هُوَ "جَمْعُ النَّاظِمِ أَوِ النَّاثِرِ أَمْرَاً وما يُناسِبُهُ لا مَعَ ذِكْرِ التَّضَادِّ لتخرج المُطَابَقَة، وسَواء كَانَتِ المناسَبَةُ لَفْظَاً لِمَعْنَى، أَوْ لَفْظَاً لِلَفْظ، أَوْ مَعْنىً لِمَعْنَى، إذِ القَصْدُ جَمْعُ شيءٍ إلى مَا يُنَاسِبُهُ مِنْ نَوْعِهِ، أَوْ مَا يُلائِمُهُ مِنْ أَحَدِ الوجُوهِ([6])، وهُوَ مَا أَكّدَهُ السيوطيُّ (ت٩١١هـ) بِقَوْلِهِ: "أَنْ تَكُونَ الأَلْفَاظُ يُلائِمُ بَعْضُهَا بَعْضَاً بأَنْ يُقْرَنَ الغَرِيبُ بِمِثْلِهِ، والْمُتَدَاوَلُ بِمِثْلِهِ، رِعَايةً لِحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْمُنَاسَبَةِ"([7])، وَعَلَيْهِ فَالتَّنَاسُبُ هُوَ التَّوَافُق والانْسِجَامُ بَيْنَ مَجْمُوعةٍ مِنَ الأَلفَاظِ، بِحَيْثُ يكونُ كُلُّ لَفْظٍ مِنْهَا مُوَافِقَاً لِغَيْرِهِ، مِنْ غَيْرِ تَنَافُر، ولا تضادّ([8]). والتَّنَاسُبُ في الْمَفْهومِ النَّصِيِّ هُوَ الجَمْعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ (أَوْ أَكْثَر) بَيْنَهُمَا تلازُم، وهُوَ ما يُحَرِّكُ الذِّهْنَ، ويجذب الانتباه([9]). كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾([10]). فالشَّمْسُ والقَمَر مُتَنَاسِبَا الْمَعْنَى حقيقةً، مِنْ حَيْثُ اشتراكُهُمَا في وَصْفٍ مَشْهُور، وهُوَ الإِضَاءَة([11]). ويُعَرِّفُه حبنَّكة الميداني، بأَنَّهُ: "الجَمْعُ في العِبَارَةِ الواحِدَة بَيْنَ الْمَعَانِي الّتِي بَيْنَهَا تَنَاسُبٌ وائتِلافٌ مَا، لا عَلَى سبيلِ تقابُلِ التناقُضِ، أو التَّضَادِّ، أو التَّضَايُفِ، ويكونُ هذا التناسُبُ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ فَأَكْثَر، فإذا كان هذا التناسُبُ بَيْنَ أَوَّلِ الكَلامِ وآخِرِه سُمِّيَ (تَشَابُه الأَطْرَاف). كالتناسُبِ والتلاؤُمِ بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَر، والظِلِّ والشَجَر، والزَّهْرِ والثَّمَر، والإبلِ والبَقَر، والْقَوْسِ والْوَتَر، واللّيْلِ والسَّمَر، والْوَعِلِ والجَبَل، والنَّعْجَةِ والْحَمَلِ، والهَوَى والشَبَاب، والظّمَأ والسَّرَاب، والعِلْم والكِتَاب، والضَّرْبِ والعَذابِ، إلى نحوِ ذلِكَ مِمَّا لا يُحْصَى"([12])، مِنَ المتناسباتِ اللفظيَّة الثاوية في الذاكرة اللسانيَّة.

ومِنْ هنا فإنَّ أَوْجُهَ التناظُرِ مِمَّا لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، ولكنَّ على الرَّغمِ مِنْ ذلِكَ فهناك مِنَ المتناسِبَاتِ ما يُمكن تحديدها أو تسميتها، كتلكَ التي حدَّدَها (السجلماسي)، حينَ قَالَ: "والْمُنَاسَبَةُ في أَجْزَاءِ القَوْلِ هُوَ أن يَأْتِيَ بالشَّيْءِ وشبيهه، مِثْل: الشَّمس والقَمَر، والسِنَان والصَّارِم، والسَّرجُ واللجام، والسَّيْفُ والفرند، وهذا النوعُ هو الملقّب بإيرادِ الملائِم، أَوْ يأتي بالأضدادِ، مثل: الليل والنَّهار، والصُّبح والمساء، والحياةُ والموت، وهذا النوعُ هو الملقّب بإيرادِ النَّقيض، أَوْ يأتي بالشيء وما يُسْتعمَلُ فيهِ، مِثل:

١- البرهان في علومِ القرآن: ١/ ٣٦.
٢- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ١٣٦.
٣- معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٢٣.
٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:١١٣.
٥- أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/ ١٢٠.
٦- خزانة الأدب وغاية الأرب:١٣١.
٧- الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٧٤٤.
٨- التناسب اللفظي في القرآن:٢.
٩- المحسنات البديعيَّة:٣.
١٠- (سورة الرحمن: ٥).
١١- أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/ ١٢٠.
١٢- البلاغة العربية أُسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٣٨٢.

القَوْسُ والسَّهم، والفرس واللجام، والقلمُ والدواة، والقِرْطَاسُ والعِلْم، وهذا النَّـوْعُ هُـوَ الملقّـب بـالانجرار"([13]). ومِـنْ هُنَـا فـإنَّ البَحْثَ يَرَى أَنَّ مُصْطَلحَ (المناسَبَةِ) – الّذِي يَتردَّدُ كثيراً في التراثِ النَّقْدِيِّ والبَلاغِيِّ عِنْدَ العَرَب – إنَّما هُو تعـبيرٌ عـن دورِ بعـضِ فنونِ البديعِ في (السَبْكِ/ الاتساق)، كَمَا أَنَّهُ تعبيرٌ عَنْ دَوْرِ بَعْضِ فنونِ البَدِيعِ في (الحَبْك/ الانسجام)([14])، فَضْلاً عَـنْ تحقيـقِ سِـمَةِ الاستمراريَّةِ والمقبوليَّةِ لدى المتلقّي.

التَّناسُبِ في الخطابِ القرآني:

ومِنْ صُوَرِ التَّناسُبِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾([15]). فالخِطَابُ القُرْآنِيُّ في هذِهِ الآيَةِ قد لاءَمَ بَيْنَ عناصِرِ لُغَوِيَّة مُتَنَاظِرَة، وهِيَ (شَرَابٌ وحَمِيم)، و(عَذابٌ وأَليم)، وهذِهِ العَناصِرُ الْمُعْجَمِيَّةُ تَتَنَاسَقُ وتَتَلاحَمُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضِهَا الآخَر، مِمَّا يَكْشِفُ ذلِكَ عَنْ مَدَى إِحْكَامِ عِمَارَةِ السُّورَةِ القُرْآنيَّة الكَرِيمة، وهُوَ مَا يُشَكِّلُ وَحْدَةً بِنائيَّة تَكامُلِيَّة، لَهَا طَابِعُهَا التعبيريِّ الخَاصّ. ونظيرُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾([16]). ففي هذِهِ الآيَةِ أيضاً لا بُدَّ وأَنْ يَشْعُرَ الْمُتَلَقِّي بِمَـدَى التَّنَاسُبِ الحَاصِلِ بَيْنَ هذِهِ العَنَاصِرِ الْمُعْجَمِيَّة، ولَكَأَنَّ إِحْدَاها تقتضي أُخْرَاهَا اقتضاءً لفظيًّا ومَعْنَوِيًّا، مِمَّا يَكْشِفُ ذلِكَ كلّهُ عَنْ مَدَى تَلاحُمِ أَجْزَاءِ النَّصِّ بَعْضُهَا مَعَ البَعْضِ الآخَر.

ومِنْ أَمْثِلَةِ التَّناسُبِ أيضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾([17]). فَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ اتَّقَى﴾ أي اجتنبَ منكم ما نهيتهُ عنه، و﴿وَأَصْلَحَ﴾ نفسَهُ بفعلِ ما أوجبَهُ عليهِ، ﴿فَلاَ خَوْفٌ﴾ مِنْ عذابِ الآخرة حين يخاف غيرهم، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حين الجزاءِ على ما فاتهم في الدنيا([18]). والملحوظُ في هذِهِ الآيَةِ الجَمْعُ بَيْنَ الأُمورِ الْمُتَنَاسِبَة، إذ جَمَعَ بَيْنَ ﴿اتَّقَى﴾، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، وبَيْنَ (الخوفِ)، و(الحزن)، وهذا التَّنَاسُبِ القَائِمِ بَيْنَ هذِهِ المفرداتِ القُرْآنيَّة قد حقّقَ انسجاماً نصيًّا وَاضِحًا على المستوى العَامِّ مِنْ هذا الخِطَابِ، مِمَّا يُفْصِحُ ذلك عن مدى إحكام النَّصِّ القُرْآنِي مِنْ حَيْثُ تلاحُمُ أَجْزَائِهِ بَعْضُهَا ببعض.

ومِنْ أَنْمَاطِ التَّناسُبِ كَذلِكَ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾([19]). وقَوْلهُ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ مِنَ الأُمم الّتِي كذبت الرُّسل ﴿أجلٌ﴾ أي: وقت معيَّن لهلاكها ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾، أي: وقت هلاكهم، لا يستأخرون ساعة ولا يستقدِمُون، والمعنى الكليِّ للنصِّ: قُلْ يا مُحَمَّد لقومك ولغيرهم: لِكُلِّ أُمَّةٍ أمدٌ مضروبٌ لحياتها مقدَّر لها بسببِ السنن التي وضعها الخالقُ لوجُودِهَا، وهذا الأجلُ على ضَرْبَيْن: أجلٌ لوجُودها في الحياةِ الدنيا، وأجلٌ لعزِّها وسعادتها بَيْنَ الأُمَم([20]). والملحوظُ في هذا الخِطَابِ أيضاً تلكَ المناسبة القائِمَة بَيْنَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ﴾، و﴿وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾، الأَمْرُ الّذِي يُفْصِحُ عَنْ مَدَى تَوَاشُجِ النَّصِّ وتَآزُرِ وَحْدَاتِهِ بَعْضُهَا مع بَعْضِهَا الآخَر، فضلاً عَنْ وجُودِ مُوازنة لفظيَّة بَيْن المفردتَيْنِ (يَسْتَأْخِرُونَ)، و(يَسْتَقْدِمُونَ)، وهذا التوازي الحاصِل تحقيقٌ للتماسُكِ النصيِّ على المستوى الكُلِيِّ مِنَ الخطاب.

١٣- المنزع البديع:٥١٨-٥١٩.
١٤- البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١٧٤.
١٥- (سورة الأنعام: ٧٠).
١٦- (سورة يونس:٤).
١٧- (سورة الأعراف:٣٥).
١٨- حدائق الروح والريحان: ٩/ ٣٠٠.
١٩- (سورة الأعراف:٣٤).
٢٠- حدائق الروح والريحان: ٩/ ٢٩٨.

ومِنْ أَشْكَالِ التَّناسُبِ أَيْضاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[٢١].

هذهِ الجملةُ تعليلٌ للإنكارِ في قولهِ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[٢٢]، لإفادةِ أن ضلالَهُمْ أَمرٌ قدَّرَ الله دوامَهُ، فلا طمعَ لأحدٍ في هَدْيهم، ولَمَّا كان هذا الحكمُ حاقّاً على مَنِ اتَّصَفَ بالتكذيبِ، وعدمِ التفكّرِ في حالِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم)، وعدمِ النظرِ في ملكوت السماواتِ والأرض، وما خلق الله، وفي توقّع اقترابِ استيصالهم، كان المحكومُ عليهم بعدمِ الاهتداءِ فريقاً غير معروف للناس، وإنما ينفردُ الله بعلمه، ويُطْلِع عليهِ رسولَهُ (عليه الصلاة والسلام)[٢٣]. وقد ذهب سيد قطب في تحليلِ هذهِ الآيةِ بقوله إنَّ "الذين يضلون، إنما يضلون، لأنهم غافلون عَنِ النظرِ والتدبر، ومن يغفلُ عَنِ النظرِ في آياتِ الله وتدبرها يضله الله، ومَنْ يضله الله لا يهديهِ أحدٌ من بعده"[٢٤]. وما يَلْحَظُهُ الْمُتَلَقِّي في هذا الخِطَابِ هُو الْجَمْعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ: (الضلال والهدى)، وهُمَا عُنصرانِ يَدْخلانِ ضِمْنَ ما يُعْرَف بـ(إيرادِ النَّقيض)، والتَّنَاسُبُ الْحَاصِلُ بَيْنَهُمَا إيذانٌ بتحقيقِ الاتِّساقِ النصيِّ على امتدادِ هذهِ الآية.

وبَعْدَ أن ألحقَ الْبَحْثُ نماذِجَ تطبيقيَّة على التَّنظيرِ في موضوعِ التَّنَاسُبِ آنَ لَهُ أن يُعَرِّجَ إلى مَوْضُوعَاتٍ بديعيَّة أُخرى، كَوْنَها تَدْخُلُ ضِمَن مفهومِ التناسُبِ، وتُسهِمُ في تحقيقِ انسجامِ النَّصِّ وتَماسُكِهِ، وقَدْ أكّدَ ذلكَ ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ)، بِقَوْلِهِ: إنَّ "الْمُنَاسَبَةَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: مَعْنَوِيَّة، ولفظيَّة، والمعنويَّة هِيَ التَّناسُبُ في الْمَعانِي، ويَنْدَرِجُ فيهَا مُرَاعَاةُ النَّظيرِ، والتَّوشيح، وتَنَاسُبِ الأَطْرَافِ، وائتلافُ الْمَعْنَى مَعَ الْمَعْنَى"[٢٥]. وقَدْ أكّد آخرون إلى أنَّ "هُنَاكَ فنُونٌ بديعيَّة "مِثْل تَشَابُهِ الأَطْرَافِ، والتَّفْويفِ، والتَّسْهِيمِ، يُمْكِنُ تجميعُها في إِطَارِ عَلاقةٍ دلاليَّة أَنْسَبُ لَهَا، وأَكْثَرُ تَعْبِيراً عَنْهَا، يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهَا بـ(التَّنَاسُب)، وهِيَ عَلاقةٌ تعني بالتَّنَاسُبِ بَيْنَ العَنَاصِرِ اللغويَّة، ولآليَّة التناسُبِ هذِهِ وجُوهٌ هِيَ أكثر مِنْ أن تُحْصَى. وتتجلّى هذهِ العَلاقةُ في أَحَدِ فرُوعِ (مُراعَاةِ النَّظير)، وهُوَ (تشابُهُ الأَطْرَافِ)"[٢٦]، ونَجِدُ عِنْدَ عُلَمَاءِ (عِلْمِ المناسَبَة) في الدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّة، اسْتِثْمَارَاً جَيِّدَاً لِفِكْرَةِ (إلْحَاقِ النَّظيرِ بالنَّظير)، في الكَشْفِ عَنْ أوجُهِ تَرَابُطِ آي القُرْآن الكَرِيم[٢٧]. ويُؤَكِّدُ الزركشيُّ – وهُوَ يَتحَدَّثُ عَنْ آيَاتٍ لَيْسَتْ مَعْطُوفَةً بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ – بِقَوْلِهِ: "القِسْمُ الثَّانِي: ألاّ تكونَ مَعْطُوفَةً، فَلا بُدَّ مِنْ دِعَامَةٍ تُؤْذن باتِّصَالِ الكَلامِ، وهِيَ قَرَائِنُ مَعْنَوِيَّة مُؤْذنة بالرَّبْطِ... أَحَدُهَا: التَّنْظِير، فَإِنَّ إِلْحَاقَ النَّظيرِ مِنْ دأْبِ العُقَلاءِ[٢٨]. ومُراعاةُ النَّظيرِ هِيَ بَابٌ مِنَ الأَبْوَابِ البَدِيعيَّة التي تُسْهِمُ في تَحْقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، "وتُسَمَّى التَّنَاسُب، والائتِلافُ، والتَّوفِيق"[٢٩]، والْمُؤَاخَاة[٣٠]. وجَمِيعُ أَسْمَاءِ هذا الفَنِّ تَعْكِسُ الوظيفةَ الّتي يُحَقِّقها، ألا وهِيَ التَّنَاسُبِ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ أَوْ أَكْثَر، وَهُوَ تَنَاسُبٌ قَوِيٌّ جِدًّا، إلى حَدِّ اعْتِبَارِ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ اللّفْظَتَيْنِ مُناظِرَة أَوْ نظيرة للأُخْرَى (مُرَاعَاة النَّظير)[٣١]. وقَدْ عرَّفَهَا الخَطِيبُ القزوينيِّ (ت٧٣٩هـ) بأنَّها "الجَمْعُ في الكَلامِ بَيْنَ أَمْرٍ ومَا يُناسِبُهُ لا بالتَّضَادِّ"[٣٢]، وعَنْ هذا الموضوع أكّدَ القزوينيُّ أَيْضاً بِقَوْلِهِ: "وَمِنْ مُرَاعاةِ النَّظيرِ مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ تَشَابُهُ الأَطْرَافِ، وهُوَ: أن يُخْتَمَ الكَلامُ بِمَا يُناسِبُ أوَّلَهُ في الْمَعْنَى، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

٢١- (سورة الأعراف:١٨٦).
٢٢- (سورة الأعراف: ١٨٥).
٢٣- التحرير والتنوير: ٩/ ١٩٩.
٢٤- في ظلال القرآن: ٣/ ١٤٠٧.
٢٥- أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/ ٣٦٤.
٢٦- البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١٦٧.
٢٧- م.ن:١٦٨.
٢٨- البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٦-٤٧.
٢٩- الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٠.
٣٠- الفوائد:٩٣.
٣١- البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١١٣.
٣٢- الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٠.

﴿١٠٣﴾([٣٣]). فإنَّ اللّطْفَ يُناسِبُ مَا لا يُدْرَكُ بالبَصَرِ، والخِبْرَةُ تُناسِبُ مَنْ يُدْرِكُ شَيْئَاً، فإنَّ مَنْ يُدْرِكُ شَيْئَاً يكونُ بِهِ خَبِيْرَاً"([٣٤]). ومِثْلُ هذا التَّشَابُه قَدْ تَنَاوَلَهُ ابنُ أَبي الإصبَع في إطَارِ (بَابِ الْمُنَاسَبَةِ)، والّذِي قَالَ فيهِ: "والْمُنَاسَبَةُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: فَالأَوَّلُ: مُنَاسَبَةٌ في الْمَعَانِي، والثاني: مُنَاسَبَةٌ في الأَلْفَاظِ، فَالْمَعْنَوِيَّةُ هِيَ أَنْ يَبْتدِيء الْمُتَكَلِّمُ بِمَعْنَىً، ثُمَّ يُتَمِّمُ كَلامَهُ بِمَا يُنَاسِبُهُ مَعْنَىً دون لَفْظٍ، وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ اللفظيَّةُ فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الإِتْيَان بِأَلْفَاظٍ مُتَّزِنَة، مُقفاة وغير مُقفاة"([٣٥]). ومُرَاعَاةُ النَّظيرِ هِيَ فنٌّ بديعيٌّ يقومُ على (المصاحبةِ الْمُعْجَمِيَّة)، وتَتَجلّى فيهِ أَنْمَاطٌ تكادُ لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، مِنْ أَنْمَاطِ العَلاقاتِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ زَوْجٍ أَوْ أَكثر مِنَ الأَلْفَاظِ([٣٦]). ويقومُ هذا البَابُ أَيضاً على التَّلاحُمِ والتَّرَابُط، بِحَيْثُ لا تُحرِّكُهُ انفصاماتٌ تركيبيَّة، أو تناقُضَاتٌ دلاليَّة، ومِنْ ثم يكون ناتِجُهُ مُتَمَاثِلاً سَواء على مُسْتَوى الإبداع، أو مُسْتَوى التَلَقِّي([٣٧]). أَضِفْ إلى ذلِكَ أن وظيفةَ الاتِّسَاقِ الْمُعْجَمِيِّ الّتِي تُؤَدِّيها (مُرَاعَاةُ النَّظير) لا تَنْحَصِرُ على بَيْتٍ وَاحِدٍ، أَوْ جُمْلَةٍ وَاحِدَة، كَمَا أَنه كُلّمَا ازدَادَ عَدَدُ الْمُتَنَاظِرَاتِ أَوْ الْمُتَصَاحِبَاتِ، ازدادَت احتماليَّةُ تغطيتِهَا لأَجْزَاءٍ عَدِيدةٍ مِنَ النَّصِّ([٣٨])، وحقّقَتْ درجةً عالية مِنَ المقبوليَّة، فَضْلاً عَنْ تحقيقِ الغرضِ الإبلاغيِّ الإقناعيِّ المتواصِل.

مراعاة النظير في الخطابِ القرآني:

ومِنْ مُراعاةِ النظيرِ، قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾([٣٩]). وقولُهُ: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، أي: ختمها بخاتم الرين والضلال، فلا يؤمنون ولا يهتدون، وطبعَ على ﴿سَمْعِهِمْ﴾ أي: وأصَمَّهُ، فلا يسمعون داعيَ الله إلى الهدى، وعلى ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ أي: وأعماها، فلا يُبْصِرُون بِهَا حُجَج الله إبصارَ مُعتبرٍ مُتعِظ([٤٠]). والطبعُ: مُستعار لمنعِ وصُولِ الإيمانِ وأدِلّتِهِ، على طريقةِ تشبيهِ المعقولِ بالمحسوس([٤١]). فالعناصِرُ المعجميَّة في هذهِ الآيةِ تدخُل ضِمْنَ ما يُعرف بـ(مُراعاةِ النظير)، لأنها ذُكِرَتْ في سياقٍ واحِد، وهِيَ مُنتميةٌ لحقْلٍ دلاليٍّ واحِد، وهُوَ الإنسانُ وما يتعلّقُ بهِ مِنْ أعضاء، وهُنَاكَ تناسُبٌ واضِح بَيْنَ القَلْبِ والسَّمْعِ والبَصَرِ، فَمَنْ كان قلبُهُ مَطْبُوعَاً بالضَّلال، وسَمْعَهُ مَحْجُوبَاً عَنِ الهداية، لم يُسْعِفْهُ البَصَرُ عَنْ رؤيَةِ الحقِّ، وهذهِ الحواسُ الإنسانيَّة الثلاث تَسْتَدْعِي إِحْدَاهُمَا الأُخرى في حَرَكَةٍ عَلاقيَّة مُترابِطَة، فَذِكرُ القلبِ يثيرُ في الذاكرةِ حاسَّةَ السَّمْعِ، والسَّمْعُ بدورِهِ يستدعي حاسَّةَ البَصَر، وهكذا دواليك. أَضِفْ إلى ذلِكَ أنَّ مُجَاوَرَةَ كُلِّ لَفْظَةٍ بِلَفْظَةٍ مِنْ جِنْسِهَا إِنَّمَا يُشَكِّلُ اقتضاءً لِحُسْنِ الجِوَارِ، ورَغْبَةً في ائتلافِ الأَلْفَاظِ.

ومِنْ صُوَرِها أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾([٤٢]). فجملةُ ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾ يقتضي كلام المفسِّرين أَنَّها جوابُ (إذا)، فاقتضى الارتباط بَيْنَ شَرْطِهَا وجوابها، وتعليقها بفعلِ الجواب، واستشعرُوا أنَّ الشهادةَ عليهم تكون قبلَ أن يُوَجَّهُوا إلى النَّار، فقدَّرُوا فِعْلاً مَحْذُوفاً تقديرُهُ: وسُئِلُوا عَمَّا كانوا يفعلون، فَأَنْكَرُوا، فَشَهِدَ عليهم سَمْعُهم، وأبصارُهم، وجلودُهم، يعني: سَأَلَهُمْ خزنةُ النَّار. وشهادةُ جوارحِهِم وجلودِهِم عليهم: شهادةُ تكذيبٍ وافتضاح، لأن كونَ ذلكَ شهادةً يقتضي أنهم لمَّا رأَوا النَّار اعتذروا

٣٣- (سورة الأنعام: ١٠٣).
٣٤- الإيضاح :٢٦١.
٣٥- بديع القرآن:١٤٥.
٣٦- البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١١٢.
٣٧- بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي:٣٦١.
٣٨- البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١١٤.
٣٩- (سورة النحل: ١٠٨).
٤٠- تفسير حدائق الروح والريحان: ١٥/ ٣٨٧-٣٨٨.
٤١- التحرير والتنوير: ١٤/ ٢٩٧.
٤٢- (سورة فصلت:٢٠).

بإنكارِ بعضِ ذنوبهم، طَمَعَاً في تخفيفِ العَذاب([43]). وتخصيصُ السَّمعِ والأبصارِ والجلودِ بالشهادة على هؤلاءِ دون بقيةِ الجوارح، لأن للسَّمعِ اختصاصاً بتلقي دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتلقي آياتِ القرآن، فسمعُهم يشهدُ عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماعِ ذلك، ولأن للأبصارِ اختصاصاً بمُشاهَدَةِ دلائِلِ المصنوعاتِ الدَّالةِ على انفرادِ الله تعالى بالخلقِ والتدبير، فذلكَ دليلُ وحدانيتهِ في إلهيتهِ، وشهادةُ الجلودِ لأن الجِلْدَ يَحْوِي جميعَ الجسدِ. ولذلك اقتصرُوا في توجيهِ الملامةِ على جلودِهِمْ، لأنها حاويةٌ لجميعِ الحَوَاسِ والجوارح([44]). والْمُرادُ بالسَّمْعِ الآذانُ عَلَى الْمَجَازِ، كَمَا ذهَبَ إليهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرينَ، ولا يبعد أَنْ يكُونَ السَّمْعُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَمْرٍ يَعْلَمهُ الله، ويكونُ الكلامُ عَلَى الحقيقةِ مِنْ غَيْرِ تَأويل. هذا، وَقَدْ "أفرد السَّمعُ لكونهِ مَصْدَراً في الأَصْل، وشَهِدَتْ عليهم ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ بِمَا نَظَرَتْ إلى حَرَام، وَشَهِدَتْ عليهم ﴿جُلُودُهُمْ﴾، أي: ظَوَاهِر أبدانِهم وبشراتِهَا بِمَا لامَسَتْ محظوراً"([45]). فالملحوظُ في هذا الخِطَابِ القرآنيِّ أنهُ يُراعي فيما بَيْنَ نظائِرِهِ المعجميَّة التي توالَتْ على حَسَبِ أهميَّتها، وتوزَّعَتْ على وفقِ دلالتِها، ولكأنَّها لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مُفْرَداتٍ لغويَّة مُتتالية، بَلْ منظومَةٌ تركيبيَّة مُتلاحِمَة لا يمكن فَصْمُ أجزائِها، ولا حتَّى استبدالَ مَوَاقِعِهَا، لأنَّ ذلك يُشَوِّهُ مِنْ جماليَّةِ النَّسَقِ فيها، وهذا الائتلافُ القائِم بَيْنَ الألفاظِ الموزَّعةِ على امتدادِ هذهِ الآيةِ قد أَسْهَمَ في تحقيقِ التناسُقِ الدَّلاليِّ والاتِّسَاقِ النَّصيِّ على المستوى الكُلِيِّ مِنْ هذا الخِطَاب.

ومِنْ نماذجها أيضاً، قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾([46]). فقولُهُ: ﴿إِن ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ في الدُّنيا، أي: يَعْمَلُون بِمَا نَهَاهُم الله عَنْهُ، مِنْ أَنْوَاعِ الآثامِ الظاهِرَةِ أو البَاطِنَة ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ أي: سَيُثيبُهُم الله يومَ القيامةِ([47])، ﴿بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾، أي: بِمَا كانُوا يكسِبُون في الدُّنيا مِنَ الآثامِ، إن لَمْ يتوبُوا([48]). ولمَّا جَاءَ في المذنبين فِعْلُ ﴿يَكْسِبُونَ﴾ المتعدِّي إلى ﴿الإِثْمَ﴾، جَاءَ في صِلَةِ جَزَائِهِمْ بِفْعلِ ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾، لأنَّ الاقترافَ إذا أُطْلِقَ فالمرادُ بِهِ اكتسابُ الإثم([49]). والاقترافُ افتعالٌ مِنْ قرف إذا كَسَبَ سيِّئَة، وصيغَةُ الافتعال، وصيغةُ المفاعلة فيهِ للمبالغة، وهذهِ المادَّةُ تُؤْذِنُ بأَمْرٍ ذميم، وقد ذكر الله تعالى: لـ﴿يَكْسِبُونَ﴾ مفعولاً، وهو ﴿الإِثْمَ﴾، لأنَّ الكَسْبَ يَعُمُّ الخيرَ والشرَّ، ولم يذكر في الآيَةِ التي قبلها، وهي: ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣﴾([50]). مفعولاً، لأنَّهُ لا يكون الاقترافُ إلا في اكتسابِ الشرِّ، ولم يَقُلْ: سَيُجْزَوْنَ بِمَا كانُوا يَكْسِبُون، بدلاً من قولِهِ: ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾، وذلكَ لقَصْدِ تأكيدِ معنى الإثم([51]). والملحوظُ في هذهِ الآيَةِ أيضاً مُرَاعَاةُ نظائِرِها الثلاثة التي تواردتِ الواحِدَةُ بَعْدَ الأُخْرَى مُتواليَةً، وهذا التناسُبُ والائتلافُ والتوفيقُ بَيْنَ هذهِ النظائِر: ﴿يَكْسِبُونَ﴾، ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾، ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾، قد حقّق اتساقاً مُعْجَمِيَّاً، وانْسِجَامَاً دَلالِيَّاً، الأَمْرُ الّذِي أكّدَ تَرَابُطَ النَّصِّ وتلاحُمَهُ، أَضِفْ إلى ذلكَ أن هذهِ العَنَاصِرِ المعجميَّة المتناظرة قَدْ حقّقَتْ درجةً عاليةً من الاتِّساق في الخِطَابِ القُرْآنِي، أَضِفْ إلى ذلكَ أنَّ استعمال هذهِ الْمُفْرَدَاتِ الثلاث: (يَكْسِبُونَ، سَيُجْزَوْنَ، يَقْتَرِفُونَ)، إنَّمَا يَنْبَنِي عَلَى أساسِ التَّنَاسُبِ اللَّفْظِيِّ والتَّوافُقِ الْمَعْنَوِيِّ، اللّذانِ يُحَقِّقانِ الغرضَ التَّوَاصُلِيِّ والإقناعيِّ في الخِطَاب.

٤٣- التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٦٦-٢٦٧.
٤٤- م.ن: ٢٤/ ٢٦٧.
٤٥- تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٥/ ٣٢٨.
٤٦- (سورة الأنعام: ١٢٠).
٤٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩/ ٥١٩-٥٢٠.
٤٨- تفسير حدائق الروح والريحان: ٩/ ٢٦.
٤٩- التحرير والتنوير: ٨/ ٣٨.
٥٠- (سورة الأنعام: ١١٣). ومعنى الآيَةِ: "ولِيَكْتَسِبُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا هُمْ مُكْتَسِبُون". تفسير الطبري: ٩/ ٥٠٥.
٥١- التحرير والتنوير: ٨/ ١٣.

ومِنَ السَّابِقِ لأوانهِ القولُ إنَّ ثـمَّـة فنونٌ بديعيَّة أُخْرى تعتمِدُ على ظاهِرَةِ (الْمُصَاحَبَةِ الْمُعْجَمِيَّة)، وهِيَ فَنُّ: التَّوشيحِ(٥٢)، والتَّسْهيم (أَو الإِرْصَاد)، و(التَّفويف). فالتَّوشيحُ: هُوَ عِبَارَةٌ على أنَّ مَعْنَى أَوَّلِ الكَلامِ يَدُلُّ عَلى لَفْظِ آخِرِه، فَيَتَنَزَّلُ الْمَعْنَى مَنْزِلَةَ الوِشَاحِ، ويَتَنَزَّلُ أَوَّلُ الكَلامِ وَآخِرَهُ مَنْزِلَةَ العاتقِ والكشحِ الّذيْنِ يَجُولُ عَلَيْهِمَا الوِشَاحُ(٥٣). وأَمَّا تسميتهُ توشيحاً فَمِنْ تَعَطّفِ أثناءِ الوِشَاحِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وجَمْعُ طَرَفَيْهِ(٥٤). والتَّوشيحُ عند قُدَامة بن جَعْفَر، هُوَ: أَنْ يكونَ في أَوَّلِ البَيْتِ مَعْنًى إذا عُلِمَ عُلِمَتْ مِنْهُ قَافيةُ البَيْتِ، بشرطِ أَن يكونَ الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمُ بِلَفْظِهِ مِنْ جِنْسِ مَعْنَى القافية بِلَفْظِهِ، أَوْ مِنْ لَوَازِمِ لَفْظِهِ(٥٥). أَوْ أَنْ تكونَ القَافِيَةُ مُتَعَلِّقَةً بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ مَعْنَى البَيْتِ تَعَلّق نَظْمٍ لَهُ، ومُلاءَمَةٍ لِمَا مَرَّ فيهِ، فإذا سَمِعَ الْمَرْءُ أَوَّلَ البَيْتِ مِنَ القصيدةِ عَرَفَ آخِرَهُ، وبَانَتْ لَهُ قافيتَهُ(٥٦). ومِنَ التَّوشيحِ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾(٥٧)، فإِنَّهُ مَنْ كَانَ حَافِظاً لِهذِهِ السُّورَةِ، مُتَفَطِّناً إلى أَنَّ مَقَاطِعَ فَوَاصِلِهَا النونُ الْمُرْدَفَة، وَسَمِعَ في صَدْرِ هذِهِ الآيَةِ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ عَلِمَ أَنَّ الفَاصِلَةَ ﴿مُظۡلِمُونَ﴾، وذلِكَ لأَنَّهُ مَتَى انْسَلَخَ النَّهَارُ عَنْ لَيْلِهِ أَظْلَمَ(٥٨). أَمَّا التَّسْهِيمُ: فهُوَ "تَصْوِيبُ السَّهْمِ إلى الغَرَضِ. ومِنْهُمْ مَنْ سَمَّاهُ (الإِرصَاد) مِنْ أَرْصَدَ لَهُ، بمعنى أَعَدَّ أوَّلَ الكَلامِ لآخِرِهِ، أَوْ لأَنَّ السَّامِعَ يَرْصُدُ ذِهْنَهُ لِعَجُزِ الكَلامِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِمَّا قَبْلَهُ. والتَّسْهِيمُ يُعْرَفُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الكَلامِ آخِرَهُ، ويُعْلَمُ مَقْطَعُهُ مِنْ حَشْوِهِ"(٥٩). وَمِنْهُ قَوْلُ البحتري (ت٢٨٤هـ) الطويل):

أَحَلّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِـلا سَـبَـبٍ يَـوْمَ اللِّقَاءِ كَـلامِـي(٦٠)

فَـلَيْـسَ الّـذِي حَـلَّـلْتِـهِ بُـمَحَلّـل وَلَيْـسَ الّـذِي حَـرَّمْـتِـهِ بِـحَـرَامِ(٦١)

فَلَوْ وَقَفَ الْمُتَكَلِّمُ عِنْدَ (حَلّلْتِهِ)، لَقَالَ السَّامِعُ (بُمَحَلّل)، وَلَوْ وَقَفَ عِنْدَ (حَرَّمْتِهِ) لَقَالَ السَّامِعُ (بِحَرَامِ)، لأَنَّ السَّوَابِقَ تَدُلُّ عَلَى كَلِمَةِ الخِتَامِ(٦٢)، يقول ابن معصوم (١١٢٠هـ): "التَّسْهِيمُ ضربان: أحدهُمَا ما كان دلالتهُ لفظيَّة، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾(٦٣). فإذا وَقعَ السَّامِعُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ عَلِمَ أنَّ بَعْدَهُ (بيتُ العنكبوت). الثاني: ما كان دلالتهُ معنويَّة، وأحسنُ شواهِدِهِ. ما روي أنه حينَ بلغت قراءَتُهُ (صلى الله عليه وسلم) في سورة المؤمنون إلى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾(٦٤). قال عبدالله بن أبي سرح: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾(٦٥). فَقَالَ (صلى الله عليه

٥٢- التوشيح: مصطلحٌ دالٌ على التشابُكِ والتَّرابُط.
٥٣- تحرير التحبير:٢٢٨.
٥٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٣٤.
٥٥- نقد الشعر:١٦٧، و تحرير التحبير:٢٢٨.
٥٦- نقد الشعر:١٦٧.
٥٧- (سورة يس:٣٧).
٥٨- تحرير التحبير:٢٢٨-٢٢٩.
٥٩- أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤/ ٣٣٦.
٦٠- ديوانه: ٣/ ٢٠٠٠.
٦١- ديوانه: ٣/ ٢٠٠١.
٦٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٣٨٦.
٦٣- (سورة العنكبوت: ٤١).
٦٤- (سورة المؤمنون: ١٤).
٦٥- (سورة المؤمنون: ١٤).

وسلم): اكْتُب هَكَذا نَزَل(٦٦). والتَّسْهِيمُ عِنْدَ ابن أَبي الإصبَع المصريِّ: "هُوَ أَنْ يكونَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الكَلامِ دليلاً عَلَى مَا يَتْلُوه"(٦٧). وقَدْ جَاءَ مِنَ التَّسْهِيمِ في الكِتَابِ العزيزِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾(٦٨). فانظُرْ إلى اقْتِضَاءِ أَوَّلِ كُلِّ آيَةٍ آخِرَهَا اقْتِضَاءً لَفْظِيًّا ومَعْنَوِيًّا، وائتلافُ الألفَاظِ مَعَ مَعَانيها، ومُجَاورة الملائِم بالملائِم، والمناسِب بالمناسِب، لأنَّ ذِكْرَ الحَرْثِ يُلائِمُ الزَّرْعَ، وذِكْرُ الحُطَامِ يُلائِمُ التَّفَكّه، ومَعْنَى الاعتدادُ بالزَّرْعِ يَقْتَضِي الاعْتِدَادَ بِصَلاحِهِ وعدمَ فَسَادِهِ، فَحَصَلَ التفكّه، وكَذلِكَ في بقيَّةِ الآيَاتِ(٦٩). والملحوظُ في هذا الشَّاهِدِ القُرْآنِي "تَجَاوُزُ طَرَفَيْ التَّسْهِيمِ مُسْتوَى الجُمْلَةِ مِنْ جَانِب، وتَكْرَار التَّسْهِيمِ مِنْ جَانِبٍ آخَر، وهُمَا جَانِبَانِ جَسَّدا – بصورةٍ أَوْضَح – فاعليَّةَ هذا الفنِّ في السَّبْكِ الْمُعْجَمِيِّ بَيْنَ الْجُمَل"(٧٠)، وذلك على المستوى الكليِّ مِنَ النصِّ.

وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾(٧١). نلحَظُ أَنَّ مُقَدّمةَ هذِهِ الآيَةِ تُدِلُّ المُتَلَقِّي عَلَى الكَلِمَةِ الأَخيرةِ مِنْهَا، فَمَنْ سَمِعَ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾ قال دون تَفْكيرٍ طويل: ﴿إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾. ومِنْهُ قَوْلُ عَمْرو بن مَعْدِيْ كَرِب (ت٢١هـ) (مِنَ الوافر):

إذا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئَـاً فَـدَعْـهُ وَجَـاوِزْهُ إِلَـى مَـا تَـسْـتَطِـيْـعُ(٧٢)

فَكَلِمَةُ (تَسْتَطِيْعُ) يَأْتِي بِهَا السَّامِعُ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ، لأَنَّ أَوَّلَ الكَلامِ مُوَطِّئٌ وَمُمَهِّدٌ لَهَا، وَفِيْهِ مَا يُشِيْرُ إِلَيْهَا كَإِشَارَةِ السَّهْمِ إِلى الجِهَةِ الْمَقْصُودَة(٧٣). وسِرُّ هذِهِ الصَّنْعَةِ في هذا البَابِ أَنْ يكونَ مَعْنَى البَيْتِ مُقْتَفِيَاً قَافِيَتَهُ، وشَاهِدَاً بِهَا دَّالاً عَلَيْهَا(٧٤). وهُنَاكَ مَنْ فَضَّلَ إطلاقَ مُصْطَلَحِ (الإِرْصَادِ) على هذا الْمَفْهُوم، وَعَرَّفُوهُ بِأَنَّهُ: "أَنْ يَبْنِيَ الشَّاعِرُ البَيْتَ مِنْ شِعْرِهِ على قافيةٍ قَدْ أَرْصَدَهَا لَهُ، أي: أَعَدَّهَا في نَفْسِهِ، فإذا أَنْشَدَ صَدْرَ البَيْتِ عَرَفَ مَا يَأْتِي في قَافيته، وذلِكَ مِنْ مَحْمُودِ الصَّنْعَةِ، فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ مَا دَلَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ"(٧٥)، وقَوْلُهُ "فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ مَا دَلَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ" ينطوي على إشارةٍ واضِحَة إلى مفهومِ الاتساقِ النصيِّ الّذي تفطّن إليه الأقدمون.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾(٧٦). فَإذا وَقَفَ السَّامِعُ على قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ عَرَف أنَّ ما بَعْدَهُ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَيْهِ(٧٧). يقول ابنُ الأثير: "وَرَأَيْتُ أَبَا هِلالٍ العَسْكَرِيِّ قَدْ سَمَّى هذا النَّوْعَ التَّوْشِيحَ(٧٨)، وَلَيْسَ كَذلِك، بَلْ تَسْمِيَتُهُ بالإِرْصَادِ أَوْلَى، وَذلِكَ حَيْثُ ناسَبَ الاسْمُ مُسَمَّاهُ ولاقَ بِهِ، وَأَمَّا التَّوشيحُ فَإِنَّهُ نَوْعٌ آخَر

٦٦– أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤/ ٣٣٧–٣٣٨. والمثل السائر: ٣/ ٢٠٧.
٦٧– تحرير التحبير:٢٦٣. وبديع القرآن:١٠٠.
٦٨– (سورة الواقعة:٦٣–٦٥).
٦٩– تحرير التحبير:٢٦٧. وبديع القرآن:١٠٠–١٠١.
٧٠– البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١١٦.
٧١– (سورة سبأ: ١٧).
٧٢– ديوانه:١٤٥.
٧٣– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٣٨٥–٣٨٦.
٧٤– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٣٢.
٧٥– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ٢٠٦.
٧٦– (سورة العنكبوت: ٤٠).
٧٧– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ٢٠٧.
٧٨– كتاب الصناعتين:٣٨٢.

مِنْ عِلْمِ البَيَانِ"(٧٩). أَمَّا (التَّفويف) لُغَةً فَهُوَ مشتقٌ مِنَ الثَّوْبِ الّذِي فيهِ خطوطٌ بِيضٌ، أَمَّا اصطلاحاً فَهُوَ: عِبَارَةٌ عَنْ إتيانِ المُتَكلِّمِ بِمَعَانٍ شَتَّى مِنَ المدحِ أوِ غيرِ ذلِكَ مِنَ الفنونِ والأَغْرَاضِ، كُلُّ فَنٍّ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الكَلامِ مُنْفَصِلَة مِنْ أُختِهَا بالتَّجْمِيعِ غالباً، مَعَ تساوِي الْجُمَلِ المركّبَةِ فِي الوزنيَّة(٨٠). أمَّا التَّفويفُ عِنْدَ القزويني، فَهُوَ: "أَن يُؤتى في الكَلامِ بِمَعَانٍ مُتلائِمَة في جُمَلٍ مُتَسَاوِيَة المقاديرِ أَوْ مُتقارِبَتُها"(٨١). ومثالُ التَّفويفِ قَوْلُ أَبي الوليدِ بن زيدون (مِنَ البسيط):

تِهْ أَحْتَمِلْ، وَاحْتَكِمْ أَصْبِرْ، وَعِزَّ أَهُنْ وَدِلَّ أَخْضَعْ، وقُلْ أَسْمَعُ، وَمُرْ أُطِعِ

وَقَدْ جَاءَ مِنَ التَّفويفِ الْمُرَكّب مِنَ الْجُمَلِ الطويلةِ في الكِتَابِ العزيز، قَوْلُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾(٨٢). فهذهِ المُفْرَدَاتِ القُرآنيَّة قَدْ تَجاوَرَتْ في صُورةٍ نسقيَّة غاية في الرَّوْعَة.

وهناك أيضاً مِمَّا يَتَّصِلُ بهذا الضَّرْبِ مِنَ الكَلامِ صِنْفٌ آخَر يُسَمَّى بـ(المؤاخاةُ بَيْنَ المعاني)، و(المؤاخاةُ بَيْنَ المباني)، أمَّا الْمُؤَاخاةُ بَيْنَ الْمَعَانِي فَهُوَ أَنْ يُذْكَر الْمَعْنَى مَعَ أَخِيْهِ، لا مَعَ الأجنبيِّ، مِثَالُهُ أن تَذْكُرَ وَصْفَاً مِنَ الأَوْصَافِ، وَتَقْرِنَهُ بِمَا يقربُ مِنْهُ ويَلْتَئِمُ بِهِ(٨٣). وأَمَّا المؤاخاةُ بَيْنَ المباني فإنَّهُ يَتَعَلّقُ بِمَبَانِي الأَلْفَاظِ(٨٤). ومِمَّا يَدْخُلُ ضِمْنَ موضوعِ التَّنَاسُبِ ما يُعْرَفُ بـ(تناسُبُ الأَطْرَافِ)، وهُوَ: "عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَبْتَدِئَ الْمُتَكَلِّمُ كَلامَهُ بِمَعْنَى، ثُمَّ يختمهُ بِمَا يُنَاسِبُ ذلِكَ المعنى الّذِي ابتدأ بِهِ، وهذا النَّوْعُ جَعَلَهُ الخطيبُ في التَّلخيصِ والإيضاحِ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ"(٨٥). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾(٨٦). فَقَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾ في خِتَامِ الآيَةِ الأُولى يُنَاسِبُ قَوْلَهُ في أَوَّلِهَا: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾، لأَنَّ الموعِظَة سَمْعِيَّة، وقَوْلُهُ في خِتَامِ الثانية ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ يُناسِبُ قَوْلَهُ في أَوَّلِهَا ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، لأَنَّ الموعِظَةَ بَصَرِيَّة(٨٧). ووَاضِحٌ مَا في دلالةِ كَلِمَتَيْ (التَّوْشيح)، و(التَّسهيم)، لُغَةً واصْطِلاحَاً، مِنْ ارْتِبَاطِ صَدْرِ الكَلامِ بآخِرِهِ، واقتضاءِ لَفْظٍ لآخَر، ومَصْدَرُ هذا الاقتضاءِ – أَحْيَاناً – هُوَ التَّلازُم أَو التَّصَاحُبُ بَيْنَ اللّفْظَتَيْنِ(٨٨). ومِمَّا يَتَعَلّقُ بهذا النَّوْعِ مِنَ الكَلامِ أَيْضَاً مَوْضُوعُ (الائتلاف) بأنواعِهِ الثلاثة، وهِيَ: ائتلافُ اللفظِ مَعَ اللفظ: "أن تكونَ الأَلْفَاظُ يُلائِمُ بَعْضُهَا بَعْضَاً بِأَنْ يُقْرَنَ الغَرِيبُ بِمِثْلِهِ، والْمُتَدَاوَلُ بِمِثْلِهِ، رعايةً لِحُسْنِ الْجِوَارِ والْمُنَاسَبَةِ"(٨٩). أَوْ "أن تكون الألفاظُ في الكَلامِ مُتآلِفَة يُلائِمُ بَعْضُهَا بعضاً، كأن تكون الكلماتُ مِنْ نَوْعِ الغَرِيبِ، أو مِنْ نَوْعِ المتداوَل، أَوْ مِمَّا يُلائِمُ العَامَّة، أَوْ مِمَّا يُلائِمُ الخَاصَّة، أَوْ مِمَّا يُلائِمُ مُخَاطَبِيْنَ مُعَيَّنِين"(٩٠). أَوْ "أَنْ يكونَ في الكَلامِ مَعْنَى يَصِحُّ مَعَهُ وَاحِد مِنْ عِدَّة مَعَانٍ فيُخْتَارُ مِنْهَا مَا بَيْنَ لَفْظِهِ

٧٩– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ٢٠٧–٢٠٨.
٨٠– تحرير التحبير: ٢٦٠–٢٦١.
٨١– الإيضاح:٢٦٢.
٨٢– (سورة الشعراء: ٧٨–٨٢).
٨٣– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ١٥٤.
٨٤– م.ن: ٣/ ١٥٦.
٨٥– أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤/ ١٩٥.
٨٦– (سورة السجدة: ٢٦–٢٧).
٨٧– أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤/ ١٩٦.
٨٨– البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية:١١٦.
٨٩– الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٧٤٤.
٩٠– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٥٢٠.

وَبَيْنَ بَعْضِ الكَلامِ ائتلافٌ وَمُلاءَمَة، وإنْ كانَ غَيْرُهُ يَسُدُّ مَسَدَّهُ"(٩١). وعلى الرغمِ مِنْ التَّشَابُهِ الْجُزْئِيِّ الملحوظِ في هذِهِ التَّعريفاتِ إلاّ أَنَّ هُنَاكَ في بَعْضِهَا مَعَانيَ إضافيَّة تَخْدِمُ البَحْثَ. وائتلافُ اللفظِ مَعَ المعنى: وهُوَ "أَنْ تكونَ الأَلْفَاظُ لائِقَة بالمعنى المقصود ومُنَاسِبَة لَهُ"(٩٢). أَوْ "أَنْ تكونَ ألْفَاظُ الكَلامِ مُلائِمَةً لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهَا"(٩٣)، فإذا كان الْمَعْنَى فَخْمَاً كان اللفظُ الموضوعُ لَهُ جَزْلاً، وإذا كان المعنى رقيقاً كان اللفْظُ رقيقاً، فيُطَابِقُهُ في كُلِّ أَحْوَالِهِ، وهُمَا إذا خَرَجَا عَلَى هذا المخرج، وتلاءَمَا هذِهِ الملاءَمَة وَقَعَا مِنَ البَلاغَةِ أَحْسَن مَوْقِع، وتألّفَا على أَحْسَنِ شَكْل، وانتظَمَا في أَوْفقِ نِظَام، وهذا بَابٌ عظيمٌ في عِلْمِ البَدِيعِ، وجَاءَ القُرْآن الكريم على هذا الأُسْلُوبِ، فإذا كان الْمَعْنَى وَعِيْدَاً وَزَجْرَاً أو تَهْدِيداً، أو إنزالَ عِقَابٍ، أو إيقاعَ وَاقِعَةٍ، أُتِيَ فيهِ بالأَلْفَاظِ الغريبة الجَزْلة، وإذا كان الْمَعْنَى وَعْدَاً وبِشَارَة، أُتِيَ فيهِ بالأَلْفَاظِ الرقيقة العَذْبَة"(٩٤). وَمِنْ هذِهِ الملاءَمَةِ أَنْ يَحْكِيَ صَوْتُ الكَلِمَةُ صَوْتَاً يوجَدُ فيما دَلّتْ عَلَيْهِ، مثل (حفيف) لحركةِ أوراقِ الشَجَر، و(فحيح) لصوتِ الأَفْعَى، و(صَرْصَر) لِصَوْتِ الرِّيحِ الشَّديدة، و(الهمز) للصَوْتِ الّذِي يصدر عِنْدَ إقفال القفل في (مُؤْصَدَة)، و(سلسبيل) لصوتِ الماءِ الّذِي يَجْرِي بيُسر، و(خرير) للمَاءِ النَّازِلِ في شلاّل، وغيرها مِنَ الأمثلة(٩٥). وقَدْ أَشَارَ الجَاحِظُ إلى هذا الفَنِّ بِقَوْلِهِ: "وَمَتَى شَاكَلَ اللّفْظُ مَعْنَاهُ، وأَعْرَبَ عَنْ فَحْوَاهُ، وَخَرَجَ مِنْ سَمَاجَةِ الاسْتِكْرَاهِ، وَسَلِمَ مِنْ فَسَادِ التَّكَلّفِ، كَانَ قَمِيْنَاً بِحُسْنِ الْمَوْقِعِ، وَبِانْتِفَاعِ الْمُسْتَمِعِ"(٩٦)، الذي يمثِّلُ القطبَ الثاني في العمليَّة التخاطُبيَّة.

ومن ائتلافِ اللفْظِ مَعَ المعنى، قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾(٩٧). وقَدْ ذكرَ الرَّافعِيُّ أنَّ في القُرْآن لَفْظَةٌ غَرِيبَةٌ هِيَ مِنْ أَغْرَبِ مَا فِيْهِ، ومَا حَسُنَتْ في كَلام قَطّ إلاّ في مَوْقِعِهَا مِنْهُ، وهِيَ كَلِمَةُ ﴿ضِيْزَى﴾، ومَعَ ذلِكَ فإنَّ حُسْنَهَا في نَظْمِ الكَلامِ مِنْ أَغْرَبِ الْحُسْنِ وَأَعْجَبِهِ، وَلَوْ أَرَدْتَ اللُّغَةَ عَلَيْهَا مَا صَلُحَ لِهَذا الْمَوْضِعِ غَيْرُهَا، وقد جَاءَتْ هذِهِ الآيَةُ في مَعْرِضِ الإِنْكَارِ عَلَى العَرَبِ، إذ وَرَدَتْ في ذِكْرِ الأَصْنَامِ وَزَعْمِهِمْ في قِسْمَةِ الأَوْلادِ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الملائِكَةَ والأَصْنَامَ بناتٍ لله مع أَولادِهِم البنات، فَقَالَ تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾، فَكَانَتْ غَرَابَةُ اللّفْظِ أَشَدُّ الأَشْيَاءِ مُلاءَمَةً لِغَرَابَةِ هذِهِ القِسْمَةِ الّتِي أَنْكَرَهَا، وَكَانَتِ الْجُمْلَةُ كُلّهَا كَأَنَّهَا تُصَوِّرُ في هَيْئَةِ النُّطْقِ بِهَا الإنكارَ في الأُولى والتَّهَكّمَ في الأُخْرَى، وكَانَ هذا التَّصْوِيرُ أَبْلَغُ مَا في البَلاغَةِ(٩٨). وأخيراً ائتلافُ المعنى مع المعنى: وهذا النَّوْعُ أيضاً قِسْمٌ مِنَ المناسَبَةِ المعنويَّة، وَهُوَ قِسْمَان: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَشْتَمِلَ الكَلامُ على معنى يَصِحُّ مَعَهُ مَعْنَيَان أَحَدُهُمَا مُلائِمٌ لَهُ بحسبِ نظرٍ دقيق، والآخر لَيْسَ كذلِكَ، فيقرن بالملائِم. وثانيهما: أَنْ يَشْتَمِلَ الكَلامُ عَلَى مَعْنَى لَهُ مُلائِمَان، يَصِحُّ أن يقرنَ كل منهما بِهِ، لكنْ يختارُ الأحسنَ مِنْهُمَا، وما لاقترانِهِ بِهِ مزيَّةٌ عَلَى الآخَر، فيقرن بذلِكَ المعنى(٩٩). وقَدْ ذهَبَ ابن أبي الإصبع المصريِّ (ت٦٥٤هـ) إلى أنَّ "تلخيصَ تفسيرِ هذِهِ التسميةِ أن تكونَ: ألفاظُ المعنى المراد يُلائِمُ بَعْضُهَا بَعْضَاً لَيْسَ فيها لفظةٌ نَافِرَة عَنْ أَخَوَاتِهَا، غَير لائِقَة بِمَكَانِهَا، كُلّهَا مَوْصُوفٌ بِحُسْنِ الجِوَارِ"(١٠٠). وفي إطارِ هذا المصطلح، وبالتحديد (التناسُب عَنْ طريقِ المعنى)، أو (المناسَبَة المعنويَّة). أدرج ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ): المقابلة، فَقَوْلُهُ: "فأمَّا الذي ذكرنا أنه يُسَمَّى – المقابلة – في مُراعاةِ المعاني حتَّى يأتي في الموافِقِ بِمَا يُوافِق، وفي المخالِف بِمَا يُخَالِف على الصِحَّة"(١٠١). والْمُقَابَلَةُ عِنْدَ حازم القرطاجني هِيَ "اقترانُ الشَّيْءِ بِمَا يُنَاسِب"(١٠٢). وقَدْ

٩١– أنوار الربيع في أنواع البديع: ٦/ ٢٣٤.
٩٢– الطراز: ٣/ ٨٠.
٩٣– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٥٢٠.
٩٤– الطراز: ٣/ ٨٠.
٩٥– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٥٢٠.
٩٦– البيان والتبيين: ٢/ ٧–٨.
٩٧– (سورة النجم: ٢١–٢٢).
٩٨– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٥٨.
٩٩– أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤/ ١٩٨–١٩٩.
١٠٠– بديع القرآن:٧٧.
١٠١– سرُّ الفصاحة:١٧٩، و٢٠٥.
١٠٢– منهاج البلغاء وسراج الأدباء:١٤– ١٥.

أكّد أَيْضاً بِقَوْلِهِ: "إنَّما تكونُ المقابَلَةُ في الكَلامِ بالتَّوفيقِ بَيْنَ المعاني الّتي يُطَابِق بعضها بعضاً والجَمْعُ بَيْنَ المعنيين اللذين تكون بَيْنَهُمَا نسبةٌ تقتضي لأَحَدِهِمَا أَنْ يُذْكَرَ مَعَ الآخَرِ مِنْ جِهَةِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَبَايُنٍ أَوْ تَقَارُب، عَلَى صِفَةٍ مِنَ الوَضْعِ تُلائِمُ بِهَا عِبَارةُ أَحَدُ الْمَعْنَيَيْنِ عِبَارَةَ الآخَرِ كَمَا لاءَمَ كِلا الْمَعْنَيَيْنِ في ذلِكَ صَاحِبَهُ"(١٠٣). ويَدْخُلُ ضِمَنْ موضوعِ المقابَلَةِ ما يُعْرَفُ بَلاغِيًّا (مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ)، ومِنْهَا قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝﴾(١٠٤). وقَدْ رُوعِيَ هذا الموضوعُ في القُرْآنِ الكريمِ كثيراً، فإذا وَرَدَ في صَدْرِ آيَةٍ مِنَ الآيَاتِ مَا يَحْتَاجُ إلى جَوَابٍ كانَ جَوَابُهُ مُمَاثِلاً، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾(١٠٥). وكَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾(١٠٦). وهذا هُوَ الأَحْسَنُ، وإلاّ فَلَوْ قِيْلَ: "مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ ذَنْبُهُ، كان ذلِكَ جائِزاً، لكن الأَحْسَنُ هُوَ مَا وَرَدَ في كِتَابِ اللهِ تعالى، وعَلَيْهِ مَدَارُ الاسْتِعمَالِ(١٠٧)، وخصوصاً الاستعمال القرآني الّذِي يُمثِّلُ قمَّةً في الروعةِ والإعجازِ والبيان.

الائتلافِ المعنويِّ في الخطابِ القرآني:

وَمِنْ ائتلافِ الْمَعْنَى مَعَ الْمَعْنَى، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(١٠٨). ولَـمَّا كَان الرُّكونُ إلى الظّالِمِ – وهُوَ الْمَيْلُ إِلَيْهِ، والاعْتِمَادُ عَلَيْهِ دونَ مُشَارَكَتِهِ في الظّلْمِ – وَجَبَ أَنْ يَكُونَ العِقَابُ عَلَيْهِ دونَ العِقَابِ على الظّلمِ، فَأُتِيَ بِلَفْظِ الْمَسِّ الّذِي هُوَ دونَ الإِحْرَاق وَالاصْطِلاَءِ(١٠٩). وهذا التَّنَاسُبُ الْمَعْنَوِيِّ بَيْنَ العَنَاصِرِ الْمُعْجَمِيَّةِ – الّتِي تُلائِمُ بَعْضَهَا بَعْضَاً – تُؤَدِّي إلى التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، والْمُتَلَقِّي لهذا الخِطَابِ لا بُدَّ وأن يَتَحَسَّسَ مُنَاسَبَةَ تِلْكَ الْمَعَانِي مَعَ أَخَوَاتِهَا، تِلْكَ الْمَعَانِي الّتِي تُشَكِّلُ بِمَجْمُوعِهَا وَحْدَةً تَرَابُطِيَّة مُتَشَابِكَة ذاتُ عَلاقَةٍ دلاليَّةٍ جَامِعَة، أضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ "هذِهِ الكَلِمَاتِ بِمُجَرَّدِ انْطِلاقِهَا، تَنْطَلِقُ مَعَهَا جُمْلَةٌ مِنَ الدَّلالاتِ، وَتَتَزَاحَمُ في ذِهْنِ الْمُتَلَقِّي حُزْمَةٌ مِنَ الصُوَرِ الشَّاخِصَة"(١١٠)، الّتِي تُجَسِّدُ الْمَشْهَدَ المروّع أروعَ تَجْسيد، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هذِهِ الصُّورَةَ الْمَشْحُونَةَ بالوعيدِ في هذِهِ الآيَةِ إِنَّمَا تقدِّمُ لِلمُتَلَقِّي دَلالَةً حِسِيَّةً توحي بِمَشْهَدِ العَذابِ، وَكَأَنَّهُ ماثِلٌ أَمَامَهُ لحظةَ تَلَقِّيهِ الخِطَابَ، وَهُوَ مَا يَعْمَلُ عَلَى تحريكِ مَشَاعِرِهِ، وإِثَارَةِ عَاطِفَتِهِ، وَمِنْ هُنَا كان لا بُدَّ لَنَا بغيةَ فَهْمِ الخِطَابِ وتأويلِهِ أَنْ نُعَرِّجَ إلى سِيَاقِهِ اللّغويِّ والْمَقَامِيِّ، وذلِكَ لأنَّ الخِطَاب نفسَهُ مَشْروطٌ أَحياناً بجملةٍ مِنَ المعطياتِ غير اللسانيَّة الْمُتَجَلِّيَةِ في الواقع الخارجيِّ.

وَمِنْ صُوَرِ الائتلافِ المعنويِّ أَيْضَاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ۝﴾(١١١). والكَبْكَبَةُ: تكريرُ الكَبِّ، فجعل التَّكرير في اللفظِ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنَّم ينكب مرَّة بعد مرَّة حتَّى يَسْتَقِرَّ في قَعْرِهَا(١١٢). ومَعْنَى ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ كُبُّوا فِيْهَا كَبّاً بَعْدَ كَبٍّ، فإنَّ ﴿كُبْكِبُوا﴾ مُضاعف كُبُّوا بالتَّكْرِير، وتَكْرِيرُ اللّفْظِ مُفيد تكريرِ الْمَعْنَى(١١٣). وقد ذهَبَ السيوطيِّ (ت٩١١هـ) إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ "أَبْلَغُ مِنْ (كُبُّوا) للإشَارَةِ إلى أَنَّهُمْ يُكَبُّون كَبّاً عَنِيفاً فَظِيْعاً"(١١٤). ومِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ البَيَانَ القُرْآنِيَّ الأَعْلَى انْتَقَى لَفْظَةً تُنَاسِبُ الْمَعْنَى الّذِي أَرَادَ تصويرَهُ للمُتَلَقِّي بِدِقّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ، ولَكَأَنَّهُ يُشَاهِدُ

١٠٣– م.ن:٥٢.
١٠٤– (سورة النمل:٥٠).
١٠٥– (سورة الروم: ٤٤).
١٠٦– (سورة الشورى: ٤٠).
١٠٧– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣/ ١٥٩.
١٠٨– (سورة هود: ١١٣).
١٠٩– الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٧٤٥. وأنوار الربيع في أنواع البديع: ٦/ ٢١٧.
١١٠– ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم.. دراسة دلالية:١٠٠.
١١١– (سورة الشعراء: ٩٤).
١١٢– الكشاف: ٣/ ٣١٢.
١١٣– التحرير والتنوير: ١٩/ ١٥٢.
١١٤– الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٧٤٥.

مَشْهَدَ الكَبْكَبَةِ بِأُمِّ عَيْنَيْهِ، وهذا التَّنَاسُبُ الْمَعْنَويّ قَدْ أَدَّى إلى ذلِكَ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ. وقمينٌ ذِكْرُهُ هُنَا "أنَّ العَرَبَ القُدَامَى، وَخَاصَّةً عُلَمَاءُ الأُصُول، قَدْ لاحَظُوا أَنَّ ثَمَّةَ ارْتِبَاطاً بَيْنَ بُنيَةِ القَوْلِ صَوْتاً وَصِيْغَةً وتَرْكِيباً وبَيْنَ دَلالَةِ القَوْلِ، كَمَا لاحَظُوا أَنَّ للسِّيَاق دَوْرَهُ الفَاعِلِ فِي طَرِيقَةِ إنْشَاءِ العِبَارَةِ، وتَوجِيْهِ الْمَعْنَى"([115]). وَقَدْ أَكّدَ ذلِكَ ابنُ جني (ت٣٩٢هـ)، بِقَوْلِهِ: "فَإنَّ كثيراً مِنْ هذِهِ اللُّغَةِ وَجَدْتُهُ مُضَاهِيَاً بِأَجْرَاسِ حرُوفِهِ أَصْوَاتَ الأَفْعَالِ الّتِي عُبِّرَ بِهَا عَنْهَا"([116]). وقَالَ أَيْضَاً: "وإنَّهُمْ كثيراً مَا يَجْعَلُونَ أَصْوَاتَ الْحُروفِ عَلَى سَمْتِ الأَحْدَاثِ الْمُعَبَّرِ بِهَا عَنْهَا"([117]). ومِنْ هُنَا لَمْ يَكُنْ عَجَباً أَنْ نَرَى أَنَّ "اللّفْظَ الوَاحِد قد يستقِلُّ بِرَسْمِ صُورَةٍ شاخِصَة، تارةً بِجَرْسِهِ الّذِي يُلقيهِ في الأُذن، وتارةً بِظِلِّهِ الّذِي يُلقيهِ في الخَيَال، وتارةً بالْجَرْسِ والظِّلِّ مَعَاً"([118]). والْمُتَأَمِّلُ في فُونِيمَاتِ اللّفْظَةِ يَجِدُ تَنَاسُقَاً عَجِيْباً بَيْنَ دَلالَةِ اللّفْظَةِ والإيحَاءَاتِ الّتِي يُمْكِنُ اسْتِشْعَارُهَا مِنْ جَرْسِ أَصْوَاتِهَا، وعَلَيْهِ فَإنَّهُ بالإمْكَانِ اسْتِشفَافُ الدَّلالاتِ واسْتِنْطَاقُهَا عَنْ طَرِيْقِ جَرْسِ الأَلْفَاظِ([119])، تِلْكَ الأَلْفَاظِ الّتِي تَجْعَلُ الصُّورَةَ مُوحِيَةً بمعانٍ إضَافِيَّة مُكَثَّفَة.

وَمِنْ شَوَاهِدِ الائْتِلافِ الْمَعْنَوِيِّ كَذلِكَ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدّٗا ٩٠﴾([120]). فقَدْ تَوَزَّعَتْ في هذِهِ الآيَةِ عَنَاصِرُ لُغَوِيَّة على صُورَةٍ نَسَقِيَّةٍ مُتَجَاوِرَة بَلْهَ مُتَنَاسِبَة، رَاسِمَةً مَشْهَداً حَافِلاً بالائْشِقَاق والارْتِضَاض والتَّلاشِي، وقَدْ أَبْدَعَ سيِّد قُطب في تَجْسِيم تِلْكَ الصُّورَةِ المهولة، بِقَوْلِهِ: "إنَّ جَرْسَ الأَلْفَاظِ وإيْقَاعَ الْعِبَارَاتِ لَيُشَارِكُ ظِلالَ الْمَشْهَدِ في رَسْمِ الْجَوِّ: جَوَّ الْغَضَبِ والْغَيْرةِ والانْتِفَاض! وَإنَّ ضَمِيْرَ الْكَوْن وَجَوَارِحَهُ لَتَنْتَفِضُ، وَتَرْتَعِشُ وَتَرْجُفُ مِنْ سَمَاعِ تِلْكَ القَوْلَةِ النَابِيَة، والْمَسَاسِ بِقَدَاسَةِ الذَّاتِ الْعَلِيَّة، كَمَا يَنْتَفِضُ كُلُّ عُضْوٍ وَكُلُّ جَارِحَةٍ عِنْدَمَا يَغْضَبُ الإنْسَانُ لِلْمَسَاس بِكَرَامَتِهِ أَوْ كَرَامَةِ مَنْ يُحِبُّهُ وَيُوَقِّرُهُ. هَذِهِ الانْتِفَاضَةُ الكَوْنِيَّةُ لِلْكَلِمَةِ النَّابِيَةِ تَشْتَرِكُ فِيْهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ والْجِبَالُ، وَالأَلْفَاظُ بِإيْقَاعِهَا تَرْسُمُ حَرَكَةَ الزَّلْزَلَةِ والارْتِجَافِ([121])، كَمَا أن فاصِلَةَ (الدَّالِّ) الانفجاريَّة بشدَّتِهَا وجَهَارَتِهَا وَقَلْقَلَتِهَا، الْمَتْبوعَةِ بالأَلِفِ ذاتِ القُوَّةِ الإسْمَاعيَّةِ العَالِيَةِ تَتَسَرَّبُ مِنْهَا دَلالاتٌ تَتَنَاغَمُ وَمَعَانِي اللّفْظَةِ، وَمَا فِيْهَا مِنْ قُوَّةٍ وَغِلْظَةٍ وَصَلابَةٍ، وهذِهِ الدَّلالاتُ الْمُتَنَاسِلَةُ أَوَّلاً مِنْ أَصْوَاتِ اللّفْظَةِ، والْمُسْتَفَادَةُ ثَانِيَاً مِنْ تَقَاطُرِ مَعَانِي الْمُعْجَم، تُحَاكِي ثِقَلَ وكِبَرَ افْتِرَاءِ الْمُشْرِكِيْن([122]). وَمَا يَلْحَظُهُ الْمُتَلَقِّي في هذا الخِطَابِ هُوَ تِلْكَ الْمُنَاسَبَةَ الّتِي تَحَقَّقَتْ بِوَحْدَةِ الْفَاصِلَةِ، لَيْسَتْ بَيْنَ هذِهِ الْفَوَاصِلِ فَقَطْ، بَلْ بَيْنَها وَبَيْنَ الدَّلالَةِ الّتِي تَحْمِلُهَا هذِهِ الْفَوَاصِلُ، وَالآيَاتُ الّتِي تُوجَدُ فِيْهَا الْفَواصِلُ، فَكَثِيْرَاً مَا تَحْمِلُ هذِهِ الْفَوَاصِلُ الدَّلالاتِ الْمُنَاسِبَةَ لِصِفَاتِهَا الصَّوْتِيَّة، من شِدَّةٍ، وَجَهْرٍ، وَرِقَّةٍ، ولِيْن، وغيرها مِنْ صِفَاتِ الأَصْوَات([123])، وعَلَيْهِ فَإنَّ الْفَاصِلَةَ قَدْ أَسْهَمَتْ في تحقيقِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ في هذا النَّصِّ الْقُرْآنِي، كَمَا يُسْهِمُ الْوَزْنُ والقَافِيَةُ في تحقيقِ صِفَةِ النصيَّةِ في النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، وَيَتَحَقَّقُ هذا التَّمَاسُكُ عَبْرَ تَحْقِيقِ هذِهِ الفَاصِلَة للاستمراريَّةِ في النَّصِّ([124]). وَمِنْ هُنَا فَإنَّ التَّنَاسُبَ الحَاصِلَ في كَلِمَاتِ القُرْآن وأَصْوَاتِ حرُوفِهَا إنَّمَا يُنَظِّمُ "أَلْحَانَاً لُغَوِيَّةً رَائِعَةً، كَأَنَّهَا لائْتِلافِهَا وَتَنَاسُبِهَا قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ، قِرَاءَتُهَا هِيَ تَوْقِيعُهَا"([125])، وَمِنْ هُنَا فَلَم يَكُنْ عَجَباً أَنْ تُسْهِمَ هذِهِ الأَلْفَاظُ الْمُتَجَاوِرَة في رَسْمِ الكَثِيْرِ مِنْ مَلامِحِ الْمَشْهَدِ المروِّعِ الّذِي يَتَحَرَّكُ عَلَى مَسْرَحِ تِلْكَ الكَلِمَاتِ الْمُعَبِّرَةِ عَنْ مَدْلُولاتِهَا بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَة، وعَلَيْهِ فَإنَّ "هذِهِ العَنَاصِرُ الْمَبْثوثة في ثنايا تِلْكَ الآيَاتِ، إنَّمَا تَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ

١١٥- اللسانيات والدلالة.. الكلمة:٧.
١١٦- الخصائص: ١/ ١١٢.
١١٧- م.ن: ١/ ٥٠٩.
١١٨- التصوير الفني في القرآن:٧٦.
١١٩- ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم.. دراسة دلالية:١٠٦-١٠٧.
١٢٠- (سورة مريم:٨٨-٩٠).
١٢١- في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٢٠-٢٣٢١.
١٢٢- ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم.. دراسة دلالية:٤٥.
١٢٣- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ١٣٩.
١٢٤- م.ن: ٢/ ١٣٧.
١٢٥- تاريخ آداب العرب:١٧١. وإعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة:١٤٨.

التَّنَاسُقِ بَيْنَ أَطْرَافِ النَّصِّ، وَتَحْكُمُ بِنَاءَ أَجْزَائِهِ وتَلاحُمِهَا دَلاليًّا، وتُضْفِي عَلَيْهِ لَوْنًا مِنَ التَّفَاعُلِ والْحَرَكَةِ"(١٢٦)، فضلاً عن إضفاءِ سِمَةِ الترابُطِ فيما بَيْنَ عناصره.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الائتلافِ الْمَعْنَوِيِّ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(١٢٧). والصَّيْحَةُ لُغَةً مِنْ صَاحَ يصيحُ: إذا صَوَّتَ بِقُوَّة(١٢٨)، وهُوَ الصَّوْتُ الشَّديدُ الخَارِجُ مِنْ حَلْقِ الإنسان، لِزَجْرٍ، أَوْ استِغاثة، وأُطْلِقَتِ الصَّيْحَةُ في مَوَاضِعِ القُرْآنِ الكريمِ عَلَى صَوْتِ الصَّاعِقَة(١٢٩). وقَوْلُهُ: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، أي: يَخْصَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ(١٣٠). وهُوَ مِنَ الخصُومَةِ والْخِصَام، وَهُوَ الْجِدَالُ(١٣١). والْمَلْحُوظُ في هذهِ الآيَةِ هُوَ ذلِكَ التَّنَاسُبِ الْمَعْنَوِيِّ الْحَاصِلِ بَيْنَ (الصَّيْحَةِ)، و(الخِصَام)، فَمَشْهَدُ الصَّيْحَةِ الشَّديدةُ يتناسَبُ مَعَ مَشْهَدِ الخِصَام الشَّديدِ، وَقَدْ جَاءَتِ الصَّيْحَةُ دون ذِكْرِ فَاعِلِهَا، ليكون ذلِكَ أَشَدُّ وَقْعًا في النَفْسِ، كَمَا أَنَّ الخِصَامَ وَرَدَ دون ذِكْرِ مَفْعُولَه، لاستغراق كُلِّ أَنْوَاعِ الخصُومَةِ، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ هذِهِ اللَّفْظَةِ قَدْ جاءَتْ مُتَزَامِنَة مع الْمَوْقِفِ الْخَارِجِيِّ، الأَمْرُ الّذِي يُسْهِمُ في تحقيقِ الغَرَضِ التَّوَاصُلِيِّ الإقناعيِّ، كَمَا أَنَّ التَّنَاسُبَ الْمَعْنَوِيِّ الّذِي تَجَسَّدَ بَيْنَهُمَا قَدْ حَقّقَ انْسِجَامًا نصيًّا وَاضِحًا عَلَى الْمُسْتَوَى العَامِّ مِنْ هذا الخِطَابِ.

ومِنْ نَمَاذِجَ ائتلافِ الْمَعْنَى مَعَ الْمَعْنَى، قَوْلُهُ تعالى في وَصْفِ الّذِين يَتَعَذَّبون في نَارِ جَهَنَّم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾(١٣٢). فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ "أَبْلَغُ مِنْ (يَصْرُخُون) للإشَارَةِ إلى أَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ صُرَاخًا مُنْكَرًا خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ الْمُعْتَادِ"(١٣٣)، وعَلَيْهِ فَمَا تُوحِي بِهِ هذِهِ الْكَلِمَةُ هُوَ أَنَّ الصُرَاخَ قَدْ بَلَغَ ذروتَهُ، والاضْطِرَابَ قَدْ تَجَاوَزَ مَدَاهُ، والصَّوْتَ العَالِي الفَظِيْع يَصْطَدِمُ بعضُه بِبَعْض، فلا أذنٌ صَاغِية، ولا نَجْدَةٌ مُتَوَقّعَة، فَقَدْ وَصَلَ اليَأْسُ أَقْصَاهُ، والْقنوطُ مُنْتَهاهُ، فَالصُّرَاخُ في شِدَّة إطْبَاقِهِ، وَتَرَاصُفِ إيقَاعِهِ، مِنْ تَوَالِي الصَّادِ والطّاءِ، وَتَقَاطُرِ الرَّاءِ والْخَاءِ، والتَّرَنّم بالوَاوِ والنّون، يُمَثِّلُ لَنَا رَنَّةَ هذا الاصْطِرَاخِ المدوِّي(١٣٤)، ذلِكَ الاصْطِرَاخُ الّذِي قَدَّمَهُ الخِطَابُ القُرْآنِيُّ بِصُورَةٍ حِسِيَّةٍ تَكَادُ تَخْتَرِقُ سَمْعَ الْمُتَلَقِّي، وعَلَيْهِ فَقَدْ كَانَ مَشْهَدُ الصُرَاخِ الشَّدِيدِ هذا مُلائِمًا لِحَالَةِ هَؤُلاءِ الْمُعَذَّبِيْنَ، تِلْكَ "الْحَالَةُ النفسيَّةُ الّتِي يَسُودُهَا صِيَاحٌ وَنِدَاءٌ وَاسْتِغَاثَةٌ، والّتِي كَانَ لا بُدَّ لَهَا مِنْ لَفْظَةٍ تُتَرْجِمُهَا بِدِقّة، لِتَنْقُلها بضَجِيجِهَا وانْفِعَالاتِهَا، وَقَدِ اخْتَارَ لَهَا الْقُرْآنُ هذِهِ اللّفْظَة، إذ إنَّ صيغَتَهَا وَجَرْسَها، وشِدَّةَ نُطْقِهَا وَثِقْلَهُ، وَتَقَارُبَ مَخَارِجِ حرُوفِهَا، تُرْشِدُ العَقْلَ إلى دلالَتِهَا، وَتُصَوِّر مَا فِيْهَا مِنْ قُوَّةٍ في الانْفِعَالِ وَالتَحَسُّر"(١٣٥)، وَمِنْ هُنَا فَإنَّ الْمُتَلَقِّي الّذِي يَسْمَعُ هذِهِ الْكَلِمَةَ يُخَيّل إِلَيْهِ جَرْسُهَا الْغَلِيظ، غِلْظَ الصُّرَاخِ الْمُخْتَلِط الْمُتَجَاوب مِنْ كُلِّ مَكَان، الْمُنْبَعِث مِنْ حَنَاجِرَ مُكْتَظّةٍ بالأَصْوَاتِ الْخَشِنَة، كَمَا تُلقِي إِلَيْهِ ظِلَّ الإهْمَالِ لِهذا الاصْطِرَاخِ الّذِي لا يَجِدُ مَنْ يَهْتَمُّ بِهِ أَوْ يَلَبِّيه، وَيَلْمَحُ مِنْ وَرَاء ذلِكَ كُلّهُ صُورَةَ ذلِكَ العَذابِ الغَلِيْظ الّذِي هُمْ فِيْهِ يَصْطَرِخُون(١٣٦)، فَهذِهِ اللَّفْظَةَ إذاً قَدْ أَلْقَتْ بِظلالِهَا عَلَى الْمَشْهَد الْمُفْزِعِ كُلِّه، وَأَبْدَعَتْ في عَرْضِهِ وتَصْوِيرِه، وَاخْتَزَنَتْ كُلَّ ضَجِيْجِهِ وانْفِعَالاتِه، وأَنَّاتِهِ وآهَاتِهِ(١٣٧)، تِلْكَ الآهَاتِ الّتِي كَادَتْ أَنْ تَخْتَرِقَ أَسْمَاعَنَا، وتُجَسِّدَ الْمَشْهَدَ كُلّهُ في أَذهَانِنَا، وَمِنْ هُنَا فَلْمْ يَكُنْ عَجَباً أَنْ نَرَى لَفْظاً وَاحِداً يَسْتَقِلُّ بهذِهِ الصُّوَر

١٢٦– ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم.. دراسة دلالية:١٠٣.
١٢٧– (سورة يس: ٤٩).
١٢٨– تفسير روح المعاني: ١٢/ ٩٢.
١٢٩– التحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٤.
١٣٠– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٩/ ٢٧٣.
١٣١– التحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٤.
١٣٢– (سورة فاطر: ٣٨).
١٣٣– الإتقان في علوم القرآن: ٥/ ١٧٤٥.
١٣٤– الصوت اللغوي في القرآن:١٦٦.
١٣٥– الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، نقلاً عن دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم:٢٣٤.
١٣٦– التصوير الفني في القرآن:٩٢.
١٣٧– دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم:٢٣٣.

كُلِّهَا، فيكونُ ذلِكَ فَنّاً مِنَ التَّنَاسُقِ الرَّفيعِ، والتَّلاؤُمِ البَديعِ(١٣٨)، وَمَا عَزّزَ مِنْ هذِهِ الْمَوَاءَمة والْمُلاءَمَةِ أيضاً، هُوَ صَوْتُ (الصَّادِ) الاستعلائيّ الصفيريّ المفخّم، ذلِكَ الصَّوْتُ الّذِي كَادَ أَنْ يُحاكِي بِوَحْدِهِ حَالَةَ الصَّارِخِيْنَ، كَوْنَهُ يُمَثِّلُ صُورَةً صَوْتِيَّة مُنْسَجِمَة مَعَ الْمَوْقِفِ الْخَارِجيِّ، بِحُكْمِ خَاصيَّتِهِ الصَّوْتيَّة القويَّة، ثُمَّ بِحُكْمِ انْتِشَارِيَّتِهِ، فَمَثَّلَتْ بذلِكَ حَرَكَةً إسْمَاعِيَّة نَافِذَة، شَدِيْدَةُ الانْتِشَار، عَابِرَةً أَحْيَازَ مَكانيَّةً وَاسِعَة، "ثُمَّ إنَّ الصَادَ والطّاءَ بِمَا فِيْهِمَا مِنْ تَفْخِيم وإطباق يُعَبِّرَان تَمَامَ التَّعبير عَنْ حَالِ أَهْلِ النَّار، الّذِين يُحَاوِلُون الخرُوج مِنْهَا، وهذا هُوَ عينُ مَا يَصْطَرِخُون بِهِ: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا)، فَإذا بِهِمْ يَجْدُونها مُطْبَقَةً عَلَيْهِم، تصطدمُ مُحَاوَلاتُهم وأَصواتهم بِجُدْرَانِهَا، فَتَرْتَدُّ إليهم خائبة، كَمَا تَتَلاقَى دَلالات التفخيم في كُلِّ مِنَ الصَادِ والطاءِ والخاءِ لِتُعَبِّرَ عَنْ ضَخَامَةِ الصُّرَاخِ لأَهْلِ النَّار، كَمَا تُعَبِّرُ الرَّاءُ بِمَا لَهَا مِنْ صِفَةِ التَّكْرَارِيَّةِ عَنْ تَكَرُّر ذلِكَ الصُّرَاخِ وَاستمراريَتِهِ، وَيُشَارِكُ في هذا حَرْفُ الواو بِمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْمَدِّ والهويّ إلى غايةٍ سَحِيقَةٍ، لِيَدُلَّ عَلَى طُولِ هذا الصُّرَاخِ، ثُمَّ تَأْتِي النونُ في نهايةِ الكَلِمَةِ مُعَبِّرَةً بِأَنَّتِهَا الْحَزِينَةِ عَنْ مَدَى الْحَسْرَةِ والخيبةِ الّتِي يَؤوبُ بِهَا الْكَافِرُ مِنْ هذا الصُّرَاخِ الطَوِيلِ الدّائم الأَليم"(١٣٩)، وبناءً على كُلِّ ما سبق فقد ظهر لنا واضحاً كيف أن أصوات الألفاظِ تحاكي مدلولاتها.

وَأَخِيْرَاً فَإنَّ هذِهِ الْمُلاءَمَةُ الصَّوْتيَّة والدَّلاليَّة في هذِهِ الآيَةِ القُرْآنيَّة قَدْ أَفْصَحَتْ عَنْ مَدَى إحْكَامِ النَّصِّ مَعْنَوِيَّاً، وَتَلاحُمِ جُزْئِيَّاتِهِ لَفْظِيَّاً، الأَمْرُ الّذِي حَقّقَ انْسِجَامَاً نَصِيَّاً عَلَى الْمُسْتَوَى العَامِّ مِنْ هذِهِ الآيَة، وقمينٌ هُنَا أَنْ نَسْتَحْضِرَ مَا ذهَبَ إِلَيْهِ الرَّافِعِيُّ بِقَوْلِهِ: "والعَرَبُ يَعْرِفُون هذا الضَّرْبَ مِنَ الكَلام، وَلَهُ نَظَائِرُ في لُغَتِهِمْ، وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ غريبة عِنْدَهُمْ لا تحسنُ إلاّ في مَوْضِعِهَا، ولا يكونُ حُسْنُهَا عَلَى غَرَابَتِهَا إلاّ أَنَّهَا تُؤَكِّد الْمَعْنَى الّذِي سَبَقَتْ لَهُ بِلَفْظِهَا وَهَيْئَةِ مَنْطِقِهَا، فَكَأَنَّ في تَأْليفِ حروفٍ مَعْنَىً حِسِيَّاً، وفي تَأَلّفِ أَصْوَاتِهَا مَعْنَىً مِثْلَهُ في النَّفْسِ"(١٤٠). وهُنَاكَ في القُرْآن الكريم "طائِفَةٌ مِنَ الأَلْفَاظِ تَمَّ اختيارُ أَصْوَاتِهَا بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ أَصْدَائِهَا، وَاسْتوحى دلالتُهَا مِنْ جِنْسِ صِيَاغَتِهَا، فَكَانَتْ دَّالةً عَلَى ذاتِهَا بِذاتِهَا"(١٤١). وفي اللّغَةِ عمُوماً أَلْفَاظٌ تَتَسَارعُ أَصْوَاتُهَا للتَّعبيرِ عَنْ مَعَانِيْهَا، والّتِي يُلْحَظُ فِيْهَا وُثوقَ الصِلَةِ بَيْنَها وَبَيْنَ مَدْلُولاتِهَا(١٤٢). ومِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَنا مَدَى مُشَاكَلَةُ الأَلْفَاظِ لِمَعَانِيْهَا الّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا، وكَذلِكَ مُنَاسَبَةُ الْمَعَانِي لأَلَفَاظِهَا الَتِي وُضِعَتْ لَهَا.

١٣٨– التصوير الفني في القرآن:٩٣.

١٣٩– مقدمة المحقق د.عبدالحميد الهنداوي، لكتاب الخصائص لابن جني: ١/ ٤٦.

١٤٠– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٥٨.

١٤١– الصوتُ اللغوي في القرآن:١٦٥.

١٤٢– دراسات قرآنية في جزء عم:١٥٧.

نتائج البحث

نتائج البحث:

لا بُدَّ لِلْبَاحِثِ فِي خِتَامِ رِحْلَتِهِ العِلْمِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ – الّتِي عَاشَهَا فِي رِحَابِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ عَلَى ضَوْءِ الْمَنْهَجِ النَّصِيِّ، دِرَاسَةً وَتَحْلِيلاً – أَنْ يُدْلِيَ بِأَهَمِّ النَّتَائِجِ الّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا بَحْثُهُ، والّتِي يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِي الْمَحَاوِرِ الآتِيَة:

❑ يَرَى البَحْثُ – اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ اللِّسَانِيَّاتِ النَّصِيَّةِ – عَدَمَ كِفَايَةِ لِسَانِيَّاتِ الْجُمْلَةِ فِي تَحْلِيلِ النُّصُوص، لِذا وَجَدَ مِنَ الضَّرُورَةِ تَخَطِّيْهَا، وَتَوْجِيهِ أَنْظَارِهِ إِلى النَّصِّ كَكُلّ، بِوَصْفِهِ أَكْبَرَ وَحْدَةٍ قَابِلَةٍ للتَّحْلِيلِ، ومِنْ هُنَا فَالْمَنْهَجُ النَّصيِّ يَنْهَضُ عَلَى دِرَاسَةِ النَّصِّ بِعَدِّهِ مَنْظُومةً مُتكَامِلَةً مُتَلاحِمَة، وَوَحْدَةً مُتَمَاسِكَةً مُتَشَابِكَةً لا تَتَجَزَّأ، أَمَّا دِرَاسَةُ الْجُمَلِ وَحْدَهَا فَهِيَ اجْتِزَاءٌ لِعَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ، وقُصُورٌ فِي التَّحْلِيلِ اللِّسَانِيِّ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ الأَجْهِزَةَ النَّظَرِيَّةَ القَائِمَةَ عَلَى الْجُمْلَةِ قَاصِرَةٌ عَنْ احْتِوَاءِ بَعْضِ الظَّوَاهِرِ اللّغَوِيَّةِ، وتَفْسِيْرِهَا، ومِنْ هذِهِ الظَّوَاهِرِ قَضِيَّةُ الإِحَالَةِ، وَالْحَذْفِ، والفَصْلِ وَالْوَصْلِ، وَالضَّمَائِر، وعَلاقَةُ السُّؤَالِ بالْجَوَابِ، وغَيْرِهَا مِمَّا لا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرَكَ إِلاّ بِتَجَاوُزِ نِطَاقِ الْجُمْلَةِ الوَاحِدَةِ، وَيُمْكِنُنَا فِي نَحْوِ النَّصِّ أَنْ نَجِدَ تَفْسِيراً مُقْنِعاً لِكَثِيْرٍ مِمَّا يُوْصَفُ بِالشُّذُوذِ، أَوِ الضَّرُورَةِ فِي قَوَاعِدِ الْلُّغَةِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ التَّحْلِيْلَ النَّصِيَّ يَأْخُذُ فِي حُسْبَانِهِ جَمِيْعَ الْمُعْطَيَاتِ الّتِي تَحُفُّ بِالنَّصِّ لَحْظَةَ إِنْجَازِهِ، فَهُوَ لا يَغْفَلُ السِّيَاقَاتِ الّتِي تُحِيطُ بِهِ، كَمَا لا يَنْسَى الْمُتَلَقِّي وَأَهَمِيَّةَ دَوْرِهِ، بَلْ يَأْخُذُ بِنَظَرِ الاعْتِبَارِ جَمِيْعَ شُرَكَاءِ دَائِرَةِ التَّوَاصُلِ، مُحَقِّقاً بِذَلِكَ مَبْدَأَ (التَّمَاسُكِ النَّصِيِّ)، الّذِي يُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ الْمَبَادِئِ النَّصيَّةِ، بِوَصْفِهِ الشَّرْطَ الرَّئِيْسَ لِعَدِّ الكَلامِ نَصّاً، فَمِنْ خِلالِ التَّمَاسُكِ يُمْكِنُنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ النَّصِّ واللانَّصِّ.

❑ الْمُوَاضَعَاتُ اللُّغَوِيَّةُ لا تُوضَعُ بِمعْزَلٍ عَنِ الْمَقَامَاتِ التَّخَاطُبِيَّةِ بَلْ تُوضَعُ وِفْقاً لِتِلْكَ الْمَقَامَاتِ، وإِنَّ الْمَقَامَ هُوَ مَا يُفسِّرُ عَالَمَ الخِطَابِ، وبِنَاءً عَلَيْهِ فَإِنَّ هُنَاكَ عَلاقَةَ تأثيرٍ وتأثر بَيْنَ عَالَمِ الخِطَابِ والعَالَمِ الفِعْلِيِّ، وبِمَعْنَى آخَر هُنَاكَ تَفَاعُلٌ دِينَامِيٌّ بَيْنَ النَّصِّ وَالْوَاقِعِ، وعَلَيْهِ فَإِنَّ هُنَاكَ الكثير مِنَ الشَّوَاهِد النَّحْوِيَّة الّتِي صَنَعها بَعْضُ النّحَاةِ لِتُوَافِقَ قَوَاعِدَهُمْ، لا يُعِيْرهَا عِلْمُ لغةِ النَّصِّ اهْتِمَامَاً لأَنَّها لا تَنْطَوِي عَلَى قِيْمَةٍ استعماليَّة، وبالتَّالِي فَعَلَيْنَا أَنْ نُوَجِّهَ عِنَايَتَنَا باللّغَةِ فِي حالِ استعمالِهَا، الأَمْرُ الّذِي يُسَهِّلُ عَلَيْنَا عَمَلِيَّةَ استيعابِهَا وتعليمها.

❑ يُؤَكِّدُ البَحْثُ أَنَّ التُرَاثَ النَّحْوِيِّ السَّابِق هُوَ الأَسَاسُ الفِعْلِيِّ الّذِي بُنِيَتْ عَلَيْهِ الاتِّجَاهَاتُ النَّصيَّة، ومِنْ هُنَا فَالعَلاقَةُ بَيْنَ لِسَانِيَّاتِ الْجُمْلَةِ، ولِسَانِيَّاتِ النَّصِّ هِيَ عَلاقةٌ تَكَامُلِيَّة، إذ يَجِبْ أَنْ يُنْظَرَ إِلى أَبْحَاثِ لسانياتِ الجملة عَلَى أَنَّها تَمْهِيدٌ ضَرُورِيٌّ لأَبْحَاثِ لسانيَّاتِ النَّصِّ التي تُمَثِّلُ مُقَارَبَةً لِسَانِيَّةٌ مُتَمَيِّزَة تَسْتَهْدِفُ تحقيقَ وَتَوْصِيفَ الغَرَضِ التَّوَاصُلِيِّ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، وتحليلَ اللُّغَةِ الإِنْسَانِيَّةِ بِصُورَةٍ أَعْمَق، فَهُنَاكَ إِذاً عَلاقةٌ رَابِطَةٌ بَيْنَ بُنْيَةِ النَّصِّ، وعَنَاصِرِ (الْمَوْقِفِ الاتِّصَالِيِّ) الأَمْرُ الّذِي يشيرُ إِلى البُعْدِ التَّدَاوُلِيِّ للنَّصِّ، بَلْ يُؤَكِّدُ أَنَّ الاسْتِعمَالَ اللُغَوِيِّ لا يَعْنِي إِبْرَازَ مَنْطُوقٍ لُغَوِيٍّ فَقَطْ، بَلْ هُوَ إِنْجَازُ حَدَثٍ اجتماعيٍّ مُعَيَّن في آنٍ وَاحِد، وعَلَيْهِ فَإِنَّ العَلاقَةَ الّتِي تجمعُ بَيْنَ عِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ والتَّدَاوُلِيَّة، هِيَ أَنَّ كِلَيْهِمَا نَظَرِيَّتَان تَوَاصُلِيَّتَان، واتِّجَاهَان لِسَانِيَّان يَنْظُرَان إِلى النَّصِّ كَحَدَثٍ إِنجازيّ تواصُليّ شَامِل، فالتَّدَاوُلِيَّةُ تَنْظُرُ إِلى الفِعْلِ الإِنجازيِّ ككُلّ، كَمَا أَنَّ النَّصيَّةَ تأخُذ النَّصَّ بِوَصْفِهِ بُنْيَةً كُلِيَّةً شَامِلَة.

❑ يَنْبَغِي عَلَى الْبَاحِثِ اللِّسَانِيِّ فِي تَحْلِيلِ الْخِطَابِ الْقُرْآنِيِّ أَنْ يَتَجَاوَزَ مُسْتَوَيَاتِ التَّحْلِيلِ اللُغوِيِّ الأربعة – الْمُسْتَوَى الصَّوْتِيّ، والصَّرْفِيّ، والتَّرْكِيبِيّ، والدَّلاليّ (الْمُعْجَمِيّ والْبَلاغِيّ) – إِلى الْمُسْتَوَى النَّصيِّ، بِوَصْفِهِ الْوَحْدَةَ اللُغوِيَّةَ الْكُبْرَى فِي التَّحْلِيلِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتِ الْجُمْلَةُ – وَلِقُرُونٍ عَدِيْدَة – هِيَ أَكْبَرُ وَحْدَةٍ لُغوِيَّة قَابِلَةٍ للتَّحْلِيلِ، وهذا التَّأْكِيدُ لا يَعْنِي إِهْمَالاً أَوْ إِهْدَارَاً لِتِلْكَ الْمُسْتَوَيَاتِ السَّابِقَةِ وَالرَّاسِخَة فِي عَمَلِيَّةِ التَّحْلِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، بَلْ هُوَ إِغْنَاءٌ وَإِثْرَاءٌ لَهَا.

❑ يُؤَكِّدُ البَحْثُ بِنَاءً عَلَى اسْتِقْرَاءِ الدَّلالاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ الوَارِدَةِ فِي الْمَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ الدَّلالةَ الْمَرْكَزِيَّةَ الأَسَاسِيَّةَ لمادَّةِ الـ(نَصِّ)، تَتَلَخَّصُ فِي الظهُورِ، والاكْتِمَالِ فِي الغَايَةِ، الأَمْرُ الّذِي يُؤَكِّد جُزْءَاً مِنَ الْمَفْهُومِ الّذِي أَصْبَحَ مُتَعَارَفاً عَلَيْهِ فِي النَّصِّ، ومِنْ ثم فإنَّ

دَلالتَها اللغويَّة الْمُبَاشِرة، هِيَ الّتِي غدَّتْ دَلالتَهَا الاصْطِلاحِيَّة في حَقْلِ الأُصُولِ، فَصَارَ مفهومُ (النَّصِّ) يُحيلُ عَلَى ما لا يَحْتَمِلُ إلا دَلالةً كُلِّيَّةً وَاحِدَةً.

❑ أَكّدَ البَحْثُ أنّه عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَبَايُنِ تَعْرِيفَاتِ النَّصِّ وتوصيفاتِهِ، إلاّ أَنَّهَا تَشْتَرِكُ في تَأْكِيدِهَا عَلَى تَرَابُطِ النَّصِّ وتَمَاسُكِهِ، وَعَلَيْهِ فَالنَّصِيُّون يُجْمِعُون عَلَى سِمَةِ التَّرَابُطِ والانْسِجَامِ، وَيَظْهَرُ لَنَا ذلِكَ واضحاً مِنْ خِلالِ تَعْرِيفَاتِهِمْ الّتِي تَتَّفِقُ عَلَى أَنَّ النَّصَّ هُوَ بُنْيَةٌ مُتَّسِقَة تَقُومُ عَلَى نِظَامٍ دَاخِلِيٍّ مَتِيْن، أَسَاسُهُ عَلاقَاتٌ مَنْطِقِيَّةٌ وَنَحْوِيَّةٌ ودَلالِيَّةٌ تَرْبُطُ بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّصِّ ومَقَاطِعِهِ، وَإِنَّ مُهِمَّةَ (عِلْمِ النَّصِّ) هِيَ دِرَاسَةُ وَوَصْفُ هذِهِ البُنْيَةِ، والْوُقُوفُ عَلَى شَتَّى مَظَاهِرِ التَّرَابُطِ النَّصِيِّ فِيْهَا، مِنْ إِحَالَةٍ، وَحَذْفٍ، وتَّكْرَار، وغَيْرِهَا، ومِنْ هُنَا فإنَّ أغلبَ اللسانيين يُصرُّون عَلَى وَحْدَةِ تَمَاسُكِ النَّصِّ، وَهُوَ القَاسِمُ الْمُشْتَرَك لِكُلِّ التَّعْرِيفَاتِ الّتِي تُرَاهِنُ عَلَى أَنَّ النَّصَّ وَحْدَةٌ مُتَكَامِلَةٌ تَشُدُّها خَاصِيَّةُ التَّرَابُطِ.

❑ أَوْمَأَ البَحْثُ إلى أَنَّ هُنَاكَ شَوَاهِدَ عَدِيدَة في الإِرْثِ اللّغوِيِّ العَرَبِيِّ تُمَثِّلُ مُرْتَكَزَاتٍ مُهِمَّةً يُمْكِنُنَا أَنْ نَبْنِيَ عَلَيْهَا نَظَرِيَّةً نَصِيَّةً مُتَكَامِلَة في اللّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُسْلِمِيْنَ تجاوَزُوا حدُودَ الْجُمْلَةِ الضَيِّقَةِ إلى فَضَاءٍ أَوْسَع يُجَسِّدُ النَّصَّ ككُلّ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ التَّطْبِيقَاتِ النَّصِيَّةَ الْمُنْجَزَة عَلَى النُصُوصِ التراثيَّة عَامَّةً، وعَلَى النَّصِّ القُرْآنِيِّ عَلَى وَجْهِ الخُصُوص، تُؤَكِّدُ – مَرَّةً أُخْرَى – تِلْكَ النَّظْرَةَ الكُلِيَّةِ الشَّامِلَةِ الّتِي نَظرُوا بِهَا إلى الْمِعْمَارِ النَّصِيِّ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ آرَاءَ عُلَمَائِنَا الْمُسْلِمِيْنَ القُدَامَى تَلْتَقِي مَعَ آرَاءِ عُلَمَاءِ لُغةِ النصِّ الْمُحْدَثِيْنَ، بَلْ تَفُوقُهُمْ، وَذلِكَ لأَنَّهُمْ مَهَّدُوا السَّبِيلَ لِغَيْرِهِمْ، كَمَا أَلْحَقُوا تَطْبِيقَاتٍ عَلَى تَنْظِيرَاتِهِمْ، وَلا سِيَّمَا في مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّة، تَأْوِيلاً وَتَفْسِيراً، في حِيْن طَغَى الْجَانِبُ النَّظَرِيِّ البَحْت عِنْدَ العُلَمَاءِ الغَرْبِيين.

❑ أَكّدَ البَحْثُ أنَّ مُصْطَلَحَي الخِطَاب والنَّصِّ هُمَا مِنْ أَكثر الْمُصْطَلَحاتِ شيوعاً في التراثِ العربيِّ الإسلاميِّ، نظراً لاتِّصَالِهِمَا بِعُلُومِ القُرْآن وَتَفْسِيْرِهِ، وَالفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَاللّغةِ وَعُلُومِهَا، وأنَّ النَّظْرَة إليهما مِنْ حَيْثُ الْمَفْهُوم لا تَخْتَلِفُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ في مَنْظُورِ الفِكْرِ اللّسَانِيِّ الغربيِّ.

❑ إن الخِطَابَ القُرْآنِيِّ يُمَثِّلُ ظَاهِرَة مُرَكّبَة بَلْ وَحْدَةً وَاحِدَة بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ تَأْوِيلَهَا أو فَهْمُهَا عَلَى الْوَجْهِ الأَمْثَلِ مِنْ خِلالِ نظرةٍ تجزيئيَّةٍ أُحَادِيَّة الْجَانِب، بَلْ لا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا نَظْرَةً شُمُولِيَّة تَسْتَحْضِرُ كُلَّ العَوَامِلِ الفَاعِلَةِ في اتِّسَاق الخِطَابِ وَانْسِجَامِهِ. وعَلَيْهِ فَإِنَّ العَلاقَاتِ الإِسْنَادِيَّةُ تَكْتَسِبُ أَهَمِيَّةً خَاصَّة في تَشْكِيْلِ الخِطَابِ، فَلا يَكُون النَّصُّ نَصّاً، وَلا الخِطَابُ خِطَاباً، مَا لَمْ يَكُنْ مُتَّسِقاً وَمُنْسَجِماً، بِحَيْثُ يُشَكِّلُ مَنْظُومَةً مُتَكَامِلَةً، مُكَوَّنَةً مِنْ بُنْيَاتٍ وَعَنَاصِرَ تَرْبُطُ بَيْنَهَا وَسَائِلُ الرَّبْطِ الشَّكْلِيَّة وَالدَّلالِيَّة.

❑ السِّيَاقُ يعينُ على تحديدِ المحالِ إليهِ (عُنْصرُ التَّعَلّقِ)، ويُسْهِمُ في حَصْرِ الْمَعَانِي، وتبيينِ الدَّلالةِ الْمَقْصُودَةِ مِنْ كُلِّ هذِهِ الْمَعَانِي الْمُتَعَدِّدة في الخِطَاب، إذ إِنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ مُعْجَمِيَّةٍ دلالتَها العَامَّة، ودلالاتِها الارتباطيَّةَ الخاصَّة، والّتِي يُمْكِنُ تحديدُها مِنْ خِلالِ السِّيَاقِ الْمَقَالِيِّ وَالْمَقَامِيِّ.

❑ تُعَدُّ الإحالةُ نَوْعَاً مِنَ التوجيهِ النَّحْوِيِّ لِرَبْطِ المفْرَدَاتِ والتَّرَاكِيْبِ، فَالإِحَالَةُ هِيَ توجيهٌ نَحْوِيٌّ مِنْ قِبَلِ الْمُتَلَقِّي لِتَكُونَ أَدَاةً لِفَهْمِ النَّصِّ وتَفْسِيْرِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ انْعِدَامَ التَّرَابُطِ في النَّصِّ الْمَقْرُوءِ يَكُونُ حَائِلاً دُون فَهْمِ النُّصُوصِ وتَأْوِيلِهَا، ومِنْ ثَمَّ يَكُونُ حَائِلاً دون تِحْقِيقِ عَمَلِيَّةِ التَّواصُلِ بَيْنَ الْمُخَاطِبِ والْمُخَاطَب، وذلِكَ لأَنَّ العَنَاصِرَ الْمُحِيلَة لا تَكْتَفِي بِذَاتِهَا في عَمَلِيَّةِ التَّأْوِيل، بَلْ لا بُدَّ مِنَ العَوْدَةِ إلى مَا تُشِيْرُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ فَهْمِهَا وإِدْرَاكِهَا. فالإِحَالَةَ هِيَ مِنْ أَهَمِّ الْوَسَائِلِ الخِطَابِيَّة الّتِي تُحَقِّقُ التَّمَاسُكَ النَّصِيِّ، إذ تَقُوم بوظيفةِ الرَّبْطِ بَيْنَ عَنَاصِرِهِ اللّغويَّة الّتِي يَتَكَوَّن مِنْ خِلالِ عَوْدَة اللّفْظِ الْمُحِيل عَلَى مُفَسِّره، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُ تَجَاوُزَ الْحَيِّزَ الْجُمَلِيَّ إلى نِطَاق أَوْسَع يُمَثِّلُهُ النَّصُّ بِكُلِّ امْتِدَادَاتِهِ الاتِّسَاعِيَّة، وتَفْرِيعَاتِهِ الثَّانويَّة.

❑ أَظْهَرَ البَحْثُ أَنَّ الإِحَالَةَ بـ(تَنْوِينِ العِوَضِ) هِيَ إِحْدَى الوَسَائِلِ المهمَّة الّتِي تحقِّقُ التَّمَاسُكَ النَّصِيِّ، وهِيَ تُمَثِّلُ إِحَالَةً قَبْلِيَّةً إلى العُنْصُرِ الْمَذكُورِ سَابِقَاً، وذلِكَ مِنْ خِلالِ حَذْفِ جُمْلَةٍ بِكَامِلِهَا، أَوْ كَلِمَةٍ، أَوْ حَرْفٍ دَالٍ عَلَى مَعْهُود، فَيَحِلُّ التنوينُ مَحَلَّ الشَّيْءِ

الْمَحْذُوْفِ، ويكونُ عِوَضاً عَنْهُ اخْتِصَاراً، أَضِفْ إلى ذلِكَ أن تَنْوِينَ العِوَضِ هُوَ مِـنَ الأَسَـالِيْبِ الْمُهِمَّـةِ الّتِـي تُـؤَدِّي إلى التَّوَسُّـعِ في الْمَعْنَى، والإحالة بأنواعها المتعدِّدة مِنْ: إِضْمَارٍ، وإِشَارَةٍ، وتَعْرِيفٍ بـ(أل)، وتَنْوِينٍ بالعِوَضِ، تُسْهِمُ في تَعْلِيـقِ الكَلِـم بَعْضِـهِ بِـبَعْض، والرَّبْطِ بَيْنَ التَّتَابُعَاتِ اللفظيَّةِ، سَوَاء كانَتْ الإِحَالَةُ عَلَى مُتَقَدِّمٍ أَوْ مُتَأَخِّر، كَمَا أَنَّ التَّطَابُقَ بَيْنَ الضَّمِيْرِ ومَرْجَعِـهِ يُعـينُ عَلَـى تَـرَابُطِ أَجْزَاءِ النَّصِّ تَرَابُطاً يَحْصُلُ بِهِ طَرَفَا الخِطَاب عَلَى التَّوَاصُلِ والاسْتِمرَارِيَّة، وهذا النَّوْعُ مِنَ الإِحَالَةِ لَمْ يُذْكَر قَطّ في كُتُـبِ عِلْـمِ لُغَـةِ النَّص.

❑ الأَشْكَالُ البديلةُ أَو الضَّمَائِرُ في عِلْمِ لُغَةِ النَّصِّ هِيَ كَلِمَاتٌ قصيرةٌ اقتصاديَّة، أَوْ عَنَاصِرُ خَاوِيَة مُخْتَصَرَة تقومُ مَقامَ تعبيراتٍ لُغَوِيَّة، تُسْتَعْمَلُ لإِبْقَاءِ مُحْتَوَى العَنَاصِرِ في حَالَةٍ نَشِطَة قابِلَةٍ للاسْتِرْجَاعِ، وهِيَ بِمَعْنَى آخَر تُسَاعِدُ مُسْتَعْمِلِي النَّصِّ على الاحتفاظِ بالْمُحْتَوَى في مَوَاقِعِ التَّخْزِينِ النَشِط، وتُعَدُّ هذِهِ الأَشْكَالُ أَوِ الضَّمائِر مِنْ وَسَائِلِ التَّضَامِ المهمَّة، والّتِي تحقِّقُ تَمَاسُكاً نَصِيّاً وَاضِحاً في بُنْيَةِ الخِطَاب.

❑ الحَذْفُ في الدَّرْسِ النَّصيِّ هُوَ مِنْ وسائِلِ الاتِّسَاقِ التركيبـيِّ، الّتِي تُسْهِمُ في تحقيقِ التَّرَابُطِ بَيْنَ عَنَاصِرِ النَّصِّ الوَاحِد، والْمُتَلَقِّي مِنْ خِلالِ الحَذْفِ يُؤَدِّي دَوْرَاً فاعِلاً في مِلءِ تِلكَ الفَرَاغَاتِ الّتِي يَتْرُكُها النَّصُّ لِذَكَائِهِ، إيثاراً لِمَبْدَأ الاخْتِزَال، وتحقيقاً لِغَرَضِ التَّمَاسُكِ عِنْدَ وجُودِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ، ويَحْصُلُ الترابُط بَيْنَ العَنَاصِرِ اللغويَّةِ مِنْ خِلالِ رَبْطِ البنيةِ السطحيَّةِ بالبنيةِ العَمِيْقَة.

❑ بَيَّنَ الْبَحْثُ أَنَّ الوَاوَ الرَّابِطَةُ تقومُ بمهمَّتَيْنِ في الخِطَاب، أولاهُما: الرَبْطُ بَيْنَ العَنَاصِرِ اللّغويَّة والأَجْزَاءِ الْمُشَكّلة لِلنَّصِّ، والثَّانِيَة تَكْثِيفُ الخِطَابِ عَنْ طَرِيقِ الاخْتِزَال، كَمَا يَسْمَحُ الْعَطْفُ بِتَكْوِينِ جُمَلٍ أَوْ فَقَرَاتٍ جَدِيدة مُرْتَبِطَة بِالْجُمَلِ أَوِ الفَقَرَاتِ السَّابِقَة، فَيُسْهِمُ بِذلِكَ في اتِّسَاعِ النَّصِّ وَبَسْطِهِ. وَيُعَدُّ اسْتِعمَالُ التَّعْبِيرَاتِ العَطْفِيَّة وَسِيْلَةً وَاضِحَة للإِشَارَةِ إلى الارْتِبَاطَاتِ الوَاقِعَة بَيْنَ الَحَوَادِثِ وَالْمَوَاقِفِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الرَّبْطَ بَيْنَ مَوْقِفَيْنِ أَوْ حَادثتين – بِحَيْثُ يَعْتَمِدُ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى الآخَرِ – يُؤَكِّدُ تَجَاوَزِ حدُودِ الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ إلى أَكْثَر مِنْ جُمْلَة.

❑ التَّكْرَارُ القُرْآنِيُّ يَأْتِي لِمَقَاصِدَ دَلاليَّة، واقْتِضَاءَاتٍ مَقَامِيَّة، كَمَا يحقِّقُ تَنْوِيعاً في التَّعبير، وتَلْوِيناً في الصِّيَاغَةِ، وَفَاءً لاقتضاءاتٍ سِيَاقِيَّةٍ مُعيَّنة، وهُوَ أَحَدُ الْمُنَبِّهَاتِ الأُسْلُوبيَّةِ في النَّصِّ، والّتِي تَسْتَلْفِتُ اهتمامَ الْمُتَلَقِّي إلى شَيْءٍ مّا أَكثر مِنْ غَيْرِهِ في النَّصِّ، وهُوَ مَا يُؤَدِّي إلى تثبيتِهِ في الذِّهنِ، وتقريرِهِ في النَّفْسِ، وفَضْلاً عَنْ ذلِكَ فإنَّ التَّكْرَارَ يُعَدُّ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ تَحْسِيْنِ اللّفْظِ، وهُوَ مِنَ الأَسَالِيْبِ الْمُهِمَّةِ الّتِي تُؤَدِّي إلى ظاهرةِ التَّمَاسُكِ النَّصيِّ، وذلِكَ لأَنَّهُ يقومُ بدورِ الإحالةِ إلى عُنْصُرٍ سَبَقَ ذِكْرُهُ في الخِطَابِ، وهُوَ بالتَّالِي يُعَدُّ أَحَدَ العَوَامِلِ الّتِي تَرْتَبِطُ بالقُدْرَةِ على الفَهْمِ، فالفَهْمُ يكونُ أَسْرَع في حَالَةِ اسْتِخدَامِ التَّكْرَارِ بالأَلْفَاظِ نَفْسِهَا.

❑ أكّد البحثُ أن لا ترادُف في القرآن الكريم لا لفظاً ولا معنىً، فلا يوجدُ في النصِّ القرآنيِّ تركيبٌ يحتوي على ما يمكن الاستغناءَ عنه أبداً، والتَّساوي بالمعاني غير موجود في القرآن الكريم، فهذا الأمرُ (التَّكرارُ بالتَّرادُف) قد يصِحُّ تطبيقهُ على نصٍّ شِعريٍّ أو نثري، ولكن لا يطبق على النصِّ القرآنيِّ أبداً، كما أنَّ التَّكرارَ الدَّلاليّ هُوَ ما يدخل ضِمْنَ التَّرادُفِ بالمعنى، وهو كذلك غير موجود في القرآن الكريم، لأنَّ كُلَّ نصٍّ يُعطي دلالاتٍ مختلفة عَنْ نصٍّ آخَر وإن تشابه في المعنى بَادِئَ الأَمْر، وأمَّا التَّكرارُ التركيبـيُّ، فهو لا يُعَدُّ تكراراً أيضاً على ضوءِ التعاريف الّتِي ذكرت في معنى التَّكرار في التراث اللغوي، بل هُوَ مشاكلةٌ في الأُسلوبِ والتعبير، مِمَّا يُعطي نمطاً صوتيّاً إيقاعيّاً في ذهنِ المتلقِّي.

❑ إنَّ ظاهِرَةَ الفَصْلِ بالاستئنافِ تُسْهِمُ في تَحقيقِ الْوَصْلَ التركيبـيِّ، وذلِكَ لأَنَّ الاسْتِئْنَافَ في حقيقتِهِ وَصْلٌ، ولَكِنَّهُ وَصْلٌ مَطْوِيٌّ غَيْرُ ظَاهِرٍ، والملحوظُ في بَعْضِ صُوَرِه هُوَ تِلْكَ العَلاقةُ السَّبَبِيَّةَ، فَالْجُمْلُ الْمُسْتَأْنِفَة هِيَ كَالسَّبَبِ لِمَا قَبْلَها، أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ الْفَصْلَ يُوحِي بِسَعَةِ النَّصِّ كَمَا يُومِيءُ إلى اخْتِزَالِهِ، والّذِي يُحَقِّقُ بِدَوْرِهِ التَّمَاسُكِ النَّصِّي في بنيةِ الخِطَابِ القُرْآنيِّ، ذلِكَ التَّمَاسُكِ الّذِي يَحصُلُ مِنْ خِلالِ الارتباطِ العَلاقِي بِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ ارتباطاً نَسَقِيّاً وَاضِحَاً، الأَمْرُ الّذِي يُحَقِّقُ تِلْكَ الوَحْدَةِ الكليَّةِ الشَّامِلَة

على الْمُسْتَوَى العَامِّ مِنَ الخِطَاب، وبِنَاءً عَلَيْهِ فَإِنَّ النَّصَّ لا يُمَثِّلُ أَجْزَاءَ مُتَفَرِّقَة لا رَابِطَ مَعْنَوِيًّا بَيْنَ عَنَاصِرِهَا، بَلْ يُمَثِّلُ شَبَكَةً عَلاقِيَّةً مُتَرَابِطَةً شَكْلِيًّا ودلاليًّا.

❑ مِنْ خَصَائِصِ النَّصِّ القُرْآنِي أَنَّهُ قَدْ يَتَوَسَّعُ فِي الدَّلالَةِ، ويزيدُ مِنَ الْمَعَانِي، ويطيلُ النَّصَّ، ويُكْثِرُ الْفَصْلَ، وَمَعَ هذا فَإِنَّ آخِرَهُ يَطْلُبُ أَوَّلَهُ، والْمَعْنَى الْكُلِّيِّ لا يُفْهَمُ إلاّ بِحَمْلِ أَوَّلِ النَّصِّ عَلَى آخِرِهِ، وآخِرِهِ عَلَى أَوَّلِهِ.

❑ يُؤَكِّدُ البَحْثُ أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ – فِي موضُوعِ الْمُقَابَلَةِ – لَهُ تَمَيُّزٌ تعبيريٌّ فريد مِنْ نَوْعِهِ، لأَنَّهُ حينَ يُقَابِلُ بَيْنَ صُورَتَيْنِ فِي آياتِ الْوَعْدِ والوعيد، فَإِنَّ هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ إِمَّا أَنْ تكونا فِي الحياةِ الدُّنيا، فتكونُ الْمُقَابَلَةُ بِالْعَمَلِ والْكَسْبِ، وَإِمَّا أَنْ تكونا فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، فَتكونُ الْمُقَابَلَةُ بحالِ أَصْحَابِ النَّعيمِ مع حالِ أَصْحَابِ الجحيمِ، فلا يُقَابَلُ العَمَلُ الصَّالِحُ فِي الدُّنيا مَعَ حالِ أَصْحَابِ الكَسْبِ السَّيِّءِ، بَلْ يُقَابَلُ العَمَلُ بالعَمَلِ، وَالحَالُ بِالْحَالِ، وَهَكَذا يثيرُ القُرْآنُ قضيَّةً مُهِمَّةً عِنْدَ الْمُتَلَقِّي، وَهِيَ أَنَّ الْمُوَازَنَةَ لا بُدَّ أَنْ تكونَ بَيْنَ صُورَتَيْنِ يَصِحُّ فيهِمَا الْمُقَابَلَةُ بِأَنْ يَتَّفِقَا فِي الْمُقَارَنَةِ، إِمَّا بِذِكْرِ الذَّوَاتِ، أَوِ الصِّفَاتِ، أَوِ الأَفْعَالِ، فَلا يَصِحُّ مُقَابَلَةُ ذاتٍ مَعَ فِعْلٍ، وَلا صِفَةٍ مَعَ حَدَث.

❑ توصَّلَ البحثُ إلى أنَّ القيمةَ الخِلافيَّةَ والتباينيَّة بَيْنَ المشاكلةِ والجناسِ تتجلّى في أنَّ الدَّلالةَ في البنى المتشاكلة – على المستوى السطحيّ – مُتقاربة، إلا أن المستوى العميق يُجسِّد اختلافاً لطيفاً بَيْنَ هذهِ الدَّلالاتِ المتقاربَة، في حين تختلفُ دلالاتُ العناصرِ المتجانسة اختلافاً جذريًّا، وهذا الاختلافُ والتبايُن الدَّلاليِّ في البنى المتجانسة أمرٌ لا بُدَّ منه لتحقيقِ مبدأ الجناس.

❑ بَيَّنَ البَحْثُ أنَّ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة – الّتِي ذُكِرَ فيها التَّصديرُ بالْمَعْنَى البَدِيعيِّ – تَنْمَازُ بخاصيَّةٍ تَخَاطَبِيَّة فَرِيْدَة، وَهِيَ أَنَّ الْحُكْمَ الْمَذكُور في نهايَةِ الآيَةِ يكونُ عَلَى وِفْقِ الفِعْلِ الْمَذكُور في صَدْرِ الآيَةِ، فَمَثَلاً إِنَّ كَلِمَةَ (فَضَّلْنَا) هِيَ فِعْلٌ ثُمَّ جَاءَ الْحُكْمُ العَامُّ في نِهَايَةِ الآيَةِ (وَأَكْبَر تَفْضِيلًا)، وَكَذلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فـ(تفتروا) هُوَ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ الكُفّارِ، ثُمَّ جَاءَ الْحُكْمُ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾، وَكَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، ثُمَّ جَاءَ الْحُكْمُ ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، فَدَلَّ كُلُّ ذلِكَ عَلَى أَنَّ (التَّصْدِيرَ) فِي الخِطَابِ القُرْآنِيِّ هُوَ مُوَافَقَةُ الْحُكْمِ العَامِّ الكُلِيِّ لِفِعْلٍ ذُكِرَ فِي بِدَايَةِ أَوْ وَسَطِ الآيَةِ، فَضْلاً عَمَّا تُسْهِمُهُ هذِهِ الْمُوَافَقَةُ – بَيْنَ الفِعْلِ والْحُكْمِ – فِي تحقيقِ التَّرَابُطِ فِي النسيجِ النَّصيِّ.

❑ أَكّدَ البَحْثُ أَنَّ الخِطَابَ القُرْآنِيَّ يَجْمَعُ بَيْنَ مَسَالِكَ بديعيَّة عِدَّة، فَمَثَلاً، قَوْلُهُ تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾، هُوَ يَجْمَعُ بَيْنَ (الْمُوَازَنَةِ)، و(التَّصديرُ)، فَأَمَّا (المُوَازَنَةُ) الحَاصِلَةُ فيه، فتتمَثَّلُ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وِزْرًا﴾، و﴿حِمْلاً﴾، وَأَمَّا (التَّصديرُ) فَهُوَ مَاثِلٌ فِي قَوْلِهِ ﴿يَحْمِلُ﴾، و﴿حِمْلاً﴾، وعَلَيْهِ فَقَدْ اجْتَمَعَتْ عِدَّةُ مَسَالِكُ بديعيَّة فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، وفي نَصٍّ وَاحِد، مِمَّا يَجْعَلُ النَّصَّ القُرْآنِيَّ يَأْخُذُ بَعْضُهُ برقابِ بَعْضٍ، بحيث يتعَذرُ حَذْفُ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ، فَلَوْ حُذِفَ لَفْظٌ وَاحِدٌ مِنْهُ، لَبَطُلَ التَّمَاسُكُ والتَّلاحُمُ فيهِ، وَمِنْ هُنَا فإنَّ الخِطَاب القُرْآنِيِّ يَتَوَفَّرُ عَلَى آليَّاتٍ مُتَعَدِّدة لتحقيقِ الوظيفةِ التَّواصُليَّة الإقناعيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجه.

❑ التَّنَاسُبُ مِنَ الْمَدَاخِلِ البَدِيعيَّةِ الّتِي تَدْخُلُ ضِمْنَ الاتِّسَاقِ الْمُعْجَمِيِّ، أَوْ التَّصَاحُبِ اللَّفْظِيِّ، وَتُؤَدِّي دَوْرًا فَاعِلاً فِي تَمَاسُكِ النَّصِّ وتَرَابُطِهِ، والْمُنَاسَبَةُ هذِهِ تَكْشِفُ عَنْ مَدَى إِحْكَامِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ مَعْنَوِيًّا، وَتَلاحُمِ أَجْزَائِهِ لَفْظِيًّا.

ثبت المصادر والمراجع

– أ –

القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحـ: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعوديَّة، (د.ت).

الإتقان في النحو وإعراب القران، د.هادي نهر، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ٢٠١٠م.

أدبية النص.. محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي، د.صلاح رزق، (د. ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحـ: د.رجب عثمان محمد، ط(١)، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمَّد العمادي الحنفي، (ت٩٨٢هـ)، تحـ: عبدالقادر أحمد عطا، ط(١)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض – السعوديَّة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

الأساس لعقائد الأكياس، للقاسم بن محمَّد بن علي الزيدي المعتزلي (ت١٠٢٩هـ)، تحـ: ألبير نصري نادر، ط(١)، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ١٩٨٠م.

أساسيَّات علم لغة النص.. مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، ڤيرنر كلماير وآخرون، ترجمه وعلّق عليهِ د.سعيد حسن بحيرى، ط(١)، زهراء الشرق للنشر، القاهرة – مصر، ٢٠٠٩م.

أساليب بلاغيَّة.. الفصاحة – البلاغة – المعاني، د.أحمد مطلوب، ط(١)، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.

أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحـ: السيد أحمد صقر، ط(١)، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

أسباب النزول المسمّى لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، ط(١)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

استراتيجيَّات الخطاب.. مقاربة لغويَّة تداوليَّة، د.عبدالهادي بن ظافر الشهري، ط(١) دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

أسرار التكرار في القرآن المسمَّى البرهان في توجيه مُتشابهِ القرآن لما فيه من الحجَّة والبيان، لمحمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ)، تحـ: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة للنشر، القاهرة – مصر، ١٩٧٧م.

أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، د.صباح عبيد درَّاز، ط(١)، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

أسرار النحو، لابن كمال باشا، شمر الدين أحمد بن سليمان (ت٩٤٠هـ)، تحـ: أحمد حسن حامد، ط(١)، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، د.إدريس مقبول، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ٢٠٠٦م.

أسلوب النعت في القرآن الكريم، قاسم محمد سلامة الشبول، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ٢٠١٠م.

الأسلوب والأسلوبيَّة بين العَلمانيَّة والأدب الملتزم، د.عدنان علي رضا النحوي، ط(١)، دار النحوي، الرياض – المملكة العربيَّة السعوديَّة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

الأسلوبيَّة في النقد العربي الحديث.. دراسة في تحليلِ الخطاب، فرحان بدري الحربي، ط(١)، مجد المؤسسة الجامعيَّة للدراساتِ والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

الأسلوبية وتحليل الخطاب، د.نورالدين السد، ط(١)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ١٩٩٧م.

الأسلوبيَّة ونظريَّة النص، د.خليل إبراهيم، ط(١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٩٧م.

إسهامات أساسيَّة في العَلاقةِ بين النصِّ والنحو والدلالة، نقله إلى العربيَّة وعلّق عليه: د.سعيد حسن بحيرى، ط(١)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

إشكالات النص.. دراسة لسانيَّة نصيَّة، د.جمعان عبدالكريم، ط(١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٩م.

أصول تحليل الخطاب في النظريَّة النحويَّة العربيَّة.. تأسيس (نحو النص)، د.محمد الشاوش، ط(١)، المؤسسة العربيَّة للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

الأصول في النحو، لابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحـ: عبد حسين الفتلي، ط(٣)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

📖 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، ط(٩)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٧٣م.

📖 إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، ط(٩)، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سورية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

📖 الألف واللام في كلام العرب.. دراسة نحوية مفصلة للوقوف على ضوابط (أل) واستقصاء أحكامها، د.المتولي علي المتولي الأشرم، ط(١)، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة – مصر، ٢٠٠١م.

📖 انفتاح النص الروائي.. النص والسياق، سعيد يقطين، ط(٣)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٦م.

📖 أمالي المرتضى، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين، (ت٤٣٦هـ)، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه: السيد محمد بدر الدين الحلبي، ط(١)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م.

📖 أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، (ت٦٩١هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط(١)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (د.ت).

📖 أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدرالدين بن معصوم المدني، (١٠٥٢هـ – ١١٢٠هـ)، تحـ: شاكر هادي شكر، ط(١)، مطبعة النعمان، النجف – العراق، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

📖 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المصري، (ت٧٦١هـ)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، (د.ت).

📖 الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، (ت٧٣٩هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

– ب –

📖 البحث الدلالي في كتاب سيبويه، د.دخوش جار الله حسين، ط(١)، دار دجلة، عمان – الأردن، ٢٠٠٦م.

📖 البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية، د.جميل عبد المجيد، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٩٩٨م.

📖 البديع تأصيل وتجديد، د.منير سلطان، (د.ط) منشأة المعارف، الاسكندرية – مصر، ١٩٨٦م.

📖 البديع في ضوء أساليب القرآن، د.عبدالفتاح لاشين، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

📖 البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحـ: د.أحمد أحمد بدوي، ود.حامد عبدالمجيد، ط(١)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربيَّة المتحدة، (د.ت).

📖 بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، (٥٨٥ –٦٥٤هـ)، تحـ: حفني محمد شرف، (د.ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د.ت).

📖 البديع والتوازي، د.عبدالواحد حسن الشيخ، ط(١)، مكتبة الإشعاع الفنيَّة، المعمورة – مصر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

📖 البرهان في علوم القرآن، بدرالدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(١)، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

📖 بلاغة أرسطو بين العرب واليونان.. دراسة تحليليَّة نقديَّة تقارنيَّة، الدكتور إبراهيم سلامة، ط(٢)، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة – مصر، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

📖 البلاغة الاصطلاحيَّة، د.عبده عبدالعزيز قلقيلة، ط(٣)، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

📖 بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل، ط(١)، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

📖 البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، وصورٌ من تطبيقاتها بهيكلٍ جديد من طريف وتليد، عبدالرحمن حسن حبنَّكة الميداني، ط(١)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سورية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

📖 البلاغة العربية قراءة أخرى، د.محمد عبدالمطلب، ط(٢)، دار لونجمان للطباعة، القاهرة – مصر، ١٩٩٠م.

📖 البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د.فضل حسن عباس، ط(٤)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

📖 بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز، بهجت عبدالواحد الشيخلي، ط(١)، مكتبة دنديس، عمان – الأردن، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

📖 بلاغة النص.. مدخل نظري ودراسة تطبيقيَّة، د.جميل عبدالمجيد، ط(١)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٩٩٩م.

📖 البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، ط(١)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٩٩٤م.

📖 البلاغة والتطبيق، د.أحمد مطلوب، ود.كامل حسن البصير، ط(٢)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد – العراق، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

📖 بناء الأسلوب في شعر الحداثة.. التكوين البديعي، د.محمد عبدالمطلب، ط(٢)، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٩٥م.

📖 بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي، ومحمد العمري، ط(١)، دار توبقال، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨٦م.

📖 البنية المتحولة في البلاغة العربية، د.أسامة البحيري، ط(١)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق – مصر، ٢٠٠٩م.

📖 البيان في روائع القرآن.. دراسة لغوية وأسلوبيَّة للنص القرآني، د.تمام حسان، ط(٢)، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

📖 البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، تحـ: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

– ت –

📖 تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

📖 تأويل الجملة القرآنية الواحدة، د.نوار محمد إسماعيل، ط(١)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

📖 تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، (ت ٦٥٤هـ)، تحـ: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م.

📖 تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– التبئير)، د.سعيد يقطين، ط(٣)، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٧م.

📖 تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيَّة التناص)، د.محمد مفتاح، الطبعة(٣)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٢م.

📖 تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، أحمد مداس بن عمار، ط(١)، عالم الكتب الحديث، أربد – الأردن، ٢٠٠٦م.

📖 تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، د.محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.

📖 التحليل اللغوي للنص.. مدخل إلى المفاهيم الأساسيَّة والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمه وعلّق عليه ومهّد له: أ.د.سعيد حسن بحيرى، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

📖 التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د.مسعود صحراوي، ط(٢)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.

📖 التداوليَّة من أوستن إلى غولفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر حباشة، ط(١)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية – سورية، ٢٠٠٧م.

📖 التداوليَّة والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ط(١)، صفحات للدراسات والنشر، سورية – دمشق، ٢٠٠٨م.

📖 الترابط النصي بين الشعر والنثر، د.زاهر مرهون الداودي، ط(١)، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

📖 الترابط النصي في ضوءِ التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسِر البطاشي، ط(١)، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

📖 التشابه والاختلاف نحو منهاجيَّة شموليَّة، د.محمد مفتاح، ط(١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٦م.

📖 التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط(١٦)، دار الشروق، القاهرة – مصر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

📖 التطريز اللغوي، د.محمد خليفة الدناع، ط(١)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، ١٩٩٧م.

📖 تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، (ت٧٤٥هـ)، تحـ: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط(١)، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

📖 تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط(١)، الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

📖 تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تأليف: محمَّد الأَمين بن عبدالله الأُرميّ العَلَويّ الشافعيِّ، ط(١)، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

📖 تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ط(١)، دار أخبار اليوم، القاهرة – مصر، ١٩٩٥م.

📖 تفسير القاسمي المسمَّى محاسِنُ التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (ت١٣٣٢هـ)، ط(١)، دار إحياء الكتب العربية، بيروت – لبنان، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

📖 تفسير مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (ت٦٠٤هـ)، ط(١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

📖 التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، ط(٢)، منشورات كلية الآداب، منوبة – تونس، ١٩٩٤م.
📖 التقابُل والتماثل في القرآن الكريم.. دراسة أسلوبيَّة، د.فايز عارف القرعان، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ٢٠٠٦م.
📖 التعريفات، للشريف الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، تحـ: د.محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط(١)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
📖 التقابلات الدلاليَّة في العربيَّة والإنكليزيَّة.. تحليل لغويّ تقابُلي، د.سعيد جبر أبو خضر، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٨م.
📖 التوابع في الجملة العربية، د.محمد حماسة عبداللطيف، ط(١)، مكتبة الزهراء، القاهرة – مصر، ١٩٩١م.
📖 توجيه اللّمَع في النحو، لابن الخباز الموصلي (ت٦٣٩هـ)، تحـ: د.فايز زكي محمد دياب، ط(١)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

– ث –

📖 الثقافة العربيَّة والمرجعيَّات المستعارة، د.عبدالله إبراهيم، ط(١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٩م.
📖 الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، د.دلخوش جارالله حسين، ط(١)، دار دجلة، الأردن، ٢٠٠٨م.

– ج –

📖 الجامع لأحكام القرآن، تأليف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٥م.
📖 جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحـ: عبدالله عبدالمحسن التركي، ط(١)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – مصر، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
📖 جماليات التلقي في السرد القرآني، د.يادكار لطيف الشهرزوري، ط(١)، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سورية، ٢٠١٠م.
📖 جمالية المفردة القرآنية، د.أحمد ياسوف، ط(٣)، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية – دمشق، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م.
📖 جوهر الكنز.. تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ)، (د.ط)، تحـ: د.محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندريَّة، (د.ت).

– ح –

📖 حاشية الصبان على شرح الأشموني، لمحمد بن علي الصبان (١٢٠٦هـ)، ط(١)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.
📖 الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، د.سامية الدّريدي، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
📖 الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبدالسلام، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٩٩٢م.
📖 الحركيَّة التواصليَّة في الخطاب الصوفي.. من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، آمنة بلّعلي، ط(١)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
📖 حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، الحاتمي (ت٣٨٨هـ)، تحـ: د.جعفر الكتاني، بغداد – العراق، ١٩٧٩، (د.ط).

– خ –

📖 خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي، المعروف بابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، ط(١)، دار ومنشورات مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.
📖 الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، ط(٢)، تحـ: د.عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
📖 الخطاب العربي المعاصر، د.محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.
📖 الخطاب والنص.. المفهوم، العَلاقة، السلطة، ط(١)، د.عبدالواسع الحِمْيَري، مجد المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
📖 الخطيئة والتكفير والخلاص.. الخطاب الشعري عند الشاعر محمد حسيب القاضي، دراسة نصانية، د.ميّ عمر نايف، ٢٠٠٢م، ط(١)، دار الأرقم، غزة – فلسطين، ٢٠٠٣م.

– د –

📖 دراسات في البلاغة، محمد بركات حمدي أبو علي، ط(١)، دار الفكر، عمان – الأردن، ١٩٨٤م.

📖 دراسات في المعاني والبديع، د.عبدالفتاح عثمان، مطبعة التقدم، القاهرة – مصر، ١٩٨٣م.

📖 دراسات قرآنية، محمد قطب، ط(٨)، دار الشروق، القاهرة – مصر، ١٩٨٢م.

📖 دراسات قرآنية في جزء عمّ، د.محمود أحمد نحلة، ط(١)، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

📖 دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبدالخالق عضيمة، ط(١)، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د.ت).

📖 دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة، د.سعيد حسن بحيرى، ط(١)، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

📖 دراسة سيميائيَّة تفكيكيَّة لقصيدة "أين ليلاي"، لمحمد العيد آل خليفة، د.عبدالملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعيَّة – الجزائر، ط(١)، ١٩٩٢م.

📖 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (ت٧٥٦هـ)، تحـ: د.أحمد محمد الخراط، ط(١)، دار القلم، دمشق – سورية، (د.ت).

📖 دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ)، تحـ: د.عبدالحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة – بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

📖 دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، د.خالد قاسم بني دومي، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ٢٠٠٦م.

📖 الدلالة الزمنيَّة في الجملةِ العربيَّة، د.علي جابر المنصوري، ط(١)، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٤م.

📖 دلالة السياق في القصص القرآني، د.محمد عبدالله علي سيف، أطروحة دكتوراه، جامعة اليمن، ٢٠٠٢م.

📖 دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبدالله صالح الفوزان، ط(١)، دار المسلم للنشر والتوزيع، (د.ت).

📖 دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، وسعد البازعي، ط(٣)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٠م.

📖 دينامية النص.. تنظير و إنجاز، محمد مفتاح، ط(١)، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.

📖 ديوان البحتري، تحـ: حسن كامل الصيرفي، ط(٣)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.

📖 ديوان المتنبي، اعتنى به وشرحه: عبدالرحمن المصطاوي، ط(١)، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

– ر –

📖 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي البغدادي، (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).

📖 الرد على النحاة، ابنُ مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ)، تحـ: د.شوقي ضيف، ط(٢)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.

– س –

📖 سيميائيات التواصل وفعالية الحوار.. المفاهيم والآليات، أحمد يوسف، ط(١)، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران – الجزائر، ٢٠٠٤م.

– ش –

📖 شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، لقاضي القضاة بهاءالدين عبدالله بن عقيل، (ت٧٦٩هـ)، تحـ: محمد محي الدين عبدالحميد، ط(٢٠)، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

📖 شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، لابن الناظم أبي عبدالله بدرالدين (ت٦٨٦هـ)، تحـ: محمد باسل عيون السود، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

📖 شرح التسهيل، لابن مالك، (ت٦٧٢هـ)، تحـ: د.عبدالرحمن السيد، د.محمد بدوي، ط(١)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة – مصر، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

📖 شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبدالله الأزهري، (ت٩٠٥هـ)، تحـ: محمد باسل عيون السود، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

📖 شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، ط(٢)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

📖 شرح ديوان الحماسة، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، المشهور بالخطيب التبريزي، (د.ط)، عالم الكتب، بيروت – لبنان، (د.ت).
📖 شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحـ: محمد محي الدين عبدالحميد، ط(١)، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
📖 شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه، د.إميل بديع يعقوب، ط(٤)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
📖 شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، قدَّم له ووضع حواشيه: د.إميل بديع يعقوب، ط(١)، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
📖 شرح المفصل، للزمخشري، تأليف ابن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د.إميل بديع يعقوب، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
📖 شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، لابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تحـ: جمال عبد العاطي مخيمر، ط(١)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
📖 الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيَّة والمعنويَّة، د.عزالدين إسماعيل، ط(٣)، دار الفكر، ١٩٧٨م.
📖 شعر عَمْرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيدي، جمعه ونسّقه: مطاع الطرابيشي، ط(٢)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
📖 شعرية القصيدة العربية المعاصرة.. دراسة أسلوبية، د.محمد العياشي كنوني، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

– ص –

📖 الصوتُ اللغوي في القرآن، د.محمد حسين الصغير، ط(١)، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.
📖 الصورة والصيرورة بصائر في أحوال الظاهرة النحويَّة ونظريَّة النحو العربي، د.نهاد الموسى، ط(١)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٣م.

– ط –

📖 الطراز المتضمِّن لأسرارِ البلاغةِ وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ)، تحـ: د.عبدالحميد هنداوي، ط(١)، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

– ظ –

📖 ظاهرة التنوين في اللغة العربية، عوض المرسي، ط(١)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
📖 ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د.طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيَّة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندريَّة – مصر، ١٩٩٨م.
📖 ظواهر تركيبيَّة في (مقابسات) أبي حيَّان التوحيدي.. دراسة في العلاقة بين البنية والدَّلالة، د.سعيد حسن بحيرى، ط(١)، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

– ع –

📖 العلاقات الدلاليَّة والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقيَّة)، د.عبدالواحد حسن، ط(١)، مكتبة الإشعاع الفنيَّة، المعمورة – مصر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
📖 العلاماتيَّة وعلم النص، إعداد وترجمة د.منذر عياشي، ط(١)، مركز الإنماء الحضاري، حلب – سورية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.
📖 العلامة الإعرابيَّة في الجملةِ بين القديم والحديث، د.محمد حماسة عبداللطيف، ط(١)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م.
📖 علم البديع رؤية جديدة، د.أحمد أحمد، ط(١)، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٩٦م.
📖 علم التخاطُب الإسلامي.. دراسة لسانيَّة لمناهِج علماءِ الأصول في فهمِ النص، د.محمد محمد يونس علي، ط(١)، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م.
📖 علم الدَّلالة السيمانتيكية والبراكماتية في اللغة العربية، د.شاهر حسن، ط(١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠١م.
📖 علم اللغة.. مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة د.سعيد حسن بحيري، ط(١)، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١.
📖 علم لغة النص.. نحو آفاق جديدة، نقلهُ إلى العربيَّة: د.سعيد حسن بحيرى،ط(١)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر، ٢٠٠٧.

📖 علم لغة النص.. المفاهيم والاتجاهات، أ.د.سعيد حسن بحيرى، ط(١)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

📖 علم لغة النص.. النظريَّة والتطبيق، للدكتورة عزة شلبـي محمد، ط(٢)، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

📖 علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د.صبحي إبراهيم الفقي، ط(١)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

📖 علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل المعاني، د.بسيوني عبدالفتاح، ط(١)، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، (د.ت).

📖 علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، ط(٤)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

📖 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، (ت٤٥٦هـ)، تحـ: محمد محي الدين عبدالحميد، ط(٥)، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

– ف –

📖 الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة بلاغية، د.شكر محمود عبدالله، ط(١)، دار دجلة، عمان – الأردن، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

📖 الفصل والوصل في القرآن الكريم.. دراسة في الأسلوب، د.منير سلطان، ط(٢)، منشأة المعارف، الأسكندريَّة – مصر، ١٩٩٧م.

📖 فعالية القراءة وإشكاليَّة تحديد المعنى في النصِّ القرآني، محمد أحمد جهلان، ط(١)، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سورية، ٢٠٠٨م.

📖 فن البديع، د.عبدالقادر حسين، ط(١)، دار الشروق، القاهرة – مصر، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

📖 في آفاق الكلام وتكلم النص، د.عبدالواسع الحميري، الطبعة الأولى، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ٢٠٠٩م.

📖 في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د.طه عبد الرحمن، ط(٢)، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

📖 في البلاغة العربية علم البديع، د.محمود أحمد حسن المراغي، ط(١)، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

📖 في البلاغة العربية علم المعاني والبيان والبديع، د.عبدالعزيز عتيق، ط(١)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (د.ت).

📖 في ظلال القرآن، سيد قطب، ط(١٧)، دار الشروق، القاهرة – مصر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

📖 في فلسفة اللغة، محمود فهمي زيدان، ط(١)، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

📖 في اللسانيَّات ونحو النص، د.إبراهيم خليل، ط(١)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

📖 فقه اللغة وسر العربيَّة، للثعالبـي، تحـ: حمدو طمَّاس، ط(١)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

📖 فنون بلاغيَّة البيان – البديع، د.أحمد مطلوب، ط(١)، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– ق –

📖 القرينة في اللغة العربية، د.كوليزار كاكل عزيز، ط(١)، دار دجلة، عمان – الأردن، ٢٠٠٩م.

📖 قراءات في علم اللغة، د.أحمد شفيق الخطيب، ط(١)، دار النشر للجامعات، القاهرة – مصر، ٢٠٠٦م.

📖 قضايا التشكيل في الدرس اللغوي – في اللسان العربي، د.فيصل إبراهيم صفا، ط(١)، دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

📖 قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، ط(١)، د.محمود سليمان ياقوت، دار المعارف – مصر، ١٩٨٥م.

📖 قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النصّ، د.أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م.

📖 القواعد البلاغيَّة في ضوء المنهج الإسلامي، د.محمود البستاني، ط(١)، مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد – إيران، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

– ك –

📖 الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحـ: الحساني حسن عبدالله، ط(٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

📖 كتاب الإعراب.. محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة، أحمد حاطوم، ط(٢)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

📖 كتاب البديع، عبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، اعتنى بنشره والتعليق عليه: كراتشوفسكي، ط(٣)، دار المسيرة، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبر، الملقب بـ(سيبويه) (ت١٨٠هـ)، تحـ: عبدالسلام محمد هارون، ط(٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحـ: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحقي (ت١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان – ناشرون، بيروت – لبنان، ط(١)، ١٩٩٦.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصحَّحه: محمد عبدالسلام شاهين، ط(٢)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

الكفايات التواصليَّة والاتصاليَّة.. دراسات في اللغة والإعلام، د.هادي نهر، ط(١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

الكليَّات.. معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، لأبي البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحـ: عدنان درويش، ومحمَّد المصري، ط(٢)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

– ل –

اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تر: غازي مختار طليمات، ط(١)، دار الفكر، دمشق – سورية، ١٩٩٥م.

اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي الدمشقي، (ت٨٨٠هـ)، تحـ: الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

لسان العرب، ابن منظور (ت٦٣٠ – ٧١١هـ)، اعتنى بها: أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط(٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

اللسان والميزان والتكوثر العقلي، د.طه عبدالرحمن، ط(١)، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.

اللسانيَّات.. المجال والوظيفة والمنهج، د.سمير شريف أستيتيه، ط(٢)، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط(٢)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٦م.

لسانيات النص.. نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د.أحمد مداس، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ٢٠٠٧م.

لسانيات النص.. النظريَّة والتطبيق.. مقامات الهمذاني أنموذجاً، ليندة قيَّاس، ط(١)، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

اللسانيات وتحليل النصوص، د.رابح بوحوش، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٧م.

اللسانيات والدلالة.. الكلمة، د. منذر عياشي، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري، حلب – سورية، ١٩٩٦م.

اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

اللغة والأدب في الخطاب الأدبي، تزفتان تودروف، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ط(٤)، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

اللغة وسايكولوجية الخطاب، سمير شريف استيتيه، ط(١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.

– م –

ما الخطاب وكيف نحلله، د.عبدالواسع الحميري، ط(١)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص١١.

المباحث اللغويَّة وأثرها في أصول الفقه.. دراسة في كتاب شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلّى (ت٨٦٤هـ)، د.نشأت علي محمود عبدالرحمن، ط(١)، الناشر مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة – مصر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

مبادئ في اللسانيَّات، د.خولة طالب الإبراهيمي، (د.ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠م.

متشابه القرآن، للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، (ت٤١٥هـ)، تحـ: عدنان زرزور، ط(١)، مكتبة دار التراث، القاهرة – مصر، ١٩٦٩م.

📖 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحـ: د.أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، ط(٢) دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، (د.ت).

📖 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، (ت٥٤٦هـ)، تحـ: عبدالسلام عبدالشافي، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

📖 مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د.نعمان عبدالحميد بوقرة، ط(١)، دار الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ، ٢٠٠٨م.

📖 مدخل إلى علم لغة النص.. تطبيقات لنظريَّة روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، د.إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، الطبعة الثانية، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٩م.

📖 مدخل إلى علم لغةِ النص.. مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، ترجمهُ وعلّقَ عليه: د.سعيد حسن بحيرى، ط(١)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

📖 مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، ط(١)، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، سلسلة اللغويات الجرمانية، الرياض – السعوديَّة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

📖 مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، د.محمد الأخضر الصبيحي، ط(١)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

📖 مسئولية التأويل، د.مصطفى ناصف، ط(١)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

📖 المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، د.نعمان بوقرة، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.

📖 المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

📖 معاني القرآن، للفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، قدَّم له وعلّق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط(١)، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

📖 معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، ط(٢)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

📖 معجم الصحاح، للإمام إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ط(٢)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

📖 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحـ: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

📖 مَعْرِضُ الإبريز من الكلامِ الوجيز عن القرآن العزيز، أ.د عبدالكريم محمد عبدالكريم، ط(١)، دار المعراج الدوليَّة للنشر، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

📖 المعنى وظلال المعنى.. أنطمة الدلالة في العربيَّة، د.محمد محمد يونس علي، ط(٢)، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م.

📖 معيار العلم، للإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحـ: د.سليمان دنيا، ط(٢)، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.

📖 مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: د.عبداللطيف محمد الخطيب، ط(١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

📖 المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ) تحـ: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط(١)، مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر، (د.ت).

📖 المفصل في علم صنعة الإعراب، للزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه: د.إميل بديع يعقوب، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

📖 المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د.سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م.

📖 مقالات في الأسلوبيَّة، د.منذر عيَّاشي، ط(١)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية، ١٩٩٠م.

📖 المقتضب، للمبرِّد، (ت٢٨٥هـ)، تحـ: حسن حمد، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

📖 مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د.محمد محمد يونس علي، ط(١)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

📖 مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)، ط(١)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

📖 من بلاغة القرآن، د.أحمد أحمد بدوي، ط(١)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٢٠٠٥م.

📖 المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي (ت١٢١٤هـ)، تحـ: علال الغازي، ط(١)، مكتبة المعارف، الرباط – المغرب، ١٩٨٠م.

📖 من قضايا اللغة والنحو، علي النجدي ناصف، ط(١)، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م.

📖 من النص إلى النص المترابط.. مدخل إلى جماليَّات الإبداع التفاعلي، سعيد يقطين، ط(١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٥م.

📖 منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تحـ: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقيَّة، تونس، ١٩٦٦م.

📖 منهج النقد الصوتي في تحليلِ الخطاب الشعري، قاسم البريسم، ط(١)، دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٠م.

📖 موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)، ط(١)، المطبعة التونسيَّة، تونس، (د.ت).

📖 الموسوعة اللغويَّة، ن.ي.كولنج، تر: محي الدين حميدي، وآخرين، ط(١)، ج١، جامعة الملك سعود، الرياض – السعودية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

📖 الموقعية في النحو العربي.. دراسة سياقيَّة، د.حسين رفعت حسين، ط(١)، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– ن –

📖 نحو النص.. اتجاه جديد في الدراسات النحوية، د.أحمد عفيفي، ط(١)، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، ٢٠٠١م.

📖 نحو النص.. إطار نظري ودراسات تطبيقيَّة، عثمان أبو زنيد، ط(١)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

📖 نحو النص بين الأصالةِ والحداثة، د.أحمد محمد عبدالراضي، ط(١) مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة – مصر، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

📖 نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، د.عمر أبو خرمة، ط(١)، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠٠٤م.

📖 نسيج النص.. بحثٌ في ما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزنّاد، ط(١)، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

📖 النَصُّ والأسْلوُبيَّة بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠٠م.

📖 النص بنياته ووظائفه، فان دايك، ترجمة: د. محمد العمري، ضمن كتاب في نظرية الأدب، مقالات ودراسات، ط(١)، الرياض، سلسلة كتاب الرياض، ١٩٩٧م.

📖 النَّصُّ الغائب.. تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي، محمّد عزَّام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية، ٢٠٠١م.

📖 النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ط(١)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

📖 النص والخطاب والإجراء، روبرت ديبوجراند، تر: د.تمام حسان، ط(١)، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٩٩٨م.

📖 النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبدالقادر قنيني، ط(١)، إفريقيا الشرق، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

📖 نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي (ت٦٥٦هـ)، تحـ: الدكتورة نهى عارف الحسن، دمشق – سورية، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م، (د.ط).

📖 نظرية البنائية في النقد الأدبي، د.صلاح فضل، ط(٣)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ١٩٨٧م.

📖 نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، بوريس إيخنباوم وآخرون، ترجمة: ابراهيم الخطيب، ط(١)، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٢م.

📖 نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، ضمن كتاب آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، ط(١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

📖 نقد الشعر، لقدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ)، تحـ: د.محمد عبدالمنعم خفاجي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

📖 نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، (ت٧٣٣هـ)، تحـ: د.مفيد قُمَيْحة، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

📖 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط(١)، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

– هـ –

📖 همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، (ت٩١١هـ)، تحـ: أحمد شمس الدين، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

– و –

📖 وشي الربيع بألوانِ البديع في ضوء الأساليب العربيَّة، د.عائشة حسين فريد، ط(١)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٢٠٠٠م.

الرسائل والأطاريح الجامعيَّة:

📖 آيات الوعد والوعيد في القرآن الكريم.. دراسة دلالية، رسالة ماجستير، للباحث تاج الدين أمجد عبدالمنعم، بإشراف الأستاذ عبدالحميد حمد شهاب، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

📖 اتساق الخطاب في السور القرآنيَّة القصار، اطروحة دكتوراه للباحث رمضان صالح گلالي، بإشراف أ.د.محمد صابر مصطفى، جامعة صلاح الدين – أربيل، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

📖 الاتساق فِي العَرَبِيَّةِ، رسالة ماجستير للباحث حَـــازِم رِشَك حَسُّونِـــــي شَذر، كلية الآداب – جامعة بغداد، بإشراف د.أ. تَحَرّر مُحَمَّد مناحي.

📖 أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزيَّة النبويَّة لأحمد شوقي، رسالة ماجستير، للباحث سوداني عبدالحق، جامعة الحاج خضر، الجزائر، ٢٠٠٨–٢٠٠٩م.

📖 الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، د.أنس محمود فجال، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩م.

📖 الانسجام في القرآن الكريم.. سورة النور أنموذجاً، اطروحة دكتوراه للباحثة نوال خلف، بإشراف د.محمد العيد، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٦–٢٠٠٧م.

📖 جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه للباحث صالح ملا عزيز، بإشراف الأستاذة الدكتورة بشرى حمدي البستاني، كلية الآداب – جامعة الموصل، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

📖 ألفاظ الأصواتِ في القرآن الكريم.. دراسة دلالية، رسالة ماجستير للباحث عبدالله سعدالله سليم، بإشراف: د.نشأت علي محمود، كلية اللغات/ جامعة صلاح الدين – أربيل، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

📖 التكرار مظاهره وأسراره، رسالة ماجستير للباحث عبدالرحمن محمَّد الشهراني، بإشراف الأستاذ الدكتور علي محمَّد حسن العماري، كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

📖 الجنَّة في القرآن.. دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي، رسالة ماجستير، للباحث خليل عبدالقادر قطناني، بإشراف الأستاذ الدكتور يحيى عبدالرؤوف جبر، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

📖 الجوانب الأدبيَّة والبلاغيَّة في القصة القرآنية، أطروحة دكتوراه، للباحث محمد محمد لقمة، جامعة الأزهر، قسم الأدب والبلاغة، ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م.

📖 الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، للباحث حسين بوبلوطة، جامعة الحاج خضر، الجزائر، ٢٠٠٩–٢٠١٠م.

📖 الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي، أطروحة دكتوراه، للباحث مؤيد عبيد آل صوينت، بإشراف أ.د صاحب جعفر أبو جناح، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

📖 دراسة أسلوبيَّة في سورة مريم، رسالة ماجستير للباحث معين رفيق أحمد، بإشراف الأستاذ الدكتور خليل عودة، جامعة النجاح الوطنيَّة، نابلس – فلسطين، ٢٠٠٣م.

📖 دراسة لسانيَّة صورية للوحدات اللسانية الدّالة (ضمير المتكلم نموذجاً)، رسالة ماجستير للباحث بابا أحمد رضا، بإشراف الدكتور غيثري سيدي محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

📖 دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، للباحثة عائشة عبيزة، بإشراف الأستاذ الدكتور السعيد هادف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠٠٨– ٢٠٠٩م.

📖 قصة إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم.. دراسة في ضوء علم اللغة النصي، رسالة ماجستير، للباحث محمود عوض محمود سالم، كلية الآداب، جامعة بني سويف – مصر، بإشراف الأستاذ الدكتور صلاح الدين صالح حسنين، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

📖 المعطيات التداوليَّة في كتاب (دُرَّة التنزيل وغرَّة التأويل) للخطيب الإسكافي، (ت٤٢٠هـ)، رسالة ماجستير، للباحثة بريشان تاج الدين، بإشراف د.محمد صابر مصطفى، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، أربيل، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

📖 ظاهرة الحذف في سورتي هود ويس.. دراسة نحوية وبلاغية، رسالة ماجستير للباحث محمد نور بن حسين، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانيَّة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٦م.

📖 المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، للباحث فراس عصام شهاب، بإشراف الأستاذ الدكتور: عدنان عبد الكريم جمعة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

📖 النصيَّة في لغة الإعلام السياسي (صحيفة الشرق الأوسط أنموذجاً)، رسالة ماجستير للباحث سيروان أنور مجيد، بإشراف د.دلدار غفور، كلية اللغات/ جامعة صلاح الدين – أربيل، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

📖 ومضات من التداولية في كتاب الرسالة للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)، رسالة ماجستير للباحثة بريخان محمَّدطاهر، بإشراف الدكتورة دلخوش جار الله حسين، كلية اللغات/ جامعة صلاح الدين – أربيل، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

البحوث والدوريات:

- ❑ الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، د.مازن الوعر، عالم الفكر، ١٩٩٤م.
- ❑ استثمار اللسانيات في قراءة النص الشعري، د. محمد كراكبي، مجلة (الموقف الأدبي)، دمشق – سورية، العدد (٣٩٢)، ٢٠٠٣م.
- ❑ الاستغناء عن الفاعل بين واقع الاستخدام اللغوي وضوابط الإعراب الشكلية، الأستاذ الدكتور محمد جواد محمدسعيد الطريحي، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (٨٨)، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- ❑ الأسلوبيات وتحليل الخطاب، رابح بوحوش، مختبر جامعة عنابة – الجزائر، ٢٠٠٦م.
- ❑ إشكالية الإبهام والتعريف في النحو العربي، د.نشأت علي محمود، بحث غير منشور، ٢٠١٠م.
- ❑ إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، محمد السيدي، مجلة (فكر ونقد)، المغرب، العدد (٢٥)، السنة الثالثة، ٢٠٠٠م.
- ❑ الاقتضاء في التداول اللساني، عادل فاخوري، مجلة (عالم الفكر)، المجلد (٢٠)، العدد (٣)، ١٩٨٩م.
- ❑ الالتزام ودلالات الضمائر في شعر توفيق زيَّاد، أ.د. يحيى عبابنة، مجلة (أوراق)، فصلية ثقافية تصدر عن رابطة الكتاب الأردنيين، ٢٠٠٥م.
- ❑ تحليل الخطاب الروائي وأبعاده النصية، سعيد يقطين، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العددان (٤٨ و٤٩)، ١٩٨٩.
- ❑ التحليل العلمي للنصوص: بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، د.عبدالرحمن الحاج صالح، مجلة (المبرز)، الجزائر، العدد (٦)، ١٩٩٥م.
- ❑ تقنية التوازي في الشعر الحديث، د.عشتار داود محمد، مجلة (الموقف الأدبي)، العدد (٤٢١) السنة الخامسة و الثلاثون ٢٠٠٦م.
- ❑ تكامل المعارف: اللسانيات والمنطق، حوار مع د.طه عبد الرحمن، دراسات سيميائية لسانية أدبية، العدد الثاني، ١٩٨٧ – ١٩٨٨، المغرب.
- ❑ الحجاجيات اللسانية عند انسكومير وديكرو، عالم الفكر، ع١، مجلد ٣٤، ٢٠٠٥م.
- ❑ الخطاب الإقناعي.. الإشهار نموذجاً، محمد خلاف، مجلة (دراسات أدبيَّة ولسانيَّة) العدد (٥)، (١٩٨٦)م.
- ❑ الدلالة بين المقصدية والتأويل قراءة في تأويل النص الديني، د.منقور عبد الجليل، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية، العدد (٤٤٠)، ٢٠٠٧م.
- ❑ السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية، د.أحمد حساني – الجزائر، مجلة (الموقف الأدبي)، سورية، العدد (٣٩٢)، السنة الثالثة والثلاثون، ٢٠٠٣م.
- ❑ سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، أحمد يوسف، م مخبر السيميائيات جامعة وهران – الجزائر، ٢٠٠٤م.
- ❑ علم النص: أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، جميل عبدالمجيد حسين، عالم الفكر، العدد(٢)، المجلد (٣٢)، ٢٠٠٣م.
- ❑ قصيدة الوقت لأدونيس (ثنائية الاتساق والانسجام)، سامح رواشدة، مجلة الدِّراسات، الجامعة الأردنيَّة، مج٣، العدد (٣)، ٢٠٠٣م.
- ❑ المصطلحات المشتركة بين علماء المنطق وعلماء النحو، د.نشأت علي محمود، بحث غير منشور، ٢٠١٠م.
- ❑ مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، عبدالرحمن حجازي، مجلة علامات، ج٥٧، م١٥، رجب ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- ❑ نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د.سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، ١٩٩١م.
- ❑ نحو النص، مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، د.نعمان عبد الحميد بوقرة، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، جدة – المملكة العربية السعودية، المجلد ١٦، الجزء (٦١)، ٢٠٠٧م.
- ❑ النص، نوعه ونمطه، ڤولفجانج هاينەمان، وديتر فيهڤجر، د.سعيد حسن بحيري، مجلة (علامات) ج(٥١)، مج (١٣)، محرَّم ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- ❑ النص إنتاجه وتفسيره، فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر، تر: سعيد حسن بحيري، مجلة (نوافذ)، العدد (٢٠)، ربيع الآخر ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- ❑ النص والتأويل، بول ريكور، ترجمة: منصف عبدالحق، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان، العدد الثالث، ١٩٨٨م.

❑ نظريَّة النصِّ بين التنظير والتطبيق، خالد محمود جمعة، مجلة (علامات)، ج٤٩، م١٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

البحوث المنشورة على شبكة الإنترنت:

آليات التنـــــاص، د.جميل حمداوي
http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=5391
موسوعة دهشة

الأسلوبية والتداولية: التجاور والتداخل، صابر حباشة
http://www.ofouq.com/today/modules.php?name
مجلة أفق الثقافية

الاتساق الدلالي والتركيبي، إبراهيم براهيمي
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=9965
مكتبتنا العربيَّة

الاتساق والانسجام من أعمال رجال المدرسة المغربية
http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?p=975473
منتديات الجلفة

الاتساق المعجمي، د.عبدالرحمن بودرع
http://www.al-maqha.com/t3003.html
مقهى اللغة العربيَّة

الاتساق المعجمي: التضام والتكرار
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=9965
المكتبة

الاتساق النصّي دراسة تطبيقية، د.عبد الجليل غزالة
http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?53606-
شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية

أثر العناصر غير اللغويَّة في صياغة المعنى، د.رشيد بلحبيب
www.arabization.org.ma/downloads/majalla/47/docs
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ مكتب تنسيق التعريب

أثر الوصل والفصل في بلاغة سورة يوسف، ميسا كاظم دهداري
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article23669
ديوان العرب

الإحالة اللغوية بالمُبْهَماتِ، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=130
منتدى اللسانيات

الإحالةُ اللّغوية بالمُبهماتِ، والدّلالةُ والسِّياقُ، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=130
منتدى اللسانيات

الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، محمد محمد يونس علي
http://www.ta5atub.com/montada-f5/topic-t85.htm
منتدى تخاطب

الإحالة ودورها في فهم النص القرآني، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=130&postdays
منتدى اللسانيات

إرهاصات البحث النصي
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?p=126538

مكتبتنا العربيَّة

بحث في تحليل الخطاب، ولسانيَّات النص، والتداوليَّة، صلاح إسلام
http://tolga.maghrebarabe.net/montada-f12/topic-t340.htm
طولقة، مغرب العرب

بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن، د.مسرت جمال
http://darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp
دارالعلوم/ ديوبند

البلاغة: نظرة إلى إشكاليات التداخل بين النحو والفلسفة، صابر حباشة
http://almshhad.net/articles.php?cat=٨&id=٢٨٢
المشهد الأدبي

بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة، عبد الرحمن حللي
http://www.almultaka.net/ShowMaqal.php?module
الملتقى الفكري للإبداع

بين المقابلة والطباق في الآيات القرآنيَّة، د.أحمد عبدالمجيد محمد خليفة
http://uqu.edu.sa/page/ar/43950
جامعة أم القرى

التداولية بين المنهج والطريقة، رخرور أمحمد
http://merbad.net/vb/showthread.php/١١٢٩٣-
أسواق المربد

التداولية: دراسة في المنهج.. ومحاولة في التصنيف، وائل حمدوش
http://www.almultaka.net/ShowMaqal.php?cat=15&id=614
الملتقى الفكري للإبداع

التداولية ظهورها وتطوُّرها، عادل الثامري
http://www.aljaredah.com/paper.php?source=akbar&mlf
موقع الجريدة

التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر، الأستاذ رخرور أمحمد/ الجزائر
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=16961
مكتبتنا العربية

تجليَّات الجمال في الفصل والوصل، د.عبد الرحيم الهبيل
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=24743
مكتبتنا العربيَّة

تحليل الخطاب.. مقدمة للقارئ العربي، د.عبد القادر سلامي.
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article10843
ديوان العرب

تحليل الخطاب، هبة عبدالمعز أحمد
http://www.alnoor.se/article.asp?id=42116
النور.. مركز إعلامي ثقافي

تحليل الخطاب.. "من اللسانيات الى السيميائيات" (٢/٢)، أحمد يوسف
http://www.difaf.net/modules.php?name=News&file
ضفاف الإبداع

التحليل الدلالي لسورة القارعة، د.عويض بن حمود العطوي
http://www.alrekab.com/vb/showthread.php?t=2489
شبكة ركاب أهل العلم

تحليل الخطاب للنصوص المرئيَّة، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?p=4446&sid=198dcb28d2233f15
منتدى اللسانيات

التكرار في القران الكريم درسٌ بلاغي، سليم الجصاني
http://www.annabaa.org/munasbat/ramadan1428/242.htm
أنباء

التكرار في القرآن بين القدماء والمحدثين، فاتح مرزوق
http://www.univdz.net/vb/showthread.php?t=50669
منتديات الجامعة التعليميَّة

التكـرار ودوره في التماسُك النصّي، إبراهيم محمد عبدالله مفتاح
http://www.ta5atub.com/montada-f5/topic-t559.htm
منتديات تخاطب

تلوينات التكرار في الجملة القرآنية، د.أسامة عبدالعزيز جاب الله
http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=36710
شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية

التناسب اللفظي في القرآن
http://www.quranway.net/index.aspx?function=Item&id
طريق القرآن

التناص.. مصطلح نقدي أوجده الشكلانيُّون الروس، أحمد بن سليمان
http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/threads/10510-
ملتقى رابطة الواحة الثقافية

التناص ومرجعياته في نماذج من الشعر العربي المعاصر، أ.د. خليل موسى
www.al-madarek.com
المـدارك

التّماسُك على المستوى المُعْجَميّ، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.alfusha.net/t780-12.html
الفصحى

تيسير أصول الفقه.. الحكم الشرعي، للشيخ محمد حسن عبدالغفار.
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page
إسلام ويب

جماليات المتوقع واللامتوقع: دراسة في جماليَّة التلقي، أ.د.موسى ربابعة
http://www.culture.gov.jo/index.php?
الثقافة

حد الخطاب بين النسقية والوظيفية، نبيل موميد
http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n89_06moumid.htm
مجلة فكر ونقد، العدد (٨٩).

حلقة براغ اللغوية/ Prague Linguistic Circle، وائل سيد عبدالرحيم،
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=1397&sid=dfdbef
منتدى اللسانيات

الحمل المزدوج في نظام اللغة العربية: التناوب والتضمين مثالاً، د.حسن منديل حسن العقيلي
http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com
شبكة صوت العربية

الخطاب الأدبي وعلاقته بالحقول المعرفية، عبدالكريم جمعاوي
http://www.aljabriabed.net/n89_04jamaoui.htm

مجلة فكر ونقد

الخلط بين المستويات في المطابقة وأثر ذلك في الدرس النحوي، د.فوزي الشايب
www.arabization.org.ma/downloads/majalla/41/docs/9.doc

دور الضمير في ترابط النصّ على المستوى اللغوي والدلالي، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=502&sid

منتدى اللسانيات

سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، د.جميل حمداوي
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7796

ديوان العرب

شعرية التكرار من الأصل الشعائري إلى التأصيل الفني، د.عبدالفتاح محمد العقيلي
http://dralaqeely.com/moalfat.aspx

موقع العقيلي

ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي.. دراسة أسلوبية، د.زهير أحمد المنصور
www.dahsha.com/uploads/TakrarShabi.doc

دهشة

ظاهرة التنوين مفهومها وعلاقتها بالدلالة، د.بشتي الطيب
http://www.attaweel.com/vb/showthread.php

أهل التأويل

العائدية الخطابية: مقاربة تداولية معرفيَّة، د.لحسن توبي
http://www.arabization.org.ma/Majalla١.asp?m

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

علم لغة النص، هاشم كاطع
http://www.iraqoftomorrow.org/civil_studies/79640.html

عراق الغد

عن الترجمة وتحليل الخطاب، أحمد الفوحي، (بحث)
http://www.saidbengrad.com/inv/fouhi

موقع الدراسات السيميائيَّة

الفرق بين الطباق والمقابلة، منذر أبو هواش
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?t=27108

الجمعية الدولية للغويين والمترجمين العرب/ واتا

الفصلُ والوصلُ وعلاقتُه بلسانيات النص، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.al-maqha.com/t780-2.html

مقهى علوم اللغة العربية

فعل الكلام النصي، د.جُمعان عبدالكريم
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?p=8882&sid=c

منتدى اللسانيات

في الخطاب وتحليل الخطاب، د.عبد الرحيم الخلادي
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

الحوار المتمدن

القرآن.. من تفسير النص إلى تحليل الخطاب، عبد الرحمن الحاج
http://www.almultaka.net/ShowMaqal.php?cat=1&id

الملتقى الفكري للإبداع

قضايا في اللسانيات الحديثة، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.al-maqha.com/showthread.php?t=689&page

موقع مقهى اللغة العربيَّة
قضية الإحالة والبنية الإحالية في النص، د.عبد الرحمن بودرع
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=130
منتدى اللسانيات
المحسنات البديعيَّة، عبدالله حسن
http://www.study4uae.com/vb/study4uae129/article
تعلّم
مدخل إلى التداولية، خليفة بولفعة
http://www.ta5atub.com/montada-f4/topic-t214.htm
موقع تخاطب
مدخل الى الخطاب (٢/١) بقلم سارة ميلز، ترجمة وتقديم: غريب اسكندر
http://www.elaph.com/ElaphWeb/ElaphLiterature
إيلاف.. جريدة يومية الكترونيَّة
مظاهر السبك والحبك في نماذج من مقالات "سجع الكهّان" لمحمد البشير الإبراهيمي، أ. عماد بوخاري
http://www.ulum.nl/E٦٤.html
مجلة علوم إنسانية
مظاهر الكتابية والنصية في مقامات الحريري، د.عمر عبدالواحد
http://www.adabihail.com/inf/articles-action-show-id-368.htm
النادي الأدبي بحائل
مفهوم التناص، أحمد الغرسلي
http://www.essahafa.info.tn/archives/archvies_dhad
الصحافة
مفهوم الخطاب في الدراسات اللغوية والنقدية
www.lissaniat.net/viewtopic.php?p=4381&sid
منتدى اللسانيات
مفهوم الخطاب وسماته، حبيب مال الله ابراهيم
http://www.freemediawatch.org/majalah/document/docmajla
عـالـم الغـد/ المركز الأكاديمي للدراسات الإعلامية – فيينا
مفهوم النص: من الحقيقة المجرَّدة إلى الحقيقة الممكنة، د.محمد الداهـــي
http://www.tarbiya.chmiti.com/news.php?action=view&id=8
التربية الجديدة
مفهوم النص (من النص إلى النصم)، د. جمعان عبدالكريم
http://lissaniat.net/viewtopic.php?t=571
منتدى اللسانيات
مفهوم النص، مهدي عبدالوفي
http://www.bayan-alquran.net/forums/showthread.php?
ملتقى البيان لتفسير القرآن
مفهوم النص والخطاب، محمد مصابيح
http://www.nashiri.net/articles/literature-and-art/4022.html
موقع ناشري
مقاربة حديثة لمفهوم النص كوحدة كلامية، موريس أبو ناضر
http://www.menber-alhewar1.org/forum.php?action=view&id
منبر الحوار والإبداع
مقاربة نحو النص في تحليل النصوص: قراءة في وسائل السبك النصي، أ.ياسين سرايعية

http://www.ulum.nl/c98.html
مجلة علوم إنسانيَّة

ملاحظات في القيمة التداولية للمصطلح النقدي اللساني، د.خليفة بوجادي
http://boudjad١.maktoobblog.com/١/hello-world/
مدونة بوجادي

مناهج تحليل الخطاب، د.فؤاد بو علي
http://www.etlaforums.com/new/showthread.php?302-
جمعية المترجمين واللغويين المصريين

المناهج النقدية المعاصرة من البنوية إلى النظمية، د.حلام الجيلالي– السعودية
http://www.awu-dam.org/mokifadaby/404/mokf404-002.htm
اتحاد الكتاب العرب بدمشق

من دروس اللسانيات: النّصّ والخِطاب، د.عبدالرحمن بودرع
http://www.al-maqha.com/showthread.php?t=780
مقهى اللغة العربيَّة

من لسانيات الجملة إلى علم النص، د.بشير إبرير– الجزائر
http://www.awu-dam.org/mokifadaby/401/mokf401-002.htm
اتحاد الكتاب العرب بدمشق

المنهج السياقي ودوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ، (٢/١) نماذج تطبيقية من القرآن الكريم، د.مسعود صحراوي
http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid
موقع الشهاب

مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية، د.ريما سعد سعادة الجرف
http://www.3llm.com/main/download.ph...oad&fileid
موقع العلم

نحو خطاب لسانيّ نقديّ عربيّ أصيل، فـاتح زيـوان
http://www.ulum.nl/b182.htm
علوم إنسانية

نحو لسانيات نصية عربية.. مقاربة في مفهوم النص والتماسك النصي، رشيد عمران
http://www.odabasham.net/show.php?sid=11927
رابطة أدباء الشام

النص الأدبي وتعدد القراءات، بشير ابرير
http://www.nizwa.com/articles.php?id=539
مجلة (نزوى) العدد (١١)، يوليو ١٩٩٧م

النص والخطاب: ثنائية إبدال أم ثنائية تضاد؟ أ.أحمد مداس
http://www.ulum.nl/c20.htm
علوم إنسانية

نظرية التناص في النقد العربي، محمد سعيد احجيوج
http://www.startimes.com/f.aspx?t=12516758
منتديات ستار تايمز

النظم وتضافر القرائن ونحو النص.. بحث في جذور النظرية وعناصر مكوناتها، د.وحيد الدين طاهر عبدالعزيز
www.svu.edu.eg/faculties/art/link/
جامعـة جنـوب الـوادي

الوحدة البنائية للقرآن المجيد، د.طه جابر العلواني
http://www.almultaka.net/ShowMaqal.php
الملتقى الفكري للإبداع

هەرێمی کوردستان- عێراق
وەزارەتی خوێندنی باڵا و توێژینەوەی زانستی
زانکۆی سەلاحەددین - هەولێر

شیکاری گوتاری قورئانی لە بەر ڕۆشنایی (ئاراستەی تێکستی) دا

پراکتیکە لە سەر ئایەتەکانی بەڵێندان و ترساندن لە سورەتە مەکییەکاندا

نامەیەکە

پێشکەشی ئە نجومەنی کۆلێژی زمان کراوە لە زانکۆی سەلاحەددین - هەولێر

وەك بەشێك لە پێداویستییەکانی بەدەستهێنانی پلەی ماستەر لە زمانی عەرەبیدا

لەلایەن

سعد صهيب خضر (بەکالۆریۆس لە زمانی عەرەبی - کۆلێژی زمان - زانکۆی سەلاحەددین - ٢٠٠٥)

بەسەرپەرشتی

د.نشأت علي محمود - ماموستا

جۆزەردان ٢٧١١ کوردی　　جومادەلئاخیرە ١٤٣٢ کۆچی　　ئایار ٢٠١١ زایینی

پوختە

ئەم نامەیە هەڵدەستێ بە پەیوەنددارکردنی لایەنی شێوە بە لایەنی واتایی لە شیکارکردنی گوتاری قورئانیدا، وای دەبینێ، کە ڕستەسازی بە تەنیا بەس نییە، بۆ شیکارکردنی تێکستەکان، بۆیە بە پێویست زانراوە، ئەم لایەنە فەرامۆشبکرێ و وەکو گشت تەماشای تێکست بکرێت، بەو پێیەی تێکست گەورەترین یەکەیە، کە دەکرێ شیکاربکرێت، لە کاتێکدا شیکاری ڕستە بە تەنیا، ئەمە بەش بەشکردنی پڕۆسەی گەیاندنە، چونکە پەیوەندی لە نێوان قسەکەران، تەنیا لە ڕێگەی هەندێ وشەی لە یەکدابڕاو، یان بەکارهێنانی دەستەواژە لێکجیاوەکراوەکان بە ئەنجام ناگات، بەڵکو ئەمە لە ڕێگەی دەستکەوتە گوتەییە فراوانتر و گەورەترەکانی بەرجەستەبوو لە تێکست، یان گوتار بەرجەستە دەبێت، لێرەشەوەیە پشت بەستن بە تەنیا بە ڕستە کەموکورتییە لە شیکاری زمانەوانی، وەك چۆن لە هەمانکاتدا دابڕانیشە بۆی، لەو سیییاقانەی دەوریان داوە لە کاتی بەرهەمهاتنی، زیاد لەوەش زمانەوانی نوێی ڕستە دەستەوسانە لە لەخۆگرتنی هەندێ دیاردەی زمانی و ڕاڤەکردنیان، لەو دیاردانە مەسەلەی گەڕانەوە (ئیحالە)، یان ئاماژەدانی ڕاناو بۆ ئەو ناوەی لە پێشووتری هاتووە، یان لە دواوەی هاتووە، لەگەڵ چەندین مەسەلەی تری وەکو: لابردن، دابڕین و پێکەوەلکاندن، ڕاناوەکان، پەیوەندی پرسیار بە وەڵام، لەگەل بێجگەی ئەوانەش، لەوانەی ناکرێ دەرکیان پێ بکرێ، تەنها بە بەجێهێلانی چوارچێوەی تاکە ڕستە نەبێ، لە کاتێکدا شیکاری تێکستی، هەموو ئەو مەسەلانە لەبەرچاودەگرێ، کە دەورەی تێکستەکە دەدەن و لەناوەوە پێکی دێنن، تەنانەت ئەو سیییاقانەش لەبیرەخۆی ناباتەوە کە دەورەی تێکستەکە دەدەن، وەرگر و گرنگی ڕۆڵی وەرگریش لەبیر ناکات، بەڵکو تەواوی هاوبەشەکانی پڕۆسەی گەیاندن لەبەرچاو دەگرێ، بەمەش پڕەنسیپی یەکگرتنی تێکستی (التماسُك النصيُّ) بە ئەنجام دەگەینێ، کە بە گرنگترین پڕەنسیپەکانی تێکستی دەژمێردرێت، ئەمە لەبەرئەوەی مەرجی سەرەکییە بۆ ئەوەی ئاخاوتنەکە بە تێکست بژمێردرێت، چونکە لە ڕێگەی یەکگرتنەوە دەتوانین جیاوازی بکەین لە نێوان ئەوەی تێکستەو ئەوەی تێکست نییە.

لێرەوەیە یەك لە ئامانجەکانی پڕۆگرامی تێکست خستنەڕووی کۆمەلێك یاساو بنەمایە، بۆ ئەوەی وەرگر بتوانێ بە پێی دیدێکی گشتگیرانە بە ئاسانی مامەڵە لەگەڵ تێکستەکاندا بکات، ئەو دیدە گشتگیرەی وەها تەمشای تێکست دەکات، کە تۆڕێکی پەیوەندییە سینتاکسی و سیمانتیکی و پڕاگماتیکییەکانە، هەموویان بەشداری دەکەن لە بەرهەمهێنانی تێکستەکە.

لێرەشەوەیە تیۆری تێکستی گرنگی بە وەسفی بنیاتی گشتی تێکست و شیکارکردنی و خستنەڕووی پەیوەندییەکانی دەدات، ـ بەبێ کورتبوونەوە لەسەر لێکۆلینەوەی بە تەنیای ڕستە، وەکو ئەمە لە ڕستەسازی کلاسیك وەهایە، ئەم لەبەرچاوگرتنە گشتییانەش کە لەسەریان وەستاین، بە ڕوونی لە گوتاری قورئانیدا بەدیاردەکەون ـ کە قورئانی پیرۆز لە گوتاری خۆیدا سنووورەکانی تاکە ڕستە دەبەزێنێ و دەکەوێتە نێو کۆمەلێك ڕستە، چونکە بە هەموویانەوە ئینجا واتابەخش دەبن ـ ئێمەش دەتوانین ئەوانە لە ڕێگەی هۆکارەکانی پەیوەندی وەکو: مەسەلەی گەڕانەوە (ئیحالە)، یان ئاماژەدانی ڕاناو بۆ ئەو ناوەی لە پێشووتری هاتووە، یان لە دواوەی هاتووە، لەگەڵ چەندین مەسەلەی تری وەکو: لابردن، دابڕین و پێکەوەلکاندن، ڕاناوەکان، پەیوەندی پرسیار بە وەڵام، هاوشێوەیی، پاتکردنەوە، پێکەوەگونجان و هیدیکە... لەگەل پێکهێنەرەکانی گوتار: گوتاردەر و گوتاربۆدراو، بابەتی گوتار و مەبەستەکەی، هاوپەیوەندییەکانی گوتار: لە شوێنی دابەزین و کات و هۆیەکانی، تەنانەت تێگەشتن لە مەبەستی شەرعێنەر (الشارع) لە قورئانی پیرۆزدا بە گشتی، بە شێوەیەکی تەواو وەدی نایێ، تەنیا بە ڕەچاوکردنی باری گوتاردەر و گوتاربۆدراو باری گوتارەکەو مەبەستەکەی و کات و شوێنی دابەزین و هۆیەکانی و هەموو ئەوەی دەورەی تێکستەکە دەدەن لە بار و هاوپەیوەندەکان، هەموو ئەوانەش بەشداری دەکەن لە زەقکردنەوەی پەیوەندییە سینتاکسییەکان لە گوتاری قورئانی و گونجانی واتایی نێوانیان.

بەڵام هەرچی پەیوەندی هەیە بە پلانی لێکۆلینەوە، یان پەیکەری گشتی نامەکە، پێویستی وەهای خواستووە، نامەکە دابەشی دوو بەش بکرێت، ئەمانە حەوت باس لە خۆیان بگرن، پێشەکی و دەروازەش لە پێشیانەوە بێت، لە دوای هەموو ئەوەش ئەنجام دانراوە، کە

تایبدا گرنگترینی ئەو ئەنجامانە خراوەتەڕوو، کە نامەکە پێیگەیشتووە، ئینجا لیستی ئەو سەرچاوەو بۆگەڕاوانە دانراوە، کە بوونەتە هۆی بە ئاکام گەیشتنی ئەم نامەیە.

لە دەروازەدا تیشك خراوەتە سەر چەمکی تێکست و گوتار و پەیوەندییان بە پراگماتیکەوە، چونکە ئەم سێ زاراوانە لە لای خاڵێکی سەنتەر یەکدەگرنەوە، بە پێی بەرچاوگرتن و پێویستییەکانیش لێکجودادەبنەوە، جا ئەگەر بەبەرچاوگرتنی دەرچوونی لە گوتاردەرەوە، تەماشای تێکستمان کرد، بە (گوتار) ناودەنرێ، ئەگەریش بە بەرچاوگرتنی پڕۆسەی گەیاندن تەماشای تێکستمان کرد، ناودەنرێ ئاڵوگۆڕکراو (متداول)، ئەگەریش وەکو گشت تەماشای تێکستمان کرد، ئەو کاتی ناودەنرێ (تێکست)، ئەمەش وەکو زاراوەیەك، ئاراستەیەکی زمانەوانی هاوچەرخ دەنوێنێ، ئەمانەو بێجگەی ئەمانەش شتانێکن، لە دەروازەدا باسمان کردوون.

هەرچی بەشی یەکەمە، چوار باس لەخۆ دەگرێت، باسی یەکەم تیشکی خستۆتە سەر چەمکی (ئیحالە)، لەبەرئەوەی گەورەترین هۆکاری سینتاکسییە لە دروستکردنی پەیوەندی نێوان بەشەکان، چونکە زۆر کەم وەرگر تێکستێکی بەر گوێ دەکەوێت، خاڵی بێت لە ئیحالە، هەروەها ئەم باسە هەموو ئەو شتانەی باسکردووە، کە پەیوەندییان بە ئیحالەوە هەیە، لە بابەتە لاوەکییەکانی وەکو: ئیحالە بە ڕاناوی نیشانەو ئیحالە بە ڕاناوەکانی تر و ئیحالە بە تەواوکەرەکان و ئیحالە بە (أل)ی ناساندن و ئیحالە بە پاتکردنەوەو...، بەڵام لە باسی دووەمدا باس لە (لابردن) کراوە، کە ئەمە بە یەك لە هۆکارەکانی دروستکردنی پەیوەندی نێوان ڕەگەزەکانی تاکە تێکست دادەنرێت، تایبدا وەرگر ڕۆڵێکی گەورە دەبینێ، لە پڕکردنەوەی ئەو بۆشاییانەی تێکست بۆ زیرەکییەکەی وەرگری جێهێڵاوە، وەکو پڕەنسیپێك بۆ کورتکردنەوەو بۆ بەئەنجامگەیاندنی پڕەنسیپی هاوبەندکردن. لە باسی سێیەمیش تیشك خراوەتە سەر دابڕین و پێکەوەلکاندن، لێرەدا لێکۆڵینەوەکە جەختی لەسەر ئەوە کردۆتەوە، کە یەکە دارشتنەکان بە کۆی هەمووپانەوە (دابڕین و پێکەوەلکاندن)ەکان بنیاتی گشتی تێکستەکە پێکدێنن، ئەوەش ئیتر بە تەواوی ڕەگەزەکانی، یەك مەبەستی گشتی وەدی دێنێت. باسی چوارەمی ئەو بەشەش: تایبدا لە ڕێکهاتنی بەشەکانی ئاخاوتن دواوین، چونکە ئەمە پێکەوەگونجانی سینتاکسی لە نێوان یەکە زمانییە بەدواییەکداهاتووەکان بەرجەستە دەکات، ئەوەش پەیوەندییە ڕەگەزییەکانی تێکستی بەجێدێنێت.

دوای ئەوە بەشی دووەم دێت، ئەو بەشەش دابەشی سێ باس کراوە، لە باسی یەکەمدا تیشك خراوەتە سەر پەیوەندییە سینتاکسییەکان، ئەمە لەبەرئەوەی ڕووالەتێکە لە ڕووالەتەکانی پەیوەندییە سینتاکسییەکانی تێکست، ئەوەتا بەبێ ئامرازی لێکدەر و ئیحالە ڕستەکان پێکەوە دەبەستێتەوە، ئەم پێکەوەبەستانە لە ڕێگەیەکی دیکەوە دەکات، ئەویش لە ڕێگەی پەیوەندییە موعجەمییەکانی دروستبووی نێوان موفرەداتی تێکستەکەو یەکەکانی ڕستەکانی، هەروەها باسی لە وشە دووانییەکان کردووە، کە ژمارەیەك دەروازەو بەشی جوانکاری لەخۆ دەگرێت، هەموویان لە ڕووی فەرهەنگییەوە بەشداری دەکەن لە پێکەوەبەستانی بەشەکانی تێکست. ئەم بەش و دەروازانە بریتینە لە: دژیەك و بەرامبەری و موشاکەلە و هێنانەوەو هاوسەنگی و ڕەگەزدۆزی.. بەڵام باسی دووەمی ئەم بەشە، تایبەتکراوە بە پاتکردنەوە، لەبەرئەوەی شێوەیەکە لە شێوەکانی پەیوەندییە فەرهەنگییەکان، ئەوەش بۆ ئەوە دێت گوتە جەختبکرێتەوەو بچەسپێنرێت، زیاد لەوەش دەتوانێ سیمای پەیوەندیدارکردن لە نێوان هێما زمانییەکان بگەینێتە ئەنجام.. هەرچی باسی سێیەمە، کە ئەمە دووایین باسە، تایبەتکراوە بۆ باسی پێکەوەگونجان، ئەوەش دیسانەوە باسێکە لە بابەتە جوانکارییەکان، ڕۆڵێکی کارا دەبینێ، لە پێکەوەبەستانی بەشەکانی تێکستەکە، هەروەها چەندێتی تۆکمەیی گوتاری قورئانی لە ڕووی واتاوە دەردەخات و بەشە وشەییەکانی پێکەوە دەبەستێتەوە.

Kurdistan Region - Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Salahaddin University -Arbil

Quranic Discourse Analysis

in the light of Textual Direction

Applications on Verses of Promise and Threatening in the Meccan Suras

A Thesis
Submitted to the Council of the College of Languges University of Salahaddin – Erbil, in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Language

By
Saad Suhaib Khidher, B.A. 2005 . Salahaddin University

Supervised by
Dr.Nashat Ali Mahmoud – Lecturer

May 2011 A.D. Jumada al-Akhira 1432 AL-hijra Juzardan 2711 Kurdi

Abstract

This research is based on linking the formal and the semantic respects in the analysis of the Qur'anic discourse, and considers the inadequacy of linguistic sentence in the analysis of texts; therefore, it is found necessary to overcome it, and directing its attention to the text as a whole, as the largest unit can be for analysis while the analysis of sentence alone is a division to the process of communication. Communication between the speakers is not the use of isolated words, or separated expressions, but comes through the broader verbal achievements that are represented in the text or discourse. Hence, the reliance on the sentence alone is inadequate in the lingual analysis, as it is to isolate it in the contexts in which it is spoken, in addition to that linguistic sentence had stood unable to contain some of the phenomena of language and its interpretation, and these phenomena, the issue of reference, deletions, and separation and cohesion, pronouns, and the relationship of question answer, and others which can't be understood unless it is exceeding the scope of one sentence; Whereas the textual analysis takes into account all the facts that surround the text, not overlooking the contexts that surround it and not forgetting the receiver and the importance of his role; But it takes into consideration all the partners of the circle of communication, thereby fulfilling the principle of cohesive text, which is the most important principles of the text, and it is a prerequisite to count speech as text. Through cohesion we can differentiate between text and the non-text. Hence, the objectives of the textual curriculum is a set of laws and rules make it easier for the critic to deal with texts according to a comprehensive vision to consider the text as a syntactic, semantic, and pragmatic network of relations all contribute to the achievement of the text. Hence, the theory of text dealing with the overall structure of the text, analysis, and clarify its relations - but not exclusively on the study of sentence only, as is customary in classical syntax, and these considerations mentioned before, clearly reflected in the Qur'anic discourse - which goes beyond sentence scope and we can see them through the means of linking like reference, deletions, separation, cohesion, concord, collocation, repetition, convenience, and others. In addition to that, the components of the speech: the addresser and the addressee, and the subject of discourse and its purpose, and circumstances of the speech: place and its time, and its causes, even comprehending the purpose of the legislator in the Qur'an in general do not get optimal picture only by taking into account the case of the addresser, the addressee, and the subject of discourse, and its purpose, and place of coming down of Qur'an and the time, and its causes, and everything that surrounds the text of conditions and circumstances, all of which contribute to highlight the consistency of the Qur'anic discourse and its coherence.

With regard to the research plan, or the overall structure of the research, it was necessary to be

divided into two chapters which include seven sections. It starts with introduction and then abstract, it ends with conclusion which includes the most important findings of the research and the list of sources and references. The abstract has addressed the concept of text and discourse and their relationship with pragmatics; since these three terms meet at a central point, and differ in considerations and collocations. If we look at the text as the address of the addresser it is named (discourse); when we look at the text as a communication process it is called (converse), whereas we look at the text as a whole it is called (text) as a term representing contemporary linguistic direction. These and other matters are addressed above in the introduction, the first chapter consists of four sections, in the first section the research dealt with concept of reference, for being one of the most important cohesive means in linking parts of the text, which rarely finds the recipient a text without it; the research also addressed everything related to the sub-themes of reference, reference by determiners, and reference by pronoun, and reference by complement, and reference by definite article, and reference by re-wording, and reference by (Tanween) substitution. While in the second section deletion is studied as it is considered a means of linking between elements of the one text, and the receiver plays a big role to fill in the gaps left by the text for his intelligence, selfless to the principle of reduction and, for the purpose of cohesion. In the section of separation and cohesion the research emphasizes the synthetic units that make up a holistic and entire structure, and the structure with the whole elements serve one purpose, but in the last section of the first chapter, the research has examined the systemic agreement that achieve syntactic compatibility between successive linguistic units, which leads to achieving textual cohesion. Then comes the second chapter that consists of three sections, in the first section the research sheds light on the theory of lexicographic cohesion, as it is a manifestation of the cohesion of the text. The research also addresses collocation which contains a number of rhetoric entrances and doors that lexically contribute to connect the text. These doors and entrances are represented in antonyms, and interview, and resemblance, export, and lexical balance, while the second section examined the repetition because it is a form of lexicographic cohesion, which is brought to confirm speech and to fix it, as well as achieving cohesion between the lingual words, while in the third and last section examines proportionality which is one of the rhetoric entrances also, that plays an active role in the cohesion of the text, and reveals how tight the Qur'anic discourse in meaning, and the cohesion of its parts verbally.